إلياذة هوميروس

معربة نظماً

وعليها شرح تاريخي أدبي

بقلم

سليمان البستاني


المجلد الثاني


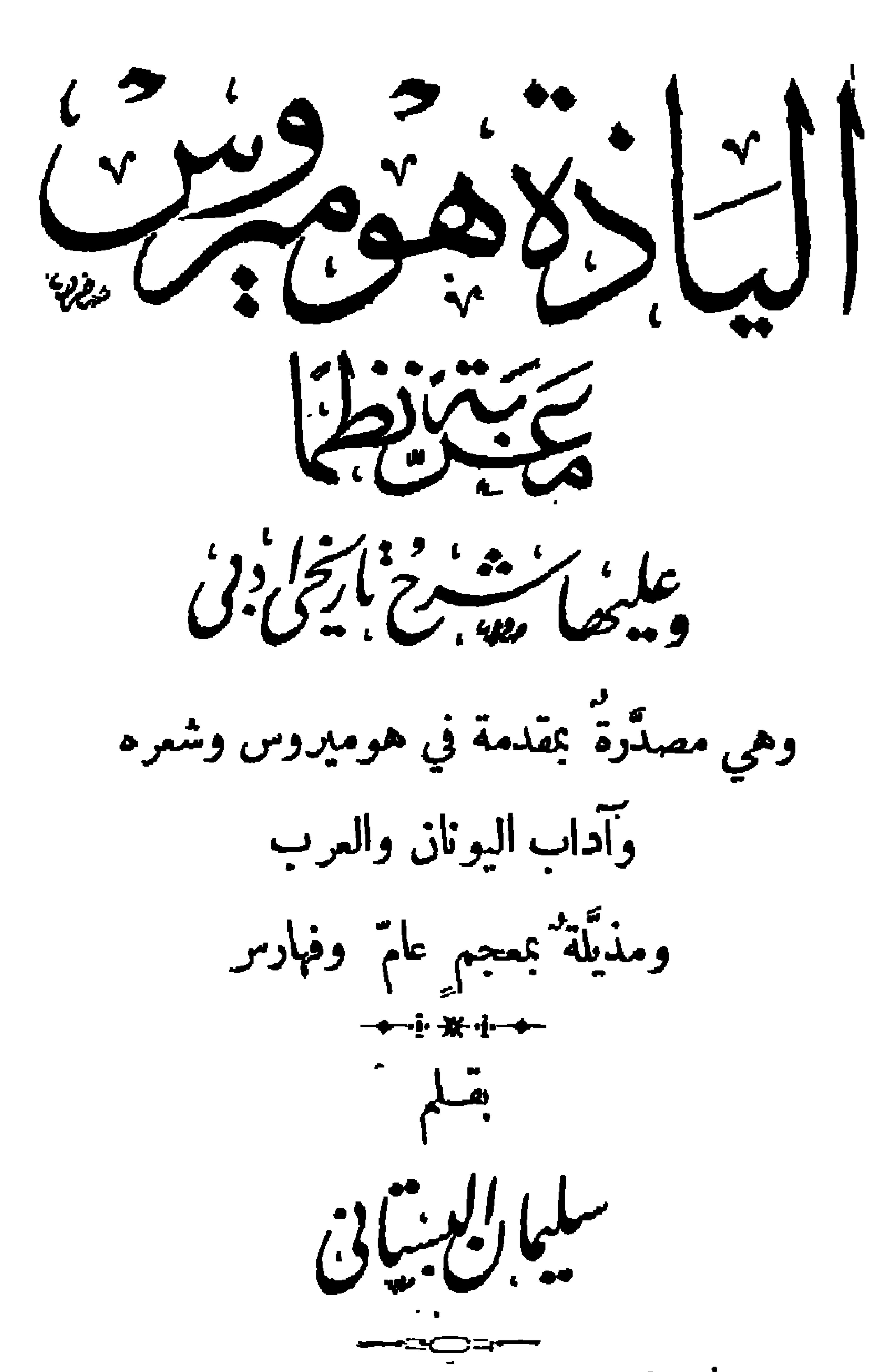
دار المعرفة

للطباعة والنشر

بيروت - لبنان







الياذة هوميروس

معربة نظما

وعليها شرح تاريخي أدبي

وهي مصدَّرة بمقدمة في هوميروس وشعره

وآداب اليونان والعرب

ومذيَّلة بمعجم عامّ وفهارس

بقلم

سليمان البستاني

L'ILIADE D'HOMÈRE

TRADUITE EN VERS ARABES

AVEC UNE INTRODUCTION HISTORIQUE ET LITTÉRAIRE SUR L'AUTEUR ET SON ŒUVRE EN REGARD DE LA LITTÉRATURE ARABE ET DES USAGES DE L'ORIENT.

LE TEXTE EST ACCOMPAGNÉ DE NOTES ET SUIVI D'UN VOCABULAIRE

PAR

Sulaïman al-Bustâny

الجزء الثاني

دار

احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

النشيد الحادي عشر

المعركة الثالثة

مُجمله

لما بدت كوكبة الصباح سير زفس « الفتنة » فهاج الجيشان للقتال فشكّ اغاممنون بسلاحه واندفع بجيشه تحت رعاية اثينا وهيرا . أما الطرواد فأخذ زفس بيدهم وتربص هكطور لصدّ هجمات الاعداء فالتحمت الحرب وابرز اغاممنون من البسالة ما دُهش له الطرواد فالتووا امامه وهو يتعقبهم ويفتك فيهم . فذهبت ايريس ببلاغ زفس الى هكطور تأمره باعتزال الحرب حتى يصاب اغاممنون بجرح أليم . وما عتم ان جرح اغاممنون فاندفع هكطور وشدد عزائم جيشه فكادوا يظهرون على الاغريق . وانبرى ذيوميذ لهكطور فصدهُ واذا بفاريس قد اطار على ذيوميذ سهماً اقعده . فبادر اوذيس لاغاثته وظلّ يناضل حتى جرحه صوقوس وكاد يهلك لو لم يسرع اليه أياس ومنيلاوس . وانقض أياس على قلب الجيش الطروادي فهزمه فأسرع هكطور اليه من طرف الميسرة فانهالت السهام على أياس كالمطر وجرح وقتل من زعماء الاغريق الجمّ الغفير . وكان اخيل يرقب عن بعد فأرسل فطرقل يتبين ما كان من امرهم فقص عليه نسطور ما نال القوم من الجهد والعناء فعاد فطرقل الى اخيل يتوسل اليه ان ينهض بنفسه او يلبسه سلاحه ليخدع به الاعداء و يرعبهم

مجرى وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين لافتتاح الالياذة وستستمر وقائع هذا اليوم الى النشيد الثامن عشر ، ومشهد الحوادث في ساحة القتال

النشيد الحادي عشر (١)

لَمّا بَدَتْ غزَالَةُ الصَّباحِ　تَنْهَضُ من مَرْقَدِها الفَيّاحِ
وغادَرَتْ طيثُونَ ذا الْوَجْهِ الوَضِي　حتّى على الجِنَّةِ والنّاسِ تُضِي (٢)
سَيَّرَ زَفْسُ فِتْنَةَ الوَبالِ　بِيَدِها مَعالِمُ القِتالِ (٣)

(١) اراحنا الشاعر اثناء نشيدين متوالين من معامع القتال وجندلة الابطال. فأتى في النشيد التاسع على ما مر بك من بعثة الوفد الى اخيل وفي العاشر على بث الارصاد وما كان من امرهم . ففكه القارىء تفكهة شوقته الى استئناف قصص وقائع الحرب فاستأنف ابدع استئناف واعدّ السامع لمواقع شداد بمقدمة في هذا النشيد وطأ بها توطئة عجيبة لاشتداد الازمة على الفريقين وارتفاع الصيحة بما لم يسبق له مثيل اذ جعل الفتنة هي الرافعة معالم القتال وهيرا وآثينا هما المرعدتان المبرقتان لاشتداد الوبال . واطال بوصف اغاممنون انباءً بما سيكون له من الهيبة والجلال وما سيبديه من شديد البأس وعزة النفس عند اشتباك الرجال . فكان كلامه من اوله الى آخره كسلسلة آخذ بعضها برقاب بعض لا تفوتك حلقة منها الا وترسخ في ذهنك وتتلوها حلقة اخرى تحل محلها وتزيد في رونقها . فقد غادرنا القومين في آخر النشيد الثامن متيقظين ليلهم مترصدين حلول الفجر لاعادة الكرة فكان لابد اذاً عند بزوغ الفجر بعد حصول ما حصل من ان يندفعوا جميعاً كالسيل المنهمر ولم يفت هوميروس ذلك فدفعهم على ما ترى

(٢) الجنة الجن . عبرنا بقولنا غزالة الصباح عن الفجر وهو في معتقدهم من اناث آلهتهم وطيثون زوجها كان في الاصل انسياً من بني لومذون ابي فريام فعشقته الاهة الفجر لجماله واستأذنت زفس فاتخذته بعلاً

(٣) ان ايفاد زفس ربة الفتنة لهو من قبيل احتدام الجيشين وتحرقهما للحرب — ذكر الشاعر في هذا البيت معالم القتال ولم يذكر ما هي على انه يستفاد

فأُنْصِبَتْ مُنْتَصِفَ الأُسطُولِ في مَرْكَبِ أُوذِيسَ الكَبِيرِ المُشْرِفِ
لِتَبْلُغَ الفَزْعَةُ كُلَّ العَسْكَرِ حتى أَخِيلَ وأَيَاسَ الأَكْبَرِ

مما جاء في النشيد الثامن انه كان لهم نوع من الراية الحمراء يرفعونها استنفاراً للحرب والاحمرار اشارة الى سفك الدم والبيت الذي اشرنا اليه هو قوله يصف اغاممنون :

نخاض صفوف الخيم والفلك رافعاً يساعده برداً من الخز احمرا

والظاهر من كلام هوميروس ان اللواء اذا عقد لكبير قوم فمن مظاهر عظمة ذلك الكبير ان يرفعه بيده كما فعل اغاممنون فيما تقدم وكما فعلت الفتنة هنا وهي ربة على ماعلمت . وهذا شأن جميع الامم في تلك الاعصر وما وليها من ايام الجاهلية اذ لم يكن يعهد بالراية الا لرئيس همام وفارس مقدام . قال صاحب السيرة الحلبية وغيره من مؤرخي العرب « ان راية بني هاشم (يوم بدر) اي التي كان يقال لها في الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها في الحرب الا رئيس القوم كانت لابي سفيان او لرئيس مثله ولغيبة ابي سفيان في العير حملها السائب لشرفه » وقال في موضع آخر « ودفع صلعم اللواء وكان ابيض الى مصعب بن عمير . وكان امامه صلعم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة » وفي غزوة احُد « عقد صلعم ثلاثة الوية لواء للاوس وكان بيد اسيد بن خضير ولواء للمهاجرين وكان بيد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولواء للخزرج وكان بيد الحباب بن المنذر » وكان للعرب اعلام كثيرة في زمن السلم ينصبونها على ابواب بيوتهم لتعرف بها وكانوا يفتخرون بالرايات الصفر ثم الحمر اما الاولى فلانها كانت لملوك اليمن واما الثانية فلانها كانت لاهل الحجاز . وفي اوائل الاسلام اتخذوا الراية السوداء والراية البيضاء لان راية صاحب الشريعة كانت سوداء وكان له ايضاً راية بيضاء كما تقدم . فلما تولى الامويون رجعوا الى راية الحجاز الحمراء . واما العباسيون فانهم اتخذوا الراية السوداء اقتداء بصاحب الشريعة وحزناً على شهدائهم ولهذا سمّوا بالمسوّدة لان السواد كان شعارهم حتى في ملابسهم فلما عدل المأمون عن لبس السواد اتخذ الراية الخضراء . واما دعاة الدولة العلوية والطالبيون من بني هاشم فكانت رايتهم بيضاء ولذلك سموا بالمبيّضة

إذ خيَّما وربطا القِلاسا | في الجانبين شِدَّةً وباسا [1]
فدمدمت تدوي دويَّ الرَّعدِ | وشدَّدتهم للقا المشتدِّ
فآثروا الحربَ وثقلَ المحنِ | على المآبِ لعزيزِ الوطنِ
فقامَ أتريذ بهم وصاحا | بالقوم كي يقوِّموا السِّلاحا
وشكَّ في فولاذِهِ الأغرِّ | يلبسُ خفَّيهِ بيادي الأمرِ
وحولَ ساقيهِ بقدَّتينِ | أوثقَ حالاً بعرى اللُّجينِ
ولبسَ الدِّرعَ البهيَّةَ التي | أهديها من قبلِ سيرِ الحملةِ
من ملكِ قبريسَ كنيرَ النَّاءي | تذكرةً لمحكمِ الولاءِ [2]
مذ نبأُ الإقلاعِ للطرْوادِ | على السَّفينِ شاعَ في البلادِ
من أبدعِ السطورِ فيها اثنا عشرْ | من النُّضارِ شائقاتٌ للنَّظرْ
ومن نحاسٍ أبيضٍ عشرونَ معْ | عشرةٍ أسحمَ فولاذٍ سطعْ
وفي كلا الجنبينِ حتَّى العنقِ | ثلاثُ حيَّاتٍ منَ الوشيِ النَّقي

---

(١) قلاس جمع قِلس وهو حبل السفينة — هذا تكرار لما جاء في النشيد الثامن وهو قوله :

واشراع آخيل وآياس أرسيت | على طرفيه شدةً وتبسلا

(٢) لايحيد الشاعر في شيء من روايته عن الحقائق التاريخية مع كثرة ما يذكر من الوهميات الشعرية والخرافات الميثولوجية فقد افادنا بهذا البيت وافادته صحيحة ان ملك قبرس لم يكن بينهم لان القبرسيين لم يلجوا تلك الحرب . وفي اهداء تلك الدرع الى اغاممنون افادة اخرى تاريخية وهي ان معادن قبرس كانت كثيرة منذ تلك الايام

حكَتْ بقلبِ الغيمِ أقواسَ قزحْ بنبأٍ زفسُ من السماطرَحْ [1]
ثُمَّ على كاهلِهِ أتريذُ قدْ ألقى حساماً بشعاعهِ اتَّقدْ
كُلباهُ والحزامُ مِنْ أبهى الذهبْ وغمدُهُ من فضةٍ فيها العجبْ [2]
وقلَّ ترساً شائقاً بهيّا يسترُ كُلَّ جسمهِ قويّا
عليهِ دارتْ حلقاتٌ لامعهْ عشرٌ من الصفرِ البهيِّ ساطعهْ
وفيهِ عشرونَ من الحرابي من النحاسِ الأبيضِ اللهّابِ [3]
في وسطِها حرباءُ فولاذٍ أغرّْ يبدو بها الغرغونُ روّاعُ النظرْ
وحولَهُ الهولُ ورسمُ الرعدَةِ والدرعُ شُدَّتْ بحزامِ فضةِ [4]
يلتفُّ في ثعبانِ روعٍ أزرقِ مُثلَّثِ الرأسِ وحيدِ العنُقِ
من ثَمَّ للمغفرِ أتريذُ عمَدْ يلبسهُ من بعدِ هاتيكَ العُدَدْ
مربَّعُ الرأسِ بعرفٍ أملسِ من شعرِ خيلٍ هاجَ فوقَ القونسِ [5]

---

(١) لا يخفى على المطالع اللبيب من هذا الكلام ان رؤية قوس قزح كانت تشير الى أمر ذي بال عند قدماء اليونان كما كانت عند الاسرائيليين بعد ان جعله الباري عز وجل وثيقة لابينا نوح بامتناع حدوث الطوفان مرة اخرى • ولعل هوميروس اخذ تلك الرواية مشوّهة في رحلته الى مصر لانه سيذكر (ن ١٧) أنه لم يكن يشير بخير بل نذير سوء

(٢) كلبا السيف هما المسماران في قائمه

(٣) الحرابي جمع حرباء والمراد بها هنا قتر الترس اي مساميره

(٤) لما اراد الشاعر ان يظهر اغاممنون بكل مظاهر العظمة والجلال اطنب حتى في وصف شكته وجعل مجنه شبيهاً بترس زفس كما مر بنا في النشيد الثامن

(٥) عرف المغفر ناصية الخوذة والقونس بيضتها

وَقَلَّ رُمْحَيْنِ مُشَقَّقِينِ حتَّى أَعالي الجَوِّ ساطِعِينِ [1]
والرَّعْدُ إِجْلالاً لَهُ وَشَرَفا بأَمْرِ آثِينا وهِيرا قَصَفا
فَأَمَرَتْ فُرْسانُهُ السُّيَّاسا تَنْظِمُ قُرْبَ الخَنْدَقِ الأَفْراسا
وانْدَفَعُوا ماشِينَ بالسِّلاحِ بَيْنَ صِيَاحٍ طَرَّةَ الصَّباحِ
فَانْتَظَمَ الأَبْطالُ قُرْبَ الخَنْدَقِ تَجْرِي وَرَاءَهُمْ عِجالُ الفَيْلَقِ

(١) قال مزرّد بن ضرار السعدي يصف شكته على نحو ما وصف هوميروس سلاح اغاممنون :

ومسفوحة فضفاضة تبعيّة وآها القتير تجتويها المعابلُ
دلاص كظهر النون لايستطيعها سنان ولا تلك الحظاء الدواخلُ
موشحة بيضاء دانٍ حبيكها لها حلق بعد الانامل فاضلُ
مشهرة تحني الاصابع نحوها اذا جمعت يوم الحفاظ القبائلُ
وتسبغة في تركة حميرية دلامصة ترفض عنها الجنادلُ
كأن شعاع الشمس في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القنادلُ
وجوب يرى كالشمس في طخية الدجى وابيض ماضٍ في الضريبة قاصلُ
سلاف حديد ما يزال حسامه ذليقاً وقدته القرون الاوائلُ
واملس هندي متى يعلُ حدّه ذرى البيض لاتسلم عليه الكواهلُ
اذا ما عدا العادي به نحو قرنه وقد سامهُ قولاً فدتك المناصلُ
ألست نقياً ما تليق به الذرى ولا انت ان طالت بك الكف ناكلُ
حسام خفي الجرس عند استلاله صفيحته مما تنقى الصياقلُ
ومطرد لدن الكعوب كأنما تغشاه منباع من الزيت سائلُ
اصم اذا ما هز مارت سراته كما مار ثعبان الرمال المُوائلُ
له فارط ماضي الغرار كأنه هلال بدا في ظلمة الليل ناحلُ

شرع في وصف الدرع فقال انها مصبوبة واسعة من الدروع التبعية تكرهها السهام

وزفس بينهم أثار الغبا	يمطر طلاً بدم مخضبا [1]
أما بنو الطرواد فوق الهضب	فانتظموا من حول هكطور الأبي
وحول فوليذامس المعصوم	وآنياس المجتبى العظيم
وحول فوليب وآكاماس	فتى حكى الأرباب آل الباس
والقيم المحمود آغنورا	ثلاثة من ولد أنطينورا
وهكطر في صدرهم يدور	في يده مجنه الكبير
يخوض في ساقتهم فيأمر	فيختفي ثم بصدر يصدر
ككوكب الهول الذي يستتر	في الغيم حيناً ثم حيناً يظهر

لصلابتها • وهي دلاص اي سهلة لينة لا تنفذ فيها الاسنة • موشحة حسنة السبك • يشار اليها بالاصابع لشهرتها — ثم اتى على وصف الخوذة فذكر التسبغة وهي نسيج الحلق الذي يكون تحت البيضة • ثم الخوذة فنسبها الى حمير وقال انها على كونها دلامصة اي لينة ترفض عنها الجنادل وهي لصفائها اذا اصابتها الاشعة تألقت في جوانبها كالمصابيح — ثم ذكر الجوب وهو الترس بشطر واحد وانتقل الى السيف فوصف حده القاطع وحديده النقي القديم واطال بوصف فعله في الحزوب — وانتهى بالرمح فقال انه مطرد اي مضطرب للينه تخال الزيت سائلاً عليه للمعانه يمور لمرونته كالثعبان المحاذر وكأنه لشدة لمعان حده القاطع هلال يسطع في الظلام الحالك

(١) ان امثلة مطر الدم كثيرة في تواريخ الاقدمين وكلٌّ ينتحل لها تفسيراً ليس من الصحة على شيء حتى قال بعضهم ان ذلك الطل كان حقيقة احمر لتبخره من دماء القتلى وهو قولهم في زمن كان العلم فيه قاصراً عن اثبات الخلاف • ولقد ذهب بعض العلماء العصريين انه قد يمكن ان يكون الطل الاحمر منبعثاً من اجساد نوع من الفراش اذا نقف من بيضة وتطاير في الهواء خرجت منه مادة حمراء • ومهما يكن من هذه التأويل فسقوط الطل الاحمر كان في عرف كل الامم اشارة الى سفك الدماء

يَسْطَعُ بالحديدِ والفولاذِ كبَرْقِ زَفْسَ اللامعِ الجبّاذِ (١)
فعندَ ذاكَ اشتبكَ الجيشانِ وثارَ نقعُ الضربِ والطعانِ
فكأنّهم مثلَ الذئابِ اندفعوا ولم يكنْ منْ للفرارِ ينزعُ
تُبتّتُ الرؤوسُ والأجسادُ كسنبلٍ يبتّهُ الحصّادُ (٢)
مذْ نظموا بزرعهمْ صفّينِ في طرفيهِ متقابلينِ
ولم يكنْ يشهدُ تلكَ الملحمهْ بالبشرِ الاّ الفتنةُ المهدّمهْ
وفي الأُلمبِ سائرُ الأربابِ يشائقِ القصورِ باحتجابِ
ولومُهمْ لزفسَ طرّاً بادِ لميلهِ لنصرةِ الطرْوادِ
لكنّ زفسَ ليس بالمبالي يعتزُّ في علياهُ باعتزالِ
يحيطُ بالطروادِ والأسطولِ والحربِ والقاتلِ والمقتولِ
منَ البزوغِ لارتفاعِ المشرقِ جندٌ تردّى وسهامٌ تلتقي

(١) لقد احسن الشاعر واي احسان بوصف زعيم الطرواد بهذه الخفة والهمة الشماء بعد ان وصف زعيم الاغريق بتلك الهيبة والعظمة الغراء • فهذا فتىً في ريعان الصبا يقود كتائب لم تبلغ شأواً مذكوراً في الانتظام الجندي فلابدله من ان يخترق الصفوف وينادي بالحتوف وذلك كهلٌ زعيم امم بلغ منها التفنن مبلغاً عظيماً وحسبه ان يشددها بمثاله فتقتفي اثره وتسير على منواله

(٢) قال بوب : لاندرك جمال هذا التشبيه الا اذا علمنا كيف كانوا يزرعون ويحصدون • ذلك ان الزراع او الحصاد كانوا ينقسمون شطرين متساويين يشرعان في العمل من طرفي الحقل فيلتقيان في وسطه فلهذا كثيراً ما كان يحصل التسابق والتنافس بينهما لبلوغ كل من الفئتين حده قبل الفئة الاخرى وهو تشبيه صادق كل الصدق على جيشين زاحفين كلٌّ من وجهته

وآنَ ما الحطَّابُ يُضوَى تَعبا في غابِهِ وَظماً وَسَغبا
وَيطلُبُ الرَّاحةَ بعدَ الغائلَه مُهيّئاً طَعامَهُ بالقائله (١)
تأَلَّبَ الإِغريقُ بأشتِدادِ وَخرقوا كَتائبَ الطِّرْوادِ
في صدْرِهِمْ يجري أَغاممْنونُ تَسيرُ في يَمينِهِ المَنونُ
جَنْدَلَ أَبيانُورَ راعي الأُمَمِ فَتبعهُ السائقَ وِيلُوسَ الكَمي
مِنْ فوقِ مَرْكبَتهِ وَثباً وَثبْ يَلقى أَغاممْنونَ مُشتدَّ الغضبْ
لكنَّما أَتْريذُ في الجبينِ طَعنهُ بِرُمحِهِ المَتينِ
فَخرقَ المِغفرَ والعظمَ سَحقْ وَبدَّدَ الدِّماغَ والهامةَ دَقْ
عَرَّاهُما فَلبِثا مَيتَينِ لا ستْرَ فوقَ ناصِعِ الصَّدْرَينِ
ثُمَّ انْثَنى يَسطُو على إِسُوسا مِنْ وُلْدِ فِرْيامَ وأَنطِفُوسا

---

(١) يستدل من هذا الكلام انهم لم يكونوا يحسبون ساعات الليل والنهار الا باعمال يعملونها فيها او احوال تتهيأ عنها كبزوغ الفجر وارتفاع الشمس . فضحوة النهار من الباب الثاني وراحة الحطاب من الباب الاول . وساعات النهار عند العرب جميعها مأخوذ من معانٍ تدل عليها وهي المجموعة بقول الشاعر العصري الشيخ ناصيف اليازجي:

اول ساعة من النهارِ هي البكور والبزوغ طاري
والرأد والضحى المتوع بعدُ ظهيرة ثم الزوال عدُّوا
ثم الاصيل العصر ثم الطفلُ وبالحدور والغروب تكملُ

ومثل ذلك قوله في ساعات الليل :

اول ساعة من الليل الشفق وبعدها العشوة يتلوها الغسق
فهدأة ثمة شرع ثم قلْ جنح وزُلفة هزيع بارجلْ
وبعد ذاك غبش وسحرُ والفجر والصبح الذي ينفجرُ

وكلها تدل على معانٍ مخصوصة كما ترى

فـذلكَ ابنُ غادةٍ خليلهْ — لكنْ ذامِنْ زوجهِ الحليلهْ [(١)]

قد رَكِبا مَرْكَبَةً فذا كا — ساقَ وهذا وَلِيَ العِراكا

كِليهما قِدماً أخيلُ دهما — بطُورِ إيذا يَرْعيانِ الغنما

بيانعِ الخيزُورِ أوثقهما — ونالَ فِـديةً وأطلقهما

والآنَ أتريذُ إسوساً قتَلا — بطعنةٍ في ثديهِ فجَندَلا

وأنطفوسُ بِحُسامِهِ قطعْ — أذنهُ قطعاً فللأرضِ وقعْ

فَشائقَ الشِّكَّةِ منهُما سلبْ — يذكرُ منْ أمرِهِما ماضي العجبْ

إذ كانَ قد رآهُما في السفُنِ — بأمرِ آخيلَ بذاكَ الزَّمَنِ [(٢)]

وَصائلاً مشى كَلَيثٍ داهمِ — خِشفَةً واهنةَ العزائمِ [(٣)]

---

(١) يستفاد من هذا الموضع وعدة مواضع اخرى في هوميروس انهم لم يكونوا يفرقون كثيراً بين ابناء الحلائل والخلائل فابن الهوى عندهم يكاد يكون كالابن الشرعي • ولقد ذهب بعض الشراح الى ان هوميروس جعل بين الفريقين تلك المساواة لانه لم يكن له ابٌ معروف على ان هذا الظن بعيد الاحتمال لان هوميروس لم يسلك بشيءٍ في شعره على هوى نفس معلوم بل مثل احوال عصره واطوار ابنائه على علاتها ولم يصدق شاعر صدقه من هذا القبيل

(٢) هذه رواية من جملة الروايات التي زين بها الشاعر شعره فاستفاد منها المطالع افادات ثلاثاً • الاطلاع على قصة من قصصهم • والتفكهة بواقعة يشتغل الفكر بها برهة عن مناظر الفتك والسفك • وترديد ذكر اخيل بطل الرواية النائي حتى الآن عن مضارب السيوف ومواقع الطعان

(٣) الخشفة جمع خشف وهو ولد الظبي

يَسْحَقُها برائعِ الأنيابِ في كناسِها سَحْقاً بلا تكلُّفِ
والأُمُّ تلكَ الظَّبيَةُ المُرتجفَهْ لا حيلةٌ لها بِرِفْدِ الخَشِفَهْ
مُرتاعةً مُلتاعةً تبغي المَفرّ في الغابِ تَجرِي بينَ مُلتفِّ الشجَرْ
تلهَثُ عِيّاً وتسيلُ عَرَقاً هالعةً من هولِ ذاكَ المُلتقى
كذاكَ في الطروادِ لم يكنْ أحَدْ لوَلَديْ فريامَ يبذُلُ المَدَدْ
ولَّوا لدى الأراغِسِ الفِرارا وخلفَهُمْ أتريذُ بأساً ثارا
فيسَندرا وإيفلوخا دهما على مَطا مَركبةٍ قد هُزِما
مِنْ وُلدِ أنطيماخسٍ مَنْ مَنَعا هيلانةً لزوجِها أنْ تُرجَعا
إذ كانَ فاريسُ رَشاهُ ووَهَبْ ما لأوفيرا منْ متاعٍ وذَهَبْ[1]
فعندما لدَيهما مِثلَ الأسَدْ لاحَ الجيادُ جَمَحتْ تحتَ المَدَدْ
وارتجفتْ أيديهِما فوقعتْ أعنَّةٌ بها سَناءٌ سطَعتْ
فسجَدا منْ فوقِ ذاكَ المجلِسِ وصرَخا بذِلَّةِ المُلتمِسِ :
« أَلعفوُ والفِداءُ فالتِّبرُ الأغرّْ والصفرُ والحديدُ طُرّاً مُدَّخرْ
فأنطِماخُ يُجزِلُ الهَدايا إنْ نَبقَ حيَّيْنِ على الخَلايا»[2]

(١) يعلم المطالع ان بدء الالياذة في السنة العاشرة لحرب طروادة ولكن من تصفحها من اولها الى آخرها علم منها اموراً كثيرة جرت قبل ذلك الزمن اشار اليها الشاعر اشارة لطيفة كاشارته هنا الى ما كان من انطيماخوس من قوله بمنع الطرواد عن ارجاع هيلانة الى زوجها فيعلم من ذلك ومما سيأتي بعد ابيات بلسان اغاممنون انهم اوفدوا وفوداً الى الطرواد لحسم الخلاف صلحاً قبل الاقدام على الحرب .

(٢) هذا هو القول الذي قاله ذولون في النشيد السابق توسلاً الى أوذيس

وَبَكَيا تَذَلُّلاً وَصُغْرا فَلَقِيا مِنْهُ الجَوابَ المُرَّا :
« أَلَيسَ أَنطِماخُ والدُكُما بِمَجْلِسِ الطُرْوادِ يوماً حَكَما
بِقَتْلِ أُوذِيسَ وَمِينِلا وَقَدْ جاءا رَسُولَيْنِ وبالكَيْدِ اتَّقَدْ
سَتَلْقَيانِ الآنَ شَرَّ غَدْرِهِ » وَطاعِناً فِيسَنْدَراً بِصَدْرِهِ
جَنْدَلَهُ مِنْ فَوقِ عَرْشِ العَجَلَهْ فَإِيفُلُوخُ بِخَفِيفِ العَجَلَهْ
رامَ انْهِزاماً وإِلى الأَرضِ وَثَبْ لكِنْ أَغا مَمْنُونُ بالسَّيفِ انْتَصَبْ
بِضَرْبَةٍ عَلَيهِ بالعَزْمِ انْدَفَعْ وَرَأْسَهُ مَعَ الذِراعَينِ قَطَعْ
دَفَعَهُ لِلأَرضِ مِثْلَ الخَشَبَهْ وراحَ يَجْرِي بِعَظِيمِ الكَبْكَبَهْ
تَتْبَعُهُ كَتائِبُ الأَجْنادِ حَيثُ تَكَثَّفَتْ سُرَى الأَعادي
فَبَطَشَ الغِلْمانُ بالغِلْمانِ وَفَتَكَ الفُرْسانُ بالفُرْسانِ (١)
وَتَحْتَ وَقْعِ الخَيلِ نَقْعٌ ثارا في السَّهْلِ لِلْجَوِّ ذَرا الغُبارا
وَثَمَّ أَتْرِيذُ يَحُضُّ الجُنْدا مُقْتَضِباً مُقْتَفِياً مُشْتَدّا
هَبَّ عَلَى الأَعداءِ مِثْلَ النّارِ شَبَّتْ بِغابٍ غَضَّةِ الأَشْجارِ (٢)

وذيوميذ أن يعفوا عنه

(١) قال عنترة :

ودنت كباشٌ من كباشٍ تصطلي نار الكريهة او تخوض لظاها
ودنا الشجاع من الشجاع واشرقت سمر الرماح على اختلاف قناها

(٢) قال أبو النجم العجلي :

انّا لتعمل في الرؤوس سيوفنا عمل الحريق بيابس الحلفاء

ومثله قول عنترة :

اذ ادبروا فعملنا في ظهورهم ما تعمل النار في الحلفا فتحترقُ

تُثيرُها الرِّيحُ وفي كُلِّ مَهَبْ　　　تَلهمُ كُلَّ ما أَمامَها انتصبْ
أَمامَهُ الطُّرَّادُ وَلَّوا جزَعا　　　وَسَيفُهُ الرُّؤُوسَ قَطْعاً قطعا
وجامِحاتُ الخَيلِ بالعِجالِ　　　تَضْرِبُ في السَّهلِ بلا رِجالِ
تَنْدُبُ ما أَلَمَّ بالفُرْسانِ　　　تَحتَ عَجاجِ الضَّرْبِ والطِّعانِ
أَشهى هُمُ الآنَ الى العِقْبانِ　　　مِنْهُ الى حَلائِلِ النِّسْوانِ
وَزَفْسُ هكتُورَ عَنِ النَّقْعِ حَجَبْ　　　وَعَن ضَجيجِ القَومِ في ذاكَ اللَّجَبْ
وَعَن مَدى النِّبالِ والنَّجيعِ　　　وَعَن تَلاحُمٍ بِهِمْ فَظيعِ
وَظَلَّ أَتْرِيذُ على أَعقابِهِمْ　　　مُشَدِّدًا يَضْرِبُ في رِقابِهِمْ
فَدَفَعُوا لِلتِّيْنِ ثُمَّ اجْتازُوا　　　في وَسَطِ السَّهلِ وَفيهِ انْحازُوا (١)
لِقَبْرِ إِيلُو ذلكَ الدَّرْدَنُسي　　　يَبْغُونَ إِليُونَ بِحَرِّ النَّفَسِ
وإِثْرَهُمْ أَتْرِيذُ دَوماً جاري　　　مُلَطَّخاً بالدَّمِ والغُبارِ
يَصيحُ حَتَّى أَبْلَغَ الفُرْسانا　　　أَبوابَ إِسْكِيَةَ ثُمَّ الزّانا
فَوَقَفُوا يَبْغُونَ جَمْعَ الشَّمْلِ　　　وَصَحْبُهُمْ تَبَعْثَرُوا في السَّهْلِ
مِثْلَ العُجُولِ ذُعِرَتْ فِرَارا　　　واللَّيثُ في اللَّيلِ لَقَدْ أَغارا
فَأَيُّها أَصابَهُ سَحَقَهُ　　　مُحَطِّماً بِنابِهِ عُنُقَهُ

(١) اختلف المفسرون بموقع ذلك التين فمن قائل انها التلة المحاذية للبرج التي اشار اليها الشاعر في النشيد السادس ومن قائل انها بقعة وعرة مزروعة تيناً في ذلك السهل وهذا مذهب اسطرابون القائل ان اليونان انما دخلوا اليون من ذلك الموضع

يَمْتَصُّ لا مُكْتَفِياً دِماءَهُ   يَزْرَدُ لا مُشْتَفِياً أَحْشاءَهُ
كذا أَغامَمْنُونُ أَصْمَى وَسَفَكْ   بِساقَةِ العدى بِمَنْ لاقى فَتَكْ
وَلَّوا وَمُشْتَدًّا عَلَيْهِم حَمَلا   بالرُّمْحِ يُرْدِي بَطَلاً فَبَطَلا
ما بَيْنَ مَصْرُوعٍ مِنَ العِجالِ   أَهْوى وَمُسْلَنْقٍ على الرِّمالِ
وَعِنْدَ ما قارَبَ إِدْراكَ البَلَدْ   وَسُورِهِ الشاهِقِ في ذاكَ اللَّدَدْ
مِن قُبَّةِ السَّماءِ كالبَرْقِ انْحَدَرْ   زَفْسُ وفي إِيذا بِعَلْياهُ اسْتَقَرْ
صاحَ بِنَاتِ أَجْنُحِ النُّضارِ   بِيَدِهِ عَمُودُ بَرْقٍ وارِ
قالَ: «فَطيرِي إِيرِسُ الرَّشيقَهْ   وَأَبْلِغِي هَكْطُوراً الحَقيقَهْ
فَطالَما أَتْرِيذُ في صَدْرِ السُّرَى   يَبْطُشُ فيهِمْ فاتِكاً مُدَمِّرا
فَلْيَعْتَزِلْ وَلْيُلْقِ عِبْءَ الصَّدِّ   على سِواهُ مِنْ سَراةِ الجُنْدِ
لٰكِنْ إِذا بِطَعْنَةٍ فاهِقَةِ   أُصِيبَ أَو بِرَمْيَةٍ خارِقَةِ
وَراحَ يَعْلُو سُدَّةَ العِجالِ   هَكْطُورَ أُولِي نُصْرَةَ القِتالِ
لَأُولِيَنَّهُ اشْتِدادَ البَأْسِ   يَكْسَحُهُمْ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ
لِمَوْقِفِ الأُسْطُولِ يَسْفِكُ الدِّما   حَتَّى يَرَى قُدْسَ الدُّجَى قَدْ خَيَّما»
هَبَّتْ هُبُوبَ الرِّيحِ مِن إِيذا إِلى   إِلْيُونَ هَكْطُورَ تُوافي عَجَلا
أَلْفَتْهُ في مَرْكَبَةٍ مُنْتَصِبا   قالَت: «أَيا هَكْطُورُ خُذْ مِنِّي النَّبا
يا عِدَّ زَفْسَ زَفْسُ بالرِّسالَهْ   أَنْفَذَنِي فَاسْتَمِعِ المَقالَهْ
فَطالَما أَتْرِيذُ في صَدْرِ السُّرَى   يَبْطُشُ فِيكُمْ فاتِكاً مُدَمِّرا

فَاْعتزِلَنْ وَأْلقِ عِبءَ الصَّدِّ على سِواكَ مِنْ سَرَاةِ الجُنْدِ
لكنْ إذا بطعنةٍ فاهقةِ أُصيبَ أو برَميةٍ خارقةِ
وراحَ يعلو سُدَّةَ العِجالِ هكطورُ تُؤتى الفوزَ في القِتالِ
لَيُؤتينَّكَ اْشتدادَ البأسِ تكسحُهمْ حتَّى غُروبِ الشمسِ
لموقفِ الأُسطولِ تسفكُ الدِّما حتَّى ترى قُدْسَ الدُّجى قد خيَّما»
غابتْ وهكطورُ الى الأرضِ وثَبْ يهزُّ أطرافَ القنا بادي الغضبْ
يرنحُ في كُلِّ السُّرى مُستنهضا مُدَجَّجاً مُشدِّداً مُحرِّضا
فاْنقلبوا لساحةِ الهيجاءِ مقابلينَ زُمرَ الأعداءِ
وَاعتصبَ الإغريقُ واصطفُّوا فرَقْ واْشتدَّتِ الحربُ وأتريذُ اْنطلقْ
مبرِّزاً عن سائرِ الشُّجعانِ مُروِّعاً في ذلكَ الميدانِ
وَلِي فقُلْنَ يا بناتِ الشِّعْرِ مَنْ جاءَ يلقاهُ ببدءِ الأمرِ:
ذاكَ اْبنُ أنطينورِ الطويلُ أفيدَماسُ الباسلُ النبيلُ
سِبْطُ لِكيسيسَ أبي ثِيانو مَنْ شاعَ ذِكراً حُسنُها الفتَّانُ
لَدَيهِ في إثراقةِ الغنيمِ والخِصبِ طفلاً شبَّ في النعيمِ
وعندما ترعرعَ اْستبقاهُ في حجرهِ وبِنتَهُ أعطاهُ [1]
لكنَّهُ غادرَها على الأثرْ مُذْ شاعَ عن حربِ الأراغسِ الخبَرْ

---

(١) اذا كان افيداماس سبط كيسيس اي ابن بنته وكيسيس ابو ثيانو الحسناء وازوجه من اختها فيكون افيداماس زوج خالته كما ترى ولم يكن ذلك منكراً عندهم

أَتى لفرقوتَ بثنتي عشرَهْ سفينةً ينزلُ فيها عسكرَهْ

مِنْ ثَمَّ إليونَ أتاها برَّا فذا الذي أَتريذَ رامَ كِبْرا

تقابلا حتّى دنا التلاقي فزجَّهُ أَتريذُ بالمزراقِ

فصرَّحَ الزجُّ وفي الحالِ انثنى أَفيدماسُ وبعنفٍ طعنا [1]

أَصابَ تحتَ الدرعِ بالحزامِ فدفعَ العاملَ باحتدامِ

وظلَّ لا يفلتُهُ من يدِهِ معتمدًا على قوى عضدِهِ

في عروةِ اللجينِ بالوسطِ استوى وكالرصاصِ اللدنِ في الحالِ التوى

فعندذا أَتريذُ كالليثِ وثبْ وذلكَ الرامحَ بالرمحِ اجتذبْ

واجترَّهُ منهُ وبالسيفِ قطعْ عنقَهُ فغائرَ الطرفِ وقعْ

يهجعُ مصروعًا هجوعَ الأَبدِ بذنبهِ عنْ قومهِ والبلدِ

وا ويحهُ عن عرسهِ الفتيَّةِ في البعدِ قد أُميتَ شرَّ ميتةِ

نأَى وما إنْ كادَ وهوَ ناءِ يبلو شعارَ الحبِّ والوفاءِ

لها الصلاتِ الغرَّ قد كانَ ادَّخرْ مبتدئًا بمئةٍ من البقرْ

وبجماهُ العنزُ والغنيمُ لم يحصها عدٌّ ولا تقويمُ

خيَّرها منها بأَلفِ رأْسِ والآنَ أَتريذُ الشديدُ البأْسِ

جندلَهُ مجرَّدًا من شكّتهْ يرجعُ فيها لسرايا حملتهْ

فالخطبُ لاحَ لأَخيهِ الأَكبرِ قاوونَ الفتاكِ والشهمِ السَّري

---

(١) صرّح اي اخطأ

فذابَ بثّاً وأسىً عليهِ ... وأسودّ نورُ الشمسِ في عينيهِ
فانسابَ لايراهُ أتريذُ حِذا ... صفحتهِ والرمحَ فيهِ أنفذا
فخرقَ الزجُّ الحديدُ الحدّ ... مؤخّرَ الساعدِ تحتَ الزندِ
وصاحَ يدعو صحبهُ إليهِ ... مجتذباً أخاهُ من رجليهِ
وفوقهُ قد أسبلَ المجنّا ... يدفعُ ضرباً ويقيهِ طعنا
فارتاعَ أتريذُ ولكن ماارتدعْ ... ثمَّ على قاوونَ بالعزمِ اندفعْ
طعنهُ بالعاملِ الروّاعِ ... طعنةَ مقدامٍ طويلِ الباعِ
على أخيهِ خرَّ ميتاً فضربْ ... عنقهُ بالسيفِ والرأسَ اقتضبْ
وهكذا فالأخوانِ انحدرا ... لدارِ آذيسَ بحكمٍ قُدّرا
وظلَّ أتريذُ الوغى يباري ... بالسيفِ والعاملِ والحجارِ
يخوضُ مابينَ الأعادي صائلا ... ودمهُ السخينُ يجري سائلا
حتى إذا ماذلكَ السيلُ انقطعْ ... ويبسَ الجرحُ تولاهُ الوجعْ
واخترقتْ قواهُ آلامٌ ولا ... آلامُ سهمٍ خارقٍ قد أُرسلا
ترمي بهِ بناتُ هيرا الظلَّمُ ... الأَلثياتُ التي لاترحمُ
ينفذُ بالأعراضِ والإرماضِ ... ويصدعُ المرأةَ بالمخاضِ (١)

(١) هذا من جملة التشابيه الصادقة على شدة الالم والكثيرة الورود في اسفار العهد القديم ومع ذلك فقد انتُقد على هوميروس ايراده لوصف آلام بطل مقدام في ميدان الصدام. ولعله أحسن وقعاً في كلام اوس بن حجر اذ شبه الاصوات في الحرب ترتفع تارة وتنقطع أخرى بصوت المجاهدة في الولادة بقوله :

بِشِدَّةِ البَثِّ اعتَلى مُلتاعا ... وقالَ للتَّبّعِ « أُبْتَغِ الأشراعا »
وصاحَ بالصوتِ الجَهُورِ العالي: ... « يا صَحْبُ يا قُيُولُ يا أبطالي
عَليكمُ الآنَ بإبعادِ العِدى ... عَن مَوقِفِ الأُسطُولِ والفوزُ بَدا
فإنَّ زفسَ قد أبى إصداري ... بِصَدرِكُمْ لآخرِ النَّهارِ » (١)
فَطارَتِ الخَيلُ بسوطِ السائقِ ... تَجري وأَتريذُ بِقَلبٍ خافقِ
صُدُورُهُنَّ قد كُسينَ زَبَدا ... وَنَقعُ وَقعِهِنَّ لِلجَوِّ اغتَدى
وَمُذ رأى هكطورُ أتريذا لَتَوى ... فَصوتُهُ كالرَّعدِ بالقومِ دَوى: (٢)
« يا آلَ دَرْدانوسَ والطَّرْوادا ... وَيا بَني لِيقِيَةَ الأَمجادا
إِيهٍ فأَنتُمْ قادَةُ الهَيجاءِ ... وسادَةُ الإِيقاعِ والإِبلاءِ
أَبسَلُ مَن في القَومِ طُرّاً غَرَبا ... وَزَفسُ لي نَصراً مُبيناً وَهَبا .

لهـا صرخةٌ ثم اسكاتةٌ ... كما طرقت بنفاسٍ بِكَر

الاليثيات بنات هيرا . وكانت هيرا الاهة الزواج وكن الاهات الولادة والنفاس . كانوا يمثلونهن وبأيديهن سهام تنفذ في احشاء المرأة ساعة مخاضها ولهن مزية اخرى وهي انهن يسهلن الولادة . واما شعراء اليونان المتأخرون فلم يذكروا منهنَّ الا واحدة ذهبوا الى انها نفس ارطميس

(١) لم يكن ارتداد اغاممنون عن موقف القتال بأقل عظمة من اندفاعه بصدر الجند فانه على شدة ألمه دفع قومه وبشرهم بالفوز بعبارة تشير الى ان جرحه لم يكن قتالاً ليطمئنوا ولا يأخذهم القنوط لاحتجابه

(٢) هنا انتقل بنا الشاعر من بطش اغاممنون الى بطش هكطور ولقد رأينا فيما مضى ان زفس امره الا يتقدم الا اذا اعتزل اغاممنون القتال فأتمر بذلك الامر وزاد ذلك في عظامة اغاممنون حتى في بُعده عن مواقف الرجال واصطكاك النبال

شُدُّوا على الإغريقِ بالمجالِ ... وادَّخِرُوا مَجْدًا بلا زَوالِ »
فَهاجَتِ النُّفوسُ بالجحافِلِ ... هِياجَها في أنفُسِ الخَياطِلِ
يُثيرُها صاحِبُها هِياجاً ... في إثْرِ خِرْنَوصٍ ولَيْثٍ فاجا[1]
وَهكذا هكْطُورُ عِدُّ آرِسِ ... أثارَ طِرْوادًا على الأراغِسِ[2]
وَهوَ بِصدْرِ جَيْشِهِ يَثُورُ ... بِشِدَّةِ البأسِ بِهِمْ يَسيرُ
كأنَّهُ الإعصارُ مِنْ فَوقُ انْدَفَقْ ... وَفي عُبابِ البَحرِ قَلْبَ اليمِّ شَقْ
فَياتُرى مَنْ أَوَّلاً وآخِرا ... أَبادَ مُذْ زَفْسُ تَوَلّى ناصِرا
أَوَّلُهُمْ كانَ الفَتى آسيُّسُ ... فَمفطَنُوسُ وكَذا أوفِيتِسُ
فابنُ قِلِيطِيسَ زُلُفْسُ أُورُسُ ... وآغِلاَوُسُ وأُوفَلْطِيسُ
وهيفُنُوِّيسُ وإيسمنُ السَّري ... وكلُّهُمْ مِنْ زُعَماءِ العَسْكَرِ
لكِنَّما قَتْلاهُ بَيْنَ الجُنْدِ ... فَتِلْكَ لا تُحصى بِحَصْرِ العَدِّ
هَبَّ بِهِمْ وَلا هُبُوبَ العاصِفَهْ ... تُثيرُها أنواءُ ريحٍ قاصِفَهْ
فَتَدْفَعُ الدَّبُورُ غَيْماً رَكَما ... نُوطُوسُ في السَّحابِ لَمَّا هَجَما[3]
فَتَفْلِقُ اليَمَّ وَتَنْشُرُ الزَّبَدْ ... كَما رُؤُوسَ القَوْمِ هكْطُورُ حَصَدْ

(١) مهما انصف الشاعر اعداء قومه بوصف بسالتهم فان في نفسه اثرة للاغريق لاتكاد تخفى فقد مثلهم لنا هنا ملتوين امام الاعداء ولكن التواء الليث امام الكلاب التي يثيرها اصحابها عليه وقد جرى هذا المجرى في اكثر الالياذة

(٢) العد هو النظير

(٣) نوطوس ريح الشمال كما تقدم

فَٱشْتَدَّ وَقْعُ الخَطْبِ وَالأَمْرُ ٱنْجَلى　　وَكَادَتِ الإِغْرِيقُ تُضْوَى فَشَلا
فَصاحَ أُوذِيسُ: «ذِيُومِيذُ عَلا　　مَ بَأْسُنا وَلَّى بِرُزْءٍ ثَقُلا [1]
لَئِنْ يَفُزْ أَعْداؤُنا بالسُّفُنِ　　وا خِزْيَةَ العارِ وَثِقْلَ المِحَنِ
هيَّ فَكُرَّنَّ مَعي:» قالَ وَما　　يَهُولُني العَدُوُّ مَهْما ٱزْدَحَما
لٰكِنَّنا هَيْهاتَ أَنْ نُؤْتى الظَّفَرْ　　فَإِنَّما الطَّرْوادَ زَفْسُ قد نَصَرْ»
كَرَّ وَثَمْبرِيسَ في الثَّدْيِ رَمى　　فَخَرَّ لِلأَرْضِ وأُوذِسْ هَجَما
وتَبِعَهُ مُلْيُونَ أيضاً قَتَلا　　وَغادَراهُما عَلى تِلْكَ الفَلا
لا يَشْهَدانِ الكَرَّ والنِّزالا　　وَٱنْثَنَيا مِنْ بَعْدِ ذا وَصالا
نَظِيرَ خِرْنَوْصَيْنِ كاسِرَيْنِ　　عَلى كِلابِ الصَّيْدِ مُرْتَدَّيْنِ
فَأَعْمَلا بَيْنَ الأَعادي الأَسَلا　　وٱهْتَزَّتِ الإِغْرِيقُ طُرًّا جَذَلا
ثُمَّةَ عُنْقَ فارِسَيْنِ ضَرَبا　　وَٱسْتَلَبا مَرْكَبَةً قد رَكِبا
مِنْ وُلْدِ مِيرُوفُوسَ مِنْ فَرْقُوتِ　　أَبْسَلَ مَنْ في القَوْمِ مِنْ زُتُوتِ [2]
قد عَصَيا أَباهُما العَرّافا　　وَٱتَّبَعا إِلى الوَغى الأَحْلافا
ساقَهُما داعي الرَّدى فَأَقْبَلا　　عَلى ذِيُومِيذَ الفَتى فَجَنْدَلا

---

(١) مر بنا ان اوذيس كان موالياً لذيوميذ في كل النشيد السابق وكان الموقف موقف تجسس لاموقف حرب وها هو الآن موال له في هذا المحل لا لانه أبسل القوم ولكن لان الموقف موقف تهلكة والبسالة فيه أحوج الى الرأي والحكمة منه في كل موقف

(٢) الرت السيد والمقدام

أَخْمَدَ أَنْفاسَهُمَا وَراحا   مِنْ بَعْدِ ذا يَسْتَلِبُ السِّلاحا
وأُوذِسُ جَنْدَلَ هُوفِيداما   وَهِيفَرِيخًا يَصْطَلِي أُحتِداما
وَزَفَسُ فِي إِيذَةَ بالمِرْصَادِ   فَوازَنَ القُوَّاتِ فِي الاعادي
فَاصْطَدَمَ الأَبْطالُ مِنْ كُلِّ الفِرَقْ   وَزُمَرَ العِدى ذِيُومِيذُ اخْتَرَقْ
وَغَسْطَرُوفَ بْنَ فِيُونَ جَرَحا   بِرُمْحِهِ فِي حَقْوِهِ فَانْطَرَحا
قَدْ خاضَ مُغْتَرًّا سُرَى الطَّلائِعِ   بِرِجْلِهِ يَخُوضُ فِي المَعامِعِ
والخَيلُ والسائِقُ فِي السَّاقَةِ قَدْ   ظَلَّتْ وَعَنْهُ انْقَطَعَتْ عُرَى المَدَدْ
هُنَاكَ هَكْطُورُ رَأَى وانْصَدَعا   وصاحَ فِي الأَبْطالِ ثُمَّ انْدَفَعا
وَانْدَفَعَتْ مِنْ خَلْفِهِ كُلُّ السُّرى   حَتَّى ذِيُومِيذُ الهُمَامُ ذُعِرا
قالَ: «أَرى هَكْطُورَ رَوَّاعَ المَلا   يا أُوذِسُ فَورًا عَلَينا أَقْبَلا
قِفْ نَدْفَعَنْهُ» وَبالعَزْمِ وَقَفْ   مُسَدِّدًا وَنَحْوَ رَاسِهِ قَذَفْ
فَفَوقَ رَأْسِ البَيْضَةِ الرُّمْحُ وَقَعْ   لَكِنَّمَا الفُولاذُ فُولاذًا دَفَعْ
والقَوْنَسُ المُثَلَّثُ الأَطْرافِ   عَنْ رَأْسِهِ رَدَّ السِّنانَ الجافي
ذٰلكَ مِنْ فِيبُوسَ فَضْلٌ أَعْظَمُ   فَهْوَ بِذا المِغْفَرِ قِدْمًا مُنْعِمُ
وَارْتَدَّ هَكْطُورُ وَبالجَمْعِ اخْتَلَطْ   وفَوقَ رُكْبَتَيهِ لِلأَرْضِ سَقَطْ
لِيَدِهِ مُسْتَنِدًا حَيثُ الْتَوى   وَأَظْلَمَتْ عَيناهُ مُنْهَدَّ القُوى
وَرَيْثَمَا هَبَّ ذِيُومِيذُ وَشَبْ   يَطْلُبُ رُمْحَهُ وَفِي الأَرْضِ نَشَبْ
أَفاقَ هَكْطُورُ وبالفَورِ اعْتَلَى   وَساقَ بَينَ الجَمْعِ يَأْبَى الأَجَلا

فصاح ذوميذ وبالقناذ جرى: «أأيضاً فزت بالنجاة
يا كلب كاد عاملي يصميكا لو لم يبادر فيبس يقيكا
لست تؤم الحرب عفواً أبدا إلا به مسترفداً مستنجدا
لكنني سوف ألقيك الردى إن تؤتني الأرباب يوماً مددا
قد فاتك الفوت فرح والآنا سأبتغي سواك أياً كانا»
ولاستلاب ابن فيون عكفا فجرد اللأمة ثم انعطفا
مقتلعاً مغفره ثم المجن إذا بإسكندر خلسة كمن
فاتكأ القوس على العمود في قبر إيلو الشيخ فخر الصيد
وأرسل السهم فشق القدما وغاص في الأرض بسيال الدما
وزوج هيلانة من حيث ولج في ذلك الكمين في الحال خرج
مقهقهاً مبتهجاً مفتخرا : «لم أخطئ المرمى وسهمي صدرا
ياحبذا لو غاص في أحشاكا ليأمن الطرواد من ملقاكا
أنت الذي كلهم منك ارتعد كرعدة الماعز من بطش الأسد»(١)
أما ذيوميذ فجاش وانثنى قال : «وماغرك ياوجه الخنا

(١) أرانا الشاعر غير مرة ان رمي النبال لم يكن محل فخار لسراة الابطال ثم انه لم يرنا في كل انشاده بطلاً يقهقه قهقهة فاريس وان كانوا يتهكمون بعض على بعض في عدة مواقع• ومع ان فاريس هو الفاتك هنا وذيوميذ هو المفتوك به فانك ترى من خطاب الجارح وجواب المجروح مايشير اشارة بينة الى عجزٍ ورقاعة في الاول وانفة وشجاعة في الثاني

سَدَّدْتَ مُغْتَرًّا بِذِي القَوسِ أَلا ما جِئْتَنِي وَجْهاً لِوَجْهٍ مُقْبِلا
حتَّى تَرى يا أَخْسأَ النُّبَّالِ أَنَّكَ لا تُعَدُّ في الرِّجالِ
وَأَنَّها لَنْ تَدْفَعَنْ عَنْكَ الأَسا وَإِنَّما حامِلُها زِيرُ نِسا
أَنالَكَ السَّرُّ بِإِدْراكِ القَدَمْ مِنّي وَهَلْ يَذْعَرُ ذا أَهلَ الهِمَمْ
ما ضَرَّ سَهْمُ خاسِئٍ رِعْدِيدِ يَهْلَعُ كالأَوغادِ أَو كَالغِيدِ
وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ مَرامِي أَسَلي يَنْفُذْنَ مُذْ يَصْدُرْنَ سَهْمَ الأَجَلِ
أَزْوَاجُ مَنْ خَرَمْنَهُمْ أَيامَى وَوُلْدُهُمْ في بُؤْسِهِمْ يَتامَى
وَدَمُهُمْ يَسْرَبُ والأَجْسادُ يُبيدُها في أَرْضِها الفَسادُ
وَحولَهُمْ طَيْرُ الفَلا تَحُومُ مِنْ بَعْدِ أَزْوَاجٍ بِهِمْ تَهِيمُ »
وَانْقَضَّ أُوذِيسُ يَقِيهِ فَجَلَسْ يُخْرِجُ ذاكَ السَّهْمَ مِنْ حَيْثُ انْحَبَسْ
فَاشْتَدَّتِ الآلامُ فيهِ فَاعْتَلَى وقالَ لِلسَّائِقِ : « عُدْ بي عَجِلا »
فَباتَ أُوذِيسُ كَذا مُنْفَرِدا لَيسَ لَهُ مَنْ يَبْتَغِيهِ عَضُدا
مُذْ شَمَلَ الرُّعْبُ قُلُوبَ الأَرْغُسِ فَنَفْسُهُ ناجى بِحَرِّ النَّفَسِ :
« وَيلاهُ ما الحِيلَةُ إِنْ أَنْهَزِمِ فالعارُ كُلُّ العارِ بَينَ الأُمَمِ
وَإِنْ تَرَبَّصْتُ وَزَفَّ الأَعْظَمُ بَدَّدَ قَومي فَمَصِيرِي أَشْأَمُ
لا كُنْتَ يا هاجِسُ دَعْني هَلْ تُرى غَيرُ الجَبانِ النِّكْسِ وَلَّى مُدْبِرا
وَلَيسَ لِلباسِلِ أَنْ يُبالِي أَصابَ أَمْ أُصِيبَ في النِّزالِ »
وَبَينَما يَجُولُ ذا بِفِكْرِهِ مُكْتَئِباً مُفَكِّرًا بِأَمْرِهِ

إِذا بِذُرَّاعِ العدى تجمهروا ... وَبينهم أُسٌّ بلاهم حصروا[1]

كَفِتيَةٍ بِزُمْرَةِ الكلابِ ... تَقنِصُ خِرنوصاً بِبطنِ الغابِ

فَيَبْرُزُ الوَحشُ وَيَصلى غضبا ... وَيَشحذُ النابَ ويبدو مُرعبا

يَصِرُّ بالأسنانِ والقُنّاصُ قد ... داروا عليهِ وَهوَ بالغيظِ اتَّقَدْ

فَهُمْ يَخشونَ مِنهُ الدَّرَكا ... وَهوَ بمَنْ أَصابَ مِنهُمْ فَتَكا

وَهكذا أُوذِيسُ بالرُّمحِ وَثَبْ ... وَذِيفِيتَ بَينَ كِتفيهِ ضَرَبْ

ثُمَّ ثُوُونَ وأُنومَ قَتَلا ... فَجاءَهُ خَرْسِيدَمٌ مُشتَعِلا

فَهَبَّ مِنْ مَرْكَبَةٍ يَبغِيهِ ... وَأُوذِسٌ في الحالِ يَلتقيهِ

رَماهُ تَحتَ التُّرسِ في سُرَّتِهِ ... فَخَرَّ مَصرُوعاً على راحَتِهِ

ثُمَّ اُنثَنى وابنَ هِفاسٍ طعنا ... خَرُبْسَ يُلقيهِ صَريعاً مُثخَنا

فَانقضَّ صُوقُوسُ أَخوهُ الأَيهَمُ ... وصاح يَدوي: «يا أُذِيسُ القَيِّمُ

يا زُبْدَةَ الإِقدامِ والدَّهاءِ ... فاليَومَ تُبلي أَيَّما إِبلاءِ

إِمّا حِمامُ وَلَدَيْ هِفاسِ ... والسَّلْبُ والفَخارُ بَينَ النّاسِ

---

(١) قد رأينا الشاعر يشير حيناً بعد حين الى ماتقدم تلك الوقائع من الحوادث كما انه يشير الى ما عقب تلك الحرب مما لم يدخله في منظومته حتى لاتفوت المطلع على شعره فائتة من الحقائق الجلّى سابقة كانت او لاحقة. فان في وصفه أوذيس بكونه اس بلاء الطرواد اشارة الى الرواية التاريخية القاضية بانه هو الذي تسبب في آخر الامر في فتح اليون وقهر الطرواد باحتياله على مفاجأتهم بنفر من الجند ادخلهم اليون بالفرس الخشبي المشهور

هذا وإمَّا مِنْ قناتي الرَّدى»　　ثُمَّ أتاهُ طاعناً مُسدِّدا
فَنافِذُ السِّنانِ في التُّرْسِ مَرَقْ　　واللَّحمَ تحتَ الدِّرْعِ بالخصرِ اخترَقْ
لكِنْ أَبَتْ فالاسُ بالخفاءِ　　نُفوذَهُ لِداخِلِ الأَحشاءِ
وَلَمْ يَفُتْ أُوذِيسَ أَنَّ الجُرْحا　　ما كانَ قتَّالاً لِذا تَنَحَّى
وصاحَ في صُوقُوسَ يا هذا الشَّقي　　شَرٌّ بِليَ مِنِّيَ سَوْفَ تلتقي
أَلجأتني حيناً الى تَرْكِ اللِّقا　　لكِنْ بِكَ الحَتْفُ البَهِيمُ أَحدَقا
وَبِصقِيلِ عامِلي إِنْ تُقْتَلِ　　لآذِسَ النَّفْسُ تَدُمْ والفخرُ لي»[1]
فارْتاعَ صُوقُوسُ وَقَدْ رامَ الهَرَبْ　　مُوَلِّياً لكِنَّ أُوذِيسَ وَثَبْ
وَرُمحُهُ ما بينَ كِتْفَيهِ وَلَجْ　　ومِنْ شِعابِ الصَّدْرِ في الحالِ خَرَجْ
فَخَرَّ في صَلْصَلَةِ الحَديدِ　　وَأُوذِسٌ مُرْتَفِعُ الهَديدِ :
«صُوقُوسُ ما أَنجَتْكَ هبَّاتُ الفَرَرْ　　فالموتُ أَعْدَى مِنكَ جَرْياً وأَشَرْ
وَيْحكَ لَمْ يُتَحْ لِوالدَيكا　　أَنْ يُغمِضا يومَ الرَّدي عَينَيكا
خَلَوتَ لِلطَّيرِ فَظُفرٌ يَنْشَبُ　　والأَجْنُحُ الغَضَّةُ ضَرْباً تَضرِبُ[2]
لكِنَّني إِنْ مُتُّ فالإِغريقُ　　غَصَّ بِهمْ في مَأتمي الطَّريقُ»
وَاجْتَرَّ مِنْ مِجَنِّهِ والشَّاكِلَهْ　　سِنانَ صُوقُوسَ بتلكَ الغائِلَهْ

---

(١) لله در ابي الفوارس القائل

لي النفوس وللطير اللحوم ولا　　وحش العظام وللخيالة السلبُ

(٢) زاد عنترة زيادة حسنة على هذا المعنى بقوله :

واجساد قوم يسكن الطير حولها　　الى ان يرى وحش الفلاة فينفرُ

فَجرَتِ الدِّماءُ واُشتَدَّ الأَلَمْ وَحوَلَهُ جَيشُ العِدى طُرًّا هَجَمْ
فَلاُشتِدادِ الخَطْبِ عادَ القَهقَرى وصاحَ يَدْوي صَوتُهُ حتَّى السُّرى
دَعا ثَـلاثًا يَطْلُبُ الغِيَاثا وَعى مَنِيـلا صَوتَهُ ثَلاثا
مالَ إلى رَفِيقِـهِ أَياسِ قالَ : « أَيا أَياسُ رَبَّ البَاسِ
صَوتُ أُذِيسَ أُذْني حالاً طَرَقْ كأَنَّما أُحْرِجَ ما بَينَ الفِرَقْ
وَشَـدَّدَتْ أَزْمَتَها عَليـهِ هيَّ نُبَادِرْ عَجَـلاً إِلَيْـهِ
أَخافُ مهما صالَ يُضْوَى مُفْرَدا فَتَرثُ الأَحزانَ عَنهُ سَرْمَدا »
وَسارَ أَوَّلاً مَنِيـلا وَتَـلا أَياسُ كالأَرْبابِ أَبْناءِ العُلى[1]
فَأَلْفَيا أُوذِيسَ والطِّرْوادُ قَدْ تَكَأْكَأُوا عَلَيهِ عَدًّا وَعَدَدْ
كأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِهِ ثَعالِبُ على الجِبـالِ إِيَّـلاً تُراقِبُ
في الإِيَّلِ القَنَّاصُ سَهْمًا أَنْشَبا لَكِنَّهُ مانالَ مِنهُ الأَرَبا
فَغابَ عَنْ مَرْآهُ والثَّعالي مِنْ حَولِهِ تَجْرِي عَلى التَّوالي
تَرُومُ فَتْكًا وَهوَ لا يُرامُ يَجْري وَلا يَلْوِيهِ الاُزْدِحامُ
فَطالَما تَجْرِي بِهِ قَوَائِمُهْ لا تَلْتَوِي لِجُرْحِهِ عَزائِمُهْ
لَكِنْ إِذاما الدَّمُ في الجُرْحِ بَرَدْ وَعَنْ خَفِيفِ الجَرْيِ بالعِيِّ قَعَدْ

(١) حيثما يبرز الشاعر اياس يبرزه رجل فعل لارجل قول فهو على شدة بأسه قليل الكلام يصمت حيث ينطق غيره ولا يضيع ثانية من الزمن في الخطاب حيث تستفزه الكوارث للبطش والاقدام فهنا منيلاوس يستغيثه فيبادر ويقول بسرعة الاقدام ما لا يعبّر عنه بكثرة الكلام

فازتْ بهِ في الطَّوْدِ فوقَ الغابِ ... إذا بليثٍ فاتكٍ قضّابِ
يذعرُها ذُعرًا فتلوي هربا ... وهوَ بهِ يخلو منالاً طيّبا
كذا أُذيسُ وهوَ ما بينَ العدى ... عن نفسهِ يدفعُ بالرُّمحِ الرَّدى
بادرَ آياسُ بذيّاكَ المِجَنْ ... كالبرجِ يحميهِ وقد كانَ وَهَنْ
فقرَّتِ الطُّرْوادُ في كلِّ مفرّْ ... ثمَّ منيلا لذراعهِ ابتدَرْ (١)
واجترَّهُ من بينِ تلكَ القَتَلَهْ ... وتبعُهُ أدنى إليهِ العجَلَهْ
وصالَ آياسُ ودُورقلَ قتلْ ... نغلٌ لفريامَ وفندوقوسَ فلْ
ثمَّ لسندرًا وفيراسَ رمى ... كذاكَ فيلرتَ يفجّرُ الدِّما
كالسيلِ من شمِّ الجبالِ اندفقا ... تمطرُهُ أنواءُ زفسٍ غدقا
يفيضُ للسهلِ زُعابًا يندفعْ ... والأرزَ والملولَ عنفًا يقتلعْ
ولعبابِ البحرِ يدفعُ الزَّبدْ ... كما أياسُ اشتدَّ فيهم واتّقدْ
طغا بذاكَ السهلِ كالزُّعابِ ... يبتُّ ظهرَ الرَّكبِ والرُّكّابِ
وهكطرٌ في ثغرِ إسكامندرِ ... يصولُ في صدرِ الجناحِ الأيسرِ
يقضّبُ الأعناقَ وسطَ الفيلقِ ... ولا يرى نكالَ هذي الفِرَقِ
وقدْ علا لديهِ صوتُ اللجَبِ ... حولَ إذومنٍ ونسطورَ الأبي
وهوَ بمركبتهِ مختدمُ ... كتائبَ الفتيانِ حطمًا يحطمُ

---

(١) لايخفى على المطالع اللبيب ما في هذه التشابيه من دقة المغزى ورقة المعنى فالايل أوذيس والثعالب الطرواد والليث الفاتك آياس

لَكِنَّما جَيْشُهُما ما بَرِحا يَدْفَعُ حَتَّى ماخَوُونُ جُرِحا
قد كانَ كاللَّيثِ يَصولُ وإذا في كَتْفِهِ اليَمِينِ سَهْمٌ أُنْفِذا
مُثَلَّثُ الاطْرافِ لِلإسكَنْدَرِ زَوجِ هِلانَةَ الجَميلِ الشَّعَرِ
فَقَومُ أَرْغُوسَ أُولُو الإِقدامِ خافُوا انْقِلابَ مَوْقِفِ الصِّدامِ
فَيَفْتِكُ العِدى بِذَيّاكَ البَطَلْ فَصاحَ إِيذُومينُ بادِيَ الوَجَلْ:
« نَسْطُورُ ياذا المَجْدِ والجَلالِ هَيَّ فَهُبَّنَّ على العِجالِ
وَسِرْ وَسُوقَنَّ إلى الأُسْطُولِ بِماخَوُونَ الماجِدِ النَّبِيلِ
هذا النَّطاسِيُّ الذي يَسْتَخْرِجُ سَهْماً بِكَرّاتِ الصِّدامِ يُولَجُ
وَفَوقَهُ يَذُرُّ بَلْسَمَ الشِّفا بِجَحْفَلٍ يُقاسُ إِنْ تَأَلَّفا »(١)
فَهَبَّ نَسْطُورُ وما إِنْ كَذَّبا وَبابْنِ أَسْقَلِيبَ حالاً ذَهَبا(٢)
وَساطَ والجِيادُ كالطَّيرِ سَعَتْ تَتُوقُ لِلرُّجُوعِ مِنْ حَيثُ أَتَتْ
وقِبْرِيُونُ تَبِعُ هَكْطُورَ عَرَفْ مُنْقَلَبَ الطِّرادِ في ذاكَ الطَّرَفْ
أَبْصَرَهُمْ مِنْ فَوقِ عَرْشِ العَجَلَهْ إِزاءَ هَكْطُورَ لِذا أَوعَزَ لَهْ :
« نَحْنُ هُنا في طَرَفِ المُعَسْكَرِ نَقْتُلُ فَتْكَ الباسِلِ المُدَمِّرِ

(١) كان ماخاوون طبيباً وجرّاحاً . ولنا هنا من كلام ايذومين مايدل على شدة رعايتهم للاطباء فلقد رأينا الملوك تتألم لجراحها والابطال تخر افراداً وزمراً ولم نرَ منهم اشفاقاً يوازي هذا الاشفاق على ماخاوون وقد ابنّا في غير هذا الموضع مكانة الطب والاطباء عندهم وهنا لنا دليل آخر على صحة ذلك القول .

(٢) اسقليب ابو ماخاوون . (انظر رسمه ص : ٣٦٢)

وثَمَّ آياسُ المَنايا نَشَرا　　وَالخَيلَ وَالفُرْسانَ ذُعْراً ذَعَرا
نَعَمْ فَذا مُجَنَّهُ الكَبيرُ　　مِنْ حَولِ كَتْفَيهِ أَرى يَدُورُ
فَهُمْ نَسُقْ لِمأْزِقِ الهَيْجاءِ　　حَيثُ عَلَتْ عَجاجَةُ الأَعْداءِ
هُناكَ حَيثُ اصْطَدَمَ الشُّجْعانُ　　تَلاحَمَ المُشاةُ وَالفُرْسانُ »
وَشَدَّدَ السَّوطَ عَلى الجِيادِ　　فَانْدَفَعَتْ لِساحَةِ الجِلادِ
تَخَبَّطُ بالقَتْلى وباليَلامِقِ　　عَلى نَجِيعٍ مِنْ خُطاها دافِقِ
حَتَّى جَناحا سُدَّةِ المَرْكَبَةِ　　وَقَوْسُها مِنْ تَحْتِ تِلْكَ السُّدَّةِ
تَخَضَّبَتْ دَماً بِنَقْعٍ فائِرِ　　مِنْ دَورِ دُولابٍ وَوَقْعِ حافِرِ [1]

---

(٣) قال ابو الطيب المتنبي واحسن

وخاض بالسيف بحر الموت خلفهمُ　　وكان منه الى الكعبين زاخرهُ
حتى انتهى الفرس الجاري وماوقعت　　في الارض من جثث القتلى حوافرهُ

ولشعراء العرب تصرف كثير بمثل هذا المعنى قال عنترة :

والخيل سود الوجود كالحةٌ　　تخوض بحر الهلاك والخطرِ

ولهُ ايضاً : وعاد بي فرسي يمشي فتعثرهُ　　جماجمٌ نثرت بالبيض والاسلِ

واحسن من ذلك قولهُ :

حتى رأيت الخيل بعد سوادها　　حمر الجلود خضبن من جرحاها
يعثرن في نقع النجيع جوافلاً　　ويطأن من نار الوغى عظماها

ومثله قول الحصين المرّي :

لدن غدوة حتى اتى الليل ما ترى　　من الخيل الا خارجيًّا مسوّما
يطأن من القتلى ومن قِصَد القنا　　خباراً فما يجرين الا تجشما

ولابي تمام من هذا القبيل :

واكتست ضمَّر الجياد المذاكي　　من لباس الهيجا دماً وحميا

وَهكَذا لِلفَتْكِ يَصْلَى نارا ... فَغارَ ما بَينَ العِدى وثارا
يَطْعَنُ فيهم قاتلاً مُجَنْدِلا ... حتّى سَراياهُمْ جميعاً بَلْبَلا
وَظَلَّ كَرّاتِ الوَغى يُجاري ... بالسَّيْفِ والعامِلِ والحِجارِ
وَهوَ على ذَيّالكَ البَأسِ أبى ... لِقاءَ آياسَ لِذا تَنَكَّبا
خَشْيَةَ أنْ يُغاظَ زَفْسُ إنْ بَرَزْ ... لِفارِسٍ أَبْسَلَ مِنْهُ وأعَزْ (١)
لكِنَّ زَفْسَ في المَقامِ الأَرْفَعِ ... رَوَّعَ آياسَ بِهَوْلِ المَصْرَعِ
فَدَهِشاً أَطْرَقَ والجَوْبَ على ... كاهِلِهِ أَلْقى وعادَ وَجِلا
بِطَرْفِهِ جَيْشَ العِدى يُباري ... يَخْطو وَيَنْثَني كَوَحْشٍ ضاري
وَخُطْوَةً فَخُطْوَةً يَلْوِي القَدَمْ ... كأنَّهُ الضَّيْغَمُ في اللَّيلِ هَجَمْ
والنّاسُ والكِلابُ في الأسحارِ ... تَحْرُسُ حَولَ عُنَّةِ الأبْقارِ (٢)
تَسْهَرُ كُلَّ اللَّيلِ كَي لا يَرْتَعا ... بِشَحْمِها وَلَحْمِها وَيَرْجِعا (٣)
يَنْقَضُّ مَدْفُوعاً بِفَرْطِ السَّغَبِ ... لكِنْ يُفَوِّتُهُ نَوالُ الأَرَبِ
يَصُدُّهُ وَبْلٌ مِنَ النِّبالِ ... وَلَهَبُ المَقابِسِ المُنْهالِ
حَتّى إذا ما الفَجْرُ لاحَ أَحْجَما ... مُكْتَئِباً مُرْتَعِداً مُحْتَدِما
وَهكذا آياسُ مُلْتاعاً نَأى ... عَنْ ساحَةِ القِتالِ وَالعَوْدَ ارْتأى

(١) هذا البيت ساقط من بعض النسخ ولعله دخيل
(٢) العنة للبقر هي الحظيرة
(٣) لقد أحسن امرء القيس بوصف اللحم والشحم بقوله
وظلَّ العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهدّاب الدمقس المفتّل

لِمَوْقِفِ السَّفَائِنِ الحَدْبَاءِ　　يَخْشَى عَلَيْهَا كَرَّةَ الأَعْدَاءِ
يَمشي الهُوَيْنا مِثْلَ جَأْبٍ دَخَلا　　زَرْعاً مِنَ الحِنْطَةِ يَبْغِي أُكُلا (١)
فَتَنْهَضُ الصِّبْيَةُ بِالعِصِيِّ　　تُسْحَقُ فَوقَ مَتْنِهِ القَوِيِّ
لَكِنَّهُ مَا كَانَ كَيْ يَكْتَرِثَا　　بِلَغَبِ الصِّبْيَةِ مَهْمَا عَبِثَا
يَلْبَثُ فِي تِلْكَ المَرَاعِي يَرْتَعُ　　وَيَنْثَنِي مُذْ يَكْتَفِي وَيَشْبَعُ
وَهَكَذَا الطُّرْوَادُ والأَحْلَافُ　　مِنْ حَوْلِ آيَاسَ بِعَزْمٍ طَافُوا
وَهُوَ يَصُدُّهُمْ بِجَوْبٍ أَكْبَرِ　　أُلْبِسَ سَبْعَةَ جُلُودَ بَقَرِ
يُحْجِمُ حِيناً ثُمَّ حِيناً يَهْجُمُ　　بِبَأْسِهِ المُعْتَادِ ثُمَّ يُهْزَمُ
وَصَدُّهُمْ فِي كُلِّ ذَاكَ الزَّمَنِ　　صَدّاً ذَرِيعاً عَنْ بُلُوغِ السُّفُنِ
يَحْجِزُ مُشْتَدّاً عَلَى الأَعَادِي　　بَيْنَ الأَخَائِيِّينَ وَالطُّرْوَادِ
وَصَيِّبُ النَّيَازِكِ القَتَّالَةْ　　عَلَيْهِ مِنْ أَيْدِي العِدَى مُنْهَالَةْ
فَبَعْضُهَا عَنْ شِدَّةِ العَزْمِ حُذِفْ　　يَغُلُّ غَـلّاً وَعَلَى التُّرْسِ يَقِفْ

---

(٢) الجأب الحمار — قد كان هذا التشبيه على بلاغته مما انتُقد بسطه على هوميروس على انه فات المنتقدين ان الشاعر يتكلم بلسان قوم لم يكن الحمار ممتهناً في عرفهم . ولا شك ان هذا الامتهان حديث العهد . فان العرب وهم ارباب الانفة لم يأنفوا من ان يلقبوا الخليفة مروان بالحمار اعتناماً لبأسه وصبره على المكاره والشدائد . وفي التوراة ان يعقوب لما بارك ابناءه لقب ابنه ايساكر بالحمار الضخم . واي مثال اصدق من هذا المثال لوصف بطل كآياس تتألب عليه الجموع فلا يبالي بل يثبت في مكانه ثبوت الحمار الجائع العابث بالزرع فلا تهوله عصي الصبية وزعقاتهم ولا ينثني الا وقد قضى وطره كما ترى في الابيات التالية .

وَبعضُها عنهُ منالاً قصَّرا مُرتكِزاً يغوصُ في قلبِ الثرى (١)
وَلمْ يَكدْ يراهُ أُورِيفيلُ حتَّى انبرى لِرفدِهِ يصولُ
أتاهُ لا يَعبأُ بالسّهامِ تنهالُ فوقهُ كوبلٍ هامِ
وأرسلَ المِزراقَ من حيثُ انطلقْ وافمونَ القرمِ في العنفِ اخترقْ
كبِدهُ مزّقَ ثمَّ راحا يسلُبهُ الشكّةَ والسِّلاحا
فانتهزَ الفرصةَ فاريسُ وقدْ أُشغِلَ أُوريفيلُ في تلكَ العددْ
في حقّهِ أنفذَ سهماً فانكسرْ نَصيهُ والدَّمُ بالجرحِ انفجرْ (٢)
لِصحبهِ التوى يبرّاحِ الألمْ يأبي الرَّدى وصاحَ ينهضُ الهِمَمْ:
« يا نخبةَ الابطالِ جندَ الباسِ قفوا ادفعوا الحِمامَ عن أياسِ

(١) لم أرَ وصفاً شعرياً لبطل من الابطال في الالياذة وغيرها ابلغ من وصف اياس في هذا الموضع فان الشاعر ابرزه في اول امره دهشاً مطرقاً هاماً على الرجوع بصولة زفس الالاه الاعظم . ولم يكن شيءٌ يتهيب له لولا تلك الهيبة العلوية . وهو مع ذلك يباري العدو ويثني خطوة بخطوة ملتوياً كالضيغم تتألب عليه الرجال من كل صوب فلا يهوله تألبها وتنهال عليه النبال فلا يروعه انهيالها ويلبث صابراً ليلته حتى اذا لاح الصباح ولم يبلغ منيته ارتد كئيباً يحرّقه الغيظ . ولم يكفه الدفاع عن نفسه بل بقي وهو في تلك التهلكة يفكر في رد هجمات الاعداء عن السفن فكان يلتوي امامهم ويمشي الهوينا غير مرتاع لوبل نبالهم ومرّ قتالهم كأنهم نسبةً اليه غلمان تكأكأت على حمار يرعى زرعاً وقد برّح به السغب فيحجم ويهجم بثبات ولا ثبات الاسود . فحمى نفسه وقومه وسفنه وفعل وحده ما تعجز عنه الفيالق والقى في قلوب العدى هيبة ولا هيبة كل جيشه المجتمع ومع كل هذا فلم تغن بلاغة شاعرنا وحسن تصرفه عن انتقاد المنتقدين

(٢) النضي النصل

وَحَوْلَهُ تَأَلَّبُوا فَخَشْيَتِي يُصْمِيهِ وَبْلٌ مِن سِهَامٍ صُبَّتِ »

وَمُذْ لِذَلِكَ النِّدَاءِ انْصَدَعُوا حَوْلَ أُورِيفِيلَ الجَرِيحِ اجْتَمَعُوا

وَدُونَ أَيْدٍ جُلْنَ بِالعَوَامِلِ يِلَامِقٌ أُلْصِقْنَ بِالكَوَاهِلِ (١)

وَانْضَمَّ آيَاسُ إِلَيْهِمْ وَانْقَلَبْ وَاشْتَدَّ وَقْعُ الحَرْبِ وَالطَّعْنُ انْتَشَبْ

وَكَانَ آخِيلُ عَلَى البُعْدِ رَقَبْ وَفِي مُؤَخَّرِ السَّفِينَةِ انْتَصَبْ (٢)

يَشْهَدُ مَا قَدْ حَلَّ بِالأَبْطَالِ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ مِحَنِ القِتَالِ

أَبْصَرَ نَسْطُورَ الحَكِيمَ انْطَلَقَا عَلَى الجِيَادِ السَّابِحَاتِ عَرَقَا

مَعْ مَاخَوُونَ يَنْهَبُ الطَّرِيقَا فَعَرَفَ السَّائِقَ وَالرَّفِيقَا

صَاحَ بِفَطْرُقْلَ فَمِنْ خَيْمَتِهِ أَتَى وَهَذَا مُبْتَدَا مِحْنَتِهِ (٣)

كَآرِسٍ مِنْ بَابِهِ صَاحَ: «وَمَا رُمْتَ ابْنَ فِيلَا مِنْ نِدَائِي لِلْحِمَى»

قَالَ آخِيلُ: «يَا أَوَدَّ الخَلْقِ لِي قَدْ بَلَغَ الإِغْرِيقُ أَقْصَى الفَشَلِ

---

(١) اليلامق التروس

(٢) ينتقل بنا الشاعر هنا كجاري عادته الى مشهد آخر بعد ان اطال في ذكر القتك والسفك والكر والفر فيوطىء لنا باسلوب حسن الى ارعواء اخيل . فالازمة قد اشتدت في جيش الاغريق وباتوا على شفا جرف المهالك واعتزل الكفاح خيرة حكمائهم كنسطور واوذيس وامرائهم كاغاممنون وذيوميذ واوريفيل وبرحت بهم الجراح فامسوا لا يصلحون للكر والكفاح وزد على ذلك إعراض الآلهة عنهم وموالاة زفس لاعدائهم فكانت من ثم جميع الظواهر تشير الى شر العقبى . وهو تصرف بديع من الشاعر بغية ان يزيد في هيبة آخيل ويظهر شدة حاجتهم اليه ويبرز فطرقل بمظهر لا يفوقه مظهر انسان بالحماسة والغيرة والحنان واخيراً بالبأس وحسن السياسة

(٣) أي محنة فطرقل . في ذلك اشارة الى ان فطرقل سيقتل على ما سيجيء

عَلى دَنِيّ رُكْبَتيَّ صُغْرا ... سَيَنْحَنُونَ سائِلينَ عُذْرا
والآنَ نَسْطوراً قَصَدْنَ مُسْرِعا ... وأسْأَلهُ مَعْ أيّ جَرِيحٍ رَجَعا
ما إِنْ نَظَرْتُ وَجْهَهُ لكِنَّهُ ... أَشْبَهُ ماخُوُونَ طِبْقاً مَتْنُهُ(١)
قد مَرَّتِ الجِيادُ مِنْ أَمامي ... طائِرَةً لِمَضْرِبِ الخِيامِ »
وَلَمْ يَكَدْ يَتِمُّ حَتَّى كَرَّا ... فَطْرُقْلُ يَعْدُو ويُلَبِّي الأَمْرا
وَنَسْطُرٌ وماخَوُونُ وَصَلا ... خَيمَةَ نَسْطُرٍ بِها تَرَجَّلا
وتابعُ الشَّيخِ أُرِيمِيذُونُ حَلْ ... جِيادَهُ وذَهَبا بِلا مَهَلْ
يُنَشِّفانِ العَرَقَ السَّيالا ... عَلى نَسيمِ البَحرِ ثُمَّ مالا
لِخَيمَةِ الشَّيخِ وفِيها جَلَسا ... وهِيكَمِيذا بِنْتُ أُرْسِينُوسا
(تِلْكَ الرَّبَحْلَةُ البَدِيعَةُ الشَّعَرْ ... لِنَسْطُرٍ كانت نَصيباً مُدَّخَرْ
أُهْدِيَها جَزاءَ رَأْيٍ أَصْوَبا ... لَمَّا أَخِيلُ تِينِدُوسَ خَرَّبا)
قامَتْ لإِعْدادِ الشَّرابِ عامِدَهْ ... لَدَيْهِما تَنْصِبُ أَبْهى مائِدَهْ

(١) متنه بدل بعض من كل من مخاوون — كل كلمة من كلام اخيل تمثل شدة الغيظ وحدة الحقد والكيد فهو مع كل ما نال الاغريق من الفشل لم يرقَّ لهم ولم يخفف من سورة غضبه ولا يزال جانحاً الى الانتقام • ولا شك انه ابصر كل ما حلَّ بهم فلم يحرك فيه كل ذلك عاطفة • وان كان احب استطلاع امر ماخاوون فذلك لود خاص به • وقد تعددت اقاويل الشراح في سبب ذلك الود ولم يقل احد منهم في ما نعلم ان ماخاوون كان اقرب الى اخيل بصناعته من سائر الجند لان اخيل وان لم يكن بنفسه طبيباً معروفاً في زمانه فلقد كان يسره ان ينتمي الى زمرة الاطباء لما كان لهم من المكانة على ما رأيت • ولا شك انه كان قد درس تلك الصناعة واخذ منها شيئاً كثيراً عن استاذه خيرون وكانت له معرفة خاصة ببعض اسرارها كما سيأتي بعد ابيات

جَمِيلَـةً مصقُولَةَ القَـوائِمِ زَرْقاءَها تَنبِذُ لَوْمَ اللائِمِ

مِنْ ثَمَّ أَلقَتْ فَوْقَها دَسِيعَهْ مُؤَلَّقٌ نُحَاسُها بَدِيعَه (١)

وَمَزَجَتْ فيها على الفورِ البَصَلْ وخالصَ الدَّقيقِ مع صافي العَسَلْ

وَوَضَعَتْ إزاءَها كُوباً أغرْ كانَ لدى نَسطُورَ مِنْ قبلِ السفرْ

وَهوَ على قائمتَينِ انتصبا وَبِمَسامِيرِ النُّضَارِ التَهَبا

وَفوقَ كُلٍّ مِنْ عُرَاهُ الأَرْبعِ طَيرُ حَمامٍ مِنْ نُضَارٍ أَلمَعِ

وَذلكَ الكُوبُ اذا ما يَطفَحُ هَيهاتَ غَيرُ نَسطُرٍ يُزَحزِحُ

لكنَّما ذيَّالكَ الشيخُ الصَّفِي يَحمِلُهُ حَمْلاً بلا تَكَلُّفِ (٢)

وَراحَتِ الصَّبِيَّةُ السَّبِيَّهْ بِحُسنِها كالرَّبَّةِ السَّنِيَّهْ

تَصُبُّ فيهِ خَمرَ إفرَمْنا على ماءٍ وَفوقَهُ تَفُتُّ عَجَلا

بِمِبْرَدِ النُّحاسِ جُبْنَ السَّخْلِ وَتَقتُلُ المَزيجَ خَيرَ قَتلِ (٣)

وَفوقَهُ ذَرَّتْ دَقيقاً صافي ثُمَّ دَعَتْهُما لِلارْتِشافِ

فَشَرِبا وارْتَوَيا وجلَسا وَبِأطاريفِ الحَديثِ أَنِسا

إذا بِفَطرُقْلَ كَرَبٍ ظَهَرا في البابِ فالشَّيخُ رأى وابْتَدَرا

---

(١) الدسيعة الجفنة الكبيرة

(٢) تضاربت أقاويل الشراح في هذا القول اذ لا يعقل ان نسطور وهو شيخ عاجز يقوى على حمل ما لا يحمله غيره ولا اخال هذين البيتين الا دخيلين • وهما من الالياذة نفسها ومعناهما منقول عن محل آخر

(٣) السخل هنا العنز

وَقامَ عَنْ سُدَّتِهِ الوَقَّادَهْ　بِيَدِهِ يَأْخُذُ حُكْمَ العادَهْ
ثُمَّ دَعاهُ لِلْجُلوسِ فَأَبى　وقالَ : « يا مُرِيدَ زَفْسَ الأَنجَبا
عَفْوًا فَلَسْتُ بِمُلَبِّي الأَمْرِ　فَشَأْنُ آخِيلَ نَظِيرِي تَدْرِي
قدْ يَصْطَلِي عَفْوًا بِسَوْرَةِ الغَضَبْ　وَيَتَّهِمُ البَرِيءَ عَنْ غَيْرِ سَبَبْ
سَيَّرَنِي أَسْأَلُ مِنْكَ الخَبَرا　بِأَيِّ مَجْرُوحٍ أَتَيْتَ مُدْبِرا
سَأُقْفِلَنَّ راجِعًا ذا الحِينا　مُذْ قَدْ عَرَفْتُ الشَّهْمَ ماخَوُونا »
فقالَ نَسْطُورُ « وأَينَ يَلْقَى　أَخِيلُ بالإِغْرِيقِ هذا الرِّفْقا
أَما رَأَى أَنَّ فَناهُمْ بادِ　واشْتَمَلوا بِحُلَّةِ الحِدادِ
وخَيْرُ مَنْ فِيهِمْ فَتِي الأَشْراعِ　بَيْنَ جَرِيحٍ وَطَرِيحٍ ناعِي
فَذا أَبو البَأْسِ ذِيُومِيذُ البَطَلْ　أَلَمَّهُ السَّهْمُ وبالرَّغْمِ قَفَلْ
وذاكَ أُوذِيسُ وأَتْرِيذُ خَرَقْ　جِسْمَهُما العامِلُ والدَّمُ انْدَفَقْ
وهاكَ أُورِيمِيلَ بالعُنْفِ انْكَسَرْ　بِفَخْذِهِ نَبْلٌ بِهِ الجُرْحُ انْفَجَرْ
وها هُنا تَرى الكَمِيَّ الباسِلا　بِهِ جَرِيحًا جِئْتُ تَوًّا قافِلا
لكِنَّ آخِيلَ على شِدَّتِهِ　لَيْسَ يُبالِي بِبَنِي لُحْمَتِهِ[1]
أَمُتَقاعِسًا يَظَلُّ حَتَّى　يَبُتَّنا سَيْفُ الأَعادِي بَتَّا
وَتَلْهَبَ النِّيرانُ بالأُسْطُولِ　تُبِيدُها بالجُنْدِ والقُيُولِ
وا أَسَفا الشَّبابُ وَلَّى وَمَضى　والبَأْسُ والإِقْدامُ عَنِّي أَعْرَضا

(١) اللحمة القرابة

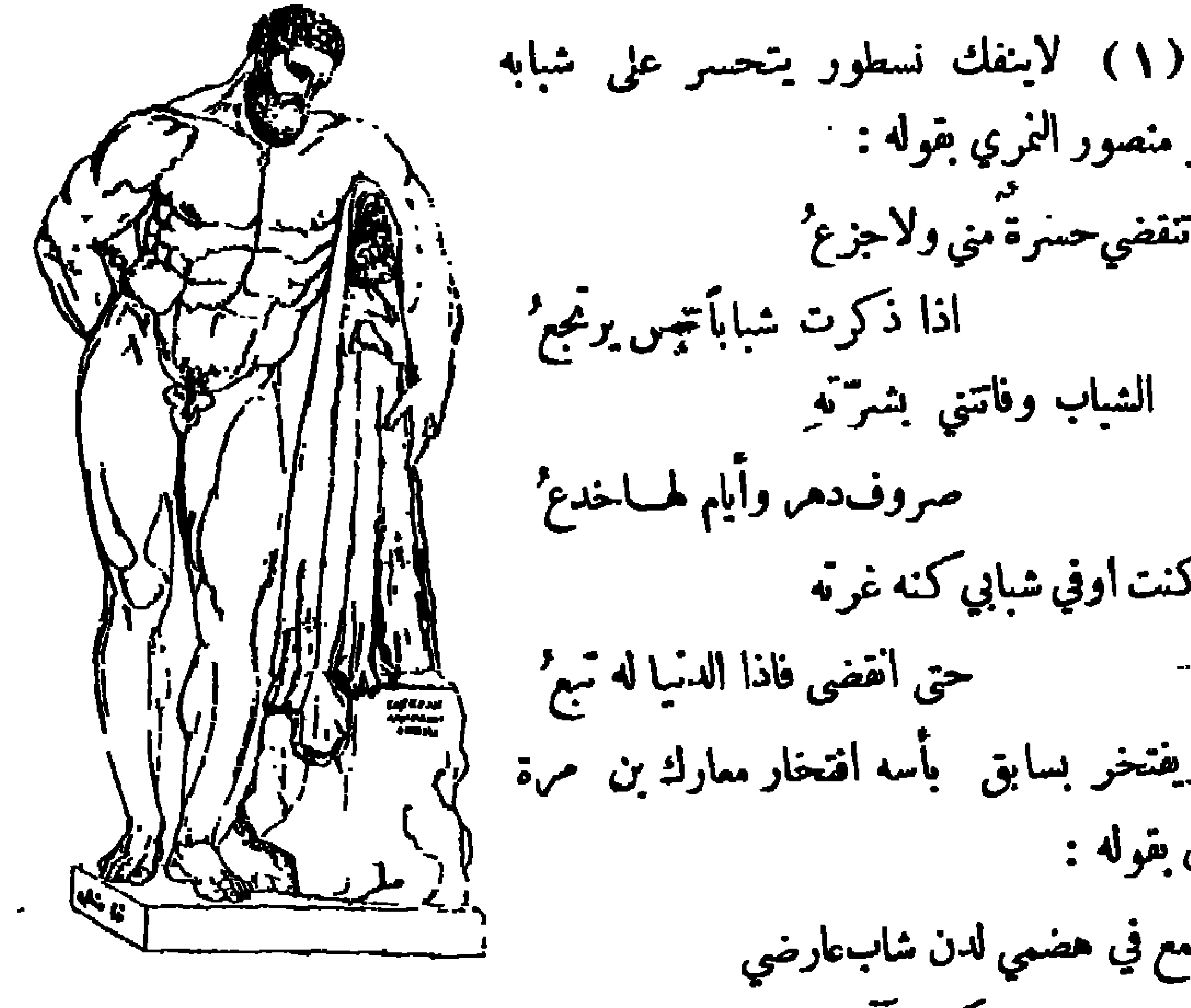
وفاتني الإبلاء والإيقاعُ كما استطالت قبلُ مني الباعُ[1]
يومَ الإليونَ على صوارنا سطوا فاجتحنا لظى أوارنا
صلنا عليهم واغتنمنا البقرا فجاءنا إيتومنٌ مستعرا
إبنُ هفيروخَ الذي قد كانا يحكمُ في أليذةَ السكانا
فنالَ مني طعنةً نالَ الردى بها وولى القومُ طراً شردا
وخلتِ الأنعامُ في السهلِ لنا خمسونَ سرباً ماعزاً مسمنا
ومثلها منْ أحسنَ الأبقورِ ومثلها منْ أسمنَ الخنزيرِ
ومثلَ ذا الغنيمَ سقنا في الغلسْ ومئةً أيضاً وخمسينَ فرسْ
شقراءَ طراً ترضعُ الأمهارا سقنا لفيلوسَ نؤمُّ الدارا

(١) لاينفك نسطور يتحسر على شبابه تحسر منصور النمري بقوله :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولاجزعُ
اذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ
بان الشباب وفاتتني بشرته
صروف دهر وأيام لها خدعُ
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته
حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ

ويفتخر بسابق بأسه افتخار معارك بن مرة العبدي بقوله :

أتطمع في هضمي لدن شاب عارضي
وقد كنت آبى الضيم اذ انا امردُ



هرقل ساعة راحة

كُنتُ فتًى واهتزَّ نيلا طرَبا | أبي لعَوْدي غانمًا مُكتَسبا
وصاحتِ الدُّعاةُ في مَنْ طَلَبا | مِنْ ذِمَّةِ الأَعْداءِ مالاً سُلِبا
فاحتَشَدُوا واقتسموا القَليلا | وذاكَ نَذْرٌ مِنْ كثيرٍ نيلا
حيثُ الإِفيونَ على قِلَّتِنا | صالُوا بِفيلوسَ على جُملَّتِنا
وَقبلَ ذا بأَحوُلٍ قد صالا | هِرَقْلُ فينا يَذْبَحُ الأَبطالا
وَمِنْ بني نيلا وكانوا اثني عشَرْ | سوايَ لم يبقَ لَدَيهِ ابنٌ ذَكَرْ
فزادَنا العدُوُّ غدْرًا واعتَسَفْ | وَبأَساليبِ اللذّاداتِ قَذَفْ
وَفي اقتِسامِ الكَسْبِ نيلا أَفْرَزا | قَطيعَ أَبقارٍ لهُ وأَحرَزا
سِرْبَ شياهٍ برُعاتِها التي | أَبقى لهُ ترْعى ثَلاثمئةِ
فَذِمَّةُ الأَعداءِ كانَتْ مثْقَلَهْ | لهُ بدَينٍ رامَ أَنْ يُحصِّلَهْ
إِذْ كانَ قد أَرسلَ لِلسِّباقِ | أَربَعَةً مِنْ أكرَمِ العِتاقِ
يأملُ أَنْ يفوزَ بالرِّهانِ | بقدْرِهِمْ وندَبِ الفُرْسانِ (١)
لكنَّ مولى النَّاسِ أَفْغِياسا | مُعتَسِفًا قد حبَسَ الأَفْراسا
كذلكَ المَرْكَبَةَ الغَرَّاءَ | والسَّائِقُ المُسْتاءُ فذًّا جاءَ
لِذاكَ نيلا اغتَمَّ والوَفْرَ ادَّخَرْ | ووزَّعَ الباقي بِعدْلٍ وأَمَرْ
بأَنْ نُضَحِّي لِبَني الأَرْبابِ | شُكرًا على أَطايِبِ الأَسلابِ

(٢) الندب هو خطَر الرهان في السباق وهي عادة كانت جارية لهم كما كانت في جاهلية العرب ويقال انهم كانوا يجرون فيها على غير نمط السباق في الالعاب الاولمبية التي شاع امرها بعد ذلك الزمان

وثالثَ الأيامِ فاجانا العدى ... بخيلهم لا يُحصَرون عددا

والمُلَيئانِ قائدا الفرسانِ ... غرّانِ للطعانِ جاهلانِ

وفي ثغورِ ألفيا في طرفِ ... فيلوسَ قامت فوقَ تلٍّ مشرفِ

بلدةُ إثريونَ حاصروها ... يبغونَ بالعنوةِ أن يفنوها

وفي الدياجي انحدرتْ أثينا ... وهمْ بذاكَ السهلِ يضربونا

ونبّهتنا للوبالِ المحدقِ ... فهمَّ بالهمّةِ كلُّ الفيلقِ

وخالني نيلا صبيّاً غرّا ... وخافَ أنْ أكرَّ فيمن كرّا

فخيليَ الجيادَ أخفى وحظرْ ... عليَّ أنْ أجريَ على ذاكَ الأثرْ

فراجلاً بعونها سرتُ ولي ... كانَ لدى الفرسانِ أسمى منزلِ (١)

سرْنا الى حيثُ لدى آرينسا ... يصبُّ نهرٌ قد دعوا مينيسا

للفجرِ ظلّتْ ترقبُ الخيّالهْ ... تعقبُها كتائبُ الرجّالهْ

ثمَّ تكتّبنا وعندَ الظهرِ ... طرّاً نزلنا فوقَ قدسِ النهرِ

من ثمَّ أعددنا الضحايا الغرّا ... لزفسَ نستمدُّ منهُ النصرا

وألفيسُ النهرُ لهُ أذكينا ... عجلاً كذا بآخرٍ ضحّينا

لفوسذٍ وعجلةٌ تبيعهْ ... لربّةِ الحكمةِ والشفيعهْ

ثمَّ تناولنا الطعامَ ورقدْ ... كلٌّ مدجّجاً على ذاكَ الجددْ

وحالما براحِ من خبائها ... للأرضِ أرسلتْ سنا ضيائها (٢)

---

(١) بعونها اي بعون اثينا وهي وليته ووليّة اوذيس في كل مغازيهما

(٢) براح علم للشمس • والجدد في البيت السابق الشاطىء والعجلة التبيعة في

بِزَفسَ لُذْنا وأَثِينا ومضى | لِلحربِ جيشُنا على ذاك القضا
أَمَّا الإِفيُونَ فحولَ البَلَدِ | تَأَلَّبُوا بِعَدَدٍ وعُددِ
فَتْحاً يرُومونَ وَلكنْ نَظَرُوا | شِدَّةَ آرِيسَ بنا وذُعِرُوا
فأَوَّلُ الفُرْسانِ مَطْعُوناً وَقَعْ | بنَصلِ رُمحِي عِندَما نحْوِي اندَفَعْ
(مُلِيُوسُ وَهوَ صِهرُ أُفْغِياسِ | وبَعلُ آغامِيذَةِ الإِيناسِ
مَن كُنهَ نَبْتِ الأَرضِ طُرَّاً سَبَرَتْ | وَلِلعقاقيرِ جَميعاً خَبَرَتْ)
جَنْدَلتُهُ فَخَرَّ مِنْ مَرْكَبَتِهْ | وَواثِباً عَلَوْتُ في مَنَصَّتِهْ
وصِلْتُ صَدرَ الجَيشِ والأَعداء | وَلَّوْا وَفيهِمْ عَلَتِ الضَوضاء
راعَهُمُ أَنَّ زَعِيمَ العَجَلِ | وَأَبْسَلَ الأَبطالِ بالحَتْفِ بُلِي
وَفيهِمِ هَبَبْتُ كالإِعصارِ | أَذبَحُ كُلَّ سارحٍ وَسارِ
وَفَوقَ خَمسِينَ مِنَ العِجالِ | بِتَّةٍ مِنْ أَمنَعِ الأَبطالِ
فَتَكتُ طاعِناً وأَولَيتُ الرَّدى | وَمِنهُمُ اغتَنَمتُ تِلكَ العُدَدا
وكُدتُ أُولِي وَلَدَيْ أَكتورا | ومُلِيناً بِعامِلي الثُبُورا
لَكِنَّما جَدُّهُما فُوسِيذُ في | مُكَثَّفِ الضَّبابِ فيهما خَفِي
وَلَم نَزَلْ نَكْساً هُمُ في السَّهْلِ | ونَصرُ زَفسٍ فَوقَنا يَستَعلِي
نَذبَحُهُمْ ونَسْلُبُ السِلاحا | والخَيلُ فينا تَنهَبُ البِطاحا
حتَّى وَطِئنا أَرضَ بُفْراسا النَّعَم | وَصَخرَ أُولِنْيسَ ذلكَ الأَشَمّ

البيت الذي قبله العجلة لحول واحد

وعند تلّ آلسٍ أثينا بدت لعودٍ عاجلٍ تدعونا
عُدْنا ولكن بعد ما بمخفقي حتفاً لقي آخر جنديّ بغي
وفي مآبنا الأخائيونا شكراً وحمداً كلهم يُسْدُونا
لزفسَ في الأرباب أبناء العلى وللفتى نسطورَ ما بين الملا
فذاك شأني كان يوم المحن إن لم يكن كالحلم ماضي الزمن[1]
لكن أخيلُ ليس بالشفيق وسوف يبكي نكبة الإغريق
فاذكر منتيوسَ وما قال لكا في إفثيا الفيحاء مذ أرسلكا
ألم أكن وأوذسٌ في القصرِ نسمعُ ما تسمعُهُ من أمرِ
يومَ ذهبنا نحشدُ العمّالا بين الأخائيين والأبطالا
ودارُ فيلا كنتَ مع أبيكا فيها وآخيلُ الفتى يليكا
والشيخُ فيلا في فناء الدارِ مؤججٌ فيها لهيبَ النارِ
يحرقُ أفخاذاً من الثيرانِ لزفسَ يسترضيه بالقربانِ
وفوقها يريقُ من كأسِ الذهبْ مُدامةً سوداء من صافي العنبْ
وأنتمُ اللحومَ تقطعونا من مدخلِ البابِ نظرتمونا

---

(١) هذا من التشابيه المتواترة في كل الالسنة . قال ابو تمام :

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلامُ

ومثله قول البحتري :

واياًمنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل اضغاثٌ واحلام نائم

فَقامَ آخيلُ وفي أَيدِينا　أَمسكَ راحباً بنا يدعونا
وإذْ قضينا مِنْ شرابٍ ضافي　وَخيرِ زادٍ حقّ للأضيافِ
إليكُما وَجَّهتُ قولي عَلَنا　فرمتُما اللَّحاقَ في الحالِ بنا
فقالَ فيلا لِآخيلَ: «يا ابني　برّز على الأقرانِ يومَ الطَّعنِ»
«ثمَّ مِنتيوسُ تَلا يقولُ :　« رفيقُكَ الباسلُ ذا أَخيلُ
«فاقَكَ بأساً نسباً وَقدرا　وزدتَه عُمرًا وزدتَ خُبرًا
« فانصحهُ خيرًا ولَهُ كُنْ مُرشِدا　يُطعْ لما تُريهِ مِنْ سُبلِ الهُدى» (١)
فذاكَ أمرُ الشيخِ لكنّي أرى　أَنَّكَ قد نسيتَ أَمرًا أَمرا
بلّغ أخيلَ قبلَ إدراكِ الدَّرَكْ　قولي عَساهُ مُصغِيًا يذعنُ لَكْ
فرُبَّ رَبٍّ مالَ لِلترفُّقِ　والخيرُ في نُصحِ الرَّفيقِ المُشفِقِ
وإنْ يكنْ يخشى حلولَ البُؤسِ　بوحيِ ثيتيسَ لَهُ عن زفسِ (٢)
فبكَ فليبعثْ مع المرامِدَهْ　عسى بِكُمْ لنا تتمُّ الفائدَهْ
وألبِسْ سِلاحَهُ عَسى الطُّرّادُ　يَرُوعهُمْ لِذلكَ الجلادُ
إنْ نَظَرُوهُ فيكَ والإغريقُ　يبدو لَهُمْ للرَّاحةِ الطَّريقُ

(١) انما ذكر نسطور فطرقل بذلك ليبين له انه لا يبرّؤه من تبعة تقاعد اخيل ليزيده همة على استنهاض همته

(٢) هذا تهكم لطيف على اخيل ورميٌ له بالجبن لان ثيتيس كانت اوحت الى ابنها انه يقتل في هذه الحرب وهي ابلغ عبارة نطق بها نسطور في كل هذا الخطاب وادعاها الى استنفاره

جَيْشُكَ إِذْ مَلَّ مِنَ القُعُودِ   يَبْطُشُ في جَيشِ العدى المَجْهُودِ
بذا تَقِي السَّفِينَ والخيمَ وعَنْ   عاتقنا تَدرأُ أَثقالَ المِحَنْ » (١)
لِذاكَ فَطْرُقْلُ اساً تقطَّرا   وَكَرَّ يَبْتَغِي أَخيلَ مُخْبِرا
وإِذْ لِأَشْراعِ أُذِيْسَ عَرَضا   حَيثُ أَقامَ القومُ دِيوانَ القَضا
حَيثُ أَحَلُّوا مَجْلِسَ الأَعْيَانِ   ونَصَبُوا مَذَابِحَ القُرْبانِ
بَدا أُرِيفِيلُ لَدَيهِ عارِجا   مِنْ ساحةِ الحَرْبِ جَرِيحاً عارِجا (٢)
يَرْشَحُ مِنْ جَبِينِهِ سَيلُ عَرَقْ   والسَّهْمُ بادٍ عَضَلَ الحُقِّ اخْتَرَقْ
والدَّمُ أَسْوَدا سَخِيناً يَجْري   لكِنَّهُ مُعْتَصِمٌ بالصَّبْرِ
فَرَقَّ فَطْرُقْلُ لِذاكَ المَنْظَرِ   وقالَ مُلْتاعاً لِهَولِ المَخْبَرِ :
« واأَسَفا يا زُبْدَةَ الأَغارِقِ   أَتَهلِكُنَّكُمْ ظُبى الخافِقِ (٣)
عن دارِكُمْ نائِينَ والأَصْحابِ   لِتَذْهَبُوا مَطاعِمَ الكِلابِ
قُلْ لي أُرِيفِيلُ أَفي الإِغْرِيقِ   بَقِيَّةٌ لِعَبْرِ ذا المَضِيقِ

---

(١) ان هذا الخطاب مع ما في مقدمته وخاتمته من الحكم البليغة لايخلو من دواعي الانتقاد لاسهاب نسطور بحديث طويل عريض لم يكن له موضع هنا لان الموقف موقف حرج لامجال فيه لهذا الاكثار مهما دافع المدافعون عن شاعرنا . ولكن فيه مع ذلك خلا الفوائد التاريخية فائدة اخلاقية تعلمنا ان الشيخ العاجز يجنح الى كثرة الكلام مهما وفرت حكمته وعظمت مهابته . واذ لايبقى له سبيل الى اتيان الاعمال الخطيرة وابراز الهمم الكبيرة فلا اقل من ان يفخر بما سبق له من صاب الذراع وطويل الباع

(٢) عارجا الاولى من العرج والثانية من العروج اي الميل .

(٣) ظبى الخافق اي مناصل السيوف

أَمْ ثَقُلَتْ وَطْأَةُ هكطورَ فلا — مَرَدَّ لِلخِزْيِ الوَبِيلِ فَشَلا»

قالَ: «قبلَ قد قُضِيَ الأَمْرُ ولا — مَناصَ وانْظُرْ تَلْقَ خيرَ النُّبَلا

بينَ جَريحٍ وطَريحٍ غادي — وقُوَّةُ الطُّرْوادِ في ازْدِيادِ

هيَّ أَغِثْني واصْحَبْني لِلخِيَمْ — وأَخْرِجِ السَّهْمَ يَزُلْ عَنِّي الأَلَمْ

والجُرْحَ فاغْسِلْهُ بماءٍ فاترِ — واسْكُبْ عليهِ بَلْسَمَ القَناطِرِ

سِرٌّ حَفِظْتَ عنْ أَخيلَ وهوَ عنْ — أُسْتاذِهِ خيرُونَ في ماضي الزَّمَنْ

أَمَّا طَبيبانا فَمُوذالِيرُ — ما بينَ دُرَّاعِ العِدى مَحْصُورُ

وماخَوُونُ ذاكَ بادي العَطَبِ — في حاجةٍ أَضْحى الى التَّطَبُّبِ»

فقالَ فطرُقْلُ: «سَرى الوَبالُ — وَيلاهُ ما الحِيلَةُ والمآلُ

فها انا أَمْضي الى أَخيلِ — أُبْلِغُ قولَ نَسْطُرَ النَّبيلِ

لكِنْ أَراني عنكَ غيرَ ناءِ — وأَنتَ تحتَ الأَزْمةِ اللَّأْواءِ»

ومِنْ ذِراعَيْهِ بِلُطْفٍ حَمَلَهْ — ولِخِيامِهِ سَليماً أَوْصَلَهْ

ومُذْ لَدى الأَتْباعِ في القُرْبِ ظَهَرْ — مَدُّوا لهُ الفِراشَ مِنْ جِلْدِ البَقَرْ

أَلْقاهُ فطرُقْلُ عليهِ وقَطَعْ — بالسَّيفِ نَصْلَ السَّهْمِ مِنْ حيثُ وَقَعْ

وغَسَلَ الجُرْحَ وعِرْقاً مُرَّا — بِيَدِهِ فَتَّ وحالاً ذَرَّا

فالتَأَمَ الجُرْحُ وأُوقِفَ الدَّمُ — وأُورِفِيلُ زالَ عنهُ الأَلَمُ

النشيد الثاني عشر

واقعة الخندق

مُجملُه

استظهر الطرواد على الاغريق فدفعوهم الى داخل معقلهم وهزموهم الى سفنهم والقى هكطور الرعب في قلوبهم فخارت عزائمهم وهانت قواهم . أما هكطور فدفعته الحمية الى اجتياز السور والخندق الى السفن فهيأ قومه لذلك وارتأى فوليداماس ان يترجل الجميع ويندفعوا مرة واحدة مشـاة فاستصوب الطرواد رأيه وتكتبوا خمس كتائب كل كتيبة بزعامة رئيسها الا اسيوس فانه ظل على مركبته فقتل . ولما اندفع الطرواد الى أبواب المعقل وقف لصدهم بطلان من أبطال اليونان فابرزا من البسالة ما يفوق الوصف . واذ أوشك هكطور ان ينقض على المعقل ظهرلهم على ميسرة الجيش الطروادي نسر ممسك بمخالبه حية حيّة فارتاع فوليداماس لذلك وأشار بالكف عن القتال . فوبخه هكطور ولبث على كرته فثبت الاغريق في موقفهم وأمطروا على الطرواد وبل نبال وامتاز الاياسان بالبأس والبطش بين الاغريق كما امتاز سرفيدون وغلوكوس بين الليقيين نجاد الطرواد . ثم جرح غلوكوس فانهزم وبقي سرفيدون وحده فخرق السور وفتح منفذاً فيه لجماعته فكادوا ينفذون فيه لولا بسالة آياس . فكثر الفتك والقتل فانحاز حينئذ زفس الى الطرواد وتقدم هكطور ورمى بصخر على أحد الابواب فسحقه وولج مع كل جيشه معسكر الاغريق ولم يزل يتعقبهم الى ان لجأوا الى سفنهم



النشيد الثاني عشر

فَطْرُقْلُ عندَ أُرِيفيلٍ بخيمتهِ　　يُعْنى بهِ ويُداويهِ بحكمتهِ
والحربُ في مأزقٍ ضاقت مسالكهُ　　على الفريقين ألقى ثقلَ وطأتهِ
أمَّا الأغارقُ فالحصنَ المتينَ بنوا　　والخندقَ احتفروا من حول خطتهِ
ليدفعوا عن خلاياهم ومحملها　　من الغنائم ما يغلو بقيمتهِ

لكنَّهم حين شادوا سورَهم غفلوا　　عن الضحايا مئاتٍ بئس ما فعلوا
فما إذا هو واقيهم بمنعتهِ　　من الأعادي إذا كرُّوا وإن حملوا
فلا يقومُ بناءٌ لا تحيط بهِ　　عينُ العناية إلا شابهُ الخللُ (١)
قد دام مادامَ هكطورٌ وما بقيت　　إليونُ واشتدَّ آخيلٌ بنفرتهِ

وعندَ ما فتحت إليونُ واندثرت　　من بعد عشرة أعوامٍ بها حصرت
والأرغسيونَ هاتيكَ السفائنِ في　　من عاش منهم إلى أوطانهم مخرت
فوسيذُ فوراً وآفلونُ انحدرا　　وكلُّ أنهارِ ايذا فوقهُ انحدرت
ريسوسُ رودِيسُ قاريسُ إينيفسُ　　والهفتفورُ بضافي سيلِ ضفتهِ

---

(١) هذا اشبه شيء بقول المزامير : ان لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون وان لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحرّاس • ويقرب منه قول الشاعر العربي :

كذلك من لم يشكر الله لم تزل　　معالمه من بعد ساحته تعفو

والإِسكَمَنْدَرُ إِغرانِيقُ يَتبَعهُ　　وسِيمُويِسُ أُنجِلي يَهوي تَدفعهُ
عَن جنَّةٍ سَطعَتْ أَو بيضَةٍ لَمعتْ　　أَوقِرْنِ رَبٍّ بِذاكَ الجُدّ مَصرَعهُ (١)
وفِيبُسُ حوَّلَ الأَنهارَ قاطبةً　　علَيهِ تِسعةَ أَيّامٍ تُزعزعهُ
وزَفسُ أَمطرَ شؤْبُوباً يُقوِّضهُ　　لِلبحرِ يَقذِفُهُ في قَعرِ لُجَّتِهِ

وفُوسذُ وعَصا الأَنواءِ في يَدِهِ　　يُطغي السُّيولَ علَيهِ في توَقُّدِهِ
يَدُكُّ أَركانَهُ من أُسِّها وَبِها　　لِليَمِّ يَقذِفُ معتزّاً بِسُؤْدُدِهِ
يَستأْصِلُ الصَّخرَ منها والجُذُوعَ إِلى　　أَن ساوَتِ الجُرْفَ فيما أُوفِ مِعهَدِهِ
فأَسبَلَ الرَّملَ يَعلُوها وقد رَجعَ الأَ　　نهارُ كُلٌّ إِلى مَحْدُودِ جِدَّتِهِ

ذاكَ الذي سوفَ يُبْدِيهِ لَنا القَدَرُ　　والآنَ من حَولِهِ الطِّرْوادَةُ اسْتَعرُوا (٢)

---

(١) قرن رب اي نظير رب وهي صفة كثيراً ما يصف بها هوميروس ابطاله الاشداء . وقد خص سيمويس من بين الانهار بالجنن والبيض أي الدروع والخوذ المنقذفة مع مياهه لكثرة ما وقع فيه من القتلى بدوران رحى الحرب على ضفتيه

(٢) تلك اشارة من جملة اشارات الشاعر الى ماكان مزمعاً ان يقع بعد الحصار وقد ادخلها هنا بمعرض نبوءة سبقت الاشارة اليها في النشيد السابع ص : ٥١٢ . والظاهر انه في زمن هوميروس لم يكن لذلك السور من أثر باق او هو خرافة تنوقلت الى أيامه ولا حاجة الى اعادة ما قدمنا في هذا الشأن في النشيد السابق المذكور وانما نجتزىء هنا بالتنبيه الى الاسلوب البديع الذي اتخذه صاحب الالياذة الى محق آثار ذلك السور فجعل الامر متأتياً عن تعاون الآلهة وليس بالامر العسير عليهم ان يبيدوه وأتى بكل هذا بصورة رمزية تفيد ان اليونان في زمانه كانوا يدركون جانباً من اسرار الطبيعة فان فيبوس وهو الشمس يحول الانهار . وزفس وهو في بعض الاحوال الرقيع

تَرْتَجُّ أَبْراجُهُ من عُنْفِ كَرِّهِمِ والأرْغِسِيُّونَ في الأُسْطُولِ قد حُصِرُوا
يَرُوعُهُمْ سُخْطُ زَفْسٍ مُذْ أَصابَهُمُ وهكْطُورُ ذاكَ أُسُّ الرَّوْعِ والخَطَرُ
لا زالَ يَعْصِفُ فِيهِمْ مِثْلَ عاصِفَةٍ وقَومُ طَرْوادةَ اشْتَدُّوا لِشِدَّتِهِ

كأَنَّ زِخْرَنْوَصَ بِرٍّ صالَ اوأَسَدا لم يَعْبَأَنَّ بِجَمْعٍ حَولَهُ احْتَشَدا
بهِ تُحِيطُ السَّرايا والكِلابُ وقد أَهْمَتْ حَوالَيْهِ مِنْ أَسهامِها بَرَدا[1]
فَيَسْتَجِيشُ بِقَلْبٍ لا يُرَوِّعُهُ بَأْسٌ فلا يلتوي لِلخَطْبِ مُرْتَعِدا
بَلْ يَنْثَنِي وَهْوَ حَيْثُ انْقَضَّ مُنْقَبِضاً أَوصالَ شُقَّتْ سَراياهُمْ لِصَوْلَتِهِ

كَذاكَ هاجَ بِهِمْ هكْطُورُ يَنْدَفِقُ يَصِيحُ في القَومِ: «هُبُّوا الخَنْدَقَ اخْتَرِقُوا»
لٰكِنَّما خَيْلُهُ في الجُرْفِ جازِعَةً تَرَدَّدَتْ مُذْ تَراءَى دُونَها العُمُقُ
وأَطْرَقَتْ صاهِلاتٍ لا تُطِيقُ بهِ وَثْباً فَتَجْتازُ أَوعَدْواً فَتَنْطَلِقُ
وكَيفَ تَعْدُو وحَوْلَ السُّورِ هاوِيَةٌ يَحُوطُها السَّدُّ إِحْكاماً لِمَنْعَتِهِ

يهمي الامطار • وفوسيذ وهو البحر الهدار يثير الانواء في البحار • كل ذلك من الاصول العلمية التي يحسن تأويلها حتى في أيامنا هذه

(١) قد خالف الشاعر عادته هنا بتشبيه هكطور بطل الطرواد بالليث بين الكلاب مع دوام اثرته لقومه ولكنه لا يبقى محل للاستغراب اذا علمنا ان مراده ان يشدد الازمة على الاغريق وينكل بهم تنكيلاً حتى اذا هب اخيل الى نصرتهم وفاز بقتل هكطور كان له بذلك فخر على فخر وزادت اناشيد الالياذة واخيل بطلها بلاغة على بلاغة

هَيْهاتَ تحتَ العِجالِ الخَيلُ تَقطَعُها　　لكنَّما لِمُشاةِ الجَيشِ مَرجِعُها
لذاكَ فُولِيدَماسُ جاءَ هكْطرَ والـ　　فُرسانَ نادى بِقُربِ الفوزِ يُطْمِعُها:
«يا هكْطرُ يا سَراةَ الجُندِ كيفَ تُرى　　فوقَ الحفيرِ جِيادَ الخَيلِ نَدفَعُها
وَراءَهُ السُّورُ والأَرْكانُ قد رُفِعَتْ　　أَوْتادُها غَضَّةً من ضِمْنِ سُدَّتِهِ

فَكيفَ نَنزِلُ في هذي العِجالِ إلى　　هذا الشَّفيرِ ولا نَلقَى بِهِ فَشَلا
لَئِنْ نَنَلْ من لَدى زَفْسٍ إبادتَهُمْ　　ونَشْرَ خِزْيِهِمِ فَلْيَهلِكُوا عَجَلا
فَإِنْ عَبَرْنا وصَدُّونا لِوَهْدَتِهِ　　فأَيُّ رُزْءٍ يُوافِينا وأَيُّ بَلا
والحَقَّ أَصْدُقُكُمْ لَن يَنجُوَنَّ بنا　　ناجٍ لإِلْيُونَ يُنْمِي شَرَّ مِحْنَتِهِ

فالرأْيُ عِنديَ أَن نُبقِي الجِيادَ لَدى　　سُيَّاسِها عندَ هذا الحَدِّ حيثُ بَدا
ونَحنُ نَتبَعُ هكْطُوراً بِجُملَتِنا　　مُكَتَّفِينَ عَلى أَكْتافِنا العُدَدا
فالأَرْغِسِيُّونَ إمَّا حانَ مَصْرَعُهُمْ　　لَنْ يَستَطِيعُوا سَبِيلاً لِلِّقا أَبَدا»
فَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي والقَولُ راقَهُمُ　　حَتَّى تَرَجَّلَ هكْطُورٌ لِساعَتِهِ

وكُلُّ فُرسانِهِمْ أَلقَوا عِجالَهُمُ　　لِساسَةِ الخَيلِ تُسْتَبقَى حِيالَهُمُ
تُقامُ في الجُرُفِ صَفّاً واحداً وهُمُ　　فَبِالقَا خَمْسَةً صَفُّوا رِجالَهُمُ
فقادَ أَوَّلَها هكْطُورُ أَوَّلُهُمْ　　كَذاكَ فُولِيدَماسُ مَن أَمالَهُمُ
وقبْرِيُونُ وقد أَبقَى الجِيادَ لَدى　　فَتىً لِهكْطُورَ من أَعْراضِ فِتيَتِهِ (١)

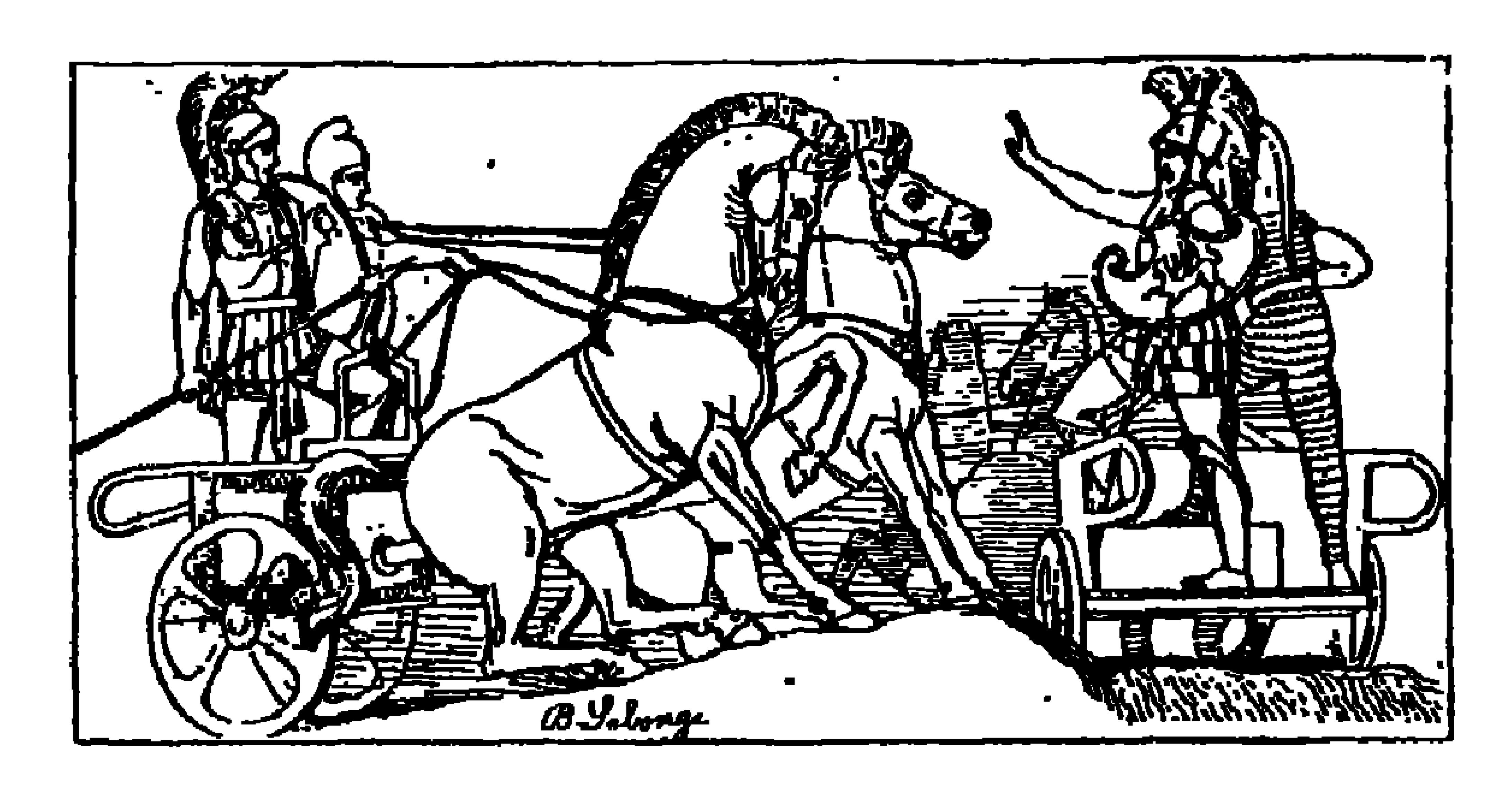
---

(١) قبريون هذا حوذي هكطور واذ كان بطلاً باسلاً استبقى المركبة لفتى

كَتيبةٌ تلكَ ضمّتْ جلّهمْ عددا جُنْداً تمُدُّ إلى كَيْدِ العُداةِ يدا
وقادَ ثانيَها فاريسُ يَصْحَبُهُ أَلْقاثُ ثم أَغينُورُ الذي اتّقدا
وحازَ ثالثَها مِنْ وُلْدِ ملْكِهِمِ فِرْيامَ قرْمانِ مقْدامَيْنِ قدعُهِدا
هيلينسُ ثم ذِيفُوبُ الذي طلَعتْ سيماءُ آلِ العلى تزهو بِطلْعتِهِ

كَذا ابنُ هِرْطاقُسٍ آسيُسُ البطَلُ مَن ثقّفَ الجُرْدَ للهيْجاءِ يَشْتَعِلُ
مِنْ بَرّ آرِسْبَةٍ مِن جُدِّ سيلِسَ قدْ جرَى عَليها الى إلْيُونَ ينْتَقِلُ (١)
وأُنْضِمَ رابِعُها جيشاً على حِدَةٍ لأَمْرِ أَنياسَ رَبِّ البأْسِ يمتثِلُ
وآكَماسُ ابنُ أَنطينُورَ يَصْحَبُهُ أَخوهُ أَرْخيلُخُ كانا بِصُحْبتِهِ

آخرمن اعراض الفتية وتولى قيادة كتيبة من الجيش مع هكطور . وليعلم المطالع انه شتان ما بين حوذي ذلك الزمان والحوذي في ايامنا فسائق المركبة اذ ذاك كان رفيقاً وقريناً لصاحبها يشبّه به اليوم رديف العرب في البادية كما تقدم



فوليداماس يشير الى هكطور ان لايجتاز الخندق راكباً

(١) جد سيلس اي ضفة نهر سيلس وشاطئه

وخامسُ الفِرَقِ الغرَّاءِ قد جَمعَتْ أحلافَهمْ ولسرفيذُونَ قد خضعتْ
وعسطرُوفَ بَغى عوناً لهُ وكذا غلُوكُساً تلكَ صِيدُ الحماةِ اندفعتْ
كُماةُ بأسٍ بلا هكطُورُ وَقَعهمُ في الحربِ أيَّانَ أطرافُ القنا وقعتْ
قد قصَّرَ الكلُّ عن إدراكِ شأوِهمِ وقصَّروا جملةً عن شأوِ سطوتهِ

وعندَ ما التأموا تزهو يلامقهمْ تقدَّموا ومرامُ النفسِ سائقهمْ
وأيقنوا أنَّ أعداهمْ وقد وهنُوا تُبيدُهمْ في خلاياهمْ مخافقهمْ (١)
بصِدْقِ فُولِيذَماسٍ كلُّهمْ وثقُوا على اختلافِ سُراهمْ وهوَ صادقهمْ
سوى ابنِ هِرطاقسٍ مازالَ مُعتَلِياً يَلِيهِ حُوذِيُّهُ مِن فوقِ سُدَّتهِ (٢)

أمَّ السَّفائنَ مغتَرًّا على حُمُقِ بخيلهِ وبشرِّ الحتفِ لم يَثِقِ
فلن يرى بعدُ إليُوناً ويفخرَ بلْ برُمحِ إيذُومِنٍ حُكمَ القضاءِ لَقِي (٣)
يسْري السَّفينَ مضى حيثُ الأغارقُ قد آبُوا بخيلهمِ من أفسحِ الطرُقِ
أغارَ تتبعهُ الأجنادُ لاغبةً وأيقنتْ في العِدى فوزاً بغارتهِ

للبابِ كرُّوا ومصراعاهُ ما زُلجا بلْ فيهِ قومٌ يُباري مَن عدا ونجا
ودُونهُ مِن بني اللافيثِ يحرُسهُ قرْما نكالٍ على هزِّ القنا درجا

---

(١) الخلايا السفن والمخافق السيوف
(٢) ابن هرطاقس اي اسيوس
(٣) تلك اشارة الى مقتل اسيوس في النشيد التالي

لِيُنْطُسُ عدُّ آرِيسٍ وَفُوْلِفتٌ لِصَدِّهِ وَقَفا فيهِ وَما اُختَلَجا
قاما كأنَّهما مَلْوَلتانِ على طَوْدٍ وقد قامَتا من فَوقِ قمَّتِهِ

فإنَّ أصلَهما في الارضِ ينتشرُ ولا يَرُوعهُما رِيحٌ ولا مطَرُ
تربَّصا للقاهُ لا يَهُولُهما أنصارُهُ وإِنِ اُشتَدُّوا وإِنْ كَثُرُوا
فكرَّ يَتلُوهُ يامِنٌ وآدمسٌ كذا ثُوُونُ وأُورَسْتُ الأُولى اُشتَهَرُوا
وإِينُماوُسُ تَتلُوهُمْ يَلامِقُهُمْ وجَيشُهُمْ لَغَباً داوٍ بِصَيْحَتِهِ

والأَرغُسِيَّانِ لا يَلوِيهِما الجَزَعُ صاحا بِمَنْ ضِمْنَ ذاكَ المَعقِلِ اُمتَنعوا
فما أجابَ مُجيبٌ والتَوَوا قَلَقاً وكادَ جيشُ العِدى للسُّورِ يَندَفِعُ
فبرَّزا خارِجَ الأَبوابِ وانفَرَدا مُكافِحَينِ وأَسهامُ العِدى تَقَعُ
وفوقَ صَدرَيهِما الفُولاذُ مُتَّقِدٌ يَصِلُّ للوَبلِ يَهمِي فوقَ صَفحَتِهِ

كأنَّ في الشمِّ خِرْنَوصَينِ قد ذُعِرا بينَ الحَبائِلِ والقُنَّاصِ مُذْ حُصِرا
فيَسحقانِ ببطنِ الغابِ ما لَقِيا كِيداً ويستأصِلانِ الفَرعَ والشَّجَرا
ويُعلِيانِ صَريفَ النَّابِ ما بَقِيا حَيَّينِ لم يَلقَيا في المَعرَكِ القَدَرا
فهكذا اُشتَدَّ ذانِ الباسِلانِ وما رِيعا لِكُلِّ قُوَى جَيشٍ وكَثرَتِهِ

كانا على ثِقةٍ مِن بَأسِ ذَرعِهِما وبأسِ مَن قامَ فوقَ السُّورِ خلفَهُما
جُندٌ مُدافِعَةٌ بالعُنفِ دافِعَةٌ وَبْلاً منَ الصَّخرِ مِن فوقِ العُداةِ هَمَى

ومن كلا الجحفلين الرمي منطلق   على الرؤوس بغيث بالنبال طما [1]
كصيّب الثلج تنهال الغيوم به   والنوء هبّ فتهمي تحت هبته [2]

والبيض ترجع عن وقع الحجار صدى   للجو عنها وعن أجوابهم صعدا [3]
فقات آسيساً ما كان أمّله   فصاح يلطم يضويه العنا كمدا:
«أكنت يا زفس خدّاعاً وكيف أرى   قرمين فذين لم نبلهما أمدا
مثل الزنابير ذبّت عن خشارمها   والنحل لا يتخلى عن خليته

فلن يكفا ترى إلا إذا صرعا   أو يين فتّاك أيدينا إذا وقعا» [4]

---

(١) شبه معقر بن حمار البارقي الرؤوس المضروبة عند التقاء الجيشين بالحدج النقيف وهو الحنظل المشقوق بقوله :

كأن جماجم الابطال لما   تلاقينا ضحيّ حدجٌ نقيفُ

(٢) شبه النبال المتطايرة بالثلج المتناثر • ومثله قول ابي العيال الهذلي اذ شبهها بالسنبل :

فترى النبال تعير في اقطارها   شمساً كأن نصالهن السنبلُ

وأحسن منه قول العبسي اذ ذكر السيوف والسهام والدروع وشبه السهام بالجراد قال:

يدعون عنتر والسيوف كأنها   لمع البوارق في السحاب المظلم
يدعون عنتر والسهام كأنها   طش الجراد على مشارع حوّم
يدعون عنتر والدروع كأنها   حدق الضفادع في غدير ديجم

(٣) الاجواب جمع جوب الترس والبيض الخوذ

(٤) ان خطاب اسيوس لزفس من باب الكفر والاستطالة ولعل الشاعر وطأ به ليجعل قتل اسيوس في ما يلي عقاباً على كفره كما زعم بعض المفسرين • ولا ارى هذا التفسير ثبتاً لانه يلوح ان لوم الآلهة ساعة الغضب لم يكن بالخطأ القاتل • ولنا

لكنَّ زفسَ وَهكطوراً بنُصرَتهِ مِن دُونِهم خصَّ ذاكَ الصوتَ ما سَمِعا[1]
وسائرُ الجيشِ لم ينفكَّ مُضطرِماً بأساً على سائرِ الأبوابِ مُندَفعا
مَنْ لي بإلهامِ ذي عِلمٍ فيُنبئني كَم هامةٍ وقَعتْ في حرِّ وَقعتهِ[2]

من كلِّ فجٍّ لدى السورِ الأوارُ علا وأرتاعَ لِلخَطْبِ أهلوهُ وقد ثقُلا
فلم يروا غيرَ حُسنِ الذودِ من مَددٍ ورَهطُ أنصارِهم في الخُلدِ قدوَجلا
لكنَّما ولَدا اللافيثِ حولَهُما قدأعملا في الأعادي السيفَ والأسَلا
وأجتاحَ فُولِبتُ داماسَ مُبتَدِراً بطعنةٍ نفذتْ في بطنِ خوذتهِ

ما صدَّها ذلكَ الفولاذُ بل خَرَقتْ حتى الدِّماغِ وأمُّ الرأسِ قد سُحِقتْ
مِنْ ثمَّ أتبعهُ فِيلُونَ يلحقهُ أرمِينُ عن طعنةٍ في جوفهِ مَرَقتْ

في الالياذة امثلة كثيرة على ذلك فقد جاء مثل هذا الكلام بخطاب ذيوميذ في النشيد الثالث اذ يقول :

من كل آل الخلد مثلك لم يكن يازفس معتسفٌ بمقــدوراتهِ

ونفس اغاممنون الزعيم الورع رمى زفس بالكذب والخداع مرتين بقوله في النشيد الثاني والنشيد الحادي عشر

فــان وما اغراه فيارمانيا

وامثال ذلك كثيرة

(١) قوله «وهكطوراً بنصرته من دونهم خص» جملة معترضة

(٢) كل انتقال من الخبر الى الاستفهام كما ترى في هذا البيت يشير الى امر خطير يليه . واكثر ما يستعمل الشاعر ذلك عند تعداد اسماء كثيرة لابد في استحضارها من ذاكرة يحكها محكٌ جديد

كذا لِينْطُسُ في لَدْنِ القَناةِ مَشَى رَمِي وفي خصرِ هيفوماخُسٍ فهَقتْ
فاستلّ من غمدِهِ السيفَ الحديدَ وفي قلبِ العِدى كرّ يلقي روعَ كرّته

فأنطفاتَ فرى يلقيهِ منقلبا من ثمّ كرّ ومنيوُنَ الفتى اقتضبا
وأجناحَ أورستَ تسقي الأرضَ من دمهِ والقرمَ يامينَ ثمّ استقبلَ السلبا
وهكذا فتيا اللافيثِ قد فتكا فتكاً ذريعاً وحازا بعدهُ النشبا
وهكطرٌ إثرهُ الفتيانُ لاغبةٌ وإثرَ فوليدَماسٍ تحتَ إمرتهِ

(كتيبةٌ تلك ضمّتْ جلّهمْ عددا جنْداً تمدُّ إلى كيدِ العُداةِ يدا)
كادتْ حفيرَهمُ تجتازُ عابرةً إذا بطيرٍ لها تحتَ السماءِ بدا
فاستوقفتْ جزعاً في الجرْفِ حائرةً تطيّراً وهوَ عن يسرى السرى وردا
نسرٌ مخالبهُ في الجوّ قد نشبتْ بأفعوانٍ خضيبٍ تحتَ قبضتهِ

فالأفعوانُ وفيهِ لم يزلْ رمقٌ ما بينَ أظفارهِ في الجوّ يصطفقُ
حتّى عليهِ التوى بالعنفِ يلسعهُ في بارزِ الصدرِ حيثُ التفّتِ العنقُ
فصاحَ عن ألمٍ مرٍّ وأفلتهُ وراحَ تحتَ مهبّ الريحِ ينطلقُ
والأفعوانُ هوى للأرضِ مختضباً حيّاً وطروادةُ ارتاعتْ لرؤيتهِ

فتلكَ من زفسَ نجوى رامها علنا ونحوَ قرمهمِ فوليدماسُ دنا
وقالَ: «عوّدتَ هكطورُ معارضتي إذا اقترحتُ مقالاً بيننا حسنا

لا يحذُرنّ بنا أنْ نستطيلَ إلى مداكَ أوْ نرتاءي ما لا يلوحُ لنا
لكنّني كيفما دارتْ مباحثنا مهما أقلْ فمقالي ثقْ بصحّتهِ (١)

لا خيرَ بالقتلِ في الإغريقِ بالسفُنِ إنْ صحّ حدْسي فقيهِ فادحُ المحَنِ
ألمْ ترَ النسرَ يسري الجيشَ مرتقماً بحيّةٍ حيّةٍ مشتدّةِ الإحَنِ
أما رأيناهُ ألقاها مخضّبةً فريسةً تلكَ فاتتهُ ولم تهُنِ
ولم تكنْ لفراخٍ قد خلونَ بها بوكرهِ فانثنى يخلو بخيبتهِ

وهكذا فلئنْ نظفرْ بسورِهمِ وخرْقِ أبوابهِ خرْقاً برغمِهمِ
ولو هزمناهمُ لنْ يرجعنّ بنا الأ أجنادُ من حيثُ كرّوا بانتظامِهمِ
بلْ سوفَ نلوي شتاتاً تاركين لهمْ جنْداً تمزّقها نيرانُ كيدِهمِ
فذاكَ تفسيرُ هذا النجوِ يخبرُهُ أخو الهدى تهتدي الدنيا بخبرتهِ» (٢)

(١) نرى فرقاً بيناً بين خطاب فوليداماس هنا وخطابه السابق في هذا النشيد فقد تكلم هنالك كلام الآمر الناطق بالحق الذي يجب ان يتبع فيبدي رأيه بلا تزلف غير متوقع لوماً واعتراضاً . واما هنا فيشرع في التلطف والاستعطاف لانه موقن انه وان نطق بالحق والصواب كما نطق في الموضع الاول فهو هنالك مثبت امراً يميل اليه هكطور ومورد هنا رأياً يعلم ان نفس هكطور تأباه لانه قد عيل صبراً ولا يرى الا الساعة التي بها يبدد جيش اعدائه حالة كون فوليداماس يأمره تطيراً بذلك النجو ان يكف عنه فكان لابد من ثم من توطئة يستميله بها

(٢) النجو السر — العيافة اوزجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بوجهتها في الطيران من اقدم المعتقدات . وهي ليست من استنباط اليونان بل اخذوها فيما اخذوا عمن

فقالَ هكطورُ شزْرًا وهوَ يلتهبُ　　　غيظًا وقالَ : « ألِلإِحجام تنتدِبُ

تقدمهم من البابليين والاشوريين • على انه لم يكن لها عند اليونان ذلك الشأن الخطير الذي كان لها بعد حين عند الرومان والعرب حيث كانت من اسمى خصائص الكهان • فكان الرومان ينتدبون لها رجالاً من ذوي الوجاهة والكرامة • وكانت في جاهلية العرب لبني فهد يتكهنون بها كيف شاؤوا • والظاهر ان اليهود عملوا بها زمناً بدليل تحريمها في سفر اللاويين • ولم تتسخ من بين العرب الا بقوة الدين • وفي الحديث « لا طيرة في الاسلام »

والمشهور من طريقة العرب في العيافة انهم كانوا يرمون الطائر بالحصاة او يصيحون به فان ولّى القوم ميامنه تفاءلوا به وان ولاَّهم مياسرهُ تشاءموا ومنه قولهم التيمن والتشاؤم توقعاً لخير او شرّ من اليمين والشمال • وكانوا اذا أرادوا السفر خرجوا من الغلس والطير في مواقعها على الارض والشجر فيطيرونها فان اخذت يميناً اخذوا يميناً وان اخذت شمالاً اخذوا شمالاً • والى ذلك يشير امرؤ القيس بقوله

وقد اغتدي والطير في وكناتها　　　بمنجردٍ قيد الاوابد هيكلِ

وكانوا يسمون الطائر الآخذ من اليسار الى اليمين سانحاً والآخذ من اليمين الى اليسار بارحاً • وربما تشاءموا او تفاءلوا لظهور طائر بصرف النظر عن وجهة طيرانه • وأكثر التشاؤم بالغراب واضافوه الى البين فقالوا غراب البين وزعموا ان منه الغربة والاغتراب ولهم في ذلك اشعار لا تحصى في الجاهلية والاسلام فمن ذلك قول ابي الاسود الدؤلي وفيه ما يشير الى انكار ذلك المعتقد

زعم العواذل ان فرقتنا غداً　　　وبذاك انبأنا الغراب الاسودُ

وأكثر التفاؤل بطير القارية وهو طائر قليل الانتشار في باديتهم قصير الرجلين طويل المنقار اخضر الظهر يستبشرون برؤيته للمطر كأنه رسول الغيث وقد يتيمنون به لقضاء الحاجات

ولكن الشعراء تلاعبوا في هذه المزاعم وامثالها واشتقوا لكل طائر من اسمه ما يدل على الخير او الشر فاذا شاء الشاعر جعل العقاب عقبى خير وان شاء جعله عقبى شر • وان شاء جعل الحمام حِماماً أي موتاً وان شاء قال حُمَّ اللقاء وهلمَّ

فإنْ تكنْ قلتَ ماقد قلتَ عن ثقةٍ لاشكَّ رُشدُكَ أبناءُ العلى سلبوا
لأنتَ أولى برايٍ أصوبٍ فعلا م رُمتَ أني قضايا زفسَ أجتنبُ
تلكَ القضايا التي بلّغتُها سلفاً مُذْ مالَ بالرأسِ إعلاناً لنصرتهِ

أرُمتَ أني أُطيعُ الطيرَ إنْ رَمحتْ سيّانِ تعلمُ عندي كيفما سَرحتْ
لِمطلعِ الشمسِ عن يُمناي إنْ سَنحتْ او يَسرتي لدياجي الغربِ إنْ برحتْ
فلا نُطيعنَّ إلاّ مَنْ أطاعَ جميعُ الْ جنِّ والإنسِ والدُّنيا بهِ انتصحتْ
وليسَ لِلمرءِ من فألٍ يدينُ لهُ خيرٍ منَ الذَّودِ عنْ أوطانِ نشأتهِ (١)

جرّاً • وقد يختلط على الرواة كثير من مقاصد الشعراء بطول العهد او لاختلاف في الرواية • فمن هؤلاء الرواة من زعم مثلاً ان الاخيل وهو الشقرّاق طائر شؤم اذا وقع على بعير يشسوا منه وان كان سالماً واذا لقيه المسافر تطير واستشهدوا بيت الفرزدق القائل لناقته قَطَن

اذا قَطنٌ بلغتنيه ابن مدركٍ • فلاقيت من طير العراقيب أخيلا

فقالوا ان العرب تسمي كل طائر تتطير منه الابل طير العراقيب لانه يعرقبها • ومثل ذلك قول اعرابي

ذريني وعلمي بالامور وشيمتي فما طائري فيها عليك بأخيلا

ومنهم من استشهد ببيت الفرزدق هذا لعكس المعنى واورده ببعض خلاف وهو

اذا قطنٌ بلغتنيه ابن مدرك فلاقيت من طير الاخائل اخيلا

وقال انه يدعو لناقته بان تلاقي هذا الطائر المبارك اذا بلغته ابن مدرك (انظر المطالعة التالية)

(١) علمت مما تقدم مذهبهم في التسعد والتشاؤم • وفي قول هكطور الآن ما يدلك على ان الاخذ بذلك المذهب لم يكن من مفروضات الاعتقاد الديني والا لما جاهر هكطور بنبذه وهو من اشد القوم استمساكاً باذيال دينه

عَلامَ تَخْشى الوَغى جُبْناً وتَضطَرِبُ　　وأَنتَ في الأَمْنِ لن يَنتابكَ العطَبُ
فَلستَ بالقرم يأتي مَوقِفاً حَرِجاً　　حتّى ولو جملةً أَجنادُنا نُكبوا [1]
لكنْ إذا ما اعتزلتَ الحربَ مجتنِباً　　أَو ما بنُصحِكَ رُمْتَ الجُندَ تجتنِبُ
واغترَّ مِن قَومِنا فَرْدٌ لقولكَ ذا　　فاعلَمْ فروحُكَ في رُمحي وطَعنتِهِ» [2]

ولم يعدم الناس في كل عصر قيام افراد يفندون خرافاتهم ويندِّدون بها فقد روي عن شيشرون الخطيب الروماني انه وضع كتاباً مخصوصاً في تسفيه مزاعم العافة مع انه كان بنفسه عائفاً ومن هذا القبيل قول لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى　　ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

وطرق الحصى ضربٌ آخر من التكهن عند العرب . ومثله قول طرفة بن العبد:

اذا ما اردت الامر فامض لوجهه　　وخلِّ الهوينا جانباً متنائيا
ولا يمنعنك الطير مما اردته　　فقد خط في الالواح ما كنت لاقيا

والى مثل ذلك يشير ابو تمام في قصيدته التي التزم بها الرد على المتجمين اذ يقول :

اين الرواية بل اين النجوم وما　　صاغوه من زخرف فيها ومن كذبِ
تخرصاً واحاديثاً ملفقةً　　ليست بنبعٍ اذا عدّت ولا غربِ

(١) يرمي هكطور فوليداماس بالجبن ويعنفه على ما قال ويقول له تهكماً انه بمأمن من القتل لانه لا يعرض نفسه لمواقف المهالك. وليس من المغاوير المعدودين تتأثره المنايا في الحرب على حد قول العبسي

وأما القائلون قتيلُ حربٍ　　فذلك مصرع البطل الجليدِ

(٢) رأينا فوليداماس في اوائل هذا النشيد يرتأي الرأي الحسن بترجل الجند واستبقاء المركبات لدى ساسة الخيل فيأتمر الجميع بأمره حتى هكطور ولا يشذ عنه آلا ريسوس لحماقة كانت برأسه . وانا لنراه هنا يرتأي رأياً آخر تسوقه اليه بثه حكمته وسابق خبرته فينثني اليه هكطور مقرعاً تقريعاً عنيفاً بخطاب تشف كل كلمة منه عن جذوة نار ملتهبة في صدره تحرقه للبطش بالاعداء وقد انس من قومهم وهناً وفتوراً

وكرَّ والجيشُ طرًّا إثرهُ حملا | وزفسُ من طور إيذا ريحهُ حملا
هبَّت بعثيرها من فوقهم ومضت | تذروهُ فوق العدى توليهم الوجلا[1]
فتلك من فضلِ زفسٍ نصرةً وثقوا | بها وفي بأسهم واستقبلوا القللا[2]
فهدَّموها وأطراف الوشيع رموا | والمعقل ابتدروا ثغرًا لثغرته

وزعزعوا الصخر أركانٍ بدت عمدا | من تحت أبراجهِ قامت لها سندا
وشدَّدوا العزم في استئصالها أملاً | بمنفذٍ منهُ يؤتون العدى الشددا
لكنَّما عسكر الإغريق ظلَّ على | أبراجهِ مستجيش العزم مجتهدا
مدَّت يلامقهم حصنًا يذود به | يرمي العداة الأولى آلوا بجذلته[3]

ورمى رفيقه فوليداماس بالعجز وهو يعلم انه من اشد الابطال وكذَّبه بتفسير الفال وهو يعلم انه أطول باعاً منه في تلك التآويل ولجأ اقناعاً للجند بفساد تفسير فوليداماس الى تذكيرهم بانه وافاه البلاغ اليقين من زفس بالنصر المبين فلا محل بعد ذلك للتفاؤل بسانح او التشاؤم ببارح • ولولم يشتد تلك الشدة على فوليداماس ويوطد ماله من الهيبة والنفوذ لانحلت عزائم الجيش بعد ماسمعوه من بطل مغوار يعتقدون به الحكمة والبأس • كل ذلك من بديع تصرف الشاعر فانه انبأ بما سيكون من وجه وأوضح من وجه آخر ما يسعّر صدر هكطور من البأس الذي لا يرده مرد

(١) لو قال الشاعر اصطلى الاوار وتعالى الغبار لافاد المراد ونطق بحقيقة لابد منها بتصادم جيشين ولكن ابت بلاغته كجاري عادته الا ان يفرغ الكلام بقالب شعري تمكيناً لوقعه في النفوس فقال ان زفس هو الذي نثر ذلك العثير وابرز ذلك المظهر الرهيب

(٢) أي قلل السور

(٣) جعل هوميروس حصون الاغريق يلامقهم اي تروسهم وابلغ من ذلك

آياسُ يجري وآياسٌ على القُلَلِ يَستنهضانِ السُّرى بالقولِ والعملِ
طَوراً بلينِ حديثٍ للأُولى اعتزلوا وتارةً بملامِ الفارسِ الوَجِلِ:
«يا أوّلَ الصيدِ أبطالاً وثانيهمْ بأساً ومن لم يُخوَّلْ قوّةَ البطلِ
لم يُمنحِ الكلُّ بأساً واحداً ولكمْ في يومنا الذَّودُ كلٌّ جهدَ طاقتهِ

عرفتمُ ضيقَ هذا الموقفِ الحرجِ لا تلتوُنَّ بقلبٍ هدَّ مختلجِ
لا يصدعنّكمُ قرمٌ يسوقكمُ إلى سفينكمُ في خائرِ المُهجِ
بل شدّدوا بعضُكمْ بعضاً ولا تهنوا لعلَّ زفسَ منيلُ النصرِ والفرجِ
بهِ نُذلُّ عدوّاً قد ألمَّ بنا يُصمى ويُذبحُ حتّى بابِ بلدتهِ»

فهاجَ قولُهما الأجنادَ فاعتصبوا وماجَ من فوقِ ذاكَ المعقلِ اللَّجِبُ
حجارةٌ من كلا الصوّينِ طائرةٌ في الجوِّ في موقفِ الجيشينِ تنسكبُ
كأنَّ يومَ شتاءٍ زفسُ كانَ لهُ بالقُرِّ فيهِ على كيدِ الورى أربُ
فتسكنُ الريحُ والثلجُ الكثيفُ على وجهِ الثرى صبباً هامٍ بوفرتهِ

يهمي فيسترُ وجهَ السهلِ والجبلا والمرجَ والزرعَ والأريافَ والسُّبُلا

جعل المعاقل من الرماح والسيوف كقول لبيد:

معاقلنا التي نأوي اليهـا بنات الاعوجية والسيوفُ

وقد جمع ربيعة بن مقروم المعنيين بقوله:

وثغـر مخوف اقمنا به يهاب به غـيرنا ان يقيما
جعلنا السيوف به والرماحَ معاقلنا والحديد النظيما

والثَّغرَ حيثُ زُعابُ الموجِ يَمحقُهُ　　وسائرُ الأرضِ منهُ أُلبِستْ حُللا
لكِنَّ هكطورَ والطُّرّادَ ما ظفرُوا　　بالسُّورِ والبابُ بالمِزلاجِ قد قُفِلا
إلاَّ بهمّةِ سَرْفيدُونَ هيَّجهُ　　أبوهُ زَفسُ ببادي بأسِ همَّتِهِ

جرى كَليثٍ على سِرْبِ الثيارِ جرى　　أمامهُ مجُوبٌ فُولاذُهُ بهرا
مؤَلَّقٌ مُستديرٌ دَقَّ صانعهُ　　قتيرهُ دقَّ حذقٍ يُدْهشُ البصَرا
مُبطَّنٌ بجلُودِ الثَّورِ دارَ على　　أطرافهِ قُضُبٌ من عسجدٍ نُشِرا
بهِ مشى بيديهِ عاملانِ مضى　　عُجْباً يهزُّهما أثناءَ مشيتِهِ (١)

كضيغمٍ بينَ شمِّ الرَّاسياتِ رُبي　　وبرَّحتْ بحشاهُ آفةُ السغَبِ
ينقَضُّ حتَّى مباني النَّاسِ مبتغياً　　فريسةً بفؤادٍ غيرِ مُضطربِ
لا ينثني لِكلابِ الحيِّ إنْ نبحتْ　　أمْ بادرتْهُ رُعاةُ القومِ بالقُضُبِ
وليسَ يرجعُ إلاَّ نائلاً وطرَا　　أو هالكاً بقناهمْ قبلَ عودَتِهِ

وهكذا انقضَّ سَرْفيدُونُ مُمتحنا　　خرقَ المراقبِ والسُّورِ الذي حصُنا (٢)
فقالَ لابنِ هفُولُوخٍ : «علامَ تُرى　　في ليقيا كانَ صدرَ القومِ مجلسُنا
والكأسُ تترعُ واللحمُ السَّمينُ لنا　　والنَّاسُ مثلَ بني العليا تُبجِّلُنا

---

(١) كلما اراد الشاعر ان يهيء بطلاً لعمل خطير يشرع في تنبيه المطالع فيصفه وصفاً فخماً ليصدق عليه ما يلي من المقال وهذا سرفيدون الذي يصدر لبراز فطرقل لابد ان يكون من صفوة الفرسان ولهذا نبهنا الشاعر اليه بمقال مخصوص

(٢) المراقب قلل السور

عَلامَ في ثغرِ زَنثٍ أَرْضُنا اتَّسعَتْ والكَرْمُ والزَّرْعُ يُسقَى مِلْءَ حاجَتِهِ

فلا يَسُوغُ لَنا إلاَّ التَّربُّصُ في صَدْرِ السُّرى حيثُ نُلْنا مُنْتَهى الشَّرَفِ [1]
حتَّى كتائبُنا تَعْتَزُّ قائلَةً : «نِعمَ المُلوكُ عَلَوا عن حِطَّةِ الضَّعَفِ
«فليَهْنَأُوا بِسَمِينِ اللَّحْمِ مَا أَكَلوا والرَّاحِ إِذْ وَقَفُوا في مَوْقِفِ التَّلَفِ»
وهَلْ تُرى لو أَبَينا الكَرَّ نُنْقَذُ مِنْ وَخْطِ المَشيبِ ومَوْتٍ بَعدَ وَخْطَتِهِ

لَو كانَ ذاعَفْتُ شَرَّ الحَرْبِ والحَرَبِ وما بَغَيْتُكَ في ذا المأْقِطِ اللَّجِبِ [2]
لكنَّما الموتُ منهُ لا مَناصَ وقَدْ يأْتي بأَيِّ سَبيلٍ كانَ أَو سَبَبِ [3]

(١) هذا المعنى كثير الورود في حماسيات العرب وهو مكرر كثيراً في شعر عنترة كقوله :

اذ لا أبادر في المضيق فوارسي حتى أوكّل بالرعيل الاول

وقوله : واكرّ فيهم في لهيب شعاعها واكون اول وافد يصلاها
واكون اول ضارب بمهنــدٍ يفري الجماجم لا يريد سواها
واكون اول فارس يغشى الوغى فاقود اول فارس يغشاها

وابلغ منه قول الاعشى :

واذا تجيء كتيبةٌ ملمومةٌ يخشى الكماة الدارعون نزالهـا
كنت المقدّم غير لابس جنة بالسيف يضرب معلماً ابطالهـا

(٢) وهذا من المعاني المطروقة كثيراً في الشعر كقول زهير :

ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ ولو رام اسباب السماء بسلمِ

وقول عنترة :

وعرفت ان منيتي ان تأتني لاينجني منها الفرار الاسرعُ

وقول ابي فراس الحمداني :

اذا لم يكن ينجي الفرار من الردى على حالة فالصبر ارجى واكرمُ

(٣) كقولهم :

فلنقدمنَّ فإنَّ المجدَ راقبنا أوراقبٌ من سقانا غصةَ النوَبِ » (١)

لبَّى غلوكسُ لا يرتاعُ مطلبَهُ وكرَّ تتبعهُ أبطالُ امتهِ

فهالَ مرآهما مينستساً وهما هَمّا إلى برجهِ بالعزمِ واقتحما

فسرَّح الطرفَ حولَ السورِ مبتغياً قرماً يرومُ بهِ عوناً يصدُّهما

ألفى الأياسينِ لا يضويهما تعبٌ قد بارحَ الخيمَ طفقيرُ يرومهما

ولم يكنْ من سبيلٍ للنداءِ على ما اشتدَّ من لغبٍ يُصمي بضجتهِ

حيثُ الطراودُ قد ثاروا بمعتركِ يبغونَ إدراكَ دكِّ السورِ للدَّركِ

وفي اليلامقِ والبيضِ المعذبِ والأ بوابِ قرعٌ دوى في قبةِ الفلكِ (٢)

فصاحَ مينستسٌ بالفيجِ ثوطسٍ وقالَ : « طرْ بمقالي غيرَ مرتبكِ

وادعُ الأياسينِ أو مهما بدا لهما فليأتِ آياسُ يرفدني بنجدتهِ (٣)

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الاسباب والموت واحدُ

(١) ان في خطاب سرفيدون لغلوكوس لانفةً وعظمة تنبه اليهما اكثر الشراح قالوا انه لما كانت الملوك قواداً للجيش في ذلك الزمان كان من المفروض عليهم ان يعرضوا انفسهم الى المخاطر ويستنهضوا الهمم باستقبال العدو في صدر الفيالق وفاءً بما ينالونه من رعايتهم واكرامهم • وهكذا فقد قال سرفيدون يعظمنا قومنا تعظيم الآلهة فعارٌ علينا ان نتصرف تصرف البشر بل علينا ان نتفوق عليهم فنفضلهم بهمتنا وفضيلتنا كما فضلناهم بمقامنا وهو كلام يتضمن اباء نفس مافوقه اباء وينطوي تحته العدل والوفاء وهكذا فالعدل لمقابلة المثل بالمثل والوفاء لمقابلة رعاية الرعية لولي امرها بالاكرام والانفة لازدراء الموت والتهالك في سبيل المجد

(٢) البيض المعذب اي الخوذ ذوات العذبات

(٣) حيثما ورد ذكر اياس وحده فهو يفيد اياس الكبير ابن تيلامون

والرَّأيُ هذا فعِندي موقفُ الخَطَرِ	وقومُ لِيقيَةَ انقضُّوا على أثَري
وإن يكُنْ جَلَّ وَقعُ الخطبِ عِندَهُما	فليأتني ابنُ تلامونٍ أبو الظَّفَرِ
وَليأتِ طِفقيرُ رَبُّ القوسِ يصحبُهُ»	فأسرعَ الفيجُ يُنمي صحةَ الخبَرِ
قالَ: «ابنُ فيتيسٍ حيناً يرُومُكما	كِليكما فأجيباهُ لِدعوَتِهِ

والرَّأيُ ذا فلديهِ موقفُ الخَطَرِ	إذْ قومُ لِيقيَةَ انقضُّوا على الأثرِ
وإن يَكُنْ جَلَّ وَقعُ الخَطبِ عِندَكُما	فليأتهِ ابنُ تلامونٍ أبو الظَّفَرِ
وليأتِ طِفقيرُ رَبُّ القوسِ يصحبُهُ»	لبَّى كبيرُهُما يجري بلا حَذَرِ
ومالَ نحوَ ابنِ ويلوسٍ يُشدِّدُهُ	لِيُحسنَ الذَّودَ فيهم حينَ غَيبتِهِ:[1]

«قِفْ يا أياسُ وفوليميذُ لا تَهِنا	وحرِّضا الجُندَ لا تأبَ الوغى جُبُنا
أمضي فأبلو بأعداءٍ هُناكَ عَتَوا	وإن دفعتُهمُ دفعاً رجعتُ هُنا
وسارَ يصحبُ طِفقيرَ الفتى معَهُ	أخاهُ وابنَ أبيهِ النّابلَ الفَطِنا
كذلكَ الشَّهمُ فنديونُ متَّبعٌ	وراءَ طِفقيرَ يجري في حَنيَّتِهِ[2]

مِن داخلِ السُّورِ أمُّوهُ وما برِحا	في بُرجِهِ فإذا بالأمرِ قد فَدَحا
وقومُ لِيقيَةٍ مثلَ العواصفِ قد	تسلَّقوا بوَحىً يشتدُّ أيَّ وَحى

---

(١) ابن ويلوس اياس الصغير

(٢) الحنية القوس أي قوس طفقير — قد استنجد مينستس باياس وطفقير لان الاول ابسلهم وطفقير ارماهم فذلك للقرب وهذا للبعد

فَقَلَّ آياسُ صخرًا هائِلاً وعلى أَفِكْلِسٍ خلِّ سَرْفِيذُونِهِم طَرَحا
جُلْمُودَةٌ مِن رجالِ العصرِ مارفعتْ يَدا فتىً رَبِّ بأْسٍ في شَبيبَتِهِ

فذلكَ الصخرَ مِن ضمنِ الوشيعِ رفعْ رَحاهُ ثُمَّ على رأْسِ العدوِّ دفعْ
فَدَقَّ هامتَهُ مِن تحتِ خُوذَتِهِ فغائِصاً من على البُرْجِ المَتينِ وَقَعْ
كذاكَ أبصرَ طِفقيرُ غلَوْكُسَ قد رامَ التَّسَلُّقَ مُشتدَّ القُوى وطَلَعْ
وقد بدتْ يدُهُ البيضاءُ عاريَةً فأرسلَ السهمَ يَعزُوها برَميَتِهِ

فَشَبَّ للأرضِ واهي العزمِ يستترُ كي لا يرى الجُرحَ أعداهُ ويفتخِرُوا
فأثقلَ الغمُّ سَرْفيذونَ حينَ رأى . مَنأَهُ لكنَّهُ ما نالهُ الضجَرُ
وألقماوُونَ تسطُورٍ أصابَ فلَمْ يقِفْ وعاجلَهُ بالرُّمحِ يبتدِرُ
واجْتَرَّ عامِلَهُ مِن صدرِهِ فهوى يَصِلُّ فُولاذُهُ مِن فوقِ جُثَّتِهِ

مِن ثَمَّ بينَ يديهِ مُمسِكاً جذَبا إحدى دعائمِ سطحِ السورِ فاضطربا
واسقطتْ من أعالي الحصنِ وانكشفتْ عن منفذٍ لبني طُرْوادةٍ رَحُبا
فانقضَّ آياسُ يبغيهِ وبادرَهُ طفقيرُ يرمي بسهمٍ فيهِ ما نَشِبا
حِزامَ جُنَّتِهِ الكبرى أصابَ فلَمْ يَنفُذْ وزفسُ تلافاهُ بقُدرَتِهِ [1]

لَم يَرضَ موتَ ابنِهِ قُربَ السفينِ ولا نَكالَهُ وأياسُ ثارَ مُشتَمِلا

(١) الجنة الترس

وكرَّ يطعنُ والرمحُ الحديدُ مضى | في ترسهِ وإلى الأعضاء ما وصلا
فصدَّ يرجعُ سرفيدونُ بعضَ خطى | عن خطةِ السورِ لكن لم يهن وجلا
بل ظلَّ يأملُ نصراً وانثنى عجلا | يصيحُ في من تلاهُ من عشيرتهِ :

« يا قومَ ليقيةٍ هل خارَ عزمكمُ | فقد فتحتُ سبيلاً في وجوهكمُ
وهل تيسَّرَ لي ما صلتُ منفردا | أُمهدُ السبلَ للأشراعِ دونكمُ [1]
هيُّوا اتبعوني فخيرُ الأمرِ ما اجتمعتْ | على تطلُّبهِ القوَّاتُ تأتمُّ »
فجملةً وجلوا من عذلِ مالكهم | وفازَ فائزهمْ من حولِ فورتهِ

والدانويونَ قد ضمُّوا كتائبهمْ | من داخلِ السورِ لا يلوونَ غاربهمْ
فما همُ دافعو أعدائهمْ صبباً | عن ثغرةٍ جعلوا فيها مضاربهمْ
ولا أولئكَ منهمْ نائلو وطرٍ | ولا سبيلٍ ليحتلُّوا مراكبهمْ
وليسَ يفصلهمْ إلاَّ الفواصلُ في الـ | ـسورِ الذي اشتبكوا من حولِ فرجتهِ

كزارعينِ بحقلٍ بعدُ ما قسما | تنازعا كلَّ شبرٍ في حدودهما
ولا يظلاَّنِ في جهدٍ وفي عملٍ | حتى يوازنهُ المقياسُ بينهما [2]
كذا تعادلتِ القوَّاتُ يسربُ من | كلا الفريقينِ سيَّالاً نجيعهما

(١) أي انني مهما اشتددت بأساً فيستحيل عليَّ وجدي تمهيد السبيل الى السفن امامكم

(٢) حسبنا استلفات نظر المطالع اللبيب الى صحة هذا التشبيه وصدقه على جيشين متلاحمين لا يبلغ احدهما من الآخر أرباً

كَم جُنَّةٍ سُحِقَتْ في صَدْرِ حاملِها　　ولأْمةٍ خُرِقَتْ مِن تحتِ جُنَّتِهِ

وكَم فَتًى مُدْبِرٍ قد بانَ كاهلُهُ　　فالسَّهْمُ واصِلُهُ والرُّمْحُ قاتِلُهُ (١)
وما اُستَطاعَ بَنُو الطُّرْوادِ صدَّهُمُ　　بَلِ اُستَوى في مجالِ الفَتْكِ هائلُهُ
كَمَرْأَةٍ عالَتِ الأَطفالَ عادِلَةٍ　　قد أمسَكَتْ عُودَ مِيزانٍ تُعادِلُهُ
لاتُخْسِرُ الصُّوفَ مِثقالاً تَضِنُّ بِهِ　　عَنِ العِيارِ الذي أَلْقَتْ بِكَفَّتِهِ (٢)

لٰكِنَّ زَفْسَ ذُرَى المَجْدِ الرَّفِيعِ ذَخَرْ　　لِهَكْطُرٍ فإلى الحِصْنِ المَنيعِ عَبَرْ
فَكَرَّ أَوَّلَهُمْ كَرًّا يَصِيحُ بِهِمْ :　　«إِيهٍ فَكُرُّوا بَني الطُّرْوادِ خَيْرَ مَكَرّْ
والسُّورَ فَاخْتَرِقُوا والنَّارَ مُضْرَمَةً　　أَلْقُوا فلا تُبْقِ من أُسطولِهِمْ وتَذَرْ»
فَهاجَتِ النَّفْسُ والسُّورَ المَنيعَ رَمَوْا　　يَهُزُّ كُلُّ فَتًى رُمْحاً بِراحَتِهِ

وَهَكْطُرٌ حَجَرًا في البابِ قد ثَقُلا　　مُحَدَّدَ الرَّأْسِ ضَخْمٌ قَعْرُهُ حَمَلا
جُلْمُودُ صَخْرٍ اذا ما رامَ يَحْمِلُهُ　　قَرْمانِ من خيرِ ما في عصرِنا رَجُلا
ما بَلَغا رَفْعَهُ إلا بِجُهْدِهِما　　مِن صَفْحَةِ الأَرْضِ حتى يَبْلُغَ العَجَلا

(١) الجنة الترس واللأمة الدرع — قال أبو الطيب:

كم مقلة ولغت فيها اسنتهُ　　ومهجة ولجت فيها بواترهُ
وحائن لعبت سمر الرماح به　　فالعيش هاجره والنسر زائرهُ

(٢) قال افستاثيوس كان من المأثور عند القدماء ان الشاعر انما اتى بهذا التشبيه تخليداً لذكر والدته واعلاناً لحرصها على الصدق والعدل لانها كانت ارملة تكدّ وتجد لتعول نفسها بعرق جبينها وهو تشبيه بالغ في العدل لانه ما من شيء يوضح

لٰكِنَّ هكطورَ يرحوهُ بغيرِ عنـاً إِذْ زفسُ أذهبَ عنهُ كلَّ ثقلته[1]

نظيرَ جزَّةِ كبشٍ خفَّ محملُها هيهاتِ في راحةِ الرَّاعي تثقلها
كذاكَ صخرتُهُ هكطورُ محتدماً عنفاً رماها لصفقِ البابِ يرسلُها[2]
قد أحكموا قفلَ مصراعيهِ إذ رُتجا حتَّى يعزَّ على الأعداءِ مدخلُها
وقد تعارضَ قفلاهُ ووسطهما ثقبٌ تخلَّلَ مزلاجٌ بفرضتهِ

فهكطرٌ مذ أتاهُ أثبتَ القدما مفرَّجاً بينَ ساقيهِ رحا ورمى
فراحَ ما بينَ صفقيهِ وقد سحقَ الـ قفلينِ ينفذُ والصفقانِ قد حطما
والرَّزتانِ استطارتْ قائماتُهما والبابُ يصرفُ من عنفٍ به صدما
فانقضَّ هكطورُ بالفولاذِ متشحاً كالليلِ يذعرُ ذعراً في دجنَّتهِ

يهزُّ بينَ يديهِ عامليهِ ولا يصدُّهُ غيرُ ربٍّ عندما حملا
واجتازَ وثباً وعيناهُ شرارهُما وارٍ والتفتَ يدعو قومهُ عجلا
تلوهُ ما بينَ عادٍ قد تسلَّقَ أو في البابِ جارٍ لداوي الصوتِ ممتثلا
والأرغسيونَ للأسطولِ قد لجأوا في مأزقٍ ضاقَ مشتدٍّ بأزمتهِ

القسط كالقسطاس وابلغ من ذلك انه لم يجعله بيد ذات ثروة ومقام لانها في الغالب لاتكون ميالة الى تمام التوازن ولا بيد أمة مملوكة لانها لاتكون حريصة على ذلك الانصاف ولكن بيد امرأة فقيرة تكد لتعيش بالستر والحلال فهي لاتغش ولا تُغش فتحرر ميزانها تحرير الصادق المتيقظ

(١) لنا هنا شاهد آخر على أثرة الشاعر لقومه فان الحجر الذي رفعه اياس انما رفعه بقوة ذراعيه وهذا حجر هكطور لايتسنى له رفعه الا بعون زفس

(٢) صفق الباب مصراعه

النشيد الثالث عشر

الواقعة الرابعة

مُجْمَلُهُ

دفع زفس هكطور وأنصاره الى الثغر فاشتد الكفاح

وغادرهم في لظى ناره　　وحوّل وقّاد أبصاره

فعتك الطرواد بالاغريق وهاجت العاطفة فوسيذ فهمّ خفيةً عن زفس بمعاونة الاغريق فاتخذ هيئة كلخاس العرّاف واستنهض همة الآياسين ونفراً من المقاتلة. فالتف الاغريق حول آياس بن تيلامون وقاتلوا قتالاً مرًّا فصدوا هكطور واتباعه فجرح هكطور ودفع عن مرسى السفن بعد ان قتل امفيماخوس. وامتعض فوسيذ لموت هذا البطل فهب مرة أخرى وتمثل لايذومين بهيئة ثواس وألهب ابه فشك في سلاحه وسار بمريون حوذيه الى ميسرة الجيش وظل الاياسان في القلب فاصطدم الجيشان وخرت القتلى أفواجاً وزفس منحرف الى الطرواد وفوسيذ الى الاغريق. وكان ذلك اليوم يوم ايذومين فبرز ببسالة أحرزبها قصب السبق وجندل الابطال وهزم الاقيال وكادت ترجح كفة النصر للاغريق فثبت هكطور بموقفه وتألبت عليه الاعداء فلم تفز منه بطائل. وزحف عليه الاياسان بجيشهما وانهالت النبال كالمطر على الطرواد حتى كادوا ينهزمون. فأشار فوليداماس بجمع الزعماء للوقوف على رأيهم فيما اذا كان الاولى لهم ان يتقهقروا أو يتصبروا فخاض هكطور الصفوف وعنف أخاه فاريس ثم انقضا معاً انقضاض الاسود فلم يظفرا بخرق كتائب الاغريق فالتقى الجيشان

وعجُّ الخميسين شق الفضا　　الى حيث في الجوّ زفس اضا

مجرى وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين أيضاً ومشهدها بين معقل الاغريق والساحل

النشيد الثالث عشر

إلى الثَّغرِ هكطورَ زفسُ دفعْ وأَنصارَهُ والكفاحُ صَدَعْ
وَغادَرَهُمْ في لظى نارهِ وحَوَّلَ وَقادَ أَبصارهِ
لإثراقةِ أرضِ خيرِ الجيادِ ومِيْسَة مَهْدِ قُرُومِ الجلادِ
وَنحوَ الإفوملغِ أهلِ الفطنْ أُباةِ النفوسِ غذاةِ اللبنْ (١)
وَنحوَ الأَبِيِّينَ رهطِ الكمالْ وعَنْ حُصْنِ إليونَ صدَّ ومالْ
وَما كانَ يخطرُ في بالهِ بأَنَّ بني الخُلْدِ مِنْ آلهِ
يثورُ بهم أحدٌ ويقومُ لنُصْرةِ أيِّ فريقٍ يرومُ
وَلكنْ مُزعزِعُ رُكنِ الثَّرى فسيذُ جميعِ البلا أَبصرا
لقدْ كانَ شتَّ عُبابَ البحارِ وأَقبَلَ يرقُبُ حرَّ الأوارِ
وَأمَّ سمثراقَ أُمَّ الشَّجرْ لأَشمخِ طودٍ بها وَاستقرْ

(١) الافوملغة قبيلة من السكيثيين كان معظم غذائهم لبن الخيل وكانت مواطنهم على رواية اسطرابون في شمالي أوروبا — تضاربت الاقوال في تحويل انظار زفس عن مواقف القتال فمن قائل انه انما حوَّل نظره عن الطرواد ايذاناً بنصرة الاغريق ومن قائل عكس هذا القول . على اننا لا نرى سبيلاً لكل هذا التأويل فان الشاعر يمثل بزفس عظمة الخالق فيجدر به اذاً حيناً بعد حين ان ينظر الى امم اخرى كما رأيناه فيما سلف شخص الى الاثيوبيين وغادر المتحاربين وشأنهم اذ لا يعسر على مدبر الاكوان ان يتطلع الى أحوال الخلق في آن واحد على حد قول الشاعر

ليس على الله بمستنكرٍ ان يجمع العالم في واحدِ

فَلاحَتْ لهُ كُلُّ إِيْذا وَأَبْصرْ سَفِينَ البحارِ وإِلْيونَ والبَرْ
وَأَحْدَقَ مُسْتَعْجِباً وَهْوَعابسْ وَشقَّ عليهِ نَكالُ الأَراغسْ
فَهَبَّ مِنَ القِمَّةِ الوَعِرَهْ بنَفْسٍ على زَفْسَ مُسْتَعِرَهْ
وَتحْتَ خُطاهُ ارْتجاجٌ شَديدْ لهُ الشُّمُّ والغابُ طرّاً تَميدْ (١)
ثلاثاً خطا في الذُّرى الشاسعَهْ فأَدْرَكَ إِيغاسَ في الرَّابعَهْ (٢)
هُنالكَ شِيدَتْ صُرُوحُ النُّضارِ لهُ خالداتٍ بقَعْرِ البحارِ
فَشَدَّ لِشائِقِ مَرْكبَتِهْ جياداً تَطيرُ بمَرْحلَتِهْ
حَوافِرُها ذُكْرَةٌ تلمعُ وَعَسْجَدُ أَعْرافِها يَسْطَعُ
وحَلَّ بإِبْرِيزِ شِكَّتِهِ وَسَوطُ النُّضارِ بِسُدَّتِهِ
فَراحتْ بِقلبِ العُبابِ تَلِجْ لها اليَمُّ مُبْتهِجاً يَنْفَرِجْ
وخالقُ البحارِ وَقَدْ شعَرا بوَطْأَةِ مَوْلاهُ إِذْ عَبَرا

---

(١) في التوراة : اللهمَّ عند خروجك قدام شعبك عند بروزك في القفر سلاه رجفت الارض قطرت السماء من وجه الله سيناء من وجه الله اله اسرائيل (مز ٦٧)

(٢) ايغاس هذه كانت على رواية اسطرابون جزيرة وعرة بين تينوس وصاقس وكان فيها هيكل لفوسيذ الاه البحر – يتصور المطالع هيبة فوسيذ بارتجاج الغاب والجبال تحت قدميه وسيزيد ذلك هيبةً ما سيأتي من وصفه ووصف مركبته وهي تشق قلب العباب والحيتان تتواثب من حولها جذلاً به الى آخر ما ستري مما يغني عن البيان . وان وثوبه من اعلى قمم سمثراقة الى ايغاس بثلاث خطوات يذكرنا بما جاء عندنا من الاثر عن خطوات أبينا آدم اذ كان يجتاز من عدن الى سرنديب خطوة واحدة او كما قال الثعلبي في قصص الانبياء : ان خطوته كانت مسير ثلاثة ايام

مِنَ القَعْرِ حيتانهُ تَثِبُ ... لِمَرْآهُ يأخُذُها الطَّرَبُ

فَطارَتْ بِجِذْعٍ بها اتَّصَلا ... وَما سِيمَ فُولاذُهُ بَلَلا

سِراعاً بها خَيلُها رامِحاتْ ... لِتُبلغَهُ السُّفُنَ الرّاسِياتْ

وفي اللُّجِّ ما بَينَ تِينِيذُسِ ... وذاتِ الجَلاميدِ أَمْبَرُسِ

تَوَسَّطَ مِنْ تَحْتِ ذاكَ الطَّرِيقْ ... على البَحْرِ في القَعْرِ كَهْفٌ عَميقْ

هُنالِكَ أَوقَفَها ثُمَّ حَلاَّ ... ومَدَّ لها عَلَفَ الخُلْدِ حِلاَّ

وقَيَّدَها ذَهَباً يَبْهَرُ ... فَلَيسَ يُحَلُّ ولا يُكسَرُ [1]

لِتَلْبَثَ ثَمَّ لَهُ بِانْتِظارْ ... ونَحوَ الأَغارِقِ بالنَّفْسِ سارْ [2]

فَأَلفى الطَّرَاوِدَ قد هَرَعُوا ... على إِثْرِ هَكْطُورَ وانْدَفَعُوا

بِصَوْتٍ جَهِيرٍ وقَلْبٍ يَفُورْ ... كَنارٍ تَثُورُ ونَوْءٍ يَدُورْ

يَرُومُونَ أَخْذَ الأَساطِيلِ قَهْرا ... وَذَبْحَ الأَخاءَةِ ثَمَّةَ طُرّا

ولٰكِنَّ فُوسِيذَ مَنْ قَبَضا ... على الأَرضِ مِنْ فَوْرِهِ اعْتَرَضا

---

(١) الخيل الطيارة كثيرة في اساطير الامم وعندنا في اقاصيص الف ليلة وليلة من غرائب سرعة الفرس السحري مالا يقصر عن خيل الاه البحار بل ربما يربو عليه بان فرسنا لا يشعر بحاجة الطعام والشراب وليس له قيد يقيد به ولعل صاحب الف ليلة وليلة قرأ او سمع شيئاً من انشاد الالياذة فافرغها لنا بقالب يشبه ان يكون جديداً

(٢) لا أرى الباعث على اتخاذ فوسيذ ذلك الطريق للحلول ما بين جيش الاغريق الا ان يكون الشاعر قصد ان يزين شعره بتلك التصورات البديعة التي ترتاح اليها نفس السامع ولا سيما في عصر كعصره كان الناس فيه اقرب الى التشوف الى تلك الغرائب والا فما كان على فوسيذ الا ان يخطو خطوة خامسة فيحل حيث شاء

مِنَ اليمِّ أَمَّ الأَراغِسَ رِفقا فماثَلَ كلخاسَ شكلاً ونُطقا
ونحوَ الأَياسَين مالَ بجدَّهْ فزادهُما شدَّةً فوقَ شدَّهْ :
«أَياسُ أَياسُ أَلا فاحْملا فحمْلُكما فيهِ دَرءُ البَلا
أَلا فاذكرا شأوَ بأسكُما نعمْ وانبذا الرُّعبَ خلفَكُما
فلستُ بخاشٍ ذِراعَ العِدى وإنْ كثَّفوا حولَنا المَدَدا
فهمْ حيثُما عبَرُوا السورَ جهْرا يَصدُّهمُ قومُنا الغُرُّ قَهْرا
ولكنَّما خشيتي ها هُنا وهكطورُ كالنارِ ثارَ بِنا
يُفاخِرُ أَنْ كانَ مِنْ نسلِ زَفْسِ فرُبَّ إلاهٍ يقومُ ببأسِ
ويوليكُما العزمَ في مُلتقاهُ وضمَّ القبولِ لكفَّ أذاهُ
يُغادِرُ أسطولَكمْ فَشَلا وإنْ كانَ أغراهُ مولى العُلَى»(١)
وَمِنْ ثمَّ مسَّهُما بِعصاهُ وأَولاهُما قُوَّةً من قُواهُ
شَديدَ ذِراعٍ وثَبْتَ قدَمْ وخِفَّةَ جِسمٍ وكُلَّ الهِمَمْ
وحالاً توارى بِسُرعةِ صقرِ على الفورِ ينقضُّ مِنْ صَلْدِ صخرِ

(١) ان في كلام فوسيذ هذا لدربةً ودهاءً فانه اذ كان يمثل بطلاً من ابطال الاغريق لم يكن يجدر به الا ان يأتي حكمة يمكن ان تؤثر عنه • ولا عبارة اقوى من عبارته لاستنهاض همم ذينك البطلين الباسلين اذ اثبت لهما ان الجيش في كل اطرافه بمأمن من الفشل الا في موقفهما لشدة بطش هكطور • واذ كانا يعلمان ان هكطور مندفع بقوة علوية التي في صدريهما امل تحيز بعض الآلهة الى الاغريق واثبت قوله بالفعل بما اوحى الى صغيرهما كما سترى

وَيَرْمَحُ طَيَّ الجَنَاحِ الخَفِيف　　إلى الوادِ في إثرِ طَيرٍ ضَعِيف
فَفِيهِ أَحَسَّ أَياسُ الصَّغِيرْ　　وَنَبَّهَ يَدْعُو أَياسَ الكَبِيرْ : (١)
« مِنَ الخُلْدِ لا شَكَّ رَبٌّ نَهَضْ　　وماثَلَ عَرَّافَنا لِغَرَضْ
لِنُورِيَ الأُوارَ وَنَحْمِي السَّفِينا　　فما هُوَ كَالْخاسُ فَاعْلَمْ يَقِينا
تَبَيَّنْتُ وَهُوَ يَسِيرُ خُطاهْ　　وَأَمْرٌ يَسِيرٌ بَيانُ الإلاهْ
فَنَفْسِيَ ماجَتْ لِسَفْكِ الدَّمِ　　وهاجَتْ يَدِي وَعَدَتْ قَدَمِي »
فقالَ : « نَعَمْ وأَنا الآنَ أُلْفِي　　بِرُمْحِيَ تَهْتَزُّ لِلْفَتْكِ كَفِّي
وَرِجْلِيَ بِي شِدَّةً تَثِبُ　　وَرُوحِيَ لِلنَّقْعِ تَضْطَرِبُ
تُحَرِّقُنِي لِبِرازٍ يَجِلُّ　　مَعَ القَرْمِ هَكْطُورَ مَنْ لا يَكِلُّ »
فَذاكَ حَدِيثُهُما طَرَبا　　وَفُوسِيذُ قَلْبَهُما أَلْهَبا
وراحَ لِساقَةِ جَيْشِ الأَراغِسْ　　يُشَدِّدُ كُلَّ فَتًى مُتَقاعِسْ
فَقامَتْ مَفاصِلُهُمْ تَنْتَعِشْ　　وكانَتْ على عَيِّها تَرْتَعِشْ
إِزاءَ الأَساطِيلِ يَضْوُونَ غَمّاً　　وبالسُّورِ جَيْشُ العَدُوِّ أَلَمّا
يَرَوْنَ ويُذْرُونَ دَمْعاً سَخِينا　　وبالحَتْفِ قَدْ أَصْبَحُوا مُوقِنِينا
فَفُوسِيذُ بَيْنَهُمُ أَنْدَفَقا　　يَحُثُّهُمُ فِرَقاً فِرَقا

(١) تساءل البعض عن سبب تنبه اياس الصغير قبل اياس الكبير لتلك القوة الخارقة فقال بعضهم وهو قول حسن ان اياس بن تيلامون بطل مقدام لا يهاب الموت وهو كالبرج الثابت لا يتزعزع ولهذا كان قليل التنبه لما سوى دفع الكرات وخوض الغمرات حالة كون اياس الصغير خفيف الروح والجسد فهو اولى بسبق النظر

وبادَرَ يَدعو قُرُومَ الرِّجالِ كإيطُسَ طفقيرَ ربِّ النِّبالِ
وفِيْنِيلَ ذِيفِيرَ فخرِ الكُماةِ وثاوُسَ مِرْيُونَ هولِ العُداةِ
كذا أَنطلُوخَ وبَكَّتَهُمْ بقولٍ أثارَ عزيمتَهُمْ :
«ألا أيَّ عارٍ أرى أيَّ عارِ أفتيتَنا ياحُماةَ الذِّمارِ
ظننتُ بكُمْ إنْ ثبتُّمْ جِهادا وقايةَ أُسطولِكُمْ أنْ يُقادا
وإلاَّ فإنْ تجبُنُوا في الكِفاحْ ففجرُ انتصارِ الطِّراودِ لاحْ
أأُبْصِرُ عيني عُجاباً خَطيرا تيقَّنتُ رَبَّاهُ أنْ لنْ يَصيرا
علينا الطَّراوِدُ مُنتَصِرَهْ وهُمْ قَبْلُ إيَّلَةٌ فَزِرَهْ
تَتيهُ بِعَجزٍ بِغاباتِها ولا عَزْمَ يَدفَعُ آفاتِها
إلى أنْ تَرُوحَ بِسَوْقِ النَّصيبِ طعامَ ابنِ آوى وفهدٍ وذيبِ
أهُمْ هُمْ ولمْ يكُ مِنْ منهمُ إلينا ولوْ لحظةً يَقْحَمُ
أهُمْ هُمْ وقد غادرُوا البَلَدا وساموا عِمارَتَنا النَّكدا
وذاكَ لِأنَّ المَليكَ عَثَرْ فغيظَ الجُنُودُ وسيموا الضَّجَرْ
فحولَ سَفائنِهمْ يُذبَحُونا وللذَّودِ عنهُنَّ لا يَنهَضُونا
وهَبْ أنَّ أتْريذَ كانَ امتطى بإغضابِ آخيلَ متْنَ الخَطا
هلمُّوا بنا نَتلافى العَرَضْ فعقلُ أخي الفضلِ يأبى المَرَضْ
وليسَ جديراً بصِيدِ الرِّجالِ مُغادَرَةُ الكَرِّ يومَ النِّزالِ
ولا أعذُلُ النِّكسَ إنْ قعدا ولستُ بعاذِرِكُمْ أبدا

تقاعسكم سيزيد البلا | ألا فاذ كروا العار بين الملا
ألا تنظرون الصدام الشديدا | وهكطور ذاك العميد العنيدا
بأرتاجنا فاز والقفل حطم | وحول السفائن صال وصمم » (١)
فهاجوا وحول الأياسين ضمت | كتائبهم للصدام وهمت (٢)
صفوفاً تشوق انتظاماً أريسا | وفالاس يوم تثير الوطيسا
تربص صيد جماهيرهم | لصد العداة وهكطورهم
نصال القنا لنصال القنا | وفوق المجن المجن انحنى
وبالمغفر المغفر اتصلا | وقد لاصق البطل البطلا
برصهم الخوذ اللامعات | تلاقت تموج بها العذبات

(١) صمم اي فتك — من الحكمة في هذا الكلام ان نسب قائله وهن الجيش الى سأم ألم بهم لنزاع سبق بين اغاممنون واخيل لا لفتور في هممهم فكأنه التمس لهم من أنفسهم عذراً على ذلك الفتور وفتح لهم مخرجاً يخرجون منه على أهون سبيل

(٢) لا بأس بتفكهة القارىء برواية رواها فلوتارخوس وفيلوستراتوس وغيرهما. قالوا ان غانكتور بن امفيداماس ملك اوبيا اجرى بمأتم أبيه العاباً ومخاطرات كثيرة كجاري عادتهم وخص الشعر بجائزة سنية. فدارت المشاعرة بين هوميروس وهسيودس وأنشد كل منهما ابياتاً من نظمه فكانت الغلبة بكل الانشاد لهوميروس باتفاق الجمع وكان فانيذس اخو الميت من جملة المحكمين فأمر كلاً من الشاعرين بانشاد اجود شعره في ظنه فأنشد هسيودس شيئاً من مطلع نشيده الثاني وانشد هوميروس الابيات التالية . فآثر فانيذس كلام هسيودس السلمي على شعر هوميروس الحربي خلافاً لاجماع الحضور على تفضيل شعر هوميروس وحكم بالجائزة لهسيودس وعلى هذا انهال

ومِنْ دُونِ صلْدٍ أَناملِهِمْ تلاقي اهْتِزاز عَواملِهِمْ
فَهبُّوا بِمِنَّ بِثَبْتِ جَنانْ . تَضرَّمَ نارًا لِحَرّ الطِّعانْ
وهَبَّ الطَّراودُ والتصقوا وفي الصَّدْرِ هكطورُ مُنْدَفِقُ
كجلمودِ صخْرٍ قد انتَزَعا مِنَ الشمِّ سَيْلٌ بهِ اندَفعا
لَهُ الغابُ مُرْتَجَّةً تَرْتَجِفْ إلى القَعْرِ حيثُ بِعُنْفٍ يَقِفْ[1]
وقد كادَ هكطورُ يَسفِكُ سَفْكا على الخيمِ والفُلْكِ لِلْبحرِ فَتْكا
ولمَّا بِتِلْكَ الصفوفِ اصْطَدَمْ على رَغْمِهِ ثَبَّطَتْهُ القَدَمْ
وجَيْشُ الأَخاءةِ هَمَّ إِليهِ يَهِيلُ القَنا والسُّيُوفَ عَليهِ
فَصَدُّوهُ وانْكَفَأَ القَهْقَرى يَصيحُ وَيدعُو قُبُولَ السُّرى:
« طَراودَتي وَبني لِيقيا وَيا آلَ دَرْدانُسَ الأَصْفِيا

جميع الشراح على فانيذس باللوم والسباب ولم يكن منهم الا من أورد هذه الرواية وان تكن غير ثبتة مع ثبوت اقامة اسواقهم العكاظية هذه

(١) لو قرأت هذين البيتين في الاصل اليوناني لظننت انك تسمع هدير ذلك السيل المندفق والصخر المتحدر فوقه ترتجف لانحداره الغاب . ولسمعت صوت اندفاعه الدفعة الاخيرة ووقوفه فجأة وصدى صوته بعد ذلك الوقوف . ولعل لنا حظاً طفيفاً من مشاكلة شعر الشاعر اليوناني . اما التشبيه بجد نفسه فلا يفوقه تشبيه في كل الياذة هوميروس وغيرها . واي وصف اليق بوصف هكطور المنقض كالشهاب الثاقب والمندفق كالسيل الزاعب الى ان تألب جماهير الاغريق حول الاياسين فتصده دفعة واحدة وتقف به وقوفاً لم يكن بالبال والخيال . ولقد أجهد شعراء الرومان والافرنج قرائحهم بالتشبه بهوميروس بنظم هذا المعنى ولكنهم لم يدركوا شأوه ولم يصيبوا المرمى اصابته ولم يحسن منهم احد احسان شيخ شعراء العرب القائل في معلقته بوصف جواده :

قِفُوا فالعَدُوُّ قَرِيباً يَدِينْ ... وإن رُصَّ رَصَّ الحِصارِ المَتِينْ [1]

لَئِنْ كانَ خيرُ بني الخُلْدِ طرّاً ... نَعَمْ بَعْلُ هيرا المُعظَّمُ قَدْرا [2]

هُوَ الدَّافعي لِنَكالِ العِدى ... فإنَّ لَهُمْ بِسِناني الرَّدى »

فهاجُوا لِذا النُّطقِ نَفْساً وَلُبّا ... وَبرَّزَ دِيفُوبُ يَخْتالُ عُجْبا

بِجُنَّتِهِ مُسْتَجِيشَ القُوى كَرْ ... يَحُثُّ الخُطى وَبِها يَتَسَتَّرْ

فلقَّاهُ مِرْيُونُ صلْدَ سِنانِهْ ... فَمَدَّ المِجَنُّ اتِّقاءَ طِعانِهْ

فَمِنْ نَصْلِهِ الرُّمْحُ عُنْفاً تَكَسَّرْ ... وَمِرْيُونُ بَيْنَ ذَوِيهِ تَقَهْقَرْ

مَغِيظاً لِرُمْحٍ قَدِ انْصَدَعا ... وَنَحْوَى العَدُوِّ المُبِينِ مَعا

وَلِلفُلْكِ وَالخَيْمِ حالاً سَعى ... يَرُومُ قَناةً بِها اسْتَوْدَعا

وقَوْمُ أَخايَ بِكَرَّتِهِمْ ... يَعِجُّ الفَضاءُ بِصَيْحَتِهِمْ

وطِفْقِيرُ أَوَّلُ مَنْ ظَهَرا ... بِإِمْبَرِيُوسَ الفَتى ظَفِرا

(هُوَ ابنُ لِمِنْطُورَحاوي الجِيادِ ... بِفِيذِيَةٍ كانَ قَبْلَ الجِهادِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً ... كجلمود صخرٍ حطه السيل من علِ

على ان امرأ القيس زاد في المعنى الاقبال والادبار واغفل ارتجاف الغاب والوقوف

(١) الحصار المعقل وقول هكطور انهم رصوا كالحصار المتين شهادة اخرى بانتظام فيالقهم . وتشبيه الجيش المتألب بالبنيان المرصوص كثير في كلام العرب . وفي الحديث : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً

(٢) لقد عرّف هوميروس هنا زفس مرة اخرى بزوجه وقد اشرنا الى ذلك ص : ٥٩٣

وزوجٌ لميديسكستا الجميلة	فتاةٌ لفريام غيرُ حليلة [1]
فعند أنتشاب الوغى قفلا	لإليون حيثُ سما بطلا
وحلَّ لفريام ضيفاً كريما	على حرمةٍ كبنيه مقيما
فأرداهُ طفقيرُ بالأذن	وجرَّ القناة ولم ينثنِ)
فخرَّ كدردارةٍ نبتتْ	على رأس طودٍ به ثبتتْ
يميلُ بها النصلُ حين برى	بغضّ الغصون لوجه الثرى
كذلك إمبريوسُ التوى	بصلصلةِ الدرع واهي القوى
وطفقيرُ همَّ يرومُ السلبْ	ولكنَّ هكطور حالاً وثبْ
وأقبل يرميه بالعاملِ	وطفقيرُ ما كان بالغافلِ
تنحَّى فراح السنانُ يطيرْ	لصدر الفتى أمفماخ المغيرْ
(فتىً أقطياطُ أبوهُ وكانا	لأقطورَ يُنسبُ نسلاً وشانا) [2]

(١) ذكرنا في ما تقدم ان ابناء السفاح لم يكونوا على شيء من الحطة التي نالتهم في ما ولي عهد هوميروس • وهنا شاهد على أن بنات السفاح لم يكنَّ دونهم في المنزلة ولولا ذلك لحاذر هوميروس ان يقول ان مديسكستا كانت زوجة لزعيم من كبار الجيش • ولا يستخرج من كلام هوميروس كيف كانت حالة المسافحات لذلك العهد • ولم يقل أكانت والدة مديسكستا خصيصة به ام كانت كبغايا العرب اللواتي كن يبحن انفسهن لكثيرين فاذا ولدن اجتمع اليهنَّ اولئك الرجال فكان المولود لمن ألحقنه به منهم كما فعلت ام عمرو بن العاص اذ كانت بغية وكان قد لازمها العاص وأبو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب فألحقت المولود بالعاص لانه كان ينفق على بناتها (السيرة الحلبية ١ : ٤٦)

(٢) اقطور لقب لفوسيذ الاه البحر ومعناه القائد والدليل

فَخَرَّ يَصلُّ وهَكْطُورُ كَرَّا | لِيَسلُبَ خُوذَتَهُ حيثُ خرَّا
ولكنَّ آياسَ عاملهُ | أطيرَ عليهِ يُعاجِلُهُ
فلم يَبلُغِ الرُّمحُ جِسماً تَردَّى | حَديداً يَصُدُّ العَوامِلَ صدّا
ولكنْ بِمَتْنِ المِجَنِّ وقَعْ | وهكطُورَ بالعُنفِ رَغْماً دَفَعْ
فظَلَّ القتيلانِ حيثُ هُمَا | وقومُ أخايَ خلَوْا بِهما
ففي أمفِماخَ مِنسْتُ الموَقَّرْ | وإسْتيخيُسُ فَمِلا لِلمُعَسكَرْ
وإمبريُوسُ الأياسانِ سارا | بهِ يقدحانِ احتِداماً شِرارا
كلَيثَينِ من تحتِ نابِ الكلابِ | قدِ انتزعا سَخلَةً وَسْطَ غابِ
لغضِّ الغياضِ قدِ احتَملاها | وما بينَ فكَّيهِما أعلَياها
كذا بينَ أيديهما رَفَعا | وشائِقَ شِكَّتهِ انتزعا
وظَلَّ ابنُ ويلُوسَ يشتَدُّ حِقداً | لقتلِ الفتى أمفِماخَ المُفدّى
فهامَةَ إمبريُوسَ اقتضَبْ | رحا ورَماها شديدَ الغضَبْ
فدارتْ ولا كُرَةٌ حيثُ مَرَّتْ | وتلقاءَ هكطُورَ في التُّربِ قَرَّتْ (١)
وفُوسيذُ مُنتقِماً لحفيدهْ | يُعِدُّ لِطرُواذَ شَرَّ وَعيدهْ (٢)
فهبَّ إلى الفُلْكِ والخِيَمِ يجري | يُهيجُ النُّفوسَ لِوَقعِ أمَرِّ

---

(١) قال عمر بن كلثوم يشبه الرؤوس المقطوعة بالكرات التي يدحرجها الغلمان الشداد في مطمئن من الارض :

يدهدون الرؤوس كما تدهدي | حزاورةٌ بابطحها الكرينا

(٢) حفيد فوسيذ اي امفيماخس

فأبصرَ إيذومنا قفلا إلى الحرب من بعدِ ما اعتزلا
يُعالجُ حيناً فتىً طرحا ببطنِ شظيتهِ جرحا
فمن بعدِ أنْ حملوهُ إلى خيامِهمِ عجلاً عجلا
وألقاهُ إيذومنٌ للإسي لخيمتهِ جدَّ بادي الأسى (١)
يشكُّ بها بثقيلِ السلاحِ ويقبلُ مقتحماً للكفاحِ (٢)
تلقاهُ فوسيذُ يعدو بياس بشكلِ ابنِ أندرمونَ ثواس
ثواسُ الذي كانَ ملكاً كبيرا وسادَ الإتولَ أميراً خطيرا
على كالدونةَ أمّ الجبالِ كذاكَ فلوزونةٍ بالجلالِ
فقالَ: «أإيذومنٌ أينَ ما لقيفُ الأخاءةِ قد زعما
بيأسٍ يقدُّ الطراودَ قدّا وعيدٌ أراهُ قد انهدَّ هدّا»
أجابَ: «ولستُ أرى أنْ يُلامْ بنا أحدٌ لاعتزالِ الصدامْ

(١) الاسى جمع آسي الاطباء ويظهر من هذه العبارة ان اطباءهم كانوا كثيرين او كان لكل قبيلة منهم اطباء معلومون فضلاً عن ماخاوون وفوذالير اللذين كانت لهما رئاسة الاطباء لانا رأينا فيما تقدم ان اخيل وفطرقل كان لهما ايضاً المام بفن الطب

(٢) من عادة الشاعر اذا اراد ان يبرز بأس بطل من ابطاله ان ياتي بمقدمة تمثل اخلاقه تمثيلاً . وهو هنا يريد ان يبرز لنا ايذوميناوس وهو ملك ذو شان قد وخط الشيب عارضه ولكن فيه بقية بأس لمكافحة الابطال . واناً لنراه هنا قبل بداره الى القتال يعنى بفتى جريح يؤاسيه ويداويه . ومما جاء في الاثر انه لما اجتمعت الملوك للحرب طلب ايذوميناوس مشاطرة اغاممنون الزعامة الكبرى ينبئنا ذلك بما كان له من علو المنزلة وبسطة الجاه وهو على رفعة شانه محب لجنده شفيق عليهم كما رأيت . وقد انبأنا الشاعر بتلك الاخلاق دون ان يصرح بها

كَرَرْنا جَميعاً وما مِنْ أَحَدْ ... عَنِ الحَرْبِ جُبْناً وذُلاً قَعَدْ
فلاشكَّ زَفْسُ القَدِيرُ اسْتَطابا ... نَكالاً وعارًا لنا واغْتِرابا
ثُوَاسُ وانْتَ الفَتى الباسِلُ ... بِنُصْحِكَ يَسْتَرْشِدُ الخامِلُ
فَلا تأْلُوَنَّ بِرُشْدِكَ جَهْدا ... وَحُضَّ الفَوارِسَ فَرْداً فَفَرْدا»
فقال: «أَإِيذُومِنٌ مَن بَغى ... قُعُوداً عَنِ الكَرِّ في ذا الوَغى
عَسى أن يعِزَّ عَلَيهِ المآبْ ... ويَبْقى هُنا مُضْغَةً لِلْكِلابْ
فَشُكَّ وَهِيَّ ائْتِني مُسْرِعا ... عَسى الفوزُ في أَنْ نكُرَّ معا
فأَعْجَزُ ما في الرِّجالِ لَدى ... تَكافُلِهِمْ يُحْرِزُونَ القُوَى
وزِدْ أَنَّنا بِقُرُومِ الرِّجالِ ... إِذا اشْتَدَّتِ الحَرْبُ لَسْنا نُبالي»
وَلَمَّا انْتَهى راحَ وُجْهَتَهُ ... وإِيذُومِنٌ أَمَّ خَيْمَتَهُ
فأَلْقى زَهِيَّ السِّلاحِ عَلَيهِ ... وهَبَّ بِرُمْحَيْنِ بَيْنَ يَدَيهِ
كَصاعِقَةٍ زَفْسُ مِنْ عِنْدِهِ ... عَلى الأَرْضِ يَدْفَعُ مِنْ زَنْدِهِ
يَطِيرُ لَها في الأَلِمْبِ شَرَرْ ... فيُنْبِئُ بِالشُّؤْمِ بَيْنَ البَشَرْ
شُعاعٌ حَكَتْهُ على صَدْرِهِ ... صَفائِحُهُ الغُرُّ في كَرِّهِ
فأَبْصَرَ تابِعَهُ الشَّهْمَ أَضْحى ... لَدى الخَيْمِ يَطْلُبُ مِنْ ثَمَّ رُمْحا
فَصاحَ: «ابْنَ مُولُوسَ مِرْيُونُ حِبِّي ... أَعَزَّ الفَوارِسِ مِنْ كُلِّ صَحْبِي
عَلامَ بَرِحْتَ الصِّدامَ الأَصَمّ ... أَصابَكَ سَهْمٌ وَزادَ الأَلَمْ
أَمِ الآنَ تَحْمِلُ لي خَبَرا ... أَلَسْتَ تَراني مُسْتَعِرا

أَبِيتُ التَّخَلُّفَ بينَ خِيامي　　وَيَدْفَعُني عامِلي وحُسامي »
فقالَ : « أَتَيتُ نَعَمْ عاجلا　　أَرى في خِيامِكَ لي عاملا
فإِنَّ قَناتي قَدِ انْقَعَرَتْ　　على تُرْسِ ذِيفُوبَ وانْكَسَرَتْ »
فقالَ: «هُنا خَيْمَتي أُدْخُلْ تَنَقَّى　　قَنَاةً وإِنْ شِئْتَ عِشْرِينَ تَلْقَى
صُفُوفاً بِهَا عُلِّقَتْ ساطِعاتِ　　بِأَكْنافِها مِنْ سِلاحِ العُداةِ
لِأَنِّيَ مُقْتَحِمٌ أَبَدا　　بِوَجْهِيَ وَجْهَ عُلُوجِ العِدى[1]
فَفيها تُرُوسٌ وَفيها رِماحٌ　　وَبَيْضٌ وَلامٌ بِزاهي الصِّفاحِ»[2]
أَجابَ: «وفي خَيْمَتي وبِفُلْكي　　سِلاحٌ كَثيرٌ ذَخَرْتُ بِفَتْكي
وَلٰكِنَّهُ والعَدُوُّ اسْتَطالْ　　عَسِيرُ المَنالِ لِبُعْدِ المَجالْ
وَإِنِّيَ مِثْلَكَ أَفْتَخِرُ　　بِأَنِّيَ بِأْسِيَ أَذْكُرُ
وأَنِّيَ يَومَ الطِّعانِ أُرَى　　إِذا التَحَمَ النَقْعُ صَدْرَ السُّرَى[3]

---

(١) كقول ابي تمام :

حرامٌ على ارماحنا طعن مدبر　　وتندقُّ قدماً في الصدور صدورها
محرمة اعجاز خيلي على القنا　　محللة لبّاتها ونحورها

(٢) كان من اعظم مفاخرهم ان يذخر الفارس منهم شيئاً كثيراً من سلاح اعدائه وكلما كثر سلبه عظم قدره بين ذويه فلا نعجب بعد ذلك اذا رأيناهم في معمعة القتال يكبون على قتلاهم ليجردوا سلاحهم وان كان الاعداء محدقين بهم من كل صوب (راجع ن ١ : ٢١٤)

(٣) قال عنترة :

ما زلت القى صدور الخيل مندفقاً　　بالطعن حتى يضجّ السرج واللببُ

نُغَيِّرُكَ إِنْ أُبْلِ قد لا يَرانِي ولـكِنَّ إيذُومِناً قد بَلانِي »
فقالَ : « وَمِثْلِي مَنْ خَـبَرَكْ فَلَسْتَ لِتَنْمِي لِي خَـبَرَكْ (١)
عَلِمْتُ بِأَنَّا إِذا ما أَقَمْنا كَمِيناً لَهُ صَفْوَةَ البُهْمِ رُمْنا
هُنَالِكَ حَيْثُ يَكُونُ المَحَكْ فَيُعرَفُ مَنْ صَكَّ مِمَّنْ فَتَكْ (٢)
هُنَالِكَ حَيْثُ الجَبانُ اُمْتُقِعْ وَمِنْ جَوْفِهِ قَلْبُهُ يَنْخَلِعْ
بِمُهْجَتِـهِ هَلَعـاً يَخْفُقُ وَمِنْ خَشْيَةِ المَوتِ يَصْطَفِقُ
وَتَصْطَكُّ أَسْنانُهُ ويَقِفْ فَتُقْعِـدُهُ رُكَبٌ تَرْتَجِفْ
وأَمَّا الجَسُورُ فَلَيسَ لِيَعْبا ولا يَتَغَـيَّرُ لَوناً وقَلْبـا
يُمالُ وقد رَصَدَ القَومَ صَبْرا إِلى الكَرِّ والبَطْشِ طَعْناً ونَحْرا
هُنَالِكَ مَنْ ذا الذي يَجِـدُ عَلَيـكَ سَبِيلاً فَيَنْتَقِـدُ
فإِمَّا طُعِنْتَ وإِمَّا ضُرِبتَ قَرِيباً إِذاً أَو بَعِيداً أُصِبْتَ
فَلَيسَ بِظَهْرِكَ وَقْعُ سِـلاحْ وصَدْرُكَ ذاكَ مَحَطُّ الرِّماحْ (٣)
وَلَكِنْ دَعِ البَحْثَ في صَدَدِ نُلامُ عَلَيـهِ ولا نَجْتَـدِي
هَلُمَّ اُدْخُلَنَّ عَزِيزاً مَكِينا ومِنْ خَيمَتِي اُقْتَلْ سِناناً مَتِينا » (٤)

(١) خبرك الاولى بمعنى عرفك
(٢) صك اي جبن
(٣) قال العلوى صاحب الزنج :

يلقى السيوف بنحره وبوجهه ويقيم هامته مقام المغفرِ
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا فعقرت ركن المجد ان لم تعقرِ

(٤) اقتل اي اختر

فَهَبَّ كَآرِسَ مِرْيُونُ يَحْمِلْ مِنَ الخَيمِ رُمْحاً حَدِيداً وَيَقْفِلْ
وفَوراً بإيذومِنٍ لَحِقا بنفسٍ مُضَرَّمَةٍ لِلِقا
فَراحا وعندَ رَواحِهما تَأَلَّقَ نُورُ سِلاحِهما
كَأَنَّهُما آفَةُ الخَلْقِ آرِسْ يَثُورُ فَيَهْمي الدَّواهي الدَّراهِسْ
يَحِفُّ بهِ الهَولُ ذو الغَمَراتْ فَتاهُ الحَبيبُ أَبُو الأَزَماتْ[1]
مُرَوِّعُ قَلبِ كُماةِ الحَديدِ وخافِضُ كُلِّ رَفيعٍ عَنيدِ
فَيا لِلْوَبالِ إذا عَمَدا مَعاً مِن ثَراقَةَ وانْتَقَدا[2]
يَهابانِ لا لِدُعا قُبِلا ولكنْ لِنَكْبَةِ أَيَّتِهِ المَلا
فإمّا لِطاهِرِ الإفيرَةِ كَسْرا وإمّا لِقَمْعِ الفَلِيجَةِ قَهْرا
كَذلِكَ إيذُومِنُ اعْتَصما وَمِرْيُونُ بالبأسِ واقتحما
فقالَ ابْنُ مولُوسَ: «أَينَ تُرَى تَرُومُ بأَنْ نَلِجَ العَسْكَرا
يَميناً أَمِ القَلْبَ أَمْ عَن شِمالْ أَرى عَمَّ كُلَّ النَّواحي القِتالْ»
أَجابَ: «فَفِي القَلبِ صَفْوَةُ بَأْسٍ جَدِيرُونَ أَنْ يَدْرَأُوا كُلَّ بَأْسِ[3]
هُناكَ الأَياسانِ بالعَزْمِ كَرّا وطِفْقِيرُ أَرْمَى الأَغارِقِ طُرّا

(١) ترى ان الهول ممثل بشخص هو ابن آريس الاه الحرب

(٢) في ذلك اشارة الى معتقد قديم عندهم على ان موطن آريس كان في بلاد ثراقة يدل ذلك على ماكان لاهل تلك البلاد من الشهرة بالبأس والشدة وما كان لهم من الغزوات في بلاد الافيرة والفليجة كما سترى بعيد هذا

(٣) بأس الاولى بمعنى الشدة والثانية بمعنى الشر

لَئِنْ يَرْمِ ما مِثْلُهُ نابِلُ ... وإِنْ كَرَّ فَهْوَ الفَتى الباسِلُ
فَهُمْ كُفْءُ هكْطُورَ مَهْما طَغى ... فَلَنْ يَبْلُغَنَّ بِهِمْ ما بَغى
ومَهْما يَكُنْ عَزْمُهُ لَنْ يَهُونا ... عَلَيهِ المَنالُ فَيُوري السَّفِينا
فَلا نالَها غَيرُ زَفْسَ إِذا ... رَماها بِمِقْباسِ نارِ الأَذى
وَلا بَشَرٌ مِنْ جَمِيعِ البَشَرْ ... يُؤَلِّمُهُ عامِلٌ وحَجَرْ
وَيُغْذَى نِتاجَ الثَّرى مُسْتَمِرًّا ... يُطِيقُ لِآياسَ ذُلًّا وقَهْرا
وَلَيْسَ بِغَيرِ السِّباقِ يُطالْ ... ولَوْ تَعْسُ آخِيلَ بالعَزْمِ صالْ
فَقُمْ فَنَسِيرُ إِذًا لِليَسارْ ... لِنُولِيَ أَوْ نَحْنُ نُولَى الفَخارْ »
ومِرْيُونُ حالًا كَرَبِّ القِتالْ ... تَقَدَّمَ يَجْرِي إِلى حَيثُ قالْ
ودُونَ الطَّراوِدِ مُذْ ظَهَرا ... يُضَرِّمُ إِيذُومِنٌ شَرَرا
وتابِعُهُ بالسِّلاحِ المَتِينْ ... تَرامَوا لِكَبْحِهِما مُجْمِعِينْ
هُنالِكَ السُّرَى أشْتَبَكَتْ والغُبارْ ... إِزاءَ السَّفائِنِ لِلجَوِّ ثارْ
وقَدْ سَتَرَ السُّبُلَ سَحْقٌ رَفِيعْ ... فَتَنْسِفُهُ لِعُبابِ الرَّقِيعْ
كَأَنَّ الرِّياحَ قَدِ اصْطَدَمَتْ ... بِنَوْءٍ تَفاقَمَ فالْتَطَمَتْ
كَذا أشْتَبَكُوا فَوْقَ تِلْكَ القَلا ... وقارَنَتِ الأَسَلُ الأَسَلا
رِماحٌ تُمَزِّقُ صَدْرَ الرِّجالِ ... وَأَفْئِدَةٌ لَهِبَتْ لِلنِّزالِ
ولَمْعُ الدُّرُوعِ وَغُرُّ التُّرُوسِ ... وزُهْرُ التَّرائِكِ فَوْقَ الرُّؤُوسِ
وقَدْ عانَقَ الفَيلَقُ الفَيلَقا ... بِمَنْظَرِهِ يَبْهَرُ الحَدَقا

وَلَيسَ سِوى الفاتكِ الباسلِ يُسَرُّ لِذا المَشهَدِ الهائلِ
وكُلٌّ مِنَ ابنَي قرُونُسَ رامْ خلافَ مَرامِ أَخيهِ الهُمامْ (١)
فزَفسُ لإعزازِ شأنِ أخيلْ لهكطورَ كانَ مَلِيًّا يَميلْ (٢)
ولٰكنَّهُ لم يَشأْ أَنْ يُبيدا بإليُونَ قومَ الأَخاءِ بعيدا
بلِ اختارَ إجلالَ ثِيتيسَ قدرا كذاكَ أخيلَ ابنَها الشَّهمَ جَهْرا
وفُوسيذُ سِرًّا مِنَ البَحرِ هَبَّا لِيُحْيِي الأَراغِسَ نَفْساً وقَلْبا
يُؤَلِّمُهُ أَنَّ زَفسَ جَنَفْ عَلَيهِمْ وَنَحْوَ العُداةِ انحَرَفْ
هُما ابنا أَبٍ واحدٍ لَيسَ إلَّا وثَمَّ التَّكافُؤُ فَرْعاً وأَصْلا
ولٰكنَّما البِكْرُ زَفسُ غدا وقد فاقَ عِلماً وطالَ يَدا (٣)
لِذٰلِكَ فُوسيذُ ما جَسَرا بجَيشِ الأَراغِسِ أَنْ يَظهَرا
فَجابَ يَخُوضُ الصفُوفَ خَفِيّاً يُماثِلُ بينَ الكُماةِ كَمِيّاً

---

(١) قرونس هو زحل كما تقدم والمراد بابنيه زفس وفوسيذ كما سترى

(٢) مفاد ذلك ان زفس كان يروم ان ينكل هكطور بالاغريق حتى تضيق عليهم المسالك فينهض أخيل لنصرتهم ويكون فوزهم عن يده فينال أخيل بذلك المقام الارفع والفخر الاعظم

(٣) ان ايثار البكر على سائر الابناء من سنن الطبيعة التي استنت بها كل البشر حتى لقد استن بها الآلهة انفسهم ولا سيما حيث ليس في الاسرة الا موضع واحد للملك فلا يصح ان يستأثر به سوى واحد ولا يصلح ان يكون هذا الواحد الا البكر لسبقه في الرشد فاذا كان ذلك نظاماً مأثوراً فلا سبيل بعده الى النزاع . وهذا هو الاصل في ايثار البكر على اخوته . ومن ثم سرت العادة الى ذوي المقامات ومنهم الى سائر الناس

وأوْرى الإلاهانِ نارَ نَكالِ لَهُ بَسطا حَبلَ حَرْبٍ سِجالِ
بأَطْرافِهِ كُلُّهُمْ وقَعُوا فَقَطَّعَهُمْ وَهُوَ لا يُقْطَعُ
وَخَرَّتْ سَراةُ كَتَائِبِهِمْ لَدَيهِ بِعُنْفِ تَجاذُبِهِمْ (١)
هُنالِكَ إيذُومِنٌ سَخِطا وإنْ كانَ بالشَّيبِ قدْ وُخِطا
لِقَلْبِ العُداةِ بِثَبْتِ القَدَمْ دَعا قَومَهُ حَنَقاً وهَجَمْ
وهَدَّ عَزائِمَهُمْ مُذْ قَتَلْ بِكَرَّتِهِ أُثْرِيُونَ البَطَلْ
فَتًى مِنْ قَبِيسَةَ قد أَقْبَلا حَدِيثاً ونَيْلَ العُلى أَمَّلا
بِكَسَنْدَرا رَبَّةِ الحُسْنِ هامْ فَخاطَبَ فِرْيامَ في ذا المَرامْ
وما ساقَ مَهْرًا لَهَا بَلْ وَعَدْ بِقَهْرِ العَدُوِّ وحِفْظِ البَلَدْ
ومُذْ وَعَدَ الشَّيخُ أَبْهَى بَناتِهْ يُزَوِّجُهُ انْقَضَّ فَوقَ عُداتِهْ
مَضَى . شامِخاً بِعَزِيمَتِهِ فَلَمْ يَقِهِ صُلْبُ جُنَّتِهِ

وسرت على مناهج شتى مرجعها جميعاً الى ايثار البكر على اخوته حسناً ومعنىً . وعلى هذا كان اليهود يخصون البكر ببركة أبيه ويضاعفون سهمه في الميراث . اما العرب فالظاهر انهم لم يزيدوا في حقوق البكورة شيئاً كثيراً عما كان عندهم لحرمة التقدم في السن من الرعاية المعنوية ومع هذا فقد كان البكر يستأثر بما لايحتمل القسمة من متروكات ابيه . ولكن الاسلام ساوى بين البنين جميعاً

(١) أي استعارة اجمل من هذه الاستعارة لفئتين متحاربتين متلاحمتين تلاحماً لايكاد يفرق فيه بين القاهر والمقهور والملتوي والمنصور فالحرب بينهما يتجاذبان اطرافها كحبل

باطرافه كلهم وقعوا فقطعهم وهو لا يُقطعُ

وغارَ السِّنانُ بمُهجَتِهِ فخرَّ يصِلُّ بشكَّتِهِ
فناداهُ إيذومنٌ يفتخِرْ : « أيا أُثريونُ لئن تنتصِرْ
فتتْبعُ خُبرَكَ بالخَبرِ علمتُكَ خيرَ بني البَشرِ
فإنْ كانَ فِرْيامُ أبدى العهودْ فنحنُ نبرُّ كذا بالوعودْ
على دكِّ إليونَ إنْ تلنا فمهِّدكَ نُوثقُهُ عَلنا
ونجعلُ عِرسَكَ أجملَ بنتِ لأتريذَ مِنْ أرغُليذةَ تأتي
هلُمَّ الى الفُلكِ نُبدي القرارْ فأحماؤنا لن يُشابوا بعارْ »(١)
ومن ثمَّ وافاهُ مجتذِبا بساقٍ فزادَ العِدى لَغَبا
وآسيُسُ راجلاً أقبلا لينقمَ وانقضَّ مُشتَعِلا
ومِنْ خلفِهِ الخيلُ يحرُسُها فتىً قد علاهُ تنفُّسُها
فهمَّ وإيذومنٌ سبَقا بزُجٍّ بحلقومِهِ مرَقا
فمالَ أمامَ الجيادِ يصِرُّ بأسنانِهِ للحضيضِ يخِرُّ
كأرزةِ طودٍ وحورَتِهِ وملّولةٍ فوقَ قُنَّتِهِ

وهي من استعارات هوميروس القليلة بازاء تشابيهه ولكنها ليست في شيء دونهن قوة واستحكاماً

(١) لايخفى ما في هذا الكلام من التهكم على خطيب ابنة فريام القتيل . ولقد عيب هوميروس على عبارات كهذه اذ ليس من الاباء وشيم النفوس الكبيرة ان تهكم على عدو ظفرت به ولا سيا بعد موته ولكنه قد يشفع لشاعرنا انه انما كان يصور اخلاق بني زمانه حسنها وقبيحها فهي عادة جرت لهم فأتيها على علاتها

تَميلُ بفأسٍ لها شحَذُوا لِصنْعِ السَّفائنِ تُتَّخَذُ
وسائقُهُ ظَلَّ مُضطَرِبا وحارَ فلَمْ يَنهزِمْ هَرَبا
ورُمحُ ٱبنِ نَسطُورَ وافى يَميدُ بأحشائِهِ فوقَ دِرْعِ الحَديدْ
فأهوى إلى الأرضِ يَشهَقُ شَهقا وأفراسَهُ أنطِلوخُ تَلقّى
وسارَ بها لِلْحِمى مَغْنَما وذِيفُوبُ إيذُومِنًا يَمَّما
لآسيُسٍ هَبَّ يَطْلُبُ ثارا مَشى وعَلَيهِ السِّنانَ أَطارا
وإيذُومِنُ مُذْ رآهُ تَقَدَّمْ وزَجَّ فَتَحتَ المِجَنِّ تَأَملَمْ
(مِجَنٌّ يُغَشّيهِ جِلدُ البَقَرْ وفُولاذُهُ ساطِعٌ لِلنَّظَرْ
لَهُ مِقبَضانِ مَتينٌ كَبيرُ يَحِفُّ الفَتيرُ بِهِ مُستَديرُ)
فلامَسَ بَطْنُ السِّنانِ المِجَنّا وطارَ ومِنْ وَقْعِهِ التُّرْسُ رَنّا
وغَلَّ وما طاشَ إذْ صَدَرا إلى ٱبنِ هِفاسُسَ إفْسِينُرا
فأنفذَ يُصْمِيهِ بالكَبِدِ وذِيفُوبُ يَشْهَدُ عَن بُعُدِ
فَراحَ بِخُيَلَةٍ مُفتَخِرِ يَصيحُ بِنَعرَةِ مُنتَصِرِ:
« نَعَمْ دَمُ آسِيُسٍ ما أُنهِدَرْ وإنْ أَمَّ آذِيسَ هَولَ البَشَرْ
سَيأمَنُ ضِمْنَ المَقامِ العَميقِ لأنّي أَتبَعتُهُ بِرَفيقِ »
فَساءَ الأَراغِسَ ذاكَ التَّعيرُ وأُورى حَشا أَنطِلوخَ السَّعيرُ
على بَثِّهِ راحَ والصَّبرُ عِيلا يَقي بِالمِجَنِّ الخَليلَ القَتيلا[1]

---

(١) أي خوفاً عليه من الاعداء ان يجردوه سلاحه ويخلوا بجثته

وآلسطرُ ومكستُ أُسيرا | بهِ للسفائنِ يُعلي الزَّفيرا
وإيذومنُ ظلَّ في حزمهِ | يكرُّ بعزمٍ على عزمهِ
فإمّا ليُردي كمياً بيأسهْ | وإمّا ليَفدي ذويهِ بنفسهْ
أصابَ سليلا لزفسَ الأغرْ | بألقاثٍ بن إسيتَ اشتهرْ
لأنخيسَ قد كانَ صهرًا صفياً | على بنتهِ البكرِ هيفوذميا
فتاةٌ بصرحهما أبواها | بمنزلِ قلبهما أنزلاها
وما كانَ بينَ لداتِ الزَّمانْ | لها مثلٌ في العذارى الحسانْ
وفاقتْ بوشيٍ وعقلٍ وحسنْ | كما فاقَ ذاكَ بضربٍ وطعنْ
فزُفَّتْ إليهِ ولٰكنَّما | أبى الرَّبُّ فوسيذُ أنْ يسلما
فحلَّ قواهُ وغشّى البصرْ | فضاقَ المفرُّ وحالَ المكرْ
وظلَّ بغيرِ حراكٍ مقيمْ | كركنٍ مكينٍ وجذعٍ عظيمْ
بدرعٍ مرارًا وقتهُ الرَّدى | فلم تقهِ الآنَ طعنَ العدى
فمزَّقها الزجُّ مذْ رشقا | وفي الصدرِ من دونها مَرَقا
فصلَّتْ وخرَّ وكيفَ المناصْ | وفي قلبهِ العاملُ اللدنُ غاصْ
وعودُ السِّنانِ إلى الكعبِ ماذْ | بعنفِ اشتدادِ وجيبِ الفؤاذْ (١)

(١) الوجيب الخفقان — لقد آلى بعض الشراح على انفسهم ان يفسروا كل كلمة من كلام هوميروس تفاسير طويلة عريضة لم تمر على مخيلته كاستنتاج بعضهم من كلامه هذا انه كان اول عالم بعلم التشريح واستنتاج البعض الآخر انه لم يكن يعرف منه شيئاً وشرح كلٌّ لاثبات مدعاه قلب الانسان وافاض بما يخرج كل الخروج عن هذا البحث • او لا يكفي

وما زالَ يهتزُّ حتَّى تلاشى　　　وإيذُومنُ صاحَ يشتدُّ جاشا:

« أَذِيقُوبُ هاقدفَرى ساعدي　　　ثلاثةَ صيدٍ لِقا واحدِ

عَلامَ التَّشدُّقُ أَقبِلْ هنا　　　فتعلَمَ أَيَّ أبنِ زَفسٍ أَنا

أَلَمْ يأْتكَ العِلمُ عَنْ نسبِي　　　وأَنَّ دُقليُونَ كانَ أَبِي

وتاهلُ إِقْرِيطَ مِينُوسُ جَدِّي　　　بِزَفسَ أَبيهِ رَقى طَوْدَ مَجْدِ

وأَنَّ بإِقْرِيطَ باعِي شَدِيدَهْ　　　لِلُلْكِي دانَتْ شُعُوبٌ عَدِيده

أَتيتُ أُرِيكَ هُنَا وأَباكْ　　　وكُلَّ الطَّراوِدِ سُبْلَ الهَلاكْ »

فنازَعَ ذِيفُوبَ في أَمْرِهِ　　　مَرامانِ رَدَّدَ في فِكْرِهِ

أَيبرُزُ فذًّا إِلى ملتقاهُ　　　أَمِ الرَّأْيُ أَنْ يلتجي لِسِواهُ

فَعَوَّلَ في شِدَّةِ المعمعهْ　　　يلُوذُ بأَنْياسَ يأْتي معَهْ

فأَلفاهُ في طَرَفِ الفَيلَقِ　　　تقاعدَ مِن شِدَّةِ الحَنَقِ (١)

ما في هذا الكلام على ظاهره من البلاغة حتى نتأول له التآويل التي ما انزل الله بها من سلطان ؟

(١) من المعلوم ان ڤرجيليوس الشاعر الروماني بنى منظومته على مثال الياذة هوميروس وجعل بطلها آنياس كما جعل هوميروس بطله الاعظم آخيل • وكأني بڤرجيليوس وقف عند هذا البيت وهو يتلو الالياذة فكان له منه المحرك الاول لنظم الانياذة (نسبةً الى أنياس) لانه كان متواتراً على السنة الناس خبر نبوءة يزعمون انها كانت شائعة في ايام حرب طروادة تشير الى ان فريام كان عالماً ان آنياس وذريته سيحكمون بلاد الطرواد • وكلام هوميروس هنا يؤيد هـذا القول • ولما كان من المأثور تاريخياً ان آنياس كان رأس الاسرة الرومانية بعد تلك الحرب لا يبعد ان تلك النبوءة لم تكن شائعة في أيام الحرب بل

يؤلمهُ أنَّ فريامَ أزرى — بهِ وبإقدامهِ لم يَبِرَّا
فوافاهُ قالَ : « إذَنْ فهلمَّا — أأنياسُ صدرَ الطرَاودِ علما(١)
فإنْ كنتَ ترعى حقوقَ النسبْ — فذاصهرُكَ الآنَ بادي العطبْ
فكمْ بكَ في سالفِ الزمنِ — وقد كُنتَ طفلاً قديماً عُني
وألقاكَ إيذومِنٌ أدركا — فقمْ ذبَّ عنهُ فقدْ هلكا »
فهاجَ بأنياسَ لبُّ الحشا — ونحوَ العدوِّ الألدِّ مشى
وإيذومنٌ مستجيشاً مكثْ — ولم يرتعدْ كالغلامِ الحدثْ
أقامَ كخرنوصِ برٍّ خبرْ — قواهُ فقامَ بطودٍ أغرْ
بمنفرجٍ في البراحِ تربّصْ — ليرقبَ منْ جاءهُ يتقنّصْ
فيلهبُ عيناً ويعقفُ ظهرا — ويشحذُ ناباً ويكمنُ شرّا

تصورها القوم كأنها كانت عند ما حققها التاريخ — ومهما يكن من صحة هذا الزعم فلا عجب ان يكون فريام وهذا اعتقاده حذراً من انياس نازعاً الى النض من قدره وأن يكون انياس حانقاً ساخطاً معتزلاً كما قال الشاعر « في طرف الفيلق »

(١) كثيراً ما يطلق الشاعر لقب الطرواد عليهم وعلى حلفائهم كما يطلق لقب الاخاءة والاراغس على جميع المحاصرين • وانياس هذا بطلٌ مغوار قال فيلوستراتوس انه لم يكن دون هكطور بشيءٍ الاَّ بشدة البأس ولكنه كان يفوقه حكمةً ويساويه في كل ما سوى ذلك • وكان شاعراً بما كان له في القدر بعد ذلك طروادة لا يعرف الخوف ولا تروعه الحروب • واذا احدق به خطر لا يتزعزع صوابه ولا يتغير فكما ان هكطور كان ساعد الطرواد كان انياس رأسهم يدبر امورهم بدراية فوق تدبير هكطور باندفاعه وبأسه • وكلا البطلين متشابهان سناً وشكلاً • وانياس وان كان اقل بأساً واقداماً فقد كان اربط جاشاً وأثبت عزيمة

ويَذْخَرُ بَطْشاً بَعِيدَ المَنالِ ... لِذَبْحِ الكِلابِ وكَبْحِ الرِّجالِ[1]

كَذٰلِكَ إِيذُومِنٌ وقفا ... لِأَنياسَ مُذْ حَنَقاً زَحفا

وَنادى الرِّفاقَ بِصَوتٍ جَهِيرٍ ... كَذِيفِيرَ مِرْيُونَ ذاكَ الجَسُورِ

وآفارِسٍ عَسْقَلافَ البَطَلْ ... كذا أَنْطِلُوخَ وصاحَ: «العَجَلْ

هَلُمُّوا رِفاقي فَلَيسَ لَدَيَّا ... مُعِينٌ وأَنياسُ خَفَّ إِلَيَّا

هُوَ القَرْمُ يُبْلِي بِجَمٍّ غَفِيرِ ... ومازالَ غَضَّ الشَّبابِ النَّضِيرِ

خَشِيتُ وَلَمْ أَخْشَ لَوْ كانَ تِرْبِي ... وَذا العَزمُ عَزمي وذا القَلبُ قَلبي

فلا شَكَّ كانَ النِّزالُ سِجالْ ... فَإِمَّا يُعالُ وإِمَّا أُعالْ»

فَحَرَّكَهُمْ عامِلٌ واحِدُ ... وهَزَّهُمُ الجَلَلُ الوافِدُ

فَهَبُّوا إِلَيهِ بِأَصْنافِهِمْ ... وأَجْوابُهُمْ فوقَ أَكْتافِهِمْ

---

(١) قال لبيد يصف البقرة الوحشية دافعةً عن نفسها هجمات الرماة وكلابهم بما يشبه دفاع خرنوص هوميروس :

فتوجست رِزَّ الانيس فراعها ... عن ظهرغيب والانيس سقامها

فغدت كلا الفرجين تحسب انه ... مولى المخافة خلفها وامامها

حتى اذا يئس الرماة وارسلوا ... غضفاً دواجن قافلٌ اعصامها

فلحقن واعتكرت لها مدريَّة ... كالسمهرية حدها وتمامها

لتذودهن وايقنت ان لم تذد ... ان قد احم من الحتوف حمامها

فتقصدت منها كسابِ فضرجت ... بدم وغودر في المكر سُحامها

قال ان البقرة تسمعت صوت الرماة القادمين لصيدها فراعها ذلك واستعدت للقاء فلما عجز الرماة عنها بسهامهم ارسلوا عليها الكلاب فرأت انه لابد من الدفاع فقابلت تلك الكلاب بقرن كالرمح وقتلت منها كلبتين تدعى احداهما كساب والاخرى سحام

وأنياسُ صاحَ بمن لمحا ... يُنادي السَّراةَ بذاكَ الوحى
فهبَّ أغينورُ ذيفوبُ فارسْ ... ومن خلفهم هبَّ كلُّ القوامسْ
كما تبعَ الكبشَ سربُ الشياهْ ... تعافُ المراعي لوِردِ المياهْ
وأنياسُ بادي السرورِ رقبْ ... كما هزَّ راعي النَّعيم الطَّربْ[1]
ومن حولِ أقتاتٍ اصطدموا ... صدامَ الكواسرِ وازدحموا
وفوقَ الصدورِ دروعٌ تَصِلّْ ... بضربٍ يحلُّ وطعنٍ يفلّْ
وأفتكهم كانَ إيذومنا ... وأنياسَ كلٌّ لكلٍّ دنا
كآريسَ في بأسهِ اندفقا ... وأنيـاسُ عامله سبقا
فأبصرَ إيذومنٌ واحتفزْ ... وفي الأرضِ راسُ السنانِ ارتكزْ
فلم تكُ بالطعنـةِ الصَّـادرهْ ... وإن أنفذتها يدٌ قادرهْ[2]
وبالرمحِ إيذومنٌ رشقا ... على وينماسَ فما زهقا
ففي الدِّرعِ غاصَ وشقَّ الحشا ... فخرَّ على الأرضِ مرتعشا
وإيذومنُ اجترَّ ذاكَ المثقَّفْ ... وهمَّ يجرِّدُهُ فتوقَّفْ
فإنَّ السهامَ عليهِ همتْ ... وبالعيِّ أعضاؤهُ وهنتْ

---

(١) يعلم الرعاة انه كلما كثر شرب الماشية كانت اقرب الى الصحة ولهذا يسرون اذا اندفعت للموارد بعد الاكتفاء من المراعي وهذا الذي أشار اليه هوميروس بقوله «هز راعي الغنيم الطرب»

(٢) الصادرة المصيبة النافذة

فلا قُوَّةٌ لِانْتِقاطِ الزِّجاجِ ولا لفرارٍ بذاكَ العجاجِ [1]
ولٰكِنَّ فِيهِ بَقِيَّةَ حَزْمٍ بها يَدفَعُ الحَتْفَ عنهُ ويُصمِي
وذِيفُوبُ أَبصَرَهُ يَتقهقرْ وقد كانَ حقداً عَلَيهِ تَسَعَّرْ [2]
وزَجَّ فَطاشَ السِّنانُ وطارْ إلى عَسقَلافَ ابْنِ رَبِّ البِدارْ
فَحَلَّ بِعاتِقِهِ فتلقَّى براحتِهِ الأَرضَ يخفُقُ خفقا
ولَمْ يَدرِ آريسُ أَنَّ فَتاهْ بذا المُلتَقى فارَقَتْهُ الحَياهْ
لَقَدْ كانَ فوقَ الأُلِمبِ احتَجَبْ تحيطُ بهِ سُحُبٌ مِن ذَهَبْ
هُنالِكَ زَفْسُ بحُكمِ القَدَرْ على الخالِدِينَ القِتالَ حَظَرْ
وحَولَ القَتيلِ الوَغى صدَعا وذِيفُوبُ مِغفَرَهُ انْتَزَعا
ولٰكِنْ كآرِيسَ مِريُونُ خَفْ على يَدِهِ بالقَناةِ قَذَفْ
فَمِنْهُ التَّرِيكَةُ في الحالِ فَرَّتْ وصلَّتْ على الأَرضِ حيثُ استَقرَّتْ
وَهَبَّ إِليهِ هُبُوبَ العُقابْ وَمِنْ يَدِهِ الرُّمحَ جَرَّ وآبْ
وفُولِيتُ بَينَ يَدَيهِ رَفَعْ أَخاهُ القَتِيلَ وَفِيهِ رَجَعْ
الى حيثُ سائقُهُ قد تَخلَّفْ بِمَرْكَبَةٍ دُونَها الخَيلَ أَوقَفْ

---

(١) الزجاج جمع الزج وهو السنان

(٢) اذا أشار الشاعر الى أمر مشهور في عصره فقلما يفصله تفصيلاً كافياً مثال ذلك ما تقدم معنا في الكلام على آنياس ومثله قوله هنا ان ذيفوب تسعر حقداً على ايذومين ولم يذكر السبب لاشتهاره في زمانه . ذلك انه كما قال افستاثيوس كان بين ايذومين وذيفوب رقابة غرام وقد كان كل منهما طامعاً بهيلانة المسبية . وهذا القول

فَراحَتْ لإِلْيُونَ فيهِ تَطِيرْ | عَلى أَلَمٍ وَدَمٍ وزَفِيرْ
وسائِرُهُمْ فَوقَ ذاكَ الفَجاجْ | يَعجُّ بِهِمْ بالصِدامِ العَجاجْ
فَآفارسُ بْنُ فِلِيطُورَ راما | بأَنْياسَ فَتْكاً فأَلقى الحِماما
فأَنياسُ مِنْ فَوْرِهِ وَثَبا | بِرُمْحٍ بِحُلْقُومِهِ نَشِبا
فَمالَتْ على الصَّدْرِ هامَتُهُ | وأَهوَى المِجَنُّ وخُوذَتُهُ
وأَحْدَقَ فيهِ ظَلامُ الرَّدى | فأَخْمَدَ أَنفاسَهُ سَرْمَدا
ورامَ ثُوُونُ فِرارًا فأَحْدَقْ | بِهِ أَنْطِلُوخُ وكاهِلَهُ شَقْ
بِطَعْنَتِهِ أُبْتَّ حَبْلَ الكَتَدْ | فَمُسْتَلْقِياً في التُّرابِ رَقَدْ (١)
يَمُدُّ ذِراعَيهِ مُسْتَنْجِدا | وقاتِلُهُ يَنْزَعُ العُدَدا
ويَنْظُرُ حَوْلَيهِ في صَخَبهْ | فَكَرَّ الطَّراوِدُ في طَلَبِهْ
وفَوقَ المِجَنِّ العَرِيضِ البَدِيعْ | ظُبَاتٌ حِدادٌ وقَرْعٌ ذَرِيعْ
وما مَسَّهُ مِن ظُبَاهُمْ ضَرَرْ | فَفُوسِيذُ واقِيهِ كُلَّ الخَطَرْ
وما ارْتاعَ فانْصاعَ بل ظَلَّ فِيهِمْ | يُجِيلُ مُثَقَّفَهُ ويَلِيهِمْ
يُفَكِّرُ إِمَّا يَزُجُّ وإِمَّا | يَشُقُّ الصُّفُوفَ بِسَيفٍ أَصَمَّا
وأَمَّا أَداماسُ آسِيُّسا | فَأَدْرَكَ ما بالخَفا هَجَسا
فَزَجَّ بِرُمْحٍ إِلَيهِ يَطِيرْ | فَغاصَ بِقَلْبِ المِجَنِّ الكَبِيرْ

يطابق كلام فرجيليوس اذ ذكر انه بعد موت فاريس زفت هيلانة الي ذيفوب

(١) الكتد ما بين الكاهل الى الظهر

وفُوسِيذُ يأْبى مَنيَّتَهُ　　فأَوْقَفَ في التُّرْسِ طَعْنَتَهُ
وعُودُ القَناةِ وفيهِ انْصَدَعْ　　فَشَطْرٌ الى الأَرْضِ مِنهُ وَقَعْ
وشَطْرٌ بمَتْنِ المِجَنِّ الْتَصَقْ　　حَكَى وَتَدًا باللَّهِيبِ احْتَرَقْ
وأَمَّا أَداماسُ فانْقَلَبا　　الى قَومِهِ يَتَّقي العَطَبا
ولٰكِنَّ مِرْيُونَ مُذْ كانَ أَعْدى　　لهُ بالسِّنانِ الشَّحيذِ تَصَدَّى
فأَنْفَذَ حَيثُ أَريسُ يَهِيلْ　　على الإِنْسِ مَوْتاً أَليماً وَبِيلْ
بِأَسْفَلِ حالِبِهِ فَسَقَطْ　　إِلى الأَرْضِ مُضْطَفِقاً وخَبَطْ [1]
كَثَورٍ على جَبَلٍ رُبِطا　　بِعُنْفٍ على رَغْمِهِ ضُغِطا
وما دامَ هذا الوَجيبُ وطالْ　　سِوى لَحظاتٍ قِصارٍ قلالْ
فَلَمّا انْتَزَعَ الرُّمْحَ حتّى انْسَدَلْ　　على مُقْلَتَيهِ ظَلامُ الأَجَلْ
وهِيلِينُسُ صُدْغَ ذِيفِيرَ فَلْ　　بِسَيفٍ بِإِثْراقَةٍ قد صَقَلْ
أَطارَ تَرِيكَتَهُ تَتَدَحْرَجْ　　الى قَومِهِ بالدِّماءِ تُضَرَّجْ
بِها مِن ذَوِيهِ خَلا نَفَرُ　　وأَظْلَمَ في عَيْنِهِ البَصَرُ
فَشَقَّ فُؤَادَ مَنيلا الأَسى　　وأَقْبَلَ يَطْلُبُ هِيلينُسا
وهَزَّ القَناةَ وذاكَ حَنى　　حَنِيَّتَهُ ومَعاً طَعَنا [2]

(١) ان في هذا البيت في الأصل اليوناني من المشاكلة الشعرية ما يكاد يريك ذلك القتيل وقد انقطعت انفاسه ولعل في الترجمة العربية رائحة من ذلك

(٢) الحنية القوس اي ان احدهما طعن برمحه والآخر انفذ سهماً

فهيلينُسْ سهمهُ نَشِبا بِلأمَةِ أتريذَ ثمَّ نبا
وَحلَّقَ وانْطادَ ثمَّ وَقعْ كما الحَبُّ بين المَذاري اندفعْ [1]
وذو الزَّرعِ في بَيْدَرٍ عاجلا ذَرى الحُمُّصَ اليَبْسَ والباقِلى
فبينَ الرِّياحِ وجهْدِ المُذرّي تدافعُ حَبٍّ الى الأرضِ يجري
ولٰكنَّ رُمْحَ منيلا استقرّ بكفٍّ بها لا يزالُ الوتَرْ
فأنفذَ منها وفي القوسِ غاصا فأمَّ ذويهِ يرومُ الخلاصا
فوافاهمُ النَّصلُ في يدِهِ يقوِّضُ رُكْنَ تجلُّدِهِ
فأقبلَ فورا أغينُورُ يخرجْ برقَّتِهِ النَّصلَ من حيثُ أولجْ
ومن صوفِ مِقلاعِ تابعِهِ حَلْ ضِماداً على ذلكَ الجُرحِ أسبَلْ [2]
وفيسَندرُ انقضَّ مُتَّقدا وللحتفِ ساقتْهُ أيدي الرَّدى
لدَيكَ منيلا رماهُ القدَرْ لِتُعمِلَ فيهِ حُسامَ الظفَرْ
كلا البطلَيْنِ مشى وَرشَقْ ولٰكنَّ رُمْحَ منيلا زَهقْ .

---

(١) انطاد علا في الجو صعُداً

(٢) ليس في الالياذة ذكر للمقلاع او المخذفة الا مرتين في هذا النشيد . ولهذا ذهب بعض الشراح الى ان الكلمة هنا تفيد معنى آخر ولكن هذا الزعم غير ثبت لان المقلاع من اقدم آلات الحرب . وان لم يكن كثير الاستعمال عندهم فلأنه لم يكن له مجال واسع مع النبال والرماح ولقد رأيناهم مع ذلك يقذفون الصخور عن قرب بايديهم فالحجر اذاً كان من جملة اسلحتهم ولعلهم لم يكونوا احكموا رمي المخذفة احكام داود النبي قاتل جليات

وفِيسَندرُ رُمحُهُ وَقعا على التُّرسِ لكنَّهُ ارتدعا
بِفُولاذِهِ الصُّلبِ ما صدَرا ومِن كَعبِ نَصلَتِهِ انكسرا
ولكنَّ فِيسَندرا طَربا لِما خالَ مِن نَيلِهِ الأرَبا
فسلَّ مَنِيلا حُساماً تَرصَّعْ قَتِيرَ لُجينٍ بَهِيٍّ وأسرَعْ
وذلكَ تحتَ المِجَنِّ قَبَضْ على فأسِهِ وإليهِ رَكَضْ (١)
بِفُولاذِها بُدِعَتْ عَمَلا وزَيتُونُ مِقبَضِها صقُلا
فما كانَ إلاَّ أنِ اقتَرَبا وكلٌّ بِشِدَّتِهِ ضَرَبا
فَمِن بَيضَةِ الخُوذَةِ الفأسُ حلَّتْ على عَذَباتٍ بِهِنَّ تَحلَّتْ
ولكنْ مَنِيلا بِطَعنَتِهِ أحلَّ السِّنانَ بِجَبهَتِهِ
فأولِجَ والعظمَ سَحقاً سَحَقْ ومِن مُقلَتَيهِ النَّجِيعُ اندَفَقْ
وطُيِّرَتا بِخَضِيبِ الدَّمِ مِنَ الرَّأسِ حتَّى تُرى القَدَمِ
فقُوِّسَ ظَهراً وخرَّ صَرِيعا وقاتِلُهُ الصَّدرَ داسَ سَرِيعا
وجرَّدَهُ مِن بَهِيِّ السِّلاحِ ومُفتَخِراً صاحَ أيَّ صِياحِ :
« ألا يا طَراوِدَةُ يا لِئامْ ويا ظَمِئِينَ لِوِردِ الصِّدامْ
ألا هكذا ستَعافُونَ قَهرا سَفائِنَنا اللاءِ يَمخَرنَ مَخرا
علامَ إضافةَ عارٍ لِعارِ تَحرَّيتُمُ يا كِلابَ الشَّنارِ

(١) ما قيل عن المقلاع يصلح ان يقال هنا عن الفأس لانها كانت قليلة الاستعمال تعتبر سلاحاً خشناً لا يستخدمه الجنود المنتظمون بعد اتقانهم الطعن بالرماح والضرب بالسيوف والفأس كانت مع ذلك سلاح الامازونة

فَهَلاَّ غَنِيتُمْ عَنِ الغَدرِ نَفْسا وهَلاَّ خَشِيتُمْ إِثارَةَ زَفْسا
إِلاهِ القِرى مَنْ سيَهْدِمُ هدْما دِيارَكُمْ إِذْ جَنَيْتُمْ ظُلْما
وزَوجِيَ لَمَّا رَعَتكُمْ ضُيُوفا فَرَرْتُمْ بِها والكُنُوزِ صنُوفا
أَلا ما اجْتَزَأْتُمْ بِما قد سبَقْ لِتُورُوا السَّفِينَ وتُرْدُوا الفِرَقْ
فلا لا وَمَهْما اضْطَرَمتُمْ غُرُورا ستَلْقَوْنَ تَحتَ العَجاجِ الثُّبُورا
أَيا زَفْسُ يا مَنْ بِسامِي النُّهَى عَلى الإِنْسِ والجِنِّ طُرًّا سَما
بِقُدْرَتِكَ اسْتَعْصَمَ المَكْرَهْ فَكَيْفَ تَلِي زُمَرًا غَدَرَهْ
جَنَوا وسَيَجْنُونَ طُولَ الزَّمَنْ ولا يَرْتَوُونَ وَغًى وفِتَنْ
فَرَقْصُ السُّرُورِ وعَذْبُ المَنامِ وطِيبُ الأَغانِي وكُلُّ هُيامِ
وكُلُّ سُرُورٍ وإِنْ طَمَحا لَهُ المَرْءُ فَوقَ شُرُورِ الوَحى
فَلا بُدَّ صاحِبُهُ ان يَملاَّ ولٰكِنْ مِنَ العَيْثِ طُرْوادَةٌ لا » [1]

(١) حيثما تكلم منيلاوس رأينا كلامه يشف عن حزازة نفس ليست في صدر غيره ألا وهو الجريح الذي لم يصب بجرحه سواه . فاذا تشفّى ببعض التشفي من قتيل طريح او عدو جريح فما ذلك ليروي غلة صدره وهو ما زال بعيداً عن نيل بغيته القصوى يتألم تألم صاحب الجميل الذي نُبذ اجره وبخس قدره وقوبل باشنع الفعلات . وكأنه يبرد غلالة لبه بملامة زفس لاعتقاده انه بقدرته استعصم المكرة الغدرة . ثم كأن ذلك الملام لا يغنيه فتيلاً ولا يشفي له غليلاً فيرجع الى وصف عدوه بكلام وان كان سهلاً بسيطاً فهو أمرّ ما وُصف به انسان واشر ما دل على الغدر والنكران اذ لا ادل على الظلم من ملالة المرء اموراً طيبة حلالاً كالرقص والنوم والغناء والسرور مع عدم ارتوائه من أمور اخرى متعبة مزعجة محرمة كالعيث والفساد — ويجمل بنا في هذا المقام ان ننبه الى ان الرقص كان عندهم على نوعين احدهما الرقص الممدوح

وَلمَّا أَتمَّ مَقـالَتَـهُ　　وجَـرَّدَ ذَلكَ شكّتَـهُ
وأَدْلى بِها لِرَفِيقٍ بَطَلْ　　وعادَ فَبرَّزَ بَينَ الأُوَلْ
فَهرْفليُونُ بْنُ فِيلِيمِنِ　　بَدا لِلقَواضِبِ لا يَنثَني
وَراءَ أَبيهِ لإِلْيُونَ قِدْما　　أَتى لِيُوانِي القَضاءَ المُلِما
فَبادَرَ أَتْرِيذُ في طَعنَتِهْ　　فَلَم يَنفُذِ الرُّمحُ في جُنَّتِهْ
ونَحوَ ذَوِيهِ أَلتَوى يَنظُرُ　　حَوالَيهِ خَوفَ العِدى تَغدُرُ
فَما كادَ يَنصاعُ حتى تَلقَّى　　مُثقَّفَ مِريُونَ يَخرُقُ حقَّا
بأَيمَنِ فَخذَيهِ بالعَظمِ مَرَّا　　وشقَّ مَثانَتَهُ واستَمَرَّا
فأَقعى وَوَجهُ التُّرابِ تَروَّى　　دَماً وأُرتِمى دُودَةً تَتلَوَّى(١)
فأَنماهُ خُلّانُهُ بالحَضِيضْ　　بِطَرفٍ غَضِيضٍ ورُوحٍ تَفِيضْ
فَحفَّ بِهِ البَفلغُونُ ذَوُوهُ　　وبَينَ أَكُفِّهِم رَفَعُوهُ
وأَلقَوهُ مِن فَوقِ مَركَبَةِ　　يَهُدُّهُمُ فادِحُ المِحنَةِ
لإِلْيُونَ ساروا أَمامَهُمُ　　أَبُوهُ مآقيـهِ تَنسَجِمُ
فإِذْ ذاكَ مَقتَلُهُ عَظُما　　على نَفسِ فارِيسَ فاُقتَحَما
لَقَدْ كانَ قَبلاً نَزِيلاً لَدَيهِ　　فَشَقَّ عَظِيمُ المُصابِ عَلَيهِ

للفرسان والفتيان وهو الذي سنته لهم أثينا والآخر رقص الخلاعة والتهتك ولا شك أن منيلاوس اراد هنا النوع الاول

(١) ليس تلوّي هرفليون الا كتلوي صخر الحضري صبابةً بالمنازل اذ يقول :

الوّي حيازيمي بهنّ صبابةً　　كما تتطوّى الحيةُ المتشرّقُ

فَزَجَّ وكانَ هُناكَ فَتى بأُوخينُرٍ بَينَهُمْ نُعتا
هُمَامٌ بِقُورِنثسٍ ذو رِياشْ وأَيقَنَ بالحَتفِ مُنذُ استجاشْ
لِأَنَّ أَباهُ فُليذَ النَّبيلْ مِرارًا لهُ قالَ قبلَ الرَّحيلْ :
« فإِمَّا الحِمامُ بداءٍ عُضَالْ وإِمَّا الَّدى الفُلْكِ يومَ القِتالْ » (1)
فَلَمْ يَرْضَ داءً يُؤَرِّقُهُ وعَذْلاً وحزْنًا يُحرِّقُهُ
فَجاءَ وفارِيسُ فيهِ فَتَكْ بِزُجٍّ تلجلجَ تحتَ الحَنَكْ
فأَوْدى على لَهَبِ الغَمَراتِ وهامَ على أَوْجُهِ الظُلُماتِ
هُنَا كاللَّهيبِ السَّرِيُ اقتتلوا وهكطُورُ مَقتَلَهُمْ يَجهَلُ
وَلَمْ يَدرِ أَنَّ يسارَ السَّفينِ عَثَتْ بذَوِيهِ أَيادِي المَنُونِ
وكادَ العِدى يُحرِزونَ الظَفَرْ وفُوسِيذُ فِيهِمْ يَهِيجُ الزُّمَرْ
فإِنَّ مُزَعزِعَ رُكْنِ الثَّرى لِنُصْرَتِهِمْ بِقُواهُ انْبَرى (2)

(١) هنا فتىً كأخيل يقدم على الحرب مع علمه بانه يقتل فيها ولكن شتان ما هذا العلم وعلم اخيل فأخيل انبأته امه بعمر مديد وعيش رغيد اذا لبث في مكانه فآثر قصر الحياة مع المجد الاثيل والثناء على طولها مع العمر الطويل والرخاء . واوخينور انبأه أبوه بالموت بداء عضال اذا تقاعد عن الحرب وكل فتى يؤثر الموت في ساحة النزال على الهلاك على فراش الاوجاع بداء عضال

(٢) مزعزع ركن الثرى لقب من القاب فوسيذ الاه البحار . كانوا يمثلونه بصور شتى وهو في اكثرها اما



فوسيذ او فوسيذون

وهكطور ما زال حيث اندفع　　بهم أولاً والصفاق اقتلع [1]
هنالك حيث جرى حنقا　　وفيلق ذرّاعهم خرقا
وحيث سفين فروطسلاس　　لقد قرنت بخلايا أياس
وقد جذبت لجدود البحار　　تحاذي أداني ارتفاع الحصار
هنالك الفوارس والخيل مالت　　بجملتها للصدام فجالت
هنالك هكطور كالنار شبّا　　على فلكهم فتلقوه غضبى
وصدّوه عنها وما ظفروا　　بإجلائه فله صبروا
بصدرهم زعماؤهم　　تخوض المنايا وتقتحم
هناك البيوتة جند أثينا　　بصدر طلائعهم يصدرونا
منستس قائدهم وفداس　　يليه وإستيخيس وبياس
ومستترسلو اللام يونانهم　　تصدّر للطعن فتيانهم [2]
إليهم قد انضمّ قرب الخلايا　　بنو أفش بلقيف السرايا
وميدون في قومهم آمر　　وفوذرقس البطل القاهر

ممتطٍ صهوة مركبة بهيئة صدفة تجرها جياد البحر وبه تحيط الحور الحسان واما راكب دلفينه كما ترى في الرسم • والصولجان المثلث الاطراف ملازم له في كل صورة

(١) يريد صفاق الابواب

(٢) اللام الدروع — اليونان ملة هاجرت الى اغيالة قبل حرب طروادة بنحو مئتي عام ورجعت الى بلادها في الاتيكة بعد تلك الحرب بمئتي عام وبقي اسمهم عليهم وما هم الا فرقة من تلك الامم المتضافرة • ومن الغريب ان العرب اطلقوا اسمهم على جميع تلك الملل مع ان من تقدمهم من الرومان وغيرهم لم يغلبوا هذا التغليب

(فَميدُونُ كانَ فتىً رَبَّ باسِ — لِوِيلُوسَ مِن غيرِ أُمِّ أَياسِ
بِهاهامَ وِيلُوسُ مِنْ غَيرِ حِلٍّ — ومِيدُونُ عَن مَوطنِ الأَهلِ أُجلي
لِفيلاقةٍ كانَ مُذْ قَتَلا — أَخا عِرسِ والِدِهِ رَحَلا
فَهاجَتْ لِذا إرِيفِيسُ اُستِعارا — فَأَخلى البِلادَ وعافَ الدِّيارا
وفُوذَرقُسُ بنُ إفِقلُوسَ كانا — سَليلاً لِفيلاقُسٍ عزَّ شانا)
وَيَصحَبُهمْ باسِلُو لُقْرِيا — وَميجيسُ قادَ بَني إيِفيا
لِإمْرَتِهِ كُلُّهُمْ ذَعِنا — وإِذْراقُسٍ ولأَمفِينا
وأَمَّا الأَياسانِ فانْدَفَقا — مَعاً لَحْظَةً قطُّ ما افْتَرَقا
كَثَورَينِ في مَزرَعٍ أَسحَمَينِ — بِنِيرٍ لَقَدْ قُرِنا كُفْؤَينِ
جَرَى مِحرَثُ الأَرضِ خلفَهُما — بِعَزمٍ تَعادَلَ بَينَهُما
فَيَثْلِمُ ثَلْماً وَيَنثَنِيانِ — وصَدْراهُما عَرَقاً يَرْشَحانِ(١)
ولٰكِنْ لَدى ابنِ تِلامُونَ ثارَتْ — عِصابَةُ بأْسٍ حَوالَيهِ دارَتْ
لِجُنَّتِهِ تَتَناوَبُ حَمْلا — لِتَخفِضَ مِن ثِقلَةِ العَيِّ حِملا(٢)
وأَمَّا رِجالُ ابنِ وِيلُسْ فَما — جَرَوْا خَلفَهُ عِندَما هَجَما

(١) اي تشبيه اصدق لبطلين متساويين قوة وشدة من هذا التشبيه وان كان لايشبّه به في ايامنا فلم يكن هوميروس ليبالي برقة أبناء هذا الزمان

(٢) الجنه الترس كما لايخفى واذا كانت تلك العصابة تتناوب حمل تلك الجنة لتخفض من ثقلها حيناً بعد حين عن اياس فلان ثقلها كانت شيئاً مذكوراً لانها وامثالها كانت تستر جميع الجسم فلا بدع ان تكون ثقيلة مزعجة ولا سيما في حين يكل فيه اشد السواعد لكثرة كره وقتاله

فما لِبَني لُقْرِيا مُهجٌ　　بِصَدْرِ الكَتَائبِ كي يَلِجُوا
فَلَيسَ لَهُمْ خُوَذٌ سابِجاتٌ　　على صُلْبِ فُولاذِها العَذَباتْ
وليسَ لَهُمْ جُنَنٌ مِن صِفاحٍ　　أُديرَتْ ولا أَسَلٌ ورِماحْ
ولٰكِنَّهُمْ أَقبَلُوا لِلقِتالِ　　بِتِلكَ القِسيِّ وتلكَ النِّبالِ
وتلكَ المَخاذِفِ تُحْكِمُ جَدْلا　　مِنَ الصُّوفِ تُمْطِرُ في الحَرْبِ وَبْلا
بِعُدَّتِهِمْ تلكَ هُمْ أَبَدا　　نَكالُ كَتائِبِ جَيْشِ العِدى (١)
فَظَلَّ مُجِيلُو السِّلاحِ الكَثِيرِ　　يَصُدُّونَ أَعداءَهُمْ بالصُّدُورِ
وهُمْ خَلفَهُمْ جَحفَلاً ثانِيا　　يَظَلُّ وَبالُهُمُ هامِيا
فَرَبَّكَ وَجهَ العَدُوِّ الأَلَدْ　　وأَوْهَى عَزِيمَتَهُ والجَلَدْ
وكادَ الطَّرَاوِدُ يَنْكَفِئُونا　　إلى حُصْنِ إِلْيُونَ مُكْتَئِبِينا
ولٰكِنَّ فُولِيدَماسَ سَبَقْ　　فَصاحَ بِهَكْطُورَ بَينَ الفِرَقْ:
عَتَوْتَ فلا تَرْعَوِي لِمَقالِ　　أَأَنتَ سَبُوقٌ بِكُلِّ مَجالِ
أَمُذْ كُنْتَ هَكْطُورُ تَسْمُو بِعَزْمِكْ　　زَعَمْتَ بِأَنَّكَ فُقْتَ بِعِلْمِكْ
أَلَمْ تَرَ آلَ الخُلُودِ العِظامْ　　يُنِيلُونَ هذا فَخارَ الصِّدامْ
ويُؤْتُونَ ذٰلِكَ صَوتاً رَقِيقا　　وقِيثارَةً ثُمَّ رَقْصاً أَنِيقا
وذَيّاكَ زَفْسُ الحَكِيمُ يُزَيِّنْ　　بِثاقِبِ فِكْرٍ وعَقْلٍ رَزِينْ

(١) نعلم من هذه الابيات ان كل فرقة اتت بسلاحها الذي لها في اوطانها فمنهم السيّافة والرماجة ومنهم النبّال وحملة المخاذف اي المقاليع . ولا بدع ان يكون هؤلاء بلا دروع لقلة احتياجهم الى ملاقاة الاعداء صدراً لصدر

فذيّاكَ ذيّاكَ خابرُ نفسهْ ... وواقي الذّمارِ ونافعُ جنسهْ (١)
إذاً خُذْ مقالِيَ رأياً صوابا ... فحولكَ ثارَ القتالُ التهابا
فأصحابُنا مُنذُ عبرِ الحصارِ ... همُ بين معتزِلٍ لا يُباري
ونزرٍ لجيشِ العدى صدّرا ... وحولَ السّفائنِ قد ذُعِرا
فعُدْ واعقِدَنْ مِنَ الصِّيدِ محضَرْ ... لنبحثَ فيما بهِ نتدبَّرْ
أبالفُلْكِ فتكاً بزحفٍ وكَرّْ ... لعلَّ إلاهاً ينيلُ الظفَرْ
أمِ العودُ عنهنَّ منقلبينا ... ونحنُ بأرواحنا سالمونا
فإنّي أخشى أُثارَ الأعادي ... لنكبةِ أمسِ بجرِّ الجلادِ
هنا قربَ فُلْكِهمِ رجلُ ... منَ الفتكِ لا يرتوي بطَلُ
وظنّيَ لا يلبثنَّ طويلا ... فيبرزُ للحربِ سخطاً وبيلا» (٢)
تلقّاهُ هكطورُ رأياً مُصيبا ... وقالَ لفوليدَماسَ مجيبا : (٣)

---

(١) اى صاحب الفكر الثاقب والعقل الرزين • كانوا يعتقدون ان الآلهة تقسّم على الناس الاخلاق كما توزع عليهم الارزاق • وفي مثل هذا المعنى يقول لبيد العامري:

فاقنع بما قسم المليك فانما ... قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسّمت في معشر ... اوفى بأوفر حظنا قسامها

(٢) تلك اشارة الى اخيل • يهيء الشاعر المطالع لرؤية أخيل بأعظم مظاهر الهيبة والجلالة • هنالك يوفد الاغريق له الوفود لاسترضائه وهنا اشد الاعداء بأساً كفوليداماس وهكطور يقفان عند ذكر اسمه • وعما قليل سنراهم منهزمين لرؤية فطرقل شاكاً بسلاحه ظناً منهم انه هو هو

(٣) هنا في بعض النسخ بيت يقول ان هكطور وثب الى الارض من مركبته • واغفال هذا البيت من نسخ اخرى صواب لان سياق الكلام يدل على ترك الطرواد

« هُنَا أَوْقِفَنَّ خِيارَ الجُنُودْ إِلى أَنْ أَكُرَّ أَنا وَأَعُودْ

أُثيرُ بِقَومِي نارَ الكِفاحِ وأُرْشِدُهُمْ لِسَبيلِ الصَّلاحِ »

وَهَبَّ بِجُنودِهِ يَسْتَطِيرُ كَطَوْدٍ مِنَ الثَّلْجِ راحَ يَسيرُ [(١)]

وَخاضَ يَصِيحُ بِصَوتٍ جَفا صُفُوفَ الطَّرَاوِدِ والحُلَفا

فَكُلٌّ أَصاخَ لِوَقْعِ النِّدا وَمِنْ حَوْلِ فُولِيدَماسَ عَدا

وَهَكْطُورُ بَيْنَ الطَّلائِعِ هامْ يُسائِلُ عَنْ هِيلُنُوسَ الهُمامْ

وعَنْ آدَماسَ بْنِ آسِيُّسا وآسِيُّسٍ نَجْلِ هِرْطاقُسا

وذِيفُوبَ لكِنْ أُتِيحَ القَضا فَبَعْضٌ جَرِيحٌ وَبَعْضٌ قَضى

فَمِنْ بَطَلٍ بِطِعانِ الأَراغِسْ قَتِيلٍ أَمامَ السَّفائِنِ راكِسْ

وَمِنْ باسِلٍ لَمْ تَغُلْهُ المَنُونْ جَرِيحٍ بِأَكْنافِ تِلكَ الحُصُونْ

فَأَبْصَرَ فارِيساً المُجْتَبى يَسارَ الجَناحَيْنِ مُلْتَهِبا

يَكُرُّ وَيَدْفَعُهُمْ لِلْقِتالِ فَعاجَلَهُ بِأَمَرِّ مَقالِ :

« أَلا يا شَقِيّاً بَدِيعَ الجَمالِ وعَشّاقَ خَدّاعَ غِيدِ الدَّلالِ

أَلا أَيْنَ ذِيفُوبُ هِيلِينُسُ كَذا أُثْرِيُونُ الفَتى الأَكْيَسُ

كَذا آدَماسُ بْنُ آسِيُّسا وآسِيُّسٌ نَجْلُ هِرْطاقُسا

أَشَمّاءَ إِلْيُونَ تَمَّ المُصابُ بِكِ اليَومَ حَتْماً يَحُوقُ الخَرابُ »

بمجالهم خلف الحفير • فذلك البيت اذاً دخيل في الالياذة

(١) لو أُخذ معنى الشطر الاخير على ظاهره لكان بلا ريب ابرد من الثلج المشبه به هكطور • ولكن المقصود منه لابد ان يكون اشارة الى بريق سلاحه او

فقالَ كَرْبٍ يَفيضُ جَمالا : « أَخي أَلْبريءَ اتَّهمتَ مُحالا
أَفي مِثلِ ذا اليومِ بأْسيَ أَنسى وأُمّيَ ما وَلَدَتني نِكسا
فَمُذْسِرتَ بالقومِ قُرْبَ العمارَهْ فَنَحنُ هُنا بطعانٍ وغارَهْ
فَمَن رُمْتَ مِن دُونِ هيلينسا وذيفوبَ عَنهم وَرثْنا الأَسى
وذانِ جَريحانِ قد رُغِما وزَفسُ مِنَ الحَتْفِ صانَهُما
بِنا الآنَ سِرْ حيثُ شئتَ فإنّا لَكَ التابعونَ قِراعاً وطَعْنا
وَحقِّكَ لَنْ نبرحَنَّ الرِّهانا نَكرُّ الى أَنْ تَكِلَّ قُوانا
فَمَهما عَتا القَرْمُ لَن يَجدا سبيلاً الى البطشِ إِنْ جُهِدا »[1]
لِذا لانَ هكطورُ ثُمَّ زَحَفْ وَفاريسُ حيثُ اصطكاكُ الحَجَفْ
وحيثُ الفَتى قِبريُونُ ضَرَبْ وفَلْقِيسُ ثارَ وأُرثِيسُ هَبْ
وفُولِيدَماسُ وفَلْمِيسُ كَرّا وفُولَفتُ ذو الجَلالِ اُستَقرّا
ونجلا هِفِتْيُونَ قد ثَبَتا مُرُوسُ وعَسقانِيُوسُ الفَتى
بِأَمسِهما أَقبلا بَدَلا لِرَهطٍ لِعَسقانيا رَحَلا[2]
وَزَفسُ الى الحَربِ حَثَّهُما وجَمعُ السُّرى واحداً هَجَما

ارتجاف قونس خوذته اذ يلقبه هوميروس في مواضع كثيرة بهيّاج الخوذة

(١) ترى من كلام الاخوين ما بين اخلاقهما من الفرق فهنالك هكطور الفتى الصارم يشدد المقال ويلوم حين لا محل للوم وهنا فاريس اخوه يتطلف يجازي عادته ويؤانس مؤانسة الاخ الاصغر والعشيق الامهر

(٢) نعلم من هنا انه كما كان البحر مفتوحاً للاغريق تأتيهم به النجدة والذخيرة كان البر مفتوحاً للطرواد يتناوب في طريقه نجّادهم

كَأَنَّ مِنَ الجوِّ نَوْءًا شَدِيدْ ... بِهِ زَفسُ يَقذِفُ طَيَّ الرَّعيدْ
يَعيثُ بِبَرٍّ ويَهْوِي لِبَحرِ ... ويَدْوِي بِصَعقَةِ هَولٍ ويَجْرِي
فَيَرْكُمُ مَوجاً ويُزبِدُ يَماً ... تَدافَعَ مُرْتَفِعاً مُدْلَهِماً [1]
فَذاكَ انْدِفاعُ لَفيفِ السُّرى ... عَلى أَثَرِ الصيِّدِ مُستَبْشِرا
صُفُوفٌ تُدَفِّعُ دُهْمَ صُفوفِ ... تَأَلَّقَ فُولاذُها لِلْحُتُوفِ
وَهكطُورُهُمْ عِدُّ آريسَ في ... زَعامَتِهِمْ باهِـرُ الشَّرَفِ
مَشى بِمِجَنٍّ جُلُودُ البَقَرْ ... كَسَتْهُ وفُولاذُهُ قَدْ بَهَرْ
ومِنْ حَولِ صُدْغَيهِ خُوذَتُهُ ... تَهِيجُ فَتَسْطَعُ جَبهَتُـهُ
دَنا جائِلاً يَسبُرُ القَومَ سَبْرا ... يَرى هَلْ يُذِلُّهُمُ اليومَ قَهْرا
فَما راعَهُمْ هَولُهُ وتَقَدَّمْ ... أَياسُ يَحُثُّ الخُطَى وتَكَلَّمْ:
« هَلُمَّ إِلَيَّ وأَلْقِ الوَساوِسْ ... عَلامَ كَذا رُمْتَ ذُعْرَ الأَواغِسْ
بَلَونا القِتالَ بِثَبْتِ الخُطَى ... ولٰكِنَّما صَوتُ زَفسَ سَطا
تَوَهَّمْتَ أَنْ تَنْهَبَ الفُلْكَ نَهْبا ... وفِينا أَكُفٌّ تَقِيهِنَّ ذَبّا
وتَسْبُقُ مُفْتَتِحاتٍ حِماكُمْ ... ومُثْنِياتٍ جَزِيلَ غِناكُمْ
وَلَمْ يَبْقَ ظَنِّيَ إِلاَّ اليَسِيرْ ... أَهَكطُورُ حَتَّى فِراراً تَطِيرْ
تَلُوذُ بِزَفْسَ وَكُلِّ إِلاهْ ... لِيُجْرِيَ خَيلَكَ جَرْيَ البُزاهْ

---

(١) قال عنترة واجاد بتشبيه الجيش بالبحر والنصال بامواجه :
وفاض عليَّ بحرٌ من رجالٍ ... بامواجٍ من السمر الدقاقِ

فتلقيك خوف العدوّ المفاجي ... بإليون تحت غمام العجاج »

وما كاد يفرغ حتى تراءى ... بقلب الفضا طائر يتناءى

هو النسر من فوق هامته ... يبشر خيرًا بحومته

فضجّ الأراغس للفأل بشرا ... لما أنسوا فيه من خير بشرى

ولكنّ هكطور حالاً أجاب: ... « أثرثارة زاغ غثّ الخطاب»(١)

هرفت أياس بما قلته ... وقد خاب ما أنت أمّلته

ألا ليت لي أن أقول بنفسي ... بأني من ولد هيرا وزفس

ويا ليت لي باعتزازي يقينا ... كعزة آفلن وأثينا

كما أنني موقن ببوار ... لفيف الأخاءة في ذا النهار

فإما اعتززت وعرّضت نفسك ... لرمحي تؤتى على الرغم بؤسك

يمزّق جلدك ماضي سناني ... فتلقى لدى الفلك ميت الهوان

وفي شحمك النض واللحم ترتع ... نواهس إليون والطير تشبع»

ومن ثمّ هم وفيهم تصدّر ... وفي إثره زعماء المعسكر

بهم خلفه ارتفع الصخب ... ومن خلفهم جحفل لجب

وجيش الأخاءة بأساً تدرّع ... بموقفه ظلّ لا يتزعزع

تربّص يلقى علوج العدى ... بنقع لقلب الفضا صعدا

وعجّ الخميسين شقّ الفضا ... الى حيث في الجوّ زفس أضا

(١) لم يكن ذلك النسر ليروع هكطور لانه على ما تقدم في النشيد السابق لم يكن كثير الاعتقاد بالطيرة

النشيد الرابع عشر

مكر هيرا ببعلها زفس

مُجْمَلُهُ

كان نسطور في المعسكر يُعنى بتمريض ماخاوون الجريح فخرق آذانه قرع الحراب فارتاع وخرج من مضربه يتشوف فشهد مشهداً هاله ولقيه أغاممنون وأوذيس وذيوميذ وكلهم جريح . فتشاوروا فرأى أغاممنون ان الغنيمة في الهزيمة لميل زفس الى الاعداء . فقبّح أوذيس رأيه وارتأى ذيوميذ وجوب العودة الى ساحة القتال لعلهم اذا عادوا بين أجنادهم يثيرون بهم ثائر الحمية فكان كذلك . وظهر فوسيذ بهيئة جندي شيخ ونشّط أغاممنون وثبّت الاغريق . وكانت هيرا قد ارتاعت لانحراف بعلها زفس الى الطرواد فتهيأت لاعمال الحيلة فاستعارت حزام الزهرة ومضت الى لمنوس والتمست معاونة « الكرى » أخي « الموت » على زفس . فتمنع الكرى بادئ بدء عن اجابة سؤلها فلم تزل تخادعه حتى أذعن لها وسكب طلّه على عيني زفس فاستولى عليه السبات بين يديها . وطيرت الخبر الى فوسيذ فاغتنمها فرصة خير فرصة ودفع الاغريق فانقضوا على الطرواد وجرح اياس هكطور فأقصاه اتباعه عن موقف النزال وطلبه الاغريق فلم ينالوا منه مأرباً . وهنالك ازداد الاغريق بأساً ففتكوا بأعدائهم وصدّوهم وابعدوهم عن مواقف السفن وملأوا السهل اشلاء من قتلاهم فانهزم الطرواد من امامهم واياس في اعقابهم تخر الابطال بين ذراعيه

يبتدىء هذا النشيد وينتهي ايضاً في اليوم الثامن والعشرين ومشهد وقائعه في مضارب اليونان فطور ايذا ثم في ساحة القتال

النشيد الرابع عشر

كانَ نسطورُ لدى كأسِ الشرابْ　　مُصغياً يسمعُ عجّاً واصطخابْ
فلماخاوُونَ قالَ : « أفكرْ فما　　علّةُ ينجمُ عنْ قرعِ الحرابْ
حولَ تلكَ الفلكِ فتيانُ الوحى　　نقعهم يعلو مهٍ لا تبرحا
واشربِ الخمرةَ صرفاً ريثما　　هيكميذا لكَ تحمي المسبحا [1]
وتُنقّي الجرحَ منْ هذا الخضابْ

وأنا ماضٍ أرى ماذا جرى　　بالسُّرى » واقتالَ ترساً أكبرا [2]

(١) غسل النساء للرجال ووقوفهن في خدمتهم أثناء استحمامهم من جملة ما اتخذ قدماء اليونان من عادات الاشوريين وغيرهم من ملل الشرق • ولقد أكثر هوميروس من ذكر ذلك في الاوذيسة وهو على مايظهر من غرابته عادة لا تزال مألوفة في اطراف البلاد الشرقية كايران والهند وبعض البلاد العثمانية • وقد شاعت لعهد قريب في قلب البلاد الاميركية فان في مدن منها كشيكاغو ونيويورك تقوم الدالكات من النساء مقام الرجال في بعض الحمامات المعروفة بالحمامات التركية • وليس هذا بأغرب من عادة سقطت من أوربا منذ نحو قرن حيث كانت عقائل الفرنسيس وفتياتهم يتخذن غلماناً يلبسونهن ملابسهن • اما الآن فقد اقتصرن منهم على المزينين والضافرين عوضاً عن المزينات والضافرات

(٢) هذا نسطور الحكيم يتدبر كل شأن. ولا يلهيه شيء عن شيء فهو بحنانه يعطف على مجاريح الزعماء ويعنى بأمرهم • ويثاقب فكرته وسابق اختباره يتأمل في وسيلة لتفريج الازمات ودفع النكبات • وهو على هرمه لا يقعده العجز والضعف عن خوض الصفوف وورد الحتوف • فبعد ان امن على حياة ماخاوون تدرع ببقية بأسه واندفع اندفاع الفتى اليافع ولم يمهله ثقل ترس ترسيميذ ابنه فعدا به الى الباب متطلعاً

كانَ ترسيميذُ قد غادرَهُ مؤثرًا تُرسَ أبيهِ نسطرا
وعلى رُمحٍ طويلٍ قبضا بسنانٍ قاطعٍ صفرًا أضا
وإلى البابِ عدا مستشرفًا فلهُ لاحَ القضا أيُّ قضا
بِبَني الإغريقِ قد جلَّ المُصابْ

دُفِعُوا دُونَ عدُوٍّ مندفعْ خلفَهم من خلفهِ السورُ صُدِعْ
لبثَ الشيخُ على هاجسهِ خامدَ الجأشِ كبحرٍ متّسعْ
بدُنوِّ النوءِ في الجوِّ شعرْ يمُّهُ فأربدَّ لونًا واكفهرْ
لا يَهيجُ الموجُ فيهِ مائلاً أيَّ ميلٍ قبلَ ما زفسُ أتَمرْ
ريحَهُ تنقضُّ من فوقِ العبابْ (١)

ثم انطلق انطلاق المستبسل على ماسترى — كل هذا من بدائع متممات الخطة التي اختطها هوميروس لنفسه بأن يجعل الرسم مصداق المرسوم بكلياته وجزئياته

(١) لا صورة بين صور الطبيعة بجملتها اوقع في النفس من هذه الصورة لوقوف الحائر المتردد بين امرين قبل التعويل على احدهما • فصدر المتردد او فكره كبحر أكفهر الجو فوقه قبل ان تعبث به الانواء فيربد ويسود مرتجاً غير متجه الى وجهة معلومة الى ان تهيجه العاصفة فتجري به امواجه على مجراها • وفي منظومات شعرائنا من وصف حالة المتردد الحذر شيء كثير كقولهم :

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلقِ

وقول مضرّس بن ربعي :

كأن على ذي الظن عيناً بصيرةً بمنطقه او منظرٍ هو ناظرهْ
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم من الخوف لا تخفى عليه سرائرهْ

على انه ليس في شيء منها ما يقاس بتشبيه هوميروس

هـكذا الشيخ على أمرين جاش · لبلوغ الجيش من فوق الرشاش[1]
ألحاقاً بأغاممنون أم · بالحواشي حيثما اصطك الكباش[2]
فعلى ذاك أخيراً عولا · واشتباك السمر يصمي النبلا
يقرع الجنات في دراعهم · أبتر ماض ورمح صقلا
نافذ الحدين ريان الذباب[3]

فإذا في الثغر جرحى الأمرا · من بني زفس تراءوا زمرا
كذيوميذ وأوذيس وأتـ · ـريذ من فلكهم أموا السرى
فلكهم عن موقف الطعن المبيد · أرسيت بالجرف في بون بعيد
دونها للسهل فلك أدنيت · دونهن السور بالإحكام شيد
معقلاً يمنع ان جد الطلاب

ذلك الجرف العريض المتسع · كل هاتيك الخلايا ما وسع
خوف تضييق مجال حال من · دونها فيه السرايا تجتمع
فصفوفاً كن في ذاك الخليج · بينهن النفس في الصيد تهيج

---

(١) المراد بالرشاش انهيال النصال اشارة الى اشتداد القتال

(٢) الكباش الابطال • اي ان نسطور تردد بين ان يلحق باغاممنون وهو جريح كما مر بك في النشيد الحادي عشر او يقصد الجند حيث حمي وطيس الحرب فعوّل على اللحاق باغاممنون كما سيأتي

(٣) الجنات التروس • والذباب الحد

فانبروا كلٌّ على عامله يتوكّا راقباً عجّ الأجيج
واذا بالشيخ نسطور الجاب

فالتظوا طرّاً لمرآه أسى وأغاممنون نادى يئسا :
«يا ابن نيلا قدوة الإغريق لِمْ عُدْتَ من قرع القنا محترسا
خشيتي ويلاه إنفاذ وعيد ذلك الفتاك هكطور العنيد
يوم في شوراه آلى أنّهُ يحرق الأشراع والقوم يبيد
قبل أن ينوي لإليون المآب

وعدوّه ربّاه فيه اليوم برّ وفؤاد الجيش بالغيظ استعر
كأخيل كلّهم لاح وقد عذلوني وأبوا دفع الضرر» [1]
قال : « ها قد قضي الأمر فلا تقس زفس دافع هذا البلا
ذلك السور به منعتنا وتراه اندك والنقع علا
ولدى الأسطول ميدان الضراب

فأجل طرفك في كلّ طرف لا ترى أين بنا جلّ التلف
حيثما تنظر فالقتلى هوت وهديد القوم في الجو قصف

(١) لاينسب اغاممنون كشفة قومه لضعف وعجز فيهم او لشدة وبطش في اعدائهم بل لامتناعهم عن الابلاء حقداً عليه لتحامله على أخيل • وهو تخلص حسن من تبعة الفشل وتصرف احسن من الشاعر اذ يرسم حيناً بعد حين في ذهن المطالع عظمة أخيل وسمو مكانته

فلنَرُمْ رأياً بهِ نُؤتى الفلاحْ إنْ يكنْ ذا الحينَ للرأيِ صلاحْ
إنما الحكمةُ في عزلتنا ما على المجروح إتيانُ الكفاحْ»[1]

فأغاممنونُ ملتاعاً أجابْ :

«إنْ يكنْ ذيالكَ السورُ الخطيرْ ما وقى ضرًّا ولا صدَّ الخفيرْ
أو تكنْ خابت أمانينا بهِ بعدَ إجهادِ قُوى الجيشِ الكثيرْ
أو يكنْ ثارَ الوغى دُونَ السفينْ إنَّما مِن زفسَ ذا الذلُّ المهينْ
نصرهُ عاينتُ قبلاً مثلما قد شهدتُ اليومَ ذا الخذلَ المبينْ

مُوقِناً بالحتفِ في دارِ اغترابْ

غلَّ أيدينا وأعدانا الثقالْ عزَّ آلِ الخُلدِ إجلالاً أنالْ
فلنجرَّنَّ مِنَ الأسطولِ ما كانَ أدناهُ إلى الجُرفِ مجالْ
وبقلبِ البحرِ نُرسيهِ إلى أنْ نرى جيشَ الدياجي أقبلا
فإذا أوقفَ كرّاتِ العدى سائرَ الفلكِ اجتذبنا عجلا

وكفينا شرَّ فضّاحِ العذابْ

فقرارُ المرءِ أولى أبدا مِنْ نكالِ الأسرِ في أيدي العدى
ليسَ عارٌ لا ولا في الليلِ أنْ يتوارى المرءُ عن خطبٍ بدا»[2].

---

(١) يشير نسطور عليهم باعتزال القتال وتدبر الامور في خلوة لانهم لما كانوا جميعاً جرحى كانوا اصلح لبث الرأي والتشاور منه لخوض ميدان القتال

(٢) ليس في شعر فرسان العرب ما يشير الى ايثار الهزيمة على الاسر

قالَ أُوذِيسُ وبالغيظِ اشتعلْ:　　«يا أخا الغيّ فما هذا المللْ

واستحسان الفرار في مثل هذا الموقف الا ان يكون القول ممن وصف بالجبن ولم تسبق له سابقة بخوض ميادين القتال وأكثرهُ على سبيل المجون كقول أبي دلامة :

الا لا تلمني ان فررت فانني　　أخاف على بطيختي أن تحطما
فلو انني ابتاع في السوق مثلها　　وجدك ما باليت ان اتقدما

ومثله قول الآخر:

يقول لي الامير بغير علم　　تقدم حين جدّ بنا المراسُ
ومالي ان اطعتك من حياةٍ　　ومالي غير هذا الراس راسُ

واما ماقيل في وجوب التروي وعدم محاولة المحال فكثير كقول ورد بن زياد :

واذا توعر بعض ما تسعى له　　فاركب من الامر الذي هو اسهلُ

ومثله قول بعض بني الحارث بن كعب :

لعمرك ما صبر الفتى في اموره　　بحتم اذا ما الامر جلّ عن الصبر

وقول عمرو بن معدي كرب :

اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ　　وجاوزهُ الى ماتستطيعُ

وقول عمرو بن ضبيعة :

الا ليقل من شاء ما شاء انما　　يلام الفتى في ما استطاع من الامرِ

لما فتح نسطور باب البحث كان من الحكمة ان يكون اغاممنون اول خاطب فيهم فشرع في التملص ثانية من تبعة الفشل والقاها هنا على عاتق زفس . ثم ابدى رأياً لا يسعني مع كل اعجابي بشعر صاحبنا ان استحسن ايراده هنا لانه سبق له ابداء مثل هذا الرأي مرتين في النشيد الثاني والنشيد التاسع فان كان مراده التواري عن وجه العدو فهو غير جدير به وان كان استجلاء ميل اصحابه ففي ما مر ما يغني عن الاعادة ولا ارى وجهاً لدفع ضعف القول اذا كان لابد من دفعه الا ان يكون قاصداً ان موقف الزعماء مختلف هنا عن سابق مواقفهم اذ كانوا قبلاً بعافيتهم وسلاحهم وهم الآن مصابون بجراح برحت باجسادهم وانهكت قواهم فهم اقرب الى اليأس منه الى البأس

لكَ أولى إمْرَةُ الأنكاسِ لا إمْرَةٌ في البُهْمِ مِنْ كُلِّ بَطَلْ
شيخُهم يبطُشُ كالغضِّ الشَّبابْ (١)

زَفَسُ قد علّمنا سلَّ السيُوفْ بِصِبانا وإلى يومِ الحُتُوفْ (٢)
أَبِنا رُمْتَ ارْتِدادًا وترى بحِمَا إليُونَ قتلانا أُلُوفْ
مَهْ فلا يَسْمَعْ سِوانا بالفَرَقْ نُطْقَ عَجْزٍ ما بِهِ قطُّ نَطَقْ
لا أخُو ذَوْقٍ ولا قَيْلٌ ولا قائدٌ مِثْلُكَ لِلحربِ انْدَفَقْ

(١) قال لبيد :

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسما اليه كهلها وغلامها .

ومثله قول السموأل :

وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى وكهولُ

وقال حاتم بن سحيم واجاد :

ألا هل اتى اهل العراق مناخنا نقسم بين الناس بؤسى وانعما
بابيض معقود به التاج ماجد وفتيان صدق لايهابون مقدما
ونضرب صنديد الكتيبة في الوغى ونركب اطراف الرماح تكرّما

ومثله قول عمرو بن كلثوم :

نصبنا مثل رهوة ذات حدٌ محافظــة وكنا السابقينا
بشبانٍ يرون القتل مجــداً وشيبٍ في الحروب مجربينا

وامثال ذلك كثيرة

(٢) قال النابغة الجعدي :

وانا لقومٌ ما نعود خيلنا اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا
وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحاً ولا مستنكراً ان تعقرا

جَيْشُهُ الجَرَّارُ كاللُّبِّ اللُّبابْ [١]

أَإِلى اليَمِّ نَسُوقُ الأَغْرِبَهْ والوَغى لِلجوِّ أَعلى صَخَبَهْ [٢]
إِنَّما الأَعْداءُ ذي مُنْيَتهمْ ولَئِنْ فازُوا بحُكمِ الغَلَبَهْ
فإِذا ما نحنُ باشَرْنا العمَلْ ما الذي يَدْفَعُ أَهْوالَ الفشَلْ
وإِذا الأَجْنادُ مِن خلْفِهِم أَبْصَرُونا وَجِلُوا أَيَّ وَجَلْ
وٱلتَوَوْا ... لا لا فما هذا الصَّوابْ » [٣]

قالَ اتْرِيذُ : « لَقَدْ كَلَّمْتَني بمَقالٍ فيهِ قد كَلَّمْتَني [٤]
أَنا لا أُرْغِمُ قَسْرًا جُنْدَنا أَنْ يَسُوقُوا راسياتِ السُّفُنِ
فَلْيَقُمْ أَيُّكُمُ لا فَرْقَ إِنْ كانَ غضَّ العُمْرِ أَو شَيْخًا مُسِنْ
وَيُوافِينا بِرَأْيٍ صالحٍ أَتلقَّاهُ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنْ » [٥]

---

(١) اي كله صفوة شجعان

(٢) الاغربة جمع غراب السفن والصخب الجلبة

(٣) لعل الشاعر وطأ بذلك الضعف في كلام اغاممنون لهذه الشدة في كلام اوذيس ثم لا تفوتن القارىء الحكم التي انطق بها اوذيس ولم تكن تصلح لسواه فكلهم مغوار باسل ولكن شتان بين بسالة وبسالة ففتاهم يندفع الى القتال حباً بالقتال وكهلهم الحكيم كاوذيس يتحمس حماسة الفتيان ولكنه يبني كل اعماله على الحكمة والتروي كما رأيت فلا يأمر بالتثبت الا لعلمه بسوء مصير الادبار في مثل ذلك الحين

(٤) كلمتني الاولى بمعنى جرحتني

(٥) قال افستاثيوس ان ذلك من قبيل عادة كانت لقدماء الاثينيين اذ كانوا

فأنبرى يلقي ذيوميذ الخطاب :

« دونك انظر فهنا المرء المراد ... فاستمعه إن ترم قول السداد
لا يغيظنكم نصح فتى ... فبه فخراً سما فضل التلاد
فأبي تيذيس الشهم الصحيح ... من له في ثيبة سامي الضريح
جده فرثوس في أفلورنا ... وكليذونا حوى الملك الفسيح

وبها مغناه بالإعزاز طاب

ولده أغريس ثم ملاس ... ونوس خيرهم عزماً وباس
ذاك جدي ظل في أوطانه ... وأبي أرغوس مذ أجلي داس [1]
قدر من زفس والأرباب كان ... فله تيذيس بالرغم دان

لدى اشتداد الازمات ينادي مناديهم فيدعو كل ابناء الوطن من اي فئة كانوا ومهما كان سنهم الى ابداء رأيهم بلا تكلف ولا محاذرة

(١) يشير هوميروس في الشطر الاخير من هذا البيت الى رواية كانت شائعة في زمانه وهي ان تيذيس ابا ذيوميذ قتل احد اخوته ثم غادر بلاده فاراً الى ارغوس. على ان الشاعر لطف المزينة فعبر عنها بالجلاء واغفل ذكر القتل على الاطلاق وهو من لطيف تصرف الابناء في ذكر مساوىء ابائهم . ثم جعل ذيوميذ ينتحل لابيه عذراً في البيت التالي بالقاء عبء الامر على القضاء والقدر . قال ثوبة بن المفرّس الحنوت:

تجوز المصيبات الفتى وهو عاجز ... ويلعب صرف الدهر بالحازم الجلد

وقال ابن الرومي :

طامن حشاك فان دهرك موقع ... بك ما تخاف من الامور وتكره
واذا حذرت من الامور مقدراً ... وفررت منه فنحوه تتوجه

ثُمَّ في غُرْبَتِهِ تَمَّ على بِنْتِ أَدْرَسْتَ لَهُ عَقْدُ القِرانْ
وثَوى في مَنْزِلٍ زاهي الرِّحابْ

مَلَكَ الأَرْيافَ واُحْتازَ الحُقُولْ خِصْبَةً فيها مَواشِيهِ تَجُولْ
وَبِهَزِّ الرُّمْحِ ما ماثَلَهُ أَحَدٌ والحَقَّ تَدْرُونَ أَقُولْ
فإِذاً ما كُنْتُ بالفَرْعِ الضَّئِيلْ لاولا في الحَرْبِ هَيّاباً ذَلِيلْ
ولذا لا تَحْقِرُوا قَولِيَ إِنْ قُلْتُ لِلْهَيْجاءِ فَلْنَلْقَ السَّبِيلْ
ولَئِنْ ظَلَّتْ دِمانا بانْسِرابْ

فالضَّرُوراتُ لَها حُكْمٌ عَظِيمْ إِنَّما عَنْ مَوْقِفِ الطَّعْنِ نُقِيمْ
باعتزالٍ فيهِ لا يُدْرِكُنا في الوَغى جُرْحٌ على جُرْحٍ أَلِيمْ
نَدْفَعُ الجُنْدَ ونَدْعُو لِلْمَدَدْ مَنْ هَوى النَّفْسِ بِهِ جُبْناً قَعَدْ» (١)

(١) لم يفت المنتقدين ان يخطئوا هوميروس على ادراج مقدمة لخطاب ذيوميذ زعموا انه لم يكن لها باعث اذ كان كلهم عالماً بحسبه ونسبه وهو لاشك امر غريب لو جرى من شاعر في هذا العصر على انه لم يكن منه بدٌّ في تلك الاعصار حيث كانوا يرددون ذكر انسابهم ووقائع ابائهم واجدادهم في كل حديث فهي محط فخارهم وفكاهتهم في كل مكان سواءٌ في ذلك أكانوا في ساحة القتال ام في مناضلة وجدال او في مسامرة ومشاورة لا يكل راويها ولا يمل سامعها فكأنما غذوها مع اللبن فألفوها بل شغفوا بها وهو شأن أكثر الامم في زمن جاهليتها وأبان شبوبيتها . ألا ترى ان شعرنا الجاهلي لاتكاد تخلو منه قصيدة من هذه الاقاصيص وتلك الحماسة . وهذا شعر السموأل والشنفرى واصحاب المعلقات وأمثالهم مشحونة بمثل هذه الحماسيات واليك منها مثالاً من معلقة عمرو بن كلثوم :

فأَصاخُوا ووَعوا حتَّى انْتَهى ... وجرَوا والقَلْبُ بالحَزْمِ اتَّقَدْ
خلْفَ أتْرِيذَ بقلْبٍ لايَهابْ

إِنَّما فُوسيذُ عن قُرْبٍ رَقَبْ ... فَحَكى شَيخاً جلِيلاً واقْترَبْ
وأَغامَمْنُونَ وافى قابضاً ... يَدَهُ اليُمْنى برَوَّاعِ القَضَبْ
قالَ: «ياأتْرِيذُ آخيلُ الحقُودْ ... فرِحٌ بالفَتْكِ في بُهْمِ الجُنُودْ
فلْيَمُتْ وَلْيَضْمَحِلَّنَّ على ... غَيِّهِ. واعلَمْ فأَبْناءُ الخُلُودْ
لم يَسُومُوكَ قِلًى يُولِي العِقابْ

سوفَ يَرْبَدُّ على السَّهْلِ الغُبارْ ... بِبَني الطُّرْوادِ يَبْغُونَ الفِرارْ»

ورثنا مجد علقمة بن سيفٍ ... اباح لنا حصون المجد دينا
ورثت مهلهلاً والخير منه ... زهيراً نعم ذخر الذاخرينا
وعتَّاباً وكلثوماً جميعاً ... بهم نلنا تراث الاكرمينا
وذا البرة الذي حدثت عنه ... به نُحمى ونحمي المُحجرينا
ومنا قبله الساعي كليبٌ ... فايّ المجد الا قد ولينا

ثم ان لذيوميذ باعثاً آخر على ايراد نسبه فانه لما بدأ نسطور فاقترح البحث وعقبه اغاممنون فابدى رأياً لم يستحسنه أوذيس فاستأنف أغاممنون الكلام كان من الجدير به ان يستفز ذيوميذ لانه شعر بميل نسطور وأوذيس ولم يعلم بعد ما يكون من ميل ذيوميذ فتكلم وعرَّض تعريضاً يُشعر منه انه يود ان يسمع رأي ذيوميذ والا فلم تكن ثمة حاجة الى قوله :

فليقم أيكمُ لا فرق ان ... كان غض العمر او شيخاً مسن

ولما كان ذيوميذ موقناً بصحة رأيه وان كان اصغرهم وطأ لحديثه توطئة حسنة بالاشارة الى سمو نسبه ليكون كلامه أوقع في نفوسهم فلا يأنسون الحطة من الاستكانة

ثمَّ مِنْ دُونِهِمِ أنقضَّ على هدَّةٍ كالرَّعدِ تشتدُّ وسارْ
بصَديدٍ صاحَ مِنْ صدرحديدْ عَنْ وحى تِسعةِ آلافٍ يَزيدْ
بَلْ وَحى عشرةِ آلافٍ اذا صدَّ يومَ الطَّعنِ ذرَّاعُ الحَديدْ

فأنتَطى الإغريقُ للحربِ ألتهابْ : —

مِن ذُرى الأُولمبِ عن عَرشِ النُّضارْ نهضَتْ تلفتُ هيرا لِلأُوارْ »[1]
فأخاها أبصرت مندفعاً وحبورا قلبُها الميمونُ طارْ[2]

الى فتى حديث السن • فقضى الشاعر فرضاً سامياً وتكلم بلسان الجميع وافاد المطالع فائدة كبرى اذ اوضح له انه لا يُستخف بالرأي الاصيل وان كان صادراً من غير اهله بين اهله • ذلك على حد قولنا : لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال

(١) لقد مرت بك اساليب واعاجيب بتفنن الشاعر في تغيير المناظر واستهواء المشاعر تفكهة لسامع شعره واستجماعاً لاساطير زمانه ووصف الخَلق والخُلق وتمثيل العلويات والسفليات وفي الجملة لوصف كل ما يدركه الحس وتشعر به المخيلة • على انه ليس في كل انشاده اسطورة اعجب واغرب من الحكاية الآتية • وهي على ما فيها من دقيق التصور الذي تحار له الالباب لم تخلُ من انتقاد حساد هوميروس • ولكن غاية ما آخذوه به ان الرواية غير معقولة فهي كثيرة الاغراب بمعانيها بعيدة الاحتمال كأن سائر خرافات الاولين مبنية على النص المعقول • ومهما يكن من محل هذا الانتقاد وسواء كانت حكاية هيرا وبعلها زفس من مخترعات الشاعر كما يزعم البعض او من روايات ازمان متقدمة على زمانه كما ثبت في الاثر فان فيها فضلاً عن المحاسن الشعرية كنزاً من فلسفة الاخلاق واثراً تاريخياً لامور كثيرة يعسر الاطلاع عليها في غيرها • ولا اظنني مخطئاً بجعلها على علاتها في المقام الاول بين كل اقاصيص شاعرنا غير مستثنٍ سوى وداع هكطور لامرأته في النشيد السادس

(٢) قوله أخاها اي فوسيذ نصير الاغريق

ولإِيذا أَرسَلَت طَرْفَ المَها فَرأَتْ زَفْسَ الذي أَلَّهَها
قَرَّ مُعْتَزّاً على قُنَّتِهِ فَكَّرَتْ في هاجِسٍ كَلَّهَها (١)
عَلَّها تُغرِيهِ في أَمرٍ عُجابْ

فارْتأَتْ مُذْ أَعْمَلَتْ فِكرَتَها لَتُعِدَّنَّ لَهُ زِينتَها
فإِذا ما جاءَها مُفْتَتِناً بِسَناها أَنفَذَتْ حِيلتَها
وعلى عَينَيهِ إِنْ تَلقَ السَّبِيلْ سَكَبَتْ رُوحَ السُّباتِ المُستَطِيلْ
ثُمَّ أَمَّتْ غُرْفَةً شادَ لَها نَجْلُها الصَّانِعُ هِيفَسْتُ النَّبِيلْ
لِسِواها قَطُّ لا يُفْتَحُ بابْ

فَوقَ أَبْراجٍ عَلَتْ أَرْتاجُها لا يُرى إِلَّا لَها مِزْلاجُها (٢)
أَقفَلَتْ مُذْ دَخَلَتْ ثُمَّ خَلَتْ بِطُيُوبٍ نَفْحُها وهَّاجُها
طَهَّرت أَعضاءَها بالعَنْبَرِ ثُمَّ بالزَّيتِ العَلِيِّ الأَذفَرِ (٣)

---

(١) كلهها بمعنى ألمها . اي انه لما أعيت الحيلة هيرا باستمالة زفس الى جانب الاغريق ويئست من اعلاء شأنهم بقوة السلاح عمدت الى سلاح الضعيف ألا وهو الحيلة التي يفل بها ذراع المرأة الضئيل عضلات سواعد الرجال

(٢) الارتاج الابواب والمزلاج القفل

(٣) جعلنا العنبر تعريب امبروسيا (Ἀμβροσία) لتشابه اللفظتين وتقارب مدلولهما . والكلمة اليونانية مؤلفة من كلمتين معناها عديم الموت أي الخالد والاصل في استعمالها للدلالة على طعام الآلهة لايموت آكله ولو كان حيواناً كالخيل السماوية . ثم توسع في استعمالها للدلالة على طيب الآلهة ومواد اخرى مما يستعمله بنو الخلد ولعل للكلمة العربية علاقة باللفظة اليونانية لما بينهما من الشبه الظاهر — يستفاد من هذا

أَرَجٌ أيَّانَ مَسَّتْهُ يَدٌ فاحَ من قُبَّةِ زَفْسَ الأكبَرِ
عابِقاً في الأَرضِ يَسمُو للسَّحَابْ

البيت ان عادة التطيب كانت مألوفة بين اليونان وسترى من تطييب ملابس اخيل في النشيد الثامن عشر انها لم تكن منحصرة بالنساء وقد كان ذلك شأنها في جميع امم الشرق ، ومن امثال سليمان الحكيم ، « ان الدهن والبخور يفرحان القلب » (٢٧ : ٩) وللعرب في الجاهلية والاسلام شغفٌ عظيم بالطيب وتفننٌ باستعماله ، قال امرؤ القيس :

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفلِ

وقال ايضاً :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضلِ

ومن قول المرار بن منقذ :

وهي لو يعصر من اردانها عبق المسك لكانت تعصر

وقال الاخطل :

كأنما المسك يهبو بين ارجلنا مما تضوع من ناجودها الجاري

والنساء البدويات في الجاهلية كن يتطيبن وتدّخر كل منهن قشوة طيب وهي قفة من خوص تجعل فيها اداتها وتحملها معها ، وكانت الطيوب من مواد متنوعة كالمسك والعنبر والمر والألبان والافاويه العطرية مما يستورد من بلاد الهند او يستنبت في اليمن وافخر طيوبهم الغالية وهي مزيج من أنواع مختلفة

قال الابشيهي في المستطرف : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اطيب الطيب المسك ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كأني انظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم » وذكر المقريزي « ان خلفاء الفاطميين كانوا يصرفون لبعض رجال دولتهم مبلغاً من الطيب يومياً حتى يتطيبوا به قبل دخولهم على الخليفة » وأورد صاحب الاغاني اسماء بعض المولعين بالطيب كمحمد بن ابي العباس قال « كان يغلف لحيته باواقٍ من الغالية فتسيل على ثيابه فتصير مسمرة فلقبه اهل البصرة ابا الدبس » ، وروي عن ابن عباس انه كان يطلي جسده ، وكان ابن مسعود

وَاْنْثَنَتْ تَجْدُلُ بَرَّاقَ الضُّفُورْ يَدَيْهَا بَعْدَ تَسْرِيحِ الشُّعُورْ
نَظَمَتْهَا حَلَقاً هُدَّابُهُ فَوقَ ذَاكَ الرَّاسِ فَتَّاناً يَدُورْ (١)
وَاْرْتَدَتْ مُسْبَلَةً بُرْدًا رَقِيقْ صُنْعَ آثِينَا بِهِ وَشْيٌ أَنِيقْ
بِعُرَى العَسْجَدِ زَرَّتْ وَاْنْثَنَتْ لِنِطَاقٍ يَشْمَلُ القَدَّ الرَّشِيقْ
مِئَةٌ أَهْدَابُهُ غُرُّ العِصَابْ

ثُمَّ قُرْطَيْنِ جَمَالاً شَائِقَيْنْ مَهْلاً نَاطَتْ بِكِلْتَا الأُذْنَيْنْ

اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب رائحته • وبلغ حب التطيب من العرب انه جرت للبنات عادة بالوقوف للفتيان وبأيديهن الخلوق اي الطيب يخلّقنهم به اي يطيّبنهم عند رجوعهم من الغزوات

(١) ترى من وصف ضفر الشعر في هذين البيتين انه لم يكن يختلف عنه كثيراً في ايامنا • وكانت نساء العرب في الجاهلية يجمرن شعرهن اي يجمعنه ويعقدنه في في قفاهنّ ويرجلنه اي يسرحنه ويضفرنه غدائر وذوائب ولا يزلن يفعلن ذلك في البادية ويغلب عندهنّ ان تستر المرأة شعرها بمنديل ونحوه • واما المذارى فلا يُحرجن على ستر الشعر بل كثيراً ما يبرزنه ولا سيما القصّة وهي طرّة تُقص من المفرق وتبرز فوق الجبين • واحسن ما وصل الينا من وصف شعر النساء يمثل ما وصفه هوميروس قول امرئ القيس في معلقته :

وفرعٍ يزين المتن اسود فاحمٍ أثيث كقنو النخلة المتعثكلِ
غدائرها مستشزراتٌ الى العلى تضل المقاص في مثنًى ومرسلِ

قال ان شعرها يزين ظهرها اذا ارسلته عليه ثم شبهه بعذق النخلة لاثاثه وكثافته وربما أراد به فوق ذلك تجعده وقال ان غدائر ذلك الشعر او ضفائره مستشزرة أي مرتفعة الى فوق بما يفيد شدّها كمازي عادتهن بخيوط على الرأس وان المقاص اي تقاصيب ذلك الشعر تغيب في شعر بعضه مثنى على الرأس وبعضه مرسل على الظهر لوفرته

كُلُّ شَنْفٍ بِيَتِيَاتٍ ثَلا ثٍ بَدِيعُ الصُّنْعِ غَضُّ المُقْلَتَيْنْ
ونِقابُ الحُسْنِ وَهَّاجٌ على رأسِها كالشَّمْسِ في جَوفِ الفَلا
ثُمَّ خِفًّا أَوْثَقَتْ يَسْطَعُ في كُلِّ رِجلٍ بِسَنَاها اشْتَمَلا
وانْبَرَتْ تَبْرُزُ مِن طَيِّ الحِجابْ (١)

---

(١) هذه ربةٌ بل زوجة تهيأ لاختلاب لب بعلها توصلاً الى قضاء وطرٍ تسعى اليه . فهي اذاً تبرز مستكملة لديه جميع معدات الزينة . ومع هذا فقد رأيت انها بعد ان تطيبت لم تجاوز من الحلي الشنوف ومن الكساء البرد والبرقع والنطاق مع مافيهامن الوشي والحاشية ولا يزيد على ذلك الا الخف الخفيف . ولوكان في مايستحب من حلي النساء وملابسهنَّ شيءٌ فوق ما ذكر لما اغفل هوميروس ذكره . فيتضح مما تقدم ان بذخ المشارقة من البابليين ومن جاورهم والمصريين ومن خالطهم من اليهود وغيرهم لم يفشُ وباؤه في بلاد اليونان الا في ما ولي عصر هوميروس . برزت هيرا عطلاً حتى من حلي بنات البادية الجاهليات فما هي بالمتختمة باصابعها ولا سوار في ساعدها ولا معضد في معصمها ولا حجل في رجلها ولا خلخال . وليس في عنقها قلادة ولا خزام في انفها ولا كحل في عينها ولا وشم في وجهها وصدرها ويديها وليس لديها حقاب تجمع فيها حليها وما يتبعه من ادوات الزينة . ولا يثقلها شيءٌ كثير مما كانت تتأنق به بنات اسرائيل من الخلاخل والاهداب والاهلة والنطفات والاسورة والرُّعل والعصائب والمصاعيد والمناطق وآنية الطيب والاحراز والخواتم واخراص الانوف والخلع والعطف والمحازم والاكياس والوذائل والاقمصة والتيجان والأُزر (اشعيا ٣ : ١٨ – ٢٣)

ومما يستلفت النظر ان هوميروس لايذكر المرآة كأن المراءي لم تشع بين اليونان الا بعد حين ثم انتشرت ذلك الانتشار العظيم في كل صقع وناد حتى لم يكن يخلو منها خدر ولا خباء في بادية العرب وتتغنى بها شعراء الجاهلية . قال سويد بن ابي كاهل اليشكري :

ثُمَّ عفرُوذِيتَ نادَتها إلى عزْلَةٍ عن كُلِّ أَرْبابِ العُلى [1]
ولها قالت : « أَتُصغِينَ إذاً أَم تَسُومِيني أُبنَتاهُ الفشلا
حَنَقاً مِنّي لِإِيثارِ الإِخاءْ مُذْ بَني الطُّرْوادِ أَوْلَيتِ الوَلاءْ »
فأَجابت : « كُلُّ أَمرٍ رُمْتِهِ كانَ مَقضِياً بِطِيبٍ ورِضاءْ
إِنْ يُطَقْ أَو كانَ مِمّا يُستَجابْ »

قالَتِ الرَّبَّةُ والحِيلَةَ قَدْ أَكْمَنَتْ : « إِيهِ إِذاً مِنْكِ المَدَدْ
لَهَبُ الشَّهوَةِ والحُبُّ الذي بقُلُوبِ الجِنِّ والإِنسِ اتَّقَدْ [2]
لِأَقاصي الأَرضِ أَزمَعتُ ارْتِحالْ لِأُوافي أَبَوَيْ رَهْطِ الكَمالْ
أُوقيانُوسَ وتِيثِيسَ اللَّذَيـ ـنِ أَشَبّاني على كَفِّ الدَّلالْ
فَعَسى أَرْأَبُ مَصدُوعَ الشِّعابْ

طالَ عَهدُ الكَيدِ في بُعدِهِما واطِّراحُ الوُدِّ في حِقدِهِما

تمنح المـــرآة وجهاً واضحاً مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع
صافي اللون وطـرفاً ساجيـاً أكحل العينين ما فيه قمع
وقـــروناً سابغاً اطـرافهـا غللتها ريح مسك ذي قنع

(١) عفرذيت من اسماء الزهرة كما تقدم

(٢) لما كانت الزهرة الاهة الغرام استنجدتها هيرا لتقوى على استذلال زفس بسطوته القهارة • غير انها اذ كانت تخشى ان الزهرة تأبى عليها ذلك اذا علمت ان المراد زفس انتحلت سبباً آخر وما امهر النساء في انتحال الاسباب فادّعت انها انما تريد التوفيق بين الاوقيانوس وزوجته تيثيس

لهما مذ قبلُ ألقتني ريا · عنيا بي منتهى جهدهما
عندما أقرونساً زفسُ العظيمْ غلّ تحت الأرض والبحر العقيم[1]
فإذا باللين وسّدتهما وسُدا الحبِّ فلي الفضلُ العميمْ
وذرى الحظوى ومرعيُّ الجنابْ »

فأجابتها ببشرٍ وابتسامْ : « أوَمِثلي لا يلبي ذا المرامْ
كيف لا يا ربّة زفسُ لها بسط الذرعين مفتوناً وهامْ »
ثم حلّت من على الصدر النطاقْ معلَم الطرز موشّى بانتساقْ
تعلق اللذاتُ في أكنافهِ من هوى قسٍ ووجدٍ واشتياقْ
وأطاريف الحديث المستطابْ

وبه من كلّ خلّاب الشعورْ منطقٌ يعبث بالشيخ الوقورْ
بيد الربة ألقته وقا لت ببشرٍ شفّ عن بادي السرورْ:
« دونكِ الآن النطاق المعلما كلُّ حرزٍ رمتِ فيه رُسِما[2]
فعلى صدرك أخفيه فقد لاح لي في الغيب أن قدحتما
لكِ بالإقبال من قبل الإيابْ »

(١) ريا في البيت السابق الارض — تقدمت الاشارة الى خلع زفس لابيه قرونس (ن ٨ : ٥٤٣)

(٢) هذا نطاق الزهرة الذي كان يعتقد اليونان بمعجزات افعاله في الافئدة وهي احبولة لم تخل من مثلها اساطير ملة من ملل الارض فان المرأة ميالة بالطبع الى اختلاب الالباب فاذا عجزت بجمالها عمدت الى مقالها وان اعيتها الحيل الارضية

بَسمَتْ هِيرا لهُ مُستَبشِرَهْ ثُمَّ ضَمَّتْهُ وأَمَّا الزُّهَرَهْ
فَانثَنَتْ تاوي إلى منزِلِها ثُمَّ هِيرا انبعَثَتْ مُنحَدِرَهْ
مِن ذُرَى الأُولِمبِ كالبَرقِ تَطِيرْ لإِفِيرِيَّا على الرَّوضِ النَّضِيرْ
فإماثِيَّا فأَطوادٍ بِإِثْ راقةٍ فُرسانُها البُهْمُ تُغِيرْ
واكتَسَتْ ثَلجاً يُغَشِّيهِ الضَّبابْ

كُلَّ ذاكَ البَونِ طافَتهُ ولَمْ تَطَأْ الأَرضَ بِوَضَّاحِ القَدَمْ
وجرَتْ مِن شُمِّ آثُوسَ الى حَيثُ يَمُّ البَحرِ بالمَوجِ التَطَمْ
بلغَتْ مِن بَعدِ تَطوافِ البِلادْ لِمُنُسَّا حيثُ ثُوَاسُ الفضلِ سادْ

لجأت الى القوى السماوية فكان ذلك سبب ابتداع طلاسم الغرام ورقاه وتعاويذه على اختلاف انواعها من محمول وملبوس ومأكول ومشروب وغير هذا مما استعمل منه العرب كسائر الملل شيئاً كثيراً • على ان ابدعها استنباطاً هذا النطاق الذي وضعه هوميروس على صدر الزهرة فتناولته ايدي الشعراء من الخلف ورامت النسج على منواله فقالت مثل قول هوميروس وغير قوله بلغات شتى وصور مختلفة لاموضع لها هنا • وحسبنا ايراد استعارة بديعة لبوالو في منظومته « الصناعة الشعرية » اذ قال يمدح هوميروس :

On dirait que pour plaire, instruit par la nature,
Homère ait à Vénus, dérobé sa cienture.

ومعناه : كأن هوميروس وقد ثقفته الطبيعة استلب نطاق الزهرة ليختلب به الالباب • فشتان على ما رايت من خصائص هذا النطاق بينه وبين حوط الجاهليات وهو النطاق الذي كن يتخذنه من خيط مفتول من لونين اسود واحمر يضمن فيه شيئاً من الخرز فيشددنه الى وسطهن حرزاً من اصابة العين

فَبِها قَرَّت بِمِلْءِ البِشْرِ إِذْ　　لَقِيَتْ فيها أَخا المَوتِ الرُّقادْ[1]

فَتَلَقَّتْهُ بأَلفاظٍ عِذابْ :

« يا وَلِيَّ الجِنِّ والإِنْسِ ومَنْ　　قد حَباني الفَضْلَ في ماضي الزَّمَنْ

زِدْنِيَ الآنَ عَلَيهِ مِنَّةً　　تُولِني لِلدَّهْرِ مَذْخُورَ المِنَنْ

أَلْقِ لي في مُقْلَتَيْ زَفْسَ السُّباتْ　　إِنْ عَلى زَنْدِيْ بِوَجْدِ الحُبِّ باتْ

ولَكَ العَهْدُ إِذا لَبَّيْتَني　　صِلَةٌ مِنْ دُونِها غُرُّ الصِّلاتْ

مِن لُبابِ التِّبْرِ عَرْشٌ لا يُعابْ

---

(١) تضاربت اقوال الشراح في ما حمل هوميروس على جعل مقر « الرقاد » بلمنوس فمن قائل ان منابت الكرمة كانت كثيرة فيها فكانت من ثم جديرة ان تكون مثوى « الرقاد » ومن قائل ان لمنوس كانت موطن معشوقة « الرقاد » فسيثيا فكان يأوي اليها حباً بها • ومن قائل ان ذلك وقع اتفاقاً بشعر هوميروس وهو قول غير معقول بالنظر الى سياق الحديث • ومن يعلم بعد ما تقدم ان هوميروس لم يقل ما قال تهكماً على اللمنوسيين وان كانت ظواهر فعالهم تدل على بطش واقدام • ومثل ذلك ما جاء في شعر اريوستو اذ جعل الملاك يجد « الشقاق » في احد الاديرة • وقول بوالو في منظومته لوترين (Lutrin) اذ جعل مقر الترف في غرف منامة الرهبان بدير القديس برتردوس (پوپ)

واما القول بان الرقاد اخو الموت فكثير في كلام الاقدمين فمن ذلك ما روى بلوترخوس عن سقراط انه قال O θανατος εστι παραπλησιος τω υπνω βαθυτατω

ومثله قول فرجيليوس ... et consanguineus Leti Sopor (لوريقوست)

قلت وكل هذا بمعنى قول هوميروس ومثله قول العرب « الموت اخو النوم » لانه يشبهه في ركود الحواس وقولهم « نام نومةً بلا حلم » بمعنى قولهم مات • وعليه قول المعرّي :

يُفرِغُ الصنْعَةَ فيهِ والحِكَمْ نجلي الأعرجُ هيفستُ الحكَمْ
وَيليهِ مِدْوَسٌ تبسُطهُ زَمنَ الأذبةِ مِن تحتِ القدمْ»
قال: «مهلاً» وحلى النوم لديهْ «أيْ رَبٍّ شئْتَ أستَوْلي عليهْ
ومجاري أوقيانُوسَ الذي كلُّ شيءٍ كانَ منهُ وإليهْ [1]
لي تعنو أبدًا دونَ ارتيابْ

يَبدَ أنّي زفسَ لا أُولي الكرى أبدًا إلاّ إذا ما أمرا
حكمةً علمتْني مِن قبلُ مذْ طرفهُ الحوّاطَ طيفي خدَّرا
يومَ إليونَ هرقلُ اكتسحا ومضى يقلعُ عنها فرحا
زفسَ بي أغفلتِ حتى تُنزلي بابنهِ القوّامِ خطباً فدحا
ثمَّ هجتِ البحرَ فورًا باضطرابْ

وهرقلٌ بينَ تبريحٍ وضيقْ حلّ قوصاً لا يرى فيها صديقْ
فعلى الأربابِ بالغيظِ التظى زفسُ لمّا هبَّ فيهم يستفيقْ

اراني الكري اني أُصبت بناجذ الا ان احلام الرقاد ضلالُ
وبين الردى والنوم قربى ونسبةٌ وشتان برءٌ للنفوس واعلالُ

(١) كان معتقد اليونان ان منشأ كل شيءٍ من الاوقيانوس ومرجع كل شيءٍ اليه ولهذا دعوا البحر «الاب الاكبر» لان اصل الكائنات سائل ولا بد من السائل لحياة كل مخلوق فالجرثومة الحيوانية سائلة والنباتات تغتذي برطوبة الارض والشمس والكواكب وان كانت باعتقادهم ناراً فهي تتغذى بالابخرة المتصاعدة من الماء ولهذا كان الماء اصل كل المخلوقات عندهم

هَدَّهمْ هَدًّا ومِن دُونِ الجَميعْ   في اطِّلابي هاجَهُ السُّخْطُ الفَظِيعْ
كادَ يُلقِيني مِنَ الجَوِّ الى   لُجَّةِ البَحرِ الى القَعرِ صَريعْ
إنَّما الظُّلمَةُ حالت باحْتِجابْ

لُذتُ فيها وَهيَ حيثُ اللّيلُ قَرْ   هابَها كُلُّ إلاهٍ وبَشَرْ [١]
فتَرَوَّى زَفْسُ في حِدَّتِهِ   ورَعى حُرمَتَها ثُمَّ غَفَرْ
أَوَبَعْدَ الخُبْرِ ذا رُمْتِ المُحالْ»   فأجابَتْهُ بِدَلٍّ وجَلالْ :
«أَكَذا ظَنُّكَ غَيظاً يلتَظي   ألِزَفسٍ جَيشُ طَرْوادٍ تَخالْ
كابْنِهِ يُدْنيهِم فَضلُ انْتِسابْ [٢]

إيهِ قُمْ أُعطِكَ زَوجاً تُستَباحْ   بَهجَةً إحدى الخَريداتِ الصِّباحْ [٣]

---

(١) اتى الشاعر في مواضع شتى على ذكر مكانة الليل وقال هنا انه حيثما احل ظلامه « هابه كل الاه وبشر » ولم يستثن حتى زفس كبير الآلهة لأن الظلام كان باعتقادهم متقدماً في وجوده على النور فهو جدير برعاية كل متأخر عنه ولهذا كان زفس يرعى له حرمةً جرياً على سنة احترام الفتى للشيخ والحديث للقديم

(٢) ارادت هيرا ان تخمد خشية « الرقاد » من زفس فقالت ان زفس لا يبالي بالطرواد مبالاته بهرقل لأن هرقل كان ابنه فكان خليقاً به ان ينقم له واما الطرواد فلا نسب يدنيهم اليه فما هم حقيقون بتلك المبالاة ولا جديرون بتلك الموالاة

(٣) البهجات او الخرائد كائنات علوية تقدم ذكرهن ورسمهنّ (ن ٥ : ص : ٤٠٤) . وكان « الرقاد » هائماً باحداهن فاطمعته هيرا بها . ومن نادر الاتفاق ان لفظ (Χαριτες) اليوناني ولفظ الخريدة العربي واحد . وذلك مع عدم وجود مسوغ للقول بان احدهما منقولٌ عن الآخر ومع ذلك فورودهما لمعنى متقارب في اللغتين مما

تلكَ سعدَيكَ فسيثيًا وكَمْ رُمتَها وَجدًا مَساءً وصباحْ »
قالَ يهتزّ حبورا : « أقسمي لِيْ بإستكسَ الرَّهيبِ الأعظم
وضعي كفَّيكِ كَفًّا في الثَّرى ثمَّ كَفًّا فوقَ بحرٍ مظلم
يشهدِ الأيمانَ أربابٌ رهابْ [1]

أنْ تعدّي لي زوجًا تستباحْ بهجةً إحدى الخريداتِ الملاحْ
فتُنيليني فسيثيا التي أتمنّاها مَساءً وصباحْ » [2]
أشهدتْ تقسمُ بالحلفِ العظيمْ حفلَ أقرونسَ أربابَ الجحيمْ
جملةَ الطيطانِ والقومَ الأولى رَهطهمْ في قعرِ طرطارٍ يقيمْ
أنّها لم تؤتهِ قولاً كذابْ [3]

يستلفت نظر الناظرين في التعريب • ولهذا اضفنا كلمة الخريدات هنا مع ان لفظة البهجات اكفى وادل على المرام

(١) كان الآلهة اذا اقسموا بمياه الستكس وهو نهر الجحيم كانت يمينهم ابر الايمان ولم يكتف « الرقاد » باستحلاف هيرا به بل رغب اليها ان تلقي احدى كفيها على الارض والاخرى على البحر استغلاظاً ليمينها اذ تكون جميع الكائنات من جامد وسائل ومنظور وغير منظور شاهدة عليها وما بعد تلك اليمين يمين مغلظة

(٢) ان التكرار وان كان مكروهاً فله هنا وقعٌ لطيف فان هيرا لما بلغت ذكر معشوقة «الرقاد» اخذت بمجامع لبه فأراد ان يستوثق من جهة بصحة احلامه وان يتلذذ بذكرها من جهة اخرى غير مبال بما وعدت هيرا من عرش ومدوس ولا مكترث بعد هذا الوعد بوعيد زفس ولسان حاله يقول قول ابن الفارض

اعد ذكر من اهوى ولو بملامي فان أحاديث الحبيب مدامي

(٣) الطيطان ابناء اورانوس وجيا (اي السماء والارض) ومن جملتهم يافث

ثُمَّ طارَا تحتَ أذيالِ الغمامْ وسَرِيعاً أدرَكا حدَّ الختامْ

وهيفريون وقرونوس (زحل) ابو زفس ۰ تألبوا بزعامة قرونوس على ابيهم اورانوس فخلعوه ثم كان بينهم وبين قرونوس خلاف ادى بهم الى محاربته وكادوا يظفرون به لو لم يقم زفس ويشد ازره فظفر بهم وطرحهم في وادي الظلمات



محاربة زفس للطيطان وهو يرميهم بصواعقه

مِن على لِمْنُوسَ حتى لمبْرُو ... سَ الى إِيذا اليَنابيع العِظامْ
فلَدى لَقْطُوسَ حَيثُ الوَحْشُ ذاعْ ... غادَرا البَحرَ وسارا في اليَفاعْ
وفُرُوعُ الغابِ من وَقعِهما ... قَلِقَتْ تَرتجُّ في تلكَ البِقاعْ[1]
وبِتِلْكَ الغابِ رَبُّ النَّومِ غابْ

واختَفى عن مُقْلَتَيْ زَفْسَ على ... أَرْزَةٍ شمّاءَ تَعلُو في الفَلا
حلَّ في مُشْتَبِكِ الأَغصانِ طَيـ ... رًا رَخِيمَ الصَّوتِ يأْوِي الجَبَلا
قد دَعاهُ الجِنُّ خَلْقِيسَ العِبَرْ ... وقمِنْـدِيسَ يُسَمِّيهِ البَشَرْ
رَقِيَتْ هِيرا أَعالِي غَرْغَرُو ... سَ وزَفْسُ من مَعالِيهِ نَظَرْ
فلَها وَجداً كيومِ الوَصْلِ ذابْ

يومَ في الخِفْيَةِ عن أُمٍّ وأَبْ ... عَلِقا حُبًّا وفازا بالأَرَبْ
قال: «لِمْ جِئْتِ وغادَرتِ الأُلِـ ... بَ وأينَ الجُرْدُ» قالت: «لاعَجَبْ»[2]
لِأَقاصي الأَرضِ أَزمَعتُ ارتِحالْ ... لِأُوافي أَبوَيْ رَهْطِ الكَمالْ

---

(١) قال الشاعر انهما طارا ثم قال ان فروع الغاب قلقت ترتج من وقعهما . قال افستاثيوس ان الشاعر لم يرد انها ارتجت لوقع ارجلهما عليها بل حرمةً وتهيباً لإِلاهين عبرا فوقها

(٢) الجرد الخيل — كان زفس قد علق بحب هيرا فاجتمعا خفيةً ونار الغرام مستعرة في فؤاده فلما اتخذها زوجة لم يكن بدٌّ من انطفاء تلك الجذوة على توالي الايام ولكنها عادت هنا فاضطرمت بفضل نطاق الزهرة ولهذا تغاضى عن اقبالها عليه بلا استئذان وكأنه اشفق ان لاتأتيه على مركبتها السماوية فبادرها بالسؤال عن خيلها

أُوقيانُوسَ وتيثيسَ اللذيـ　　　　ـنِ أشبأني على كفّ الدلالْ
فَسَى أُلا مُ مصدُوعَ الشِّعابْ

طالَ عهدُ الكيدِ في بُعدِهِما　　　　واطّراحُ الوُدّ في حقدِهِما
وعلى مَرْكبَتي أسعى على الـ　　　　ـبرِّ والبحرِ الى رَفدِهِما
بيدَ أنّي الجُرْدَ أبقيتُ لدى　　　　سَفحِ إيذا منكَ أبغي المَددا
خوفَ أن يأخُذكَ الغيظُ إذا　　　　خِفيَةً أزمعتُ أبغي مُنتدى
أُوقيانُوسَ إياباً وذَهابْ »

فلها رَكّامُ غيمِ الجوّ قالْ :　　　　«سوفَ تَمضينَ فما ضاقَ المجالْ
إنما الآنَ بنا هيّي إذاً　　　　نتعاطى حِلْوَ لذّاتِ الوصالْ
قطُّ ما أرّقني حرُّ اضطرامْ　　　　مِثلما حرّقني اليومَ الغرامْ
قطُّ ما إذ هِمتُ في إنسيّةٍ　　　　قبلُ او جنّيةٍ هذا الهُيامْ
لا أُحاشي كُلَّ رَبّاتِ النِّقابْ

لا أُحاشي زوجَ إكسيُونَ مَن　　　　ولدَتْ فيرثُيساً رَبَّ الفِطَنْ
أو ذنيّا بنتَ أكريسَ التي　　　　ولدتْ فرسيُساً فَردَ الزّمنْ[1]

---

(١) ليس لفرسيس هذا ذكرٌ في غير هذا الموضع من الالياذة • ويظهر من نعته بفرد الزمن انه كان ذا شهرة طائرة في زمن هوميروس • فهو على رواية مؤسس مملكة ميكينا نحو سنة ١٤٣٠ ق • م • وهو صاحب فيغاسوس الفرس الطيّار الذي

لا أُحاشي بنتَ فِينِكْسَ التي رَدَمَنْثاً ومِنُوْساً رَبَّتِ

أَو بِثِبِسٍ أَلْقَمينا الحُسْنِ مَنْ حَبِلَتْ لي بِهِرَقْلِ القُوَّةِ

اوسِمِيلا أُمَّ ذِيُونِ الشَّرابْ [1]

لا وذِيِمِيتِيرُ ما قَطُّ بها هِمْتُ اولاطُونَةٍ ذاتِ البَها [2]

ركبه بليروفون اذ سيق لقتل الخميرة (ص : ٤٥٠)

(١) ذيون اليونان هو باخوس الرومان الاه المسكر · تقدم رسمه ص: ٤٤٦

(٢) ذيميتير اليونان هي سيريس الرومان الاهة الزراعة · رسمها ص : ٤١١



فرسيس والفرس الطيار

لا وَلا في حُسْنكِ الفتَّانِ ما　　قطُّ كاليومِ فُؤادي وَلِها »
فأَجابت تكمِنُ الحيلةَ : « هلْ　　لِوصالِ الحُبِّ في إِيذا محَلْ
أَفما الدُّنيا ترانا علَناً　　أَوَلا ربٌّ رآنا وقفلْ
وديارَ الخُلْدِ بالأَنْبآءِ جابْ

أَيُّ دارٍ لكَ آتي أَيَّ دارْ　　بعدَ أَنْ يلحقَني هذا الشَّنارْ
أَنَا تعلمُ هيفستُ ابنُـكَ الـ　　صانِعُ الحاذقُ شيَّادُ المَنارْ
غُرفةً محُكمَةَ الأَبوابِ شادْ　　لكَ قامتَ فوقَ أَرْكانِ العِمادْ
فإلى سُتْرَتِها هيَّ بنا　　إِنْ يكُنْ لا بُدَّ مِن هذا المُرادْ
أُكفَ في الخَلوَةِ فضَّاحَ المَعابْ »

قال : « لا تخشَي هُنا وَشْيَ رقيبْ　　مِن بَني الإِنسانِ او ربٍّ رَهيبْ
لأُظلِّنَّ غَماماً شائِقاً　　مِن نُضارٍ دُونَهُ الشَّمسُ تَغيبْ »
ضمَّها والأَرضُ جادتْ بالرَّبيعْ　　مِن خُزامٍ نَشْرُ رَيَّاهُ يَذيعْ
وحَواشي زعفرانٍ كُسِيَتْ　　حَنْدَقُوقاً بَلَّهُ الطَّلُّ البَديعْ
يتلالا تحتَ منثورِ الحَبابْ

بِهما النُّورُ عنِ الأَرضِ ارتفعْ　　وغَمامُ التِّبْرِ بالنُّورِ سطَعْ
وحُبابُ القَطْرِ مِن أَكنافِهِ　　كحُبُوبِ الدُّرِّ للأَرضِ وقَعْ (١)

---

(١) لا أرى في الشعر تصوراً اجمل من مفاد هذين البيتين . ولعل بيتي الصاحب

فأبو الأرباب في ظلّ النعيم هكذا ظلّ على إيذا مقيم
خامدَ الحسّ بذرعي عرسه بهجوعٍ وغرامٍ في نظيم
رطبِ أزهارٍ علت بسطاً رطاب (١)

بن عباد لايقصران عنهما كثيراً بقوله :

أقبل الجوّ في غلائل نور وتهادى بلؤلؤء منشور
فكأن السماء صاهرت الار ض فصار النثار من كافور

(١) تلك رواية تناول هوميروس جرثومة خبرها عن السلف من المصريين واليونان وشاد عليها بناءً شاهقاً رصعه بزخرف تتقاصر عن ابتداعه مدارك كل شاعر سواه • وكأني به قد آلى على نفسه ان يثبت ان « التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها » وان يبين مواطن الضعف من الذكور ومواضع القوة من الاناث والوسائل التي تتذرع بها النساء لبلوغ مآربهن واستذلال رجالهنّ • فكأنه يقول اذا دان كبير الآلهة صاغراً لزوجته وما هي بالزوجة الوحيدة فما قولك بوحدان البشر كبارهم وصغارهم

كانت هيرا جانحة بكليتها الى نصرة الاغريق وقد سدت السبل في وجهها لما كان من ميل زفس الى الطرواد فلم يكن لها بد لبلوغ أمنيتها من احدى ثلاث • اما ان تقوى عليه وهو صاحب الحول والطول • واما ان تفحمه وهو رب الحجة والبرهان • واما ان تصيب منه غفلة فتأخذه على غرة وهو الحذر اليقظ • فتخيرت الخطة الثالثة على بعد شقتها لعلمها ان عامل الجمال اذا غشي بصر الحكيم وانفذ فيه سهم الغرام غشّى على بصيرته فتتمكن منه الغفلة والذهول

فقامت لساعتها واخذت تتأهب تأهب الواثق بالفوز المبين • ومن ثم أخذ الشاعر يصف دقائق حركاتها وسكناتها بما يجب ان يتخذ عبرة للمعتبرين والمعتبرات • عمدت الى التبرج والتزين فانفردت الى عزلة لاتنفذ اليها انظار انسي ولا جني • واوصدت باب حجرتها بمزلاج لا يرمقه بصر غير بصرها كأنه اراد ان يقول ان الحياء زينة النساء فمن قامت منهنّ الى اعداد زينتها فلتحتجب عن الابصار وان الرجال اشغف

وَلِمَيدانِ الوَغى عَذْبُ الكَرى　　　　جِدَّ لِلأُسْطُولِ يُنْمِي الخَبَرا

ما يكونون بالنساء اذا برزن لهم بثوب الاحتشام · والتهتك يطفيء جذوة الغرام · وليس للمرأة ان تحقر قدر التزين لزوجها فانما زينتها وحليها له لا لسواه · وهي عظة حسنة للواتي يتبرجن ويتبهرجن لكل رجل غير رجالهن كأن الزوج غير خليق بالنظر الى حلاوة امرأته وحليها ما لم يتوسل الى ذلك بوجود قريب او غريب

ولما خرجت هيرا بذلك المظهر البديع وعلمت ان لها به درعاً ولا درع الفولاذ الصلب بقي عليها ان تتقلد السلاح الذى تقاتل به بنات جنسها فسالت الى الزهرة وسألتها ان تلقي اليها حيناً من الزمن « نطاق الغرام » وانتحلت لذلك سبباً يتسارّ به النساء ويسارون به رجالهن وهو الكلام في شقاق الازواج · ولم يكن لهيرا ان تختلق سبباً اوقع في قلب الزهرة وزفس من ذلك السبب فادّعت انها راغبة في التوفيق بين « الاوقيانوس وامرأته » فامنت غيرة الزهرة اذ لم يكن لها حاجة بذلك الشيخ الهرم ودرأت شبهة زفس اذ كان يعلم بصحة ذلك الخلاف وان لهيرا مأرباً حقيقياً في ازالته وفاءً بجميل سابق لذينك الزوجين عليها

وان لنطاق الحب هنا فضلاً عن بدائع محاسنه مزيةً أخرى يجدر بنا التنبيه اليها وهي ان الشاعر جعله تكملة لمحاسن المرأة اذ لايكفي ان تكون حسنة البزة جميلة الخلق بل لابد ان تكون على خُلُق تسترق به قلب الرجل وان لاتحقر مجاملته بلين القول شأن اللواتي يترفعن عن التودد الى رجالهن خوفاً من اطماعهم بهن او طلباً للتخفيف من سلطتهم عليهن ويغيب عنهن ان مكامن الاحقاد وراء الكلام الخشن وعذب المقال يزيل الضغائن من صدور سليطات النساء وظلاّم الرجال

ولما استتمت هيرا معدات الهجوم والدفاع وايقنت بالفوز صرفت همها الى بلوغ وسيلة تمكنها من التلذذ بثمرته فسعت الى « الرقاد » علماً منها ان زفس لاتؤخذ غرته الا اذا هجع فلم تزل بالرقاد حتى استمالته كما مر بك ولم تأت زفس الا وقد تمهدت لديها جميع العقبات

ولما ظفرت بالتسلط على مجامع لبه وافضى الامر بينهما الى المداعبة اظهرت واظهر من حب التستر ما يجب ان يكون امثولة لذوات البعولة وذوي الزوجات الذين قد يتجاوزون اداب المجاملة امام الاجانب فيتعدون حرمة المحاسنة الى التداعب ويشبون

ولفوسيذ دنا قال: « أيا　　ملكاً زعزع أركان الثرى
كلل الإغريق بالمجد الخطير　　وأبل ماشئت ولو حيناً يسير
خلبت هيرا نهى زفس وفي　　قربها يهجع بالطرف القرير
وعلى جفنيه طلّ بانسكاب »

ثمّ جدّ السير يسعى في الورى　　وانبرى فوسيذ في صدر السرى [1]
صاح مشتدّاً على شدّته :　　« أأخائيين ما آهاً أرى
ألهكطور نتيحنّ الظفر　　يحرز الأسطول والمجد الأغرّ

وثبة واحدة من كثرة الادب الى قلة الادب

واما ما يراه بعض الشراح من المغازي الرمزية في هذه الحكاية فلا احب ان اجهد النفس في البحث فيه بل لا احب ان اراه • فخيرٌ عندي ان ارى زفس وهو أبو الارباب قد بسط ذلك الفراش الوثير من نبات الارض الفياح وأسبل من فوقه تلك الكلّة الشائقة من غمام النضار يتساقط من أكنافها حباب القطر كحبوب الدر من ان اسعى وراء خيال تراءى لهم في مخيلاتهم فقالوا ان زفس ممثل الرقيع وهيرا ممثلة الهواء فلما اجتمعا اخرجا نبات الارض وفقاً لمعتقدهم • فان التوجيه حسن لو كان بنا حاجة اليه ولو كان في رقة المعنى الظاهر ما يحتاج معه الى التأويل والتخريج وقس على ذلك سائر ما تأولوه مما يشوه محاسن الرواية

(١) لما قضى « الرقاد » مهمته لم يبق محل لبقائه في المعسكر • ولهذا قال الشاعر « ثم جد السير يسعى في الورى » لانه لا محل للرقاد في ساحة الكر والجلاد ولم يكن فوسيذ ليجسر ان يندفع في صدر الاغريق وزفس في يقظته فانتهز فرصة تلك الغفلة من زفس لمعاضدة هيرا على قضاء لبانتها فتصدر في الجيش ومع ذلك فانه لم يقاتل بنفسه وانحصرت موازرته بالحث والتحريض كما سترى

تلكمُ منيّتهُ اغترَّ بها مُذ رأى آخيلَ بالحقدِ استعرْ
وعنِ الهيجاءِ أمسى باجتنابْ

قطُّ ما منّاهُ أولانا البوازْ إي نعمْ لو كلّنا كلٌّ أثازْ
فأصيخوا الآنَ طرًّا وانهضوا يحملُ الكبّارُ أجوابًا كِبازْ
تسطعُ الخوذاتُ في هاماتهمْ وطوالُ السُمْرِ في راحاتهمْ
وأولو العزمِ الأُولى جنّاتهمْ صغُرتْ فلينبذوا جنّاتهم (١)
للأُولى يُثقلهمْ هولُ الصعابْ

فاتبعوني واحملوا طرًّا فلا صدَّنا هكطورُ مهما اشتعلا »
فأصاخوا جملةً وانقضَّ في إثرهِ للحربِ رهطُ النبلا
وذيوميذُ وأوذيسُ الفلاحْ واغاممنونُ في دامي الجراحْ
رتّبوا الجندَ وما أقعدهمْ دمهمْ بلْ وازنوا حملَ السلاحْ
وبهمْ جابوا يعبّون العيابْ

---

(١) الجنات التروس — تلك حكمة بالقاء التروس الكبيرة والسلاح الثقيل لذوي البأس والقوة خصوصاً انه كان من شرعهم ان يعاقب الجندي الذي يرجع بلا ترس واما الذي يلقي عنه سيفه ورمحه فلا عقاب عليه ذلك لانهم كانوا يؤثرون وسائل الدفاع على وسائل الهجوم ويقدمون حفظ النفس على قتل العدو . قال كثير :

على ابن ابي العاصي دلاصٌ حصينةٌ اجاد المسريء نسجها واذالها
يود ضعيف القوم حمل قتيرها ويستطلع القرم الاشم احتمالها

والدلاص الدرع والقتير مساميرها

فبدا ذو الطَّوْلِ بالحملِ الكثيفْ وضعيفُ العزمِ بالثقلِ الخفيفْ
وبلوا شكّتهم حتى إذا وازنوها اندفعوا الدفعَ العنيفْ
صدرهم فوسيذُ في راحتهِ عاملٌ كالبرقِ في حدّتهِ
ليس من كفءٍ يلاقيهِ بهِ بل تُراعُ الخلقُ من رؤيتهِ
إنما هكطورُ لم يبغِ انسيابْ

كتّب الطروادَ مشتدّ النداءْ مثلما فوسيذُ نادى بالبلاءْ
فكلا القرمينِ قوّامٌ فذا بين طروادٍ وهذا في الأخاءْ[1]
زحفَ الجيشانِ والبحرُ اصطفقْ قاصفاً والجيشُ بالجيشِ التصقْ[2]
ولدى عجّهمِ عجّ العبا بِ إذا الموجُ على الجرفِ اندفقْ
بشمالٍ لم يكنْ طيّ الحسابْ

---

(١) حيثما اورد الشاعر ذكر هكطور فانه قرن ذكره بالبسالة والاقدام وتفنن بوصفه بالتشابيه والاستعارات والكنايات ليرفع مقامه في نظر السامع والمطالع . ولكنه ذكره هنا ذكراً بسيطاً فجعله في مقدمة الطرواد بمنزلة فوسيذ بمقدمة الاغريق اي انه جعله قريناً لرب قهار فكان هذا الذكر البسيط ابلغ وصف لبسالته في كل الالياذة وفيه توطئة للمغالاة بقوة ساعد اياس الذي كاد يظفر بهكطور على كونه بتلك المثابة العليا

(٢) انتقل الشاعر من مظهر ترف وسكون الى مظهر شدة وجلبة فغير اللهجة كجاري عادته تنبيهاً للسامع قبل الاتيان على مشهد الحرب فأخذ يكثر من التشابيه المتوالية كما سترى . اما اصطفاق البحر عند اصطدام الجيشين على ماذكر في هذا البيت فقد قال افستاثيوس انه انما كان معجزة بقوة فوسيذ رب البحر فان امواجه تلاطمت هيبةً له

لم تكن في جنب هدَّات الفرق عندما الكلُّ على الكلِّ انطلق
تذكرُ النيرانُ في زهزمةٍ حين بطنُ الغاب بالشمِّ احترق
لا ولا صهصلقُ الريح اكتنف باسق الملول من كلِّ طرف[1]
فالتقى الجمعانِ في صدمهم واثباً هكطورُ بالرمح قذف
لأياسٍ مذ الى ملقاهُ آب

نشب الرمحُ بقلب المحملينْ حيثُ بالصدرِ استطالا ضخمينْ
محمل للترس لاقى محملاً لحسامٍ بجرابيِّ اللجينْ
وقياهُ شرَّ تلك الطعنةِ والتوى هكطورُ بادي الخيبةِ
يتقي في قومه هول الردى وأياسٌ بأبيِّ الهمةِ
إثرهُ انقضَّ كخطَّافِ الشهابْ

وبجلمودٍ منَ الصخرِ عمدْ من صفاً بدَّدَ في تلك الجددْ[2]
(بعضهُ قد ظلَّ ما بين الخطى وأُقيم البعضُ للفلكِ سندْ)
فرحاهُ فمضى وهو يشوزْ مثلما دوَّامة الوغدِ تدوزْ[3]

---

(١) اي انه بجانب عج الجيشين لم يكن عج البحر شيئاً مذكوراً ولا زهزمة النيران المضطربة ببطن الغاب على رؤوس الجبال ولا عصف الرياح المتلاعبة بالشجر فجمع بهذه التشابيه الثلثة بين المـاء والنار والهواء

(٢) أي انه أخذ حجراً من الحجارة المتبعثرة في تلك الطرق

(٣) الوغد الولد • واللعب بالدوامة وهي الفلكة يرميها الصبي بخيط او بغير خيط

وعلى جنَّـةِ هكطورَ لدى عنقهِ في صدرِهِ أهوى يموزْ
فهوى منقلباً أيَّ انقلابْ

فكما ملولة الطودِ اقتلعْ زفسُ والأنواء بالعنفِ دفعْ
وفشا من حولها الكبريتُ في صادعِ الريحة والعجّ ارتفعْ(١)
وقلوب الناسِ في جيرتها خفقت رعباً لدى رؤيتها
هكذا هكطورُ في سقطتهِ أفلتَ الصعدةَ من شدتها
والتوى مستلقياً فوق الترابْ

ظلّتِ الخوذةُ والترسُ لديهْ وصدى شكّتهِ صلَّ عليهْ
وبنو الاغريق في نعرتهم هرعت أفواجهم تجري إليهْ
بغيةً أن يظفروا فيهِ وقد أمطروا الأسهمَ تهمي كالبردْ
إنما لم يدركوا بغيتهمْ إذ سعى كالبرقِ يؤتيه المددْ
نخبةُ الطروادِ والغرُّ الصحابْ

أسبلوا من حولهِ صلدَ المجانْ ووقوهُ هولَ هطالِ الطعانْ
بينهمْ فوليدماسُ وكذا آنياسُ وغلوكوسُ الجنانْ

فتدوّم على الارض اي تدور على نفسها وهي من اقدم لعب الصبيان • ويقال لها بلغة عامة سوريا البلبل وتسمى بمصر النحلة

(١) المراد هنا اقتلاع الملولة او تحطيمها بالصاعقة يُعلم ذلك من ذكر الكبريت والرائحة الصادعة في البيت التالي

ثم سَرْفِيذُونُ قَوَّامُ بني ليقيا ثُمَّ اغينُورُ السَّني
حَمَلُوهُ حيثُ ظَلَّتْ جُرْدُهُ في ذراعن قرع تلكَ الجُنَنِ
وإلى إليُونَ سارُوا بأُكْتِئاب

فعلى مَرْكَبَةٍ فيهِ تَسيرْ حَمَلُوهُ وَهوَ مُشتَدُّ الزَّفِيرْ
وأَتوا شفَّافَ زَنْثَ المُلْتَوي بِمَجارٍ صبها زَفسُ القَديرْ
وَضَعُوهُ ثُمَّ والماءَ الدُّفاقْ بارِداً صَبُّوا عليهِ فأَفاقْ
وجَثا يَفتَحُ عينَيهِ وَمِنْ دَمِهِ الأَسْوَدِ قَيْءٌ وانْدِفاقْ
جارِياً مِنْ فيهِ يَنْصَبُّ انْصِبابْ

ثُمَّ فَوقَ التُّربِ مَغشِياً عليهْ خَرَّ والظُّلْمَةُ غَشَّتْ مُقْلَتَيهْ
صَدْمَةٌ ما ارْتاحَ مِنْ صَعقَتِها زَمَناً إلاَّ لِتُوهِي رُكْبَتَيهْ
وَبَنُو الاغريقِ مُذْ هَكطُورُ راحْ هاجَ في أَلْبابِهِمْ وَجْدُ الكِفاحْ
وابْنُ ويِلُوسَ أَياسُ كَرَّ في عامِلٍ ثُقِّفَ مِنْ شُهْبِ الرِّماحْ
كَعبُهُ يَهتَزُّ في صَدْرِ الكِعابْ

شَقَّ ذاكَ الرُّمحُ مِنْ تَحتِ الكَتِفْ خَصْرَ قَرْمٍ بِسَتْنِيُوسَ عُرِفْ
أُمُّهُ الحَوراءُ نايِيسُ التي لِأُنُوفٍ قَبْلُ كانَتْ تَزْدَلِفْ
راوَدَتْهُ حِينَ وافى قِدَماً جُرُفَ سَتْنِيوِيسَ يَرعى الغَنَما
ونِتاجُ الحُبِّ ذَيَّاكَ الفَتى رُمحُ آياسٍ حَشاهُ اخْتَرَما

وحواليهِ اختصامٌ واختضابْ

فجرى فُوليدماسُ وأطارْ عاملاً صلداً لأخذِ الثارِ ثارْ
فعلى كاهلِ إفرُوثُونرٍ غاصَ يلقيهِ مغشّى بالغبارْ
صرخَ الظافرُ والفخرُ انتحلْ: «لم يطِشْ رُمحُ ابنِ فنثُوسَ البطلْ
شقَّ من قلبِ العدى قلبَ فتًى موكِئاً يلقيهِ أيانَ ارتحلْ
لِثاوي صرحِ آذيسَ الرحابْ» (١)

فانتظى الإغريقُ من هذا النعيرْ سيما الفتّاكُ آياسُ الكبيرْ
دونهُ خرَّ الفتى فانقضَّ في طلبِ القاتلِ بالرمحِ الشهيرْ
فالتوى فُوليدماسُ ونجا ولأرخيلوخَ فوراً عرجا (٢)
خرقَ البادِيلَ مِنْ مفصلهِ وبقلبِ العظمِ فيهِ أُولجا
قاضباً أعصابهُ شرَّ اقتضابْ

خرَّ والهامةُ قبلَ القدمِ لخضيبِ التربِ أهوتْ ترتمي
وأياسُ صاحَ في نعرتهِ : «يا ابنَ فنثُوسَ المليكِ الأعظمِ

---

(١) يريد ان يقول ان رمحي بات موكئاً يتوكأ عليه القتيل اذا انحدر الى الجحيم وظاهر المراد من هذه العبارة ان الرمح اصاب كاهله فاخترق البدن وبرز من الجهة الاخرى ولا يخفى ما في قول الظافر هذا من التهكم والتشفي

(٢) أي الرمح

قُلْ أَلَمْ أَفْتُكْ بِعِلْجٍ أَكْبَرِ ... كانَ كُفْوءَ ابْنِ أَرِيلِيقَ الجَرِي[1]
إِي نَعَمْ ما لاحَ لي الأَفْتى ... عاليَ الهِمَّةِ ساميْ المَعْشَرِ
وَلأَنْطِينُورَ يُدْنيهِ اقْتِرابْ

فَهْوَ لا شَكَّ ابْنُهُ القَرْمُ البَطَلْ ... أَوْ أَخوهُ الشَّهْمُ ثَقَّافُ الأَسَلْ»
قالَ ما قالَ أَياسُ عالِمـاً ... قبلَ ذاكَ القَوْلِ مَنْ كانَ قَتَلْ
فَحَشى الطِّرْوادِ بالبَثِّ الْتَهَبْ ... وأَخو المَيْتِ أَكاماسُ وَثَبْ
ورَمى يُرْدِي فُرُوماخَ الذي ... جُثَّةَ المَقْتُولِ قد كانَ سَحَبْ
ثُمَّ نادى بِأَساليبِ السِّبابْ:

«يا بَني الإِغْرِيقِ حُذَّافَ النِّبالْ ... وأُولي الدَّعْوى غُرُوراً واخْتِيالْ[2]
لَمْ تَكُنْ كُلُّ المَنايا سَهْمَنا ... فَلَكُمْ مِنها نَصيبٌ ومَنالْ
أَفَما خِلْتُمْ فُرُوماخَ السَّرِي ... بَعدَ أَرْخِيلُوخَ بالحَتْفِ حَرِي
أَفَما كُلُّ امْرِىءٍ مِنكُمْ صَبا ... لِأَخٍ مِنْ بَعْدِهِ مُثَّإِرِ

(١) ابن اريليق هو افرونونور القتيل الاغريقي

(٢) حذاف النبال تعريب (ιομωρος) وهي لفظة مركبة من كلمتين فالفريق الاكبر من المترجمين يجعلها مؤلفة من (ιος و μωρος) فتكون بالمعنى الذي عربناها به ومنهم من يجعل اللفظ الاول منها مأخوذاً من (ια) بمعنى صوت فيكون معناها حينئذ ذوي الجلبة والصوت المرتفع وهي على كلا الحالين كلمة قذف لأن المقاتلة بالنبال احط شأناً وادنى بأساً من المقاتلة بالسيوف والرماح • اما وجه السباب في المعنى الثاني فواضح

أَبداً مُنتقِبٍ قَطعَ الرِّقابْ »[1]

حَرِّقَ الإِغريقَ ذَيَّاكَ الفخارْ سيَّما المَلكَ فنيلاسَ فثارْ

وأَكاماسَ رَمى لٰكنْ أَكا ماسُ وَلَّى يبتغي سبْلَ الفِرارْ

فبإِليُونِيُّسَ الرُّمحُ صدَرْ فَرعِ فُرْباسَ الوحيدِ المُدَّخَرْ

مُجْتَبى هِرمِسَ في طُرْوادَةٍ مَنْ حَباهُ بِغَنيمٍ وبقَرْ

وعليهِ هالَ موفورَ الرِّغابْ

خرَقَ الحاجبَ والعينَ قَذَفْ وبلُبِّ العظْمِ في الرَّاسِ وَقفْ

خرَّ لِلتُّرْبِ يَدَيهِ باسطاً وفنيلاسُ انْتَضى السَّيفَ وخفْ

قَطَعَ الهامةَ في خُوذَتِها فَهوَتْ والرُّمحُ في مُقْلَتِها

وحَكَتْ في كفِّهِ خَشْخاشةً قُطِعتْ تُجْتَثُّ من مَنْبتِها

قالَ يُعْلِيها على ذاكَ النِّصابْ :

« أَصْدُقوا طُرْوادُ هولَ الخَبَرِ والدَيْهِ يَذْرِفا الدَّمعَ الذَّري

مِثْلَما عِرْسُ فُرُوماخَ إِذا آبَتِ الإِغريقُ بعدَ الظَّفَرِ

لا تراهُ سارَ حِينَ الجيشُ سارْ وبهِ تحظى بهاتيكَ الدِّيارْ »

نَظَرَ الطُّرْوادُ مِنْ حولِهِمِ يَبْتَغي كُلٌّ سبيلاً لِلفِرارْ

---

(١) اي افـا كل منكم يروم ان يكون له من يأخذ بثأره اذا قُتل كما اخذت بثأر أخي ارخيلوخ

ثمَّ ولّوا بارتعادٍ وارتعابْ .

يا بناتِ الرَّبِّ زفسٍ مَن على قمّةِ الأولمبِ يشهدنَ المَلا

لي فقلنَ الآنَ مَنْ خلتنَّهُ بينهم شقَّ الصفوفَ الأُوَلا

مُذْ الى الإغريقِ إبَّانَ النزالْ كفَّةَ الرجحانِ فوسيذُ أمالْ

ذاكَ آياسُ على هرتيّسٍ فرعِ غرتيّاسَ بالبدءِ استطالْ

والمسيّونَ عليهِ بانتحابْ

ثمَّ أنطيلوخُ فلقيسَ قتلْ وعلى مرميرُسِ الهولِ حملْ

ثمَّ مريونُ مريساً وكذا هيفتيّونَ بحدِّ السيفِ فلْ

ثمَّ طفقيرُ فريفيتَ ضربْ وفرونثوّونَ واحتازَ السلَبْ

ومنيلا رامَ هيفيرينرا ومنَ الشاكلةِ الجوفَ اقتضبْ

فمنَ الجرحِ هوتْ روحُ المصابْ

إنَّما أعدى فتى بينَ السُّرى لم يكنْ إلاّ أياسَ الأصغرا

كرَّ في إثرِ العدى مستقبلاً جيشهم فاجتاحهُ مستدبرا

حيثما خفّتْ خطاهُ أدركا طالبَ النجوى وفيهِ فتكا

خرَّتِ الذرّاعُ في كرّاتهِ تتراءى من خميسٍ هلكا

سامهُ زفسُ انخذالاً وانقلابْ

النشيد الخامس عشر

الواقعة الخامسة وبسالة أياس

مُجْمَلُهُ

تجاوزت الطرواد حدَّ الخنادقِ يسمّهم فيها حسام الاغارقِ

فاستيقظ زفس وعلم ان حيلة هيرا قد جازت عليه فانهال عليها بالتقريع والتونيب. فادعت ان فوسيذ نكل بالطرواد منبعثاً بمجرد هوى نفسه. فأمرها باستدعاء ايريس وأفلون وانفاذها لاستنهاض الطرواد. فرجعت الى السماء وأطالت على مسمع الآلهة شكواها من زفس وأنبأت اريس بما كان من موت ابنه عسقلاف. فهاج آريس وماج فثبطته آثينا. وطار افلون وايريس الى ايذا عملاً بأمر زفس فبعث بايريس الى حومة الوغى تتوعد فوسيذ. فاضطر الى مغادرة ساحة القتال وعاد أفلون بهكطور مستعراً بالغيظ والبسالة بعد ان بسط افلون مجنه امام الاغريق وهدّ قلوبهم بمنظره فانقضت الطروادة على الاغريق وذبحوهم ذبحاً. فالتوى الاغريق الى معسكرهم وتقدم هكطور بجيشه يصحبهم افلون. فأجتازوا الخندق ووقع الرعب في قلوب الاغريق فتضرع نسطور الى زفس فأرعد وابرق فتفاءل الطرواد بذلك وما زال هكطور متقدماً بفيلقه حتى بلغ السفن. وكان فطرقل يشهد كل هذا من مضرب اوريفيل فجدّ مسرعاً الى أخيل يستنهضه ليفزع لقومه. وقام الاغريق فقاتلوا قتال الاسود على انهم ما لبثوا ان اضطروا الى المزيمة فانثنى آياس بنزر من صحبه وثبت امام الطرواد واشتد القتال ثانيةً فخرت الابطال من الفريقين وحال آياس دون بلوغ الطرواد سفن قومه وهمّ هكطور باحراق السفن وكاد يبلغ منها مأربه لو لم يقف آياس فيصد الابطال ويجندل الرجال

لا تزال وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين

النشيد الخامس عشر

تجاوزتِ الطُّرَّادُ حدَّ الخنادقِ يُصلّمهم فيها حُسامُ الأغارق
وحولَ العجالِ استوقفوا وتألّفوا برعدة مذعورٍ وصفرةِ خافق
ومن طورِ إيذا هبَّ زفسُ ودونهُ صفيّتهُ هيرا فهاجَ ظنونَهُ (١)
وألفتَ والإغريقَ أبصرَ عقَّبوا عداهمْ وفوسيذٌ ببطنِ الفيالقِ
وأبصرَ هكطوراً بهِ القومُ أحدقا ومن فيهِ سيَّالُ النجيعِ تدفقا
على التربِ ملقًى خامدَ الحسِّ خافقاً وماصرعتهُ كفُّ أضرعَ خافق (٢)
فهزّتْ أبا الأربابِ والناسِ رأفةٌ ولاحتْ لهيرا منهُ بالغيظِ نظرةٌ
وقال: « نعمْ هكطورَ مكراً أبنتِهِ عنِ الحربِ فارتاعوا لقرعِ الخافقِ
تحدّثني نفسي أهيلُ عقوبتي فتجنينَ قبلَ القومِ عقبى الخديعةِ
أفاتكِ أنْ علقتِ قبلُ مهانةً بلبِّ رقيعِ الجوِّ بينَ البوارقِ
وغلّتْ بصلدِ القيدِ منْ عسجدٍ القدمْ يداكِ وسندانانِ في أخمصِ القدمْ
وآلُ العلى حوليكِ ذلّوا وأشفقوا وهلْ كانَ منْ يوليكِ نصرةَ شافقِ

---

(١) انتقل بنا الشاعر الى مشهد جديد مثل به يقظة زفس بعد هجوعه تمثيلاً يهيء للسامع هيئة الصاحي من سكرته المستفيق من غفلته الخنق لسقوطه في احبولة نصبت له خفية بيد عجزت عن البروز لوجهه • فتستجمع حواسه للافاة مافات والاقتصاص ممن القى عليه ذلك السبات • تلك كانت حالة زفس عند هبوبه من النوم جعلها الشاعر توطئة لايراد حوادث احيا بها جانباً كبيراً من آثار قومه كما سترى

(٢ الاضرع الجبان • والنجيع في البيت السابق الدم

ولو فعلوا أُلقيتُ أيهمُ اجترا — من السدّةِ العليا صريعاً الى الثرى
وما كانَ هذا خافضاً غضبي لِما — أنلتِ هِرَقلاً في السنينَ السوابقِ
بهِ رُمتِ سوءاً ثُمَّ أهبَبتِ شمألا — تقاذفهُ الأنواءُ فيها منكّلا
وأحللتهِ قوصاً ومنها أعدتِهِ — لأرغوسَ ممنوّاً بأدهى البوائقِ (١)
ألا اذكري تلكَ الشؤونَ وجانبي — مخاتلتي فيما ابتغيتِ بجانبي
برحتِ مقامَ الخُلدِ تشجينني جوىً — فليسَ بمُغنٍ عنكِ مكرُ المُنافقِ »
أجابتهُ هيرا تقشعرُّ تظلُّما : — «يميناً عليَّ الأرضُ تشهدُ والسما
وتحتهما إستِكسُ يشهدُ يمهُ — يمينٌ لنا لم يأتها غيرُ صادقِ
ورأسكَ والعقدِ الذي بيننا ولم — يكن قسمي الاّ إذا أُثقِلَ القسمَ (٢)»

---

(١) لقد مرت الاشارة الى هذه الاسطورة في النشيد السابق اذ ذكرها « الرقاد » وذكر هيرا بما نالهُ من عقاب زفس وزاد الشاعر هنا ما نال هيرا من ذلك العقاب . وقد تهافت الشراح على حل معميات ذلك العقاب حلاً رمزياً بما يطول معه الشرح

(٢) ما قرأت هذه اليمين مرة الا تذكرت ايمان بني كعب في العراق العجمي لعهدنا هذا فان هيرا قد اغلظت الحلف فاقسمت بالارض والسماء والاستكس وما بعد اليمين بهن يمين مغلظة . وكأنني بزفس مع هذا لم يجنح الى التصديق الاحين اقسمت برأسه والعقد اي عقد النكاح . وهكذا الكعبي اذا اقسم بالله فلا يزعم ولا يتوهم غيرهُ انه صادق ولكنه لايقسم برأس شيخ عشيرته الاّ صادقاً . فاذا اتهم بسرقة او جناية وسيق امام الشيخ واستُحلف واراد الانكار قال « والله وبالله لم افعل » فكأنه لم يزد على قوله لم افعل فاذا اعيد عليه السؤال قال « والنبي والوصي » او « وحق محمد وعلي » فاذا أراد اغلاظ يمينه قال « وحق العباس » واذا بقيت شبهة في صدقه وأراد درأها اقسم برأس شيخه وهو اعظم ايمانهم لايقسمها احدهم الاصادقاً — والسبب في

لَئِنْ سامَ فُوسِيذُ الطَّراوِدَ ذِلَّةً فما كانَ مبعُوثي وَلا كانَ لاحِقِي
وما ساقَهُ إلاَّ فُـؤادٌ تَفَطَّرا لِجَيشٍ لَدى أُسْطُولِهِ قد تَذَعَّرا[1]
فَمُرْني فَأَمْضي بالبَلاغِ فَيَنْثَني لِحَيثُ قَضى زَفْسُ مُثِيرُ الصَّواعِقِ»
فَهَشَّ لَها زَفْسٌ وقالَ بمُنْتَدى بَني الخُلْدِ لَو رَأْيِي أُرَتَأَيْتِ مُؤَبَّدا
فَفُوسِيذُ مَهْما كانَ مِن نَزَعاتِهِ لَأَذْعَنَ وانْقادَ انْقِيادَ المُوافِقِ
فَإِنْ كُنْتِ أَخْلَصْتِ المَقالَ فَبادِري لِمُؤْتَمَرِ الأَرْبابِ أَلْقي أَوامِري
فَتَحضُرُ إِيرِيسُ الرَّشِيقَةُ عاجِلاً وَفِيبُوسُ هَيَّالُ النِّبالِ الذَّوالِقِ
فَأُنْفِذُ إِيرِيساً لِفُوسِيذَ مُبْلِغا إِلى يَمِّهِ يَأْوِي وَيَطَّرِحُ الوَغى

ذلك انه اذا ظهر كذب الحالف برأس الشيخ كان عقابه القتل فالشيخ يقتص لنفسه عاجلاً حالة كونه لو اقسم الرجل كاذباً بالعباس ومن فوقه الى الخالق جلّ وعلا فعقابه مؤجل الى يوم الحشر حيث يقتص صاحب القسم من الحانث بيمينه • والرهبة من الحد العاجل بيد المخلوق اوقع منها في النفس من الحد الآجل بيد الخالق

وقد كان اعظم الاقسام في جاهليتنا ذمة العرب لا يُحلف بها الا عن صدق • قال متمم بن نُوَيرة :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت تحت الازار قتلت يا ابن الاوزر
أدعوتهُ بالله ثم قتلته لو هُو دعاك بذمة لم يغدرِ

(١) تملصت هيرا تملص الداهية بينها فلم تنكر علمها بما كان واشركت فوسيذ بالذنب ولم تزدهُ جرماً لان موآزرته للاغريق كانت ظاهرة بل التمست له عذراً بان الرأفة هي التي دفعته الى الاخذ بيدهم فاقسمت ولم تكذب • ثم تزلفت الى زفس ولم تلبث ان استمالته بقولها انها متأهبة لقضاء اوامره وهي لا تزال تنوي انفاذ مأربها كما سترى فيما يلي وذلك منتهى الدهاء في النساء

وفيبوسُ هكطورا يُسكِّنُ روعهُ ... ويُوليهِ حزماً لاختراقِ الحزائقِ [1]
فيكتسحُ الإغريقَ يكسأهم إلى ... أساطيلِ آخيلٍ فيُشفقُ للبلا
ويُرسلُ فطرقلا فيفتكُ فيهمِ ... ويُدمي ويُصمي في لُبابِ الغرانقِ [2]
ويجتاحُ سرفيذونَ فرعي ويقحمُ ... ويبطشُ للأسوارِ يُصمي ويهزمُ [3]
فيطعنهُ هكطورُ طعنةَ قاتلٍ ... فينهضُ آخيلٌ بهبّةِ حانقِ
ويقتلُ هكطورا ومن ثَمّ تلبثُ ... أخاءةَ في الطرواد تعثو وتعبثُ
إلى حينَ آثينا تتيحُ بحذقها ... لهم فتحَ إليونٍ بحكمةِ حاذقِ
على أنني ما دامَ آخيلُ لم ينلْ ... مناهُ فلن أولي الأغارقةَ الأملْ
ولستُ براضٍ أن يقومَ برفدهمْ ... منَ الخُلدِ قوّامٌ بتلكَ المضايقِ
بذلكَ قد عاهدتُ ثيتيسَ عندما ... ترامتْ ومسّتْ رُكبتيَّ تطلُّعا
لإعزازِ آخيلٍ دعتني ترفقاً ... فأومأتُ بالإيجابِ إيماءَ رافقِ» [4]

---

(١) الحزائق الجماعات

(٢) الغرانق الفتيان

(٣) كان سرفيدون من ابناء زفس وستأتي تمة سيرته في النشيد التالي

(٤) يشير زفس في مقاله هذا الى ما سيكون وهو يلهج فيه لهجة العزيز القدير جلّ شأنه الذي « اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون » ٠ وقد كثر الاخذ والردّ بين الشراح في ما اذا كان هوميروس مخطئاً اومصيباً بالانباء بما سيعقب تلك الحوادث فزعم قومٌ ان علم المطالع بها ولو مجملاً يذهب بشيء من طلاوتها عند وقوعها ٠ وقال آخرون ونحن في عدادهم ان الامر بخلاف ما زعم الفريق الاول لان هوميروس لايورد قصة غرامية لا يستوقف فيها نظر المطالع الا في نهايتها ٠ وانما يقص على معتقد اهل زمانه تاريخاً مشهوراً ٠ فأشارته هنا الى ما سيقع ليست الا توطئة يرتاح

فَلَبَّتْهُ هيرا واستطارت بلحظةٍ الى قمة الأولمب من طور إيذةٍ

كفكرٍ يجوبُ الشرقَ والغربَ طارقاً بلاداً وفيه ذِكْرُ تلك المطارقِ [1]

وأَمَّتْ سَراةَ الخُلدِ في مُتَداهمُ بمربع زفسٍ في سموِّ علاهمُ

فمذ أَبصروها جملةً نهضوا لها وقاراً وحيّوا بالكؤوس الدوافقِ

أَبَتْ رشفَ هاتيكَ الكؤوس وإنما لكأس ثميس الحسنِ مالت تكرُّما [2]

فتلكَ إليها سارعت مستقصةً : « أرى جئتنا في غصةِ المتضايقِ

فلا غيرُ زفسٍ راعكِ اليومَ غاضباً » فقالت : « دعي عنكِ التحرّيَ جانباً

عرفتِ عتوّاً شانهُ وصلابةً فعودي الى بُسْطِ الطعام الشوائقِ

المطالع الى الوقوف بها اجمالاً على ما سيقع تفصيلاً • ونزيد على ذلك انها ليست باول ولا آخر مرة رأينا فيها الشاعر يورد مثل هذه النبوءات فهي على ما نرى من مزينات قصصه ومثبتات اعتقادات ذلك الزمان وهي خطة اتخذها كتّاب جميع الكتب القديمة منزلة كانت او غير منزلة • ولا يخفى ما فيها فضلاً عما تقدم من شدة التأثير في النفس باثبات عظمة الناطق بها واقتداره وهي محسنة اخرى من محسنات الشعر

(١) لم يغادر هوميروس آبدة ولا شاردة من بدائع الطبيعة الا اشار اليها ودوّنها وهو هنا قد وصف السرعة بما لا سبيل بعده الى مزيد • فقد رأيناهُ ورأينا سائر الشعراء يشبهون بسرعة الطائر والريح والبرق وما اشبه ولكننا لو اضفنا الى تشابيهم سرعة الكهرباء والنور لما كانت شيئاً بالنسبة الى سرعة الفكر الذي يجوب السموات والارض وما فيهن بلحظة من الزمن • وما انبساط الريح بازائه بالشيء المذكور • قال ابن المعتز بمثل هذا المعنى مع اقتضاب :

أسرع من ماءٍ الى تصويبِ ومن وقوع لحظه المريبِ

ومن نفوذ الفكر في القلوبِ

(٢) يؤخذ من هذين البيتين ان الآلهة كانوا في مجلس انس وطرب • يشير

وفي أَدْبَةِ الأَرباب مَجْداً تَصدَّري أَبُثُّكُمُ مِن خَبْرِهِ شَرَّ مَخْبَرِ
أُمورٌ قضاها أَزعجت كلَّ آدبٍ مِنَ الإِنسِ والجِنِّ الكِرامِ المَعارقِ
ومِنْ ثَمَّ حلَّتْ عرشَها ولَفيفُهم تَأَلَّمَ مِنْ زَفْسٍ وزَفْسُ مُخيفُهُمْ
فَهشَّتْ ولكنْ عن جَبينٍ مقطَّبٍ عَلى سُوْدِ أَجْفانٍ بِحُمْرِ الحَمالِقِ
وقالتْ وجَمْرُ الغَيظِ ميَّزَها : « فَوا حَماقَتَنا في كَبحِ زَفسَ وما نَوى
وأَحْمَقُ منهُ زَعْمُنا خَفضَ جأْشهِ بمَأْزِقِ بأْسٍ او بقَولٍ مُماذِقِ
ولٰكِنَّهُ في عِزِّ عزْلَتِهِ ولا يُبالي ادِّعاءً أَنَّهُ فَوقَنا عَلا
وأَنَّ لهُ بالبَطْشِ فيكم سَوابِقاً فذُوقوا نَكالاً عادِياتِ اللَّواحِقِ
فَهذا أَرِيسٌ قَيِّمُ الحَربِ نابَهُ مُصابٌ وما أَدْراكُمُ ما أَصابَهُ
أَعزُّ البَرايا عَسْقَلافُ سَليلُهُ صَريعٌ وما أَغناهُ ظَهْرُ اليَلامِقِ» (١)
فَهَبَّ أَرِيسٌ ثائِرَ الجَأْشِ لاطِماً بِكَفَّيْهِ فَخْذَيْهِ يُوَلوِلُ ناقِماً :
« أَيا مَعْشَرَ الأُولِمْبِ لا تَلحُوَنَّني اذا ما لِثأْرِ ابْني أَثَرْتُ مَرافِقي

هوميروس هنا الى ان ثميس وهي الالهة العدل هي التي كانت تتصدر في مآدب الالهة وحفلاتهم . فما احراها ان تتصدر في محافل البشر !

(١) اليلامق التروس — لا تزال هيرا مُحفظة على زفس ناقمة منهُ . وهو الآن في يقظته فلا تستطيع ان تخالف امره فتغفل ابلاغ رسالته فهي ستبلغها بعد ابيات مقتضبة اقتضاباً . ولكنها آلت على نفسها قبل ذلك ان تثير حقد سائر الآلهة عليه لعلها تبلغ منه مأرباً بوسيلة اخرى . وهي من وجه تشير الى اقتداره وضعفهم ومن وجه آخر تبالغ في وصف استبداده وتعسفه لتزيدهم نفرة واشمئزازاً وهو نوع من انواع تشفي الضعيف من القوي اذا قصرت باعه عن مسه بسوء

سأُنزلُ لو صمُّ الصَّواعقِ تنْزلُ　　وفوقَ خضيبِ التُّربِ صعقاً أُجندلُ»

وأَوعزَ لِلْهولِ العظيمِ ورعدةٍ　　بإِعدادِ هاتيكَ الخيولِ العتائقِ (١)

وشكَّ بِبرّاقِ السلاحِ ولو مضى　　لأرعدَ زفسُ في الأُلمبِ وأَومضا

ولٰكنْ أَثينا منْ على عرشِها انبرتْ　　إِليهِ تُلافي هولَ تلكَ الطَّوارقِ

وهبَّتْ إِلى تلكَ التَّريكةِ تقتلعْ　　عنِ الرَّأسِ والجوبَ المحدَّبَ تنتزعْ

وعاملةُ الجبَّاذِ منْ صلدِ كفِّهِ　　أَماطتْ تُريهِ شرَّ تلكَ المزالقِ: (٢)

«تعستَ وما أَغواكَ هلْ فاتكَ النِّدا　　وأُصممتَ واخترتَ الهلاكَ المؤبَّدا

أَغادركَ الحسُّ المنبِّهُ والحيا　　وأَصدقُ نُطقٍ قالهُ خيرُ ناطقِ

أَلمْ تفقهِ الأَنباءَ هيرا بها أَتتْ　　ومُنذُ يسيرٍ زفسَ بالنَّفسِ غادرتْ

أَشاقكَ أَنْ تمضي وقدْ هدَّكَ البلا　　وترجعَ موقوذَ الخطوبِ النَّواعقِ

وتدفعَ زفساً لِلأُلمبِ ممعّضا　　وعنْ جملةِ القومينِ أَغضى وأَعرضا

فيحطِمُنا حطماً وما هوَ بيننا　　إِذا ما اقترفْنا أَو برئْنا بفارقِ

فجأْشكَ خفِّضْ واكظمنَّ فكمْ بطلْ　　منِ ابنكَ خيرٌ جندلتهُ ظُبا الأَسلْ

---

(١) يمثل هوميروس الهول والرعدة بشخصين . وهما ماردان في خدمة اريس الاه الحرب

(٢) الجباذ القاطع والمزالق الزلاّت — لما كان آريس الاه الحرب كان اقرب الى الطيش ممن سواه وهيرا تعلم ذلك فارادت أن تهوّرهُ ووجهت مقالها اليه . وكاد يتهوّر باغضاب زفس لو لم تقم أثينا وتصده ولم يكن بين الآلهة اجدر منها بذلك لأنها الاهة الحكمة ولا يخفى ما في كل ذلك من اتساع المغزى

وهل من سبيل دافع غصص الردى عن الخلق ما امتدت حياة الخلائق» (١)
فأجلس مرغوماً وهيرا بخفة من المجلس انسابت لموقف عزلة
ونادت أفلوناً وإيريس خارجاً وقالت : « ألا سيرا بخفة بارق
وزفاً بأعلى إيذة الآن وافيا يلقنكما الأمر الذي كان خافيا »
وعادت وحلت عرشها فتسابقا لإيذة في جهد الكدود المسابق (٢)
فما لبثا أن أدركاه بأنور ذرى غرغروس في غمام معنبر
وما غيظ أن جاءاه اذ لبيا ندا صفيته هيرا بإذعان واثق
فقال: «أإيريس الرشيقة فاسبقي لفوسيذ بالأنباء مني واصدقي
وقولي له عن موقف الحرب ينثني لشورى العلى او يمه المتلاصق
فإن لم يرد إلا اتباع مراده ليفكر بما يوليه شر عناده
فليس بكفئي ما استطال فإن لي مزية بكر بالمكانة سابق (٣)

(١) يشير بذلك الى انه لم يكن بد من موت عسقلاف قالت ذلك تخفيفاً لألم أريس ابيه . وما اكثر هذا المعنى في الشعر . قال الابيرد الرياحي :

وكل امرىء يوماً سيلقى حمامه وان نأت الدعوى وطال به العمرُ

وقال المتنبي :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وبقي عمرها مثل ذاهب

ومثله قول الآخر :

وكل ابن انثي لو تطاول عهدهُ الى الغاية القصوى فللقبر ذاهبُ

(٢) تسابقا اي افلون وايريس

(٣) كان ثالوث اليونان مؤلفاً من زفس وفوسيذ وأذيس وهم ثلاثة اشقاء

ولٰـكِنَّهُ ما زَالَ يَطْلُب إِسوَتي	وإِن قلِقَ الأَرْبابُ طرًّا لِخَشْيَتي»
فَلَبتْ وطارَتْ في فَضاءِ بَلاغِهِ	مُصَفَّقَةً مِثلَ الرِّياحِ الصَّوافِقِ
ومِنْ طُورِ إِيذا كالعَواصِفِ هَبَّتِ	وما لَبِثَتْ أَن تَعْرَ إِلْيُونَ حاَّتِ
كَما انْهالَ غَيثُ الثَّلجِ والبَرَدِ الذي	بهِ الرِّيحُ هبَّتْ من غيومٍ غَوادِقِ
وفُوسيذَ نادَتْ : « يامُحيطَ العَوالِمِ	أَتيَتْكَ مِنْ زَفْسٍ بأَنباءِ صارِمِ
فيأْمُرُ ان تأْبَى المَعامع لا حقاً	بِشُورَى العُلَى او لُجِّكَ المُتَلاحِقِ
فإِنْ لَمْ تُرِدْ الاتِّباعَ مُرادِكا	سَيأْتيكَ مُقْتَصاً لِشَرِّ عِنادِكا
فإِيَّاكَ والعِصيانَ إِنَّ لَهُ سَمتْ	مَزِيَّةَ بِكْرٍ بالمَكانَةِ سابِقِ
وأَنْتَ على هذا المُساواةَ تَزْعَمُ	وإِنْ أَكْبَرَ الأَرْبابُ طُرًّا وأَعظَمُوا»
فأَنَّ أَنينَ السَّأْمِ ثُمَّ أَجابَها :	« لئِنْ سادَ خَلْقاً فَهْوَ فَوْقَ الخَلائِقِ
أَيَزْعَمُ إِرْغامي وقد ضَمَّنا النَّسَبْ	ثَلاثَةُ إِخْوانٍ لَنا إِقْرُنُوسُ أَبْ[1]

اكبرهم زفس ولهذا كانت له مزية كبيرة على اخويه بحق البكورة • وسترى من كلام فوسيذ بعد ابيات كيف اقتسموا حكم العوالم

(١) اقرنوس او قرونوس هو زحل كما تقدم • يقول فوسيذ انه هو وزفس وأذيس ثلثة اخوان اشقاء ضمهم النسب فلا مزية لزفس على الآخرين الا الرئاسة التي خولته اياها البكورة كما اشار زفس بنفسه

قال الشريف الرضي يخاطب القادر بالله الخليفة العباسي :

عطفاً أمير المؤمنين فاننا	في دوحة العلياء لانتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ	ابداً كلانا في المفاخر معرقُ
الا الخلافة قدمتك فانني	انا عاطل منها وانت مطوّقُ

رِبا أُمُّنا طرًّا وثالثُنا غَـدا أَذِيسُ وَلِيُّ المَوتِ بَينَ الودائقِ (١)

ثَلاثةَ أَقسامٍ جَميعَ العَوالِمِ قَسَمْنا اُقتِراعاً بالقِداحِ الرَّواغِمِ

فنالَ أَذِيسُ ظُلْمَةَ المَوتِ قِسْمَةً وفُزْتُ بِبَحْرٍ مُزْبِدِ اليَمِّ دافقِ

وزَفسُ لَهُ الأَفلاكُ والغَيمُ والسَّما لِيَهْنَأْ قَرِيرَ العَينِ فيها مُعَظَّما

فإنَّ ذُرى الأُولِمْبِ والأَرْضِ بَينَنا مَشاعٌ فَلا أَلْوِي لهُ حَبلَ عاتِقي

فَمَهْما سَما بَأساً ومَجْداً وسُؤْدُدا فلستُ بمُرْتاعٍ ولا أَبْسُطُ اليَدا

لِيُطْبِقْ عَلى أَبْنائِهِ وبَناتِهِ يَدَينُواويَرتاحُوا اُرْتِياحَ المُطابِقِ»

أَجابَتْ: «وهَلْ هذا المَقالَ أَقُولُهُ لَهُ عَلَنـاً أَو هَلْ لَدَيكَ بَدِيلُهُ

تَحامَقْتَ لكِنْ ذوالحَصافَةِ يَرْعَوِي ويَنْبُذُ عَنهُ خَلَّةَ المُتَحامِقِ

ولِلسِّنِّ فَضْلٌ فالمَوارِدُ سَرْمَدا حَوارِسُ بِكْرٍ أَحْرَزَ السَّبْقَ مَولِدا» (٢)

فقالَ: «نعم بالحَقِّ فُهْتِ وخَيرُ ما يَكُونُ رَسُولٌ عالِمٌ بالحَقائقِ

سَأَذْعَنُ كُرْهاً لاعِجَ الغَيظِ مُكْمِنا لِكِبْرِ إِلاهٍ لَمْ يَكُنْ فَوقَ ما أَنا

(١) الودائق ج وديقة ومعناها شدة الحر

(٢) الموارد جمع مارد . كانوا يعتقدون ان لكل بكر حرّاساً من الموارد يحرسونه فيدرأون عنـه الضيم ويعينونه على قضاء حوائجه . راجع ما قلناه بشأن البكورة (ن ١٣ ص٧٠٩)

قال عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين يشكو شكوى فوسيذ من زفس

يقول أنا الكبير فعظموني الا ثكلتك امك من كبيرِ

اذا كان الصغير أعم نفعاً وأجلد عند نائبة الامورِ

ولم يأت الكبير بيوم خـير فما فضل الكبير على الصغيرِ

ولـكنَّ لي قولاً بقلبي أقولُهُ فعيهِ الى يوم انبتات العلائقِ :
على رَغْمِ فالاسِ وهيرا رهرمس ورَغْمي وهيفستَ المليكِ الرّاسِ
إذا صانَ إليُونا وَصدَّ عُداتِها سَنفتقُ فتقاً ليسَ زفسُ براتقِ »
وأقلعَ يبغي لُجةَ البحرِ فاستعرْ لِمنْـاهُ أبناءِ الأخاءِ على الاثرْ
وزَفسُ لِآفُلُونَ قالَ : « ألا إذاً لهـكطورَ طِرْ في مِثلِ لحظةِ رامقِ
فَفُوسيذُ في بطنِ العُبابِ قدِ التجا ومِنْ نارِ غيظي في حزازتهِ نجا
وإلّا لأَهمتْ فاتكاتُ أَكُفنا بنا عرَقاً يَهمي بِهِ كُلُّ عارقِ (١)
وكانَ اصطدامٌ بالعوالمِ يَحدقُ ويزعجُ أرْبابَ الجحيمِ ويقلقُ
فيا نِعمَ مسعاهُ لهُ ولعـزّتي فإنّا كُفينا فلقَ تلكَ الفلائقِ (٢)
وهِجْ جوْبيَ المُزدانَ في حلقِ الذهبْ فلا يبقَ في الإغريقِ الأمنِ ارتعبْ
ومِلْ نحوَ هكطُورِ فشدِّدهُ يندفعْ وَراءهمُ لِلفُلكِ خلفَ الخنادقِ
فإنْ تمَّ هذا كُلُّهُ سوفَ أنظرُ بأمرِهِمِ فيما عساهُ أقدِّرُ »
فلبّى أفُلونٌ وطارَ كباشقٍ على الوُرْقِ مُنقضٍّ بشمِّ الشواهقِ
فهـكطورَ ألفى جالساً وقدِ انتعشْ يُحاطُ بهِ والرّشحُ جفَّ وما ارتعشْ
رِعايةُ زفسٍ أسكنتْ زفراتِهِ فقالَ أفُلونٌ بلهجةِ وامقِ :
« علامَ ابْنُ فِريامٍ بجهدِ التقاعدِ أمثالُكَ مَنْ يُوهيهِ جهدُ المُجاهدِ

---

(١) العارق العرق
(٢) الفلائق الدواهي

أَبرَّحَ فيكَ الغمُّ قُلْ » فأجابَهُ ... بصوتٍ خفيفِ الجأشِ خافي المناطقِ :

« أيا خيرَ ربٍّ جاءني الآنَ يسألُ ... فمَن أنتَ قُلْ هل كنتَ أمري تجهلُ

أَياسُ وقد أقبلتُ أذبحُ قومَهُ ... بجلمودةٍ كالطودِ أقبلَ راشقي

فغيَّبَ إحساسي فضاقَ تنفُّسي ... وأيقنتُ أني زائرٌ دارَ آذِسٍ » (١)

فقالَ أفلونُ : « اطمئنَّ وطِبْ وثِقْ ... فزفسُ إليكَ الآنَ بالبِشرِ سائقي

أنا فيبسُ ربُّ الحسامِ المذهَّبِ ... فهل بعدَ ذا ترتاعُ من هولِ مضربِ (٢)

فكم صُنتُ إليونا وصُنتُكَ فامتثِلْ ... وهُبَّ لإعمالِ الطِّعانِ المَوارقِ

أثِرْ جملةَ الفرسانِ بالخيلِ يُقبلوا ... على موقفِ الأسطولِ والسيفَ يُعملوا

امامكمُ أجري أمهِّدُ سُبْلَها ... وأهزمُ أبطالَ الأخاءِ البطارقِ »

أفلونُ هاتيكَ العزائمِ مانحُ ... وهكطورُ للإبلاءِ والحربِ جانحُ

كمُهرٍ عتيٍّ فاضَ مطعمُهُ على ... مرابطِهِ يبتُّها وهو جامحُ

ويضربُ في قلبِ المفاوزِ طافحاً ... الى حيثُ وجهُ الأرضِ بالسيلِ طافحُ

يُروِّضُ فيهِ إثرَ ما اعتادَ نفسَهُ ... ويطربُ أن تبدو لديهِ الضحاضحُ (٣)

ويشمخُ مختالاً بشائقِ حسنهِ ... يطيرُ وأعرافُ النواصي سوابحُ

---

(١) أي ايقنت اني مائت لامحالة لانه لابد لكل ميت من المرور بمملكة اذيس الاه الجحيم

(٢) فيبوس هو نفس أفلون كما تقدم

(٣) الضحاضح رقارق المياه

وتجري به من نفسها خطواتهُ | الى حيث غصتْ بالحجور المسارحُ [1]
كذا كان هكطورُ بنصرة فيبسٍ | يسوقُ سرى فرسانه ويكافحُ
كأنّ كلابَ الصيدِ والصيدَ أقبلت | على سخلةٍ أو إيّلٍ وهو سارحُ [2]
وقاهُ ببطن الغاب جلمودُ صخرةٍ | وما خطَّ في الأقدار يُصميه ذابحُ [3]
فأقبلَ في إثر الصّديد غضنفرٌ | فولّوا ولم تُغنِ النفوسُ الطوامحُ
كذا كانت الإغريقُ خلفَ عداتها | بسمرٍ وبيضٍ باتراتٍ تكافحُ
فلمّا بدا هكطورُ في حومة الوغى | بهم قلقتْ رُعباً تجيشُ الجوانحُ
فهبَّ ثُواسُ الفضلِ مَنْ زانهُ النهى | ونُطقٌ فصيحٌ بالحصافة راجحُ

---

(١) أي حيث غصت المراعي باناث الخيل — ان هذا التشبيه بديع في نفسه كما لايخفى ولكن هذه الابيات قد مرت في النشيد السادس وهي اطبق هناك على فاريس منها هنا على هكطور . وقد ذكرنا في الحواشي وجه موافقتها لفاريس ولعل هذا التكرار دخيلٌ خصوصاً ان في ما يلي تشبيهاً لهكطور بالغضنفر لايبقى معه حاجة الى زيادة

(٢) الصيد جمع أصيد وهو السيد والسخلة هنا العنزة

(٣) تعلم من الشطر الاخير من هذا البيت انهم كانوا يعتقدون ان العناية الالهية ترمق بنظرها الحيوان الاعجم وتعين اجله وتُعنى به عنايتها بالانسان وهو اعتقاد نصت عليه جميع الكتب المنزلة . ففي التوراة ان رفق الباري عز وجل بالحيوان كان من جملة الدواعي لارجاء خراب نينوى اذ جاءَ في سفر يونان « أفلا اشفق على نينوى المدينة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من اناس لايعرفون يمينهم من شمالهم ما عدا بهائم كثيرة » (يونان ١٤ : ١١) وفي الإنجيل نص اصرح بقوله في انجيل متى في الفصل العاشر « أ ليس عصفوران يباعان بفلس ولا يسقط احدهما الى الارض الا باذن أبيكم » وفي القرآن نصوص شتى منها قوله : « أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضنَ ما يمسكهنَّ الا الرحمن انه بكل شيءٍ بصير » (سورة الملك)

ثُوَاسُ الذي ما بالإِتُولَةِ عِدُّهُ — إذا هو بالبتّارِ او هُوَ رامِحُ
وما فاقهُ بينَ السُّراةِ بلاغةً — سوى النّزرِ إن فاضت تَسيلُ القرائحُ
فصاحَ: «أَجَلْ ربَّاهُ لاحَ لِناظري — عُجابٌ فذا هكطورُ ذو البأسِ لائحُ
حَسِبْنا أياسَ اجتاحهُ بصفاتهِ — فها هُوَ وافى تتّقيهِ الجوائحُ[(١)]
فثَمَّ إلاهٌ صانهُ لِتَروُعنا — بهِ مثلَما قبلاً عرتنا المذابحُ
فها كُمْ سَدادَ القولِ فأْتمِرُوا لهُ: — لِتَمضِ الى الفُلْكِ الجُموعُ الجوامحُ
ونحنُ أُولي العزمِ الصحيحِ نَصدُّهُ — عسى في عوالينا لهُ اليومَ كابحُ
فمهما عتا واشتدَّ ظنّي يَرعَوي — وتثنيهِ عن خرقِ الجيوشِ الجوارحُ»
أصاخُوا ولبَّوا واستجاشَ أُولو العزمِ — يعبُّونَ أبطالَ المقاتلةِ البُهْمِ
وحولَ أياسَ استبسلُوا وإِدُومنٍ — وطفقيرَ مريونٍ وميجيسَ ذي الحزمِ
بِصَدِّ العِدى آلوا وأعراضُ قومِهِم — مضتْ تتوارى فوقَ فُلْكِهِمِ السُّحْمِ[(٢)]

(١) الجوائح الدواهي . اي حسبنا ان اياس قتله بصخرته فاذا هو حيٌّ يرزق

(٢) اي ان ابطال الاغريق وقفوا لصد العدو واما اعراضهم اي ضعفاؤهم فلجأوا الى السفن . وهنا انعكست آية القتال فبات الغالب مغلوباً وحمل الطرواد على الاغريق حملةً اوهنت قواهم فكانت موقعة ابدع الشاعر في وصفها ابداعاً ومهد لها تمهيداً ينطبق على معتقد ابناء ذلك الزمان ويلذ للمطالع بعدهم في كل زمان . لم يقل قولاً بسيطاً انه لما اشتدت الأزمة بالطرواد لاحتجاب هكطور الجريح وهنت عزائمهم وما زالوا يلتوون صاغرين امام الاغريق حتى انتعش هكطور وانثنى فيهم انثناء المستبسل فاندفع واندفعوا وراءه حتى كان ما كان بل افرغ ذلك بقالب شعري فقال انه لما غادر فوسيذ ساحة الوغى مضطراً بوعيد زفس صغرت نفوس الاغريق وقدم

وأَبناءُ طُرْوادٍ تكثَّفَ جيشُهُمْ　　رَصيصاً وهكطورُ يحثُّ خُطى العُظُمْ

ومِنْ دُونهِ فِيبُوسُ وَسْطَ غَمامةٍ　　يُعِدُّ مغازِي ذلكَ الفَيْلقِ الدَّهِمْ

وفي يدِهِ الجُوبُ المَرُوعُ الذي بدَتْ　　حَرابيُّهُ من تحتِ هُدَّابِهِ الضَخِمْ (١)

هِيَ الجُنَّةُ الكُبْرى لِزَفْسَ أَعدَّها　　هِفَسْتُ لإِرْعابِ الخَليقةِ والنِّقَمْ

تَكاثفتِ الإِغْرِيقُ يا تَفَّ جَيْشُهُمْ　　وفي مُلْتقى الجيشَيْنِ عَجٌّ الى النُجُمْ

طِعانٌ مَضَتْ عَن كُلِّ ساعِدِ أَيْهَمٍ　　ووَبْلُ سِهامٍ عن بُطُونِ الكُلى يَهْمِي (٢)

فَمِنْ نافِذٍ في صَدرِ كُلِّ مُدَجَّجٍ　　مِنَ المُرْدِ فَهاقٍ سَرِيَّتُهُ تُصْمِي

ومن ناشبٍ في التُّرْبِ قبلَ بُلُوغِهِمْ　　وإِنْ طارَ غَرْثاناً على العَظْمِ واللَّحْمِ (٣)

فيبوس في صدر الطرواد فغاب نصير الاغريق وقام للطرواد نصير يمائله فصار الاولون الى مصير الآخرين • وقد تصرف الشاعر بكل ذلك تصرفاً يقرب الوهم من الحس وترتاح اليه النفس

(١) الجوب الترس والحرابي المسامير • والجنة في البيت التالي الترس ايضاً

(٢) الكُلى جمع كلية ويراد بها القسي

(٣) غرثاناً اي جائعاً ومفاد هذين البيتين ان السهام المتطائرة كان بعضها ينفذ في صدور الفتية المدججة بالسلاح فيفهق بالدم وبعضها ينشب في الترب قبل ان يبلغهم • وقد وصف هنا السهام بالتضور جوعاً للحم الابطال وهي استعارة حسنة عندنا كثير من امثالها كقول الجميح :

في كفهِ لدنةٌ مثقفةٌ　　فيها سنان محرَّبٌ لَحِمُ

يقول ان سنان رمحه محرَّب أي مغيظ (قال الاصمعي ومنها سميت الحرب حرباً لان اهلها يحرب بعضهم على بعض أي يغتاظ) ولَحِم اي قرم الى اللحم • ومثله قول عنترة :

فدونك ياعمرو بن ودٍّ ولا تحل　　فرمحيَ ظمآن لدم الاشاوس

تَساوت مَرامي الطعنِ والفتكِ ما استوت ... بغير حَراكٍ جُنّةُ النُّوبِ الدُّهْمِ [1]
ولمَّا على الإغريقِ فيبُوسُ هاجها ... وصاحَ بهم صوتاً يهُدُّ قوى الجِسْمِ
تخلّعتِ الأحشاءُ في مُهجاتِهم ... وولّوا يزيدُ الرعبُ وَهماً على وَهمِ
كأنّهمُ الأبقارُ والضأنُ أجفلت ... يُفاجئها لَيثانِ في الدُّجنِ القَتْمِ
فتذهبُ أشتاتاً وفي كلّ مَهمَهٍ ... تَضلُّ ولا راعٍ يُدافعُ أو يحمي
وفيبُوسُ في أعقابِهم دافعُ العِدى ... وفي كلِّ قَرمٍ قد أحلَّ قنا قَرْمِ
فهكطورُ إستيخيُسا كرَّ قاتلاً ... زعيمَ البيُوتيِّينَ مُدَّرعي اللأمِ
وثنّى بأركيسيلَ عِدِّ منستس ... وإيناسُ وافاهم مِدونَ الفتى يرمي
(مِدونُ بنُ ويلوس لِغَيرِ حَليلةٍ ... بِفيلاقةٍ قد كانَ في غُربةِ السَأْمِ
بها ظلَّ في مَنفاهُ مُذ راحَ قاتلاً ... أخا إرِيفيسٍ زوجِ ويلوسَ ذي الحكمِ)
وثنّى بِياسوسَ بنِ إسفيلٍ بوقُلٍ ... زعيمِ الأثينيِّينَ والبطلِ الشهمِ
وفوليدَماسُ اجتاحَ ميكستَ صادِراً ... بصدرِ السرى يرمي وقلبَ العِدى يُدمي
وفوليتُ إخيوساً وكرَّ أغينرٌ ... فجندلَ إقلونيسَ الشيمِ الشمّ
وذيوخسُ ولّى فاريسُ زجَّهُ ... بمزراقِهِ في الكتفِ ينفذُ في العظمِ
وأقبلت الطرواد للسلبِ مَغنماً ... وهزَّمت الإغريقَ في ذلك الهزمِ [2]
فولّوا فلولاً للحفيرِ فسدِّهم ... إلى السورِ والأعداءُ لا هونَ بالذمّ
فصاحَ بهم هكطورُ صيحةَ حانقٍ: « الى الفلكِ فالأسلابُ من رامَها خصمي

---

(١) اي انه لم يظفر احد الفريقين بالآخر قبل تحريك ترس زفس

(٢) الهزم السهل

ومن غادَرَ الأُسطولَ اوليتهُ الرَّدى وأَهليهِ والإخوانَ غادَرتْ باليُتمِ
فلا يُضرِمُونَ النارَ من تحتِ جسمهِ وللكلبِ يبقى مطعماً شائقَ الطَّعمِ »[1]
وساطَ جيادَ الخيلِ فاندفعتْ بهِ ليستنهضَ الهمَّاتِ في العسكرِ الجمِّ
وفي إثرهِ كرَّتْ عِجالُهمُ على هديدٍ نما للجوِّ عزمهمُ ينمي
أَمامَهمُ فيبوسُ في خفَّةِ الطَّرفِ يهدّمُ حافاتِ الحفيرِ بلا عُنفِ
برجليهِ هاتيكَ التلالُ تساقطتْ الى جوفهِ حتَّى أُستوى الجوفُ بالجُرفِ
سبيلٌ لهمْ إن يقذفِ السَّهمَ نابلٌ فما أُجتازهُ ذيَّالكَ السَّهمُ بالقذفِ[2]
عليهِ مضى يجري صفوفاً خميسُهمْ وبالجوبِ فيبوسُ أَمامهمُ يكفي
فقوَّضَ ذاكَ السُّورَ لا متكلِّفاً كطفلٍ بجُرفِ البحرِ يلهو بلا إلفِ
بنى لاعباً بالرَّملِ تلاً وسامهُ برجليهِ أَو كفَّيهِ خسفاً على خسفِ[3]
كذا يا افلُّونُ نقضتَ معاقلاً بتشييدها كانَ العنا فائقَ الوصفِ

---

(١) اي لا تحرق جثته بعد موته وهو عار عندهم كبير كما علمت

(٢) اي ان فيبوس لما ردم الخندق بمادة التلال القائمة على حافه وساوى جوف الحفير بجرفه فتح للطرواد طريقاً على مسافة أكثر من مرمى نبل

(٣) لما فرغ فيبوس من ردم الخندق وفتح للطرواد سبيلاً « عليه مضى يجري صفوفاً خميسهم » بقي عليه ان يهدم السور لينفسح لهم المجال فقوض اركانه غير متكلف كما يخسف الطفل كثيبة من الرمل يلهو لاعباً برفعها ودفعها • وليس في الامكان ايراد تشبيه كهذا التشبيه في هذا الموضع ولا اصح منه معنى لتمثيل سور يتداعى فتتقوض اركانه بلحظة من الزمن • ويزيده رونقاً ان وجه المقابلة بالرمل مأخوذ مما يلوح لنظر المطالع اذ السور قائم على الجرف فوق كثبان من الرمال فالمقابلة مستعارة مما يلوح لدينا لاول وهلة

وسُقْتَ بَني أرغوسَ لِلفُلْكِ حيثُما دَنَوا فاستجاشوا ثمَّ صفّاً إلى صفِّ
وصاحُوا يمدُّونَ الأكُفَّ تضرُّعاً الى زُمَرِ الأرْبابِ للرِّفقِ واللُّطْفِ
ونَسْطُورُ قوَّامُ الأخاءةِ رافعاً ذِراعيهِ للزَّرقاءِ صاحَ على لَهْفِ :
«لَئِنْ كانَتِ الإغريقُ قبلُ توسَّلَتْ إليكَ أيازَفْسُ بعودٍ لدى الزَّحفِ
وسُوقَ سِمانِ الضَّأنِ والثَّورِ أحرَقَتْ وأومأتَ بالإيجابِ إيماءكَ العُرْفي
فلا تنسَ يا مولى الأُلِبِ وصُنْهُمُ مِنَ الحَتْفِ واصرِفْ عنهُمُ فادِحَ الصَّرْفِ»
فأُسْمِعَ زَفْسُ صوتَ نَسطُورَ ضارِعاً وأَسمعَ رَعْداً في الفضا داوِيَ القَصْفِ
وأمَّا بنُو الطَّرْوادِ فاشتدَّ عزمُهُم وكرُّوا بجيشٍ ثائِرِ الجأشِ مُلتفِّ
وجازُوا على الخَيلِ الحِصارَ بنعرةٍ لفُلْكِ العِدى فاصطَكَّتِ الكفُّ بالكفِّ
كأنَّهُمُ الأمواجُ والنَّوءُ ساقَها فتعلُو صِفاحَ الفُلْكِ تَعبثُ بالسَّجْفِ
فمِنْ حاذِفٍ فوقَ العِجالِ بعامِلٍ تدَلَّى حَذَاهُ وأنْفَذَ بالحَذْفِ
ومن قاذِفٍ بالفُلْكِ في أسَلٍ ثوَتْ هُناكَ لِحَربِ البَحرِ تُنذِرُ بالحَتْفِ

ظَلَّ فَطرُقلُ أُورِفيلَ يُجاري بَينَما النَّقْعُ ثائِرٌ بالحِصارِ (١)

---

(١) الحصار السور — انتقل بنا الشاعر الى موقعة فريدة في بابها وهي ترامي الفريقين حول السفن وهي راسية فلا هي بحرية ولا هي برية وكأنه اشفق ان يمل القارىء طول هذه المواقع فرجع به الى فطرقل الذي اتى اوريفيل مداوياً ومدارياً في النشيد الحادي عشر . فكانت بذلك فائدتان للمطالع أولاها التفكهة والاستراحة من عنا ذكر القاتل والمقتول فتمضي عليه برهة قبل ان يستأنف الشاعر وصف الموقعة التالية فيتلقاها المطالع بلا عناء والثانية التذكير بفطرقل وأخيل واعداد الفكر لتلقيهما والحين ساحة القتال

بِرَقيقِ الحَديثِ يُلْهِيهِ حيناً ... ويُداوي كُلُومَهُ ويُداري
إِنَّما عِندَ ما رأَى الطِّرْوادا ... عَبَرُوا السُّورَ بالعِجالِ طِرادا
وجُيُوشُ الإِغْريقِ وَلَّتْ شَتاتاً ... بِصِياحٍ وذِلَّةٍ وانْكِسارِ
صاحَ بالوَيلِ لاطِماً فَخْذَيهِ ... بِدُمُوعٍ تَنْهالُ مِنْ عَيْنَيهِ :
« أُورِفِيلُ لا بُدَّ لي أَنْثَني عَنْ ... كَ وإِنْ كُنْتَ لي بِفَرْطِ اضْطِرارِ
بِكَ فَلْيُعْنَ مِن صِحابِكَ غَيري ... وأَنا ذاهِبٌ بِخِفَّةِ سَيري
جَلَّ وَقْعُ البَلا فَعَلَّ أَخيلاً ... إِنْ أَهِجْهُ يَهِجْ لِدَفْعِ الشَّنارِ
رُبَّ رَبٍّ أَنالَني مِنهُ سَمْعاً ... فَكَلامُ الصَّديقِ يَحْسُنُ وَقْعا »
ثُمَّ جَدَّ المَسيرَ يَبْغيهِ والإِغْ ... ريقُ ظَلَّتْ بِفُلْكِها بانْحِصارِ
فَخَميسُ العِدى وإِنْ قَلَّ عَدّاً ... ما اسْتَطاعُوا إِليهِ دَفْعاً وصَدّا
وَهْوَ لَم يَلْقَ لِلسَّفينِ ولِلخَيْـ ... ـمِ سَبيلاً بِكَشْفَةٍ وانْتِصارِ
بَلْ تَساوَتْ بِهِمْ مَرامي الكِفاحِ ... كَاسْتِواءِ الخُطُوطِ في الأَلْواحِ
سَطَّرَتْها كَفٌّ أَنارَتْ أَثينا ... بِذَكاءٍ لِوَشْرِ فُلْكِ البِحارِ (١)
هٰكَذا حَوْلَ ذٰلِكَ الأُسْطُولِ ... قَدْ تَساوى اشْتِدادُ تِلْكَ القُيُولِ
وتَرامى هَكْطُورُ قُرْبَ غُرابٍ ... وأَياسُ رَمْيَ الأُسُودِ الضَّواري (٢)
لا أَياسٌ يُطيقُ دَفْعَ كَمِيٍّ ... كَرَّ يَسْطُو بِعَونِ رَبٍّ قَوِيٍّ

(١) اي ان الفريقين تساويا في مرامي الكفاح كاستواء الخطوط في الالواح تسطرها كف صانع حاذق ببناء السفن فلا ميل فيها ولا عوج • اشارة الى ان كفة النصر لم تمل هنا اقل ميل الى جهة دون اخرى

(٢) الغراب السفينة

لا وهكطورُ لم يكُنْ لِلخَلايا | مِن سَبيلٍ يلقى لِدَسّ النّارِ
وقَلِيطُورُ همَّ في مِقْباسٍ | فَتَلَقَّى في الصَّدرِ رُمْحَ أَياسِ
خرَّ تحتَ الصَّليلِ والنّارُ فرَّتْ | مِنْ يدَيهِ والنَّقعُ في التُّربِ جاري
فَتلَظَّى هكطورُ لمَّا رآهُ | ودعا كالرَّعيدِ يدوي نداهُ:[1]
«آلَ طرْوادَ يا بَني لِيقْيا يا | دَرْدَنِيّينَ دافعي الأَخْطارِ
إِيهِ ضاقَ المَجالُ كُرُّوا جَميعا | فابنُ إِقلِيطِيوسَ خرَّ صَرِيعا
بادِرُوا لا تُجرِّدْنهُ الأَعادي | واحْمِلُوهُ فاليومَ يومُ البِدارِ»
ورَمى طاعِناً أَياسَ فَخابا | إِنّما الرُّمْحُ لِقْرُفُونَ أَصابا
لأَياسٍ قد كانَ خيرَ رَفيقِ | ونَزيلٍ لهُ برَحْبِ الدّارِ
مِنْ قثيرا مُهاجِراً جاءَ قَبْلا | مُذْ لِقَيلٍ بها تَعمَّدَ قتْلا
لَمْ يزَلْ في وَلاءِ آياسَ حتَّى | صَرعَتْهُ نَوافِذُ الأَقْدارِ
خرَّ مُسْتَلْقِياً أَمامَ الغُرابِ | يَتلَوَّى تَمرُّغاً في التُّرابِ
وظُباةُ القَناةِ هامتَهُ شَـ | ـجَّتْ وآياسُ صاحَ في طِفْقارِ:
«أَيْ تَوقْرِمٍ أَخي أَجلْ أَيْ تَوقْرِمْ | جاءَ هكطورُ بيننا الآنَ يُصمي
إِبْنُ نَسطُورَ مَنْ أَقامَ لَدَينا | مِثلَ آلِ القُربى عزيزَ المَنارِ[2]

(١) يدوي صوت هكطور كالرعد دوي صوت عنترة اذ قال:

وصرخت فيهم صرخة عبسيةً | كالرعد تدوي في قلوب العسكرِ

(٢) عبارة مطروقة كثيراً بوصف المبالغة باكرام الضيف قال العتبي يذكر الامير ابا الفوارس لما قدم على السلطان محمود الغزنوي: وأقام عليه قرابة ثلاثة

أَينَ قَوْسُ فِيبُوسُ قَبلُ حَبا كا ... أَينَ تلكَ النِّبالُ تُنمي الهلاكا»

هَمَّ طفقيرُ بالحَنيَّةِ والجَعْـ ... ـبَةِ يَهْمي السِّهامَ كالأَمطارِ

ورَمى يُنفِذُ القَضا المَقْدورا ... بِقَليطوس بْنِ فِيسينُورا

كانَ بينَ الجُيُوشِ ساقَ مُغيرًا ... جُرْدَ فُولِيدَماسِ المِغْوارِ

حَثَّها حيثُ ثارَ يَعلُو العَجاجُ ... وجُيُوشُ الطِّرْوادِ هاجُوا وماجُوا

طامِعاً منهمُ ومِنْ لَدُنِ هكْطُو ... رَ بِكَسْبِ الثَّنا ونَيْلِ الفَخارِ

خرقَ السَّهمُ جيدَهُ يُرْديهِ ... ورَمَتْهُ المَنُونُ رَغمَ ذَويهِ

خرَّ لِلأَرْضِ والجِيادُ أَغارَتْ ... جامحاتٍ بينَ المَجالِ الجَواري

جدَّ يَجري فُولِيدَماسُ سَريعا ... ولأَستِينُوْرَ أَلقى الصُّرُوعا

قالَ: «لا تنأَ يا ابْنَ إِفْرُوطياءَ ... نِي فإنِّي ماضٍ أُثيرُ أُواري»

ثُمَّ أَلقى طِفقيرُ في القوسِ نَبْلا ... يَبتغي فيهِ نفسَ هكْطُورَ قتْلا

لو رَماهُ وأَنفَذَ السَّهمَ فيهِ ... لانتَهتْ حربُهمْ بذاكَ النَّهارِ

إِنَّما زَفْسُ وَهُوَ بالغيبِ أَدرى ... لَمْ يَشَأْ أَنْ ينالَ طِفقيرُ نَصْرا

كانَ طَيَّ الخَفاءِ هكْطُورَ يَرْعى ... فَوَقاهُ شرَّ المَنُونِ الطَّواري

هَمَّ طِفقيرُ رامِياً فَتَبَتَّتْ ... وَتَرُ القَوسِ وَهْيَ لِلأَرضِ فَرَّتْ

وَمَضى السَّهمُ طائشاً فتَلَظَّى ... مُسْتَشيطاً وصاحَ بالإِدْبارِ:

«ثَمَّ رَبٌّ أَياسُ يَأْبى الفَلاحا ... تِلكَ قوسٌ أَوترتُها ذا الصَّباحا

اشهر ضيفاً لايتميز عن الادنين ارحاماً وشيجة وانساباً قريبة

كم بهارمتُ خرقَ صدرِ عدوٍّ ... وأراها مقتلةَ الأوتار »
قال: « دعها فإنَّ ربًّا حسودًا ... نبلها أفلَّ راغبًا أن تبيدا
خلّها واحتملْ مجنًّا ورمحًا ... ثمَّ كُرَّنَّ بالقنا الخطّار
نادِ في القوم يثبتوا في الجهادِ ... ويذودوا الكبح جيش الأعادي
لا ينيلوهمُ السفائنَ إلّا ... بعد قرع القنا وفتك الشفار»
كرَّ طفقيرُ للخيام فألقى ... قوسهُ والسلاحَ فورًا تنقّى
خوذةً أرسلت لها عذباتٌ ... سابحاتٌ بفرعها الطيّار
ومجنًّا ألقى على عاتقيهِ ... وجلودُ الأبقار دارت عليهِ
وقناةً شحيذةَ الحدِّ وانقـ ... ضَّ يجاري أياسَ في المضمار
فرآهُ هكطورُ ألقى النبالا ... فعلا صوتهُ الجهورُ وقالا:
« آلَ طرواد يا بني ليقيا يا ... دردنيِّينَ سادةَ الأمصار
حولَ هاتي السفائنِ الحدباء ... لا تكلّوا فاليومَ يومُ البلاءِ
هاكمُ النابلَ النبيلَ وزفسٌ ... كادهُ أحدقتْ بهِ أبصاري
لم يكنْ في الأنام أمرًا عسيرا ... أن يقولوا من زفس والى نصيرا[1]
ففريقٌ لذروةِ المجدِ يرقى ... وفريقٌ يشقى بذلِّ البوار
صانَنا اليومَ والعدى سامَ قهرا ... كثّفوا للعمارةِ الجيشَ كرًّا

(١) اي ان ظواهر الحال تشير اشارة بينة الى من يرعاه زفس ومن لا يرعاه أزاد ان يقول ان كفة النصر راجحة لنا فتقدموا ولا تخشوا ضيراً

وَلَيَمُوتَنَّ بالجِهادِ سَعِيداً بَطَلُ الذَّودِ عن عزيزِ الذِّمارِ (١)

فإذا أقلعَ الأراغسُ ذُلّاً في سَفينٍ بها يَؤُمُّونَ أهلا

ظلَّ في الأمنِ زَوْجُهُ وبنوهُ وبنوهم في سالِماتِ الدِّيارِ »

فاستجاشَتْ بهم جميعُ النفوسِ وأياسٌ نادى بوجهٍ عبوسِ :

« أيُّ عارٍ قد أصبحَ اليومَ فينا مُحْدِقاً يا أراغساً أيُّ عارِ

لا مَناصٌ لنا فإمّا المَنايا لا وإمّا بالذَّودِ صونُ الخلايا (٢)

أَفَإنْ نالهُنَّ هكطورُ خلتم عودةً للدِّيارِ فوقَ القِفارِ

أَفما جاءَكُمْ دَوِيٌّ نداهُ وبحرقِ السَّفينِ يُغري سراهُ

ليسَ للرقصِ قامَ يدعوهُمُ بلْ لاشتباكِ القَناةِ بالبتّارِ

ما لنا غيرَ أنْ نكرَّ سريعا نَرِدُ الحتفَ او نعيشُ جميعا

ذاكَ خيرٌ من جهدِ حربٍ سِجالٍ أجهدَتْنا بدارِ إيهِ بدارِ

فالعدى دونَنا بقرعِ البُؤوسِ » فاستجاشوا لدفعِ تلكَ البُؤوسِ (٣)

---

(١) أنشد المفضل الضبي ابراهيم بن عبد الله بن الحسين في المعركة يوم حمل فقتل وكان آخر العهد به :

أقول لفتيان العشيّ تروحوا على الجرد في افواههنّ الشكائمُ

قفوا وقفة من يحي لايخزَ بعدها ومن يخترم لا تتبعه اللوائمُ

وهل انت ان باعدت نفسك منهمُ لتسلم فيما بعد ذاك لسالمُ

(٢) الخلايا السفن قال عنترة :

ولأجهدنّ على اللقاء لكي ارى ما ارتجيه او يحين قضاءي

(٣) بؤوس الاولى جمع بأس والثانية جمع بؤس — ابرز لنا الشاعر هذين

وتَلاقَواوصَونُ هكطُورَ يذوي | وأياسٍ كالضَّيغَمِ الزَّءَّارِ
فَرَمى ذاكَ إسْخذيُوسَ مولى | فُوْقيا والحِمامَ في الحالِ أولى
ورَمى ذا لَوُوْذَماسَ بْنَ أنطِي | نُورَ رَأسَ المُشاةِ زاهي الشِّعارِ
والسَّرِيَّ الفتى أطُوسَ القِلِيني | فَولِداماسُ ساقهُ لِلمَنُونِ
قَيلُ إِيفِيَةٍ وإِلفُ مجِيسٍ | فَمجيسُ أثنى لِأَخْذِ الثّارِ

الزعيمين المغـوارين هكطور واياس كلاً يلقي على قومـه خطابهُ بما وافق موقفه فهكطور وقد افتر له ثغرالنصر ووثق برعاية زفس يستنهض الهمم ويمنّي صحبه بالحظ الاسمى والسعادة الكبرى للميت والحي • فالمقتول يخلف ذكراً حميداً ويموت سعيداً ميتة « بطل الذودعن عزيز الذمار » وله الحظ الاوفى انه اذاهلك « ظل بالامن زوجه وبنوهُ وبنوهـم بسالمـات الديار » وذلك غاية ما يرجى لقوم ضيق عليهـم الاعداء وحصروهم ببلادهم فلا حاثٌ يحثهم على الاستبسال في ميدان النزال اعظم من الرجاء بنيل تلك الامنية • وقد اجتزأ الشاعر هنا بذكر عاقبة النصر لبلد المحصور لان الطرواد في موقف الفوز • ولا يخفى انه اشار في النشيد التاسع ابلغ اشارة وأوجزها الى عاقبة الخذلان اذ قال

للمباني حرقاً وللقـوم ذبحاً | والغواني والولد ذلاً واسرا

واما اياس فقد جمع خطابه ابلغ مايقال لدفع جمع منكوب وجيش مغلوب فانه صور له الرزايا المحدقة به من كل صوب من حرمان العودة الى الاوطان والموت موت الذل والهوان وذهاب السفن طعمة للنار وخلود الخيبة والعار ولا امل لقيامهم الهـالك بسيف الطرواد اسيراً او مهزوماً بحظ قتيل الطرواد الهـالك كرًّا وهجوماً فلا واقي لهم اذاً وقد سدت في وجوههم جميع السبل ولا امل لهم بمدد يأتيهم الا التفاني في صد غارة العـدو • وختم الخطاب بكلمة تبعث فيهم روح الحمية وتستحث النفوس الخاملة فقال ان الطرواد دونكم بأساً فذكرهم سابق نصرهم بأوجز عبارة وهو في الجملة خطاب لايتصور أوفى منه بالمرام في مثل هذا المقام

وَرَماهُ لٰكِنَّما الطُّرْوادي　　　　صَدَّ والرُّمْحُ غَلَّ بَيْنَ الأَعادي

قد وَقاهُ فِيبُوسُ لٰكِنْ مَضى الرُّمْـ　　　　ـحُ إلى صَدْرِ فارسٍ جَبَّارِ

ذاكَ إِفْرُسْمُسٌ فَخَرَّ قَتِيلا　　　　ومِجِيسُ احتازَ السِّلاحَ الصَّقِيلا

فَدَهاهُ ذُو البَأْسِ ذُولْفسُ لَفُسْ　　　　مِنْ بَني لَوْمِذُونٍ القَهَّارِ

زَجَّهُ طاعِناً بِجَوْبٍ كَبيرٍ　　　　صَدَّ عَنْ دِرْعِهِ بِصَلْدٍ القَتيرِ

لَأْمَةٌ تِلْكَ قَبْلُ صانَت أَباهُ　　　　فِيلِيُوساً في سالِفِ الأَعْصارِ

تُحْفَةٌ من أُفِيتَ كانَتْ سَنِيَّةْ　　　　نالَها فِيلِيُوسُ مِنْهُ هَدِيَّةْ

حينَ وافى إِفِيرَةَ حَيْثُ يَجْري　　　　سِيلِّيِسُ المَغْبُوطُ في الأَنْهارِ

ومِجِيسُ انْثَنى وزَجَّ فَمَزَّقْ　　　　قَوْنَسَ المِغْفَرِ الذي يَتَأَلَّقْ

دَفَعَ الرُّمْحُ لِلثَّرى عَذَباتٍ　　　　قد كَساها البِرْفِيرُ ثَوْبَ احْمِرارِ

وذُلُفْسٌ ما زالَ بالفَوْزِ يَطْمَعْ　　　　ومَنِيلا لِرَفْدِ مِيجِيسَ يَهْرَعْ

ما رآهُ ذُلُفْسُ حِينَ أَتاهُ　　　　وَهْوَ عادٍ عَنْ عَيْنِهِ مُتَوارِي

أَنْفَذَ الرُّمْحَ فيهِ ظَهْراً لِصَدْرِ　　　　فَعلى الأَرْضِ خَرَّ والنَّقْعُ يَجْرِي

والمَلِيكانِ ثُمَّ يَنْتَزِعانِ الـ　　　　ـمُدَدَ الشَّائِقاتِ لِلأَنْظارِ

صاحَ هَكْطُورُ في بَني لَوْمِذُونا　　　　سِيَّما مِلَنِيفَ هِيقِيطُوُونا

فارِسٌ مِنْ فِرْقُوطَ قَبْلَ الوَغى قد　　　　كانَ يَرْعى بِها سَوامَ الصُّوارِ (٢)

ثُمَّ لَمَّا الأُسْطُولُ حَلَّ البِلادا　　　　فَلإِلْيُونَ ثائِرَ الجَأْشِ عادا

---

(١) الصوار قطيع البقر

ولِفِرْيامَ كانَ ضَيفاً كَرِيماً	وَدَّهُ وُدَّ وُلْدِهِ الأَطْهارِ
قالَ يَرْمِيهِ بالمَلامِ العَنِيفِ :	«أثوى الجُبْنُ في حشا مِيلَنِيفِ
أَفَما مقتَلُ ٱبْنِ عَمِّكَ يُوري	في حشاكَ اللَّهيفِ ذاكي الشِّرارِ
أَفَما خِلْتَهُمْ تَرامَوا عَلَيهِ	لِأنتزاعِ السِّلاحِ من عاتِقَيهِ
فَٱتْبَعْني لَمْ يَبْقَ في الحَربِ بُدٌّ	من وُقُوعِ الذِّرارِ فوقَ الغِرارِ[1]
نَتَبارى لِيَهْلِكُوا خاسِئينا	او يَدُكُّوا بِعَوْتِنا إِلْيُونا »
خَفَّ يَجْري وخَلْفَهُ مِيلَنِيفُ	كالإلهِ يَجْرِي على الآثارِ
صاحَ آياسُ في جُيُوشِ الأَخاءِ:	«صَحْبِ صبراً تَدَرَّعُوا بالحَياءِ
وَلْيَقُمْ بَعْضُكُمْ بِحُرْمَةِ بَعضٍ	وتَوالَوا في فادِحِ الأَدعارِ[2]
مُتَّقي العارِ ذو الحَياءِ يَقِينا	ظَلَّ أَدْنى الى النَّجاةِ أَمِينا
أَنَّما لافخارَ يَبْقى ولا أَمْـ	ـنَ لِنِكسٍ يومَ الوَغى فَرّارِ»[3]
فَبِهِمْ ثارَتِ الحَمِيَّةُ طُرًّا	بِفُؤادٍ لِلذَّودِ يَلْهَبُ جَمْرا
وَأَقامُوا حَوْلَ السَّفائنِ بالفُو	لاذِ حُصْناً مُؤَلَّقَ الأَنوارِ

(١) الغرار الحد

(٢) الادعار جمع دُعر الشرور

(٣) أي ان الجبان اقرب الى النجاة لانه لايقذف بنفسه الى المخاطر ولكنه لايخلف ذكراً حميداً . قال المتنبي :

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلةٍ	فلا تستعدنَّ الحسام اليمانيا
ولا تستطيلنَّ الرماح لغارةٍ	ولا تستجيدنَّ العتاق المذاكيا
فما ينفع الاسد الحياء من الطوى	ولا تتقى حتى تكون ضواريا

إنما زَفْسُ دافِعُ الطِّرْوادِ ومنيلاسُ أنطلوخَ يُنادي :
«أَبغضُ الشبابِ والجَرْي والبأ س يُجاريكَ بيننا من مُجاري
أَفما رُمتَ في الطّراودِ قِرْما بظُباةِ القَناةِ يُرمى فيُصمَى»
هاجهُ وانثنى فبرّزَ كرّا أنطلوخُ كالضيغمِ الهصّارِ
مُشرَئبّاً جرى وقد زجَّ زجّا وخميسُ العُداةِ قد عَجَّ عجّا
فالتوَوا والقَناةُ قد أُنشبتْ في ميلَنيفَ المنقضِّ كالتيّارِ
خرَقتْ ثديَهُ فخرَّ قتيلا وعليهِ السلاحُ صلَّ صليلا
وابنُ نسطورَهمَّ ينتزعُ الشِّـ كّةَ لا ينثني لوقعِ الحِرارِ
كالسلوقيِّ ظبيةً رامَ غُنْما وهيَ عندَ الكِناسِ بالسهمِ تُرمى
فرآهُ هكطورُ فانقضَّ يجري لا يُبالي بالعسكرِ الجرّارِ
فلمرآهُ أنطلوخُ ارتاعا ثمَّ مِنْ ساحةِ القتالِ انصاعا
لم يقفْ لانقضاءِ كرّتهِ بلْ فرَّ مِنْ وجهِهِ حثيثَ الفِرارِ
مثلَ وحشٍ سطا بِكلبِ المَراعي يقتلُ الكلبَ أو يُبيدُ الرّاعي
ثمَّ ينصاعُ قبلَ أنْ تُقبلَ النا سُ عليهِ بفزعةٍ وانتهارِ
فتقفّوا آثارَهُ بالصّديدِ وبوبْلٍ منَ النِّبالِ شديدِ
وهوَ لا ينثني وما زالَ حتّى قرَّ في صحبِهِ أمينَ القرارِ

زَفسُ هذي أقدارُهُ المنويّهْ نافذاتٌ أحكامُها مرعيّهْ [1]

---

(١) سيشرع الشاعر هنا في وصف آخر موقعة من مواقع هكطور العظمى

فترامى الطرّوادُ للفلْكِ مثلَ الـ ... أُسْدِ تنقضُّ في طلابِ الرميَّةْ
نالهمْ نصرُهُ وذلُّ عداهمْ ... فرماهمْ بعادياتِ الرزيَّةْ
لابنِ فريامَ أحرزَ المجدَ حتى ... يُضرِمَ النارَ في السفينِ الرسيَّةْ
كلُّ هذا استجابه لدعاءٍ ... أنفذتهُ ثيتيسُ أسُّ البليَّةْ
فقضى زفسُ بالنوائبِ حتى ... يُبصرَ النارَ أُلهبتْ بجليَّةْ
فيُزيحُ الطرّوادَ عنها ويُولي ... قومَ أرغوسَ نصرةً علويَّةْ
فبهذا قضى وهكطورَ أغرى ... بالأساطيلِ وارياً بالحميَّةْ
كرَّ يحكي آريسَ ذا الرمحِ أو نا ... راً بغابٍ شبَّتْ بشمٍّ عليَّةْ
فمهُ مزبدٌ وعيناهُ نارٌ ... ثارتا من أجفانهِ الوحشيَّةْ
وحوالَيْ صدغيهِ هاجتْ هياجاً ... خوذةٌ بالبريقِ أجَّتْ بهيَّةْ
من عُبابِ الرقيعِ زفسُ وقاهُ ... ورعاهُ من دونِ كلِّ البريَّةْ



زفس

ولهذا أبرزهُ بأعظم مظاهر البأس والاقدام . ودفعه الى ساحة الصدام وعليه رهبة الظافر الفتّاك . عيناه تقدحان شراراً وفمه يزبد غيظاً واستعاراً كأنه الاه الحرب قوة واقتداراً وكأن غضبه اوار شرار أو نوء ثائر لجج البحار وهو يعيث بجيش العدو عيث الاسد بصوار الابقار . فلا يخفى ان الشاعر يرتفع بذهن المطالع مع تلك التشابيه المتعاقبة الى حيث لا يبلغ التصوّر مع اي وصف كان لو خلا من هذا الزخرف الخلاّب .

زفس كبير الآلهة . يمثلونه غالباً جالساً على عرش من عاج والصولجان بيسراه والصاعقة بيمناه والى جانب العرش نسر

إنَّما يومُهُ دَنا وأَثينا　　بِأَبْنِ فِيلا أَدْنَتْ إلَيهِ المَنِيَّهْ
كرَّ حَيثُ الصفُوفُ رُصَّتْ كِثافاً　　وتلالَتْ مَناصلُ السَّمْهَرِيَّهْ[1]
وبَغى خرْقَهُمْ فصَدَّتْهُ جُنْدٌ　　كالبِناءِ المَرْصُوصِ صفَّتْ سَوِيَّهْ
لَبِثُوا لا يَرُوعُهُمْ مِنْهُ كَرٌّ　　لا ولا همَّةٌ وَكَفٌّ قَوِيَّهْ
كصفَاةٍ بالثَّغرِ لَيسَتْ تُبالي　　بِرِياحٍ ومَوجَةٍ مائِيَّهْ[2]
لا هِباً هَبَّ ناحِياً كُلَّ نَحْوٍ　　بِسُراهُمْ كَجَمْرَةٍ مَحْمِيَّهْ
ودَهاهُمْ كما دَها المَوجُ في اليَمِّ غُراباً بِهَبَّةٍ نَوَّيَّهْ[3]
بِشراعٍ بالرِّيحِ مُنْتَفِخاتٍ　　وصِفاحٍ بِغَثْيِهِ مُغْشِيَّهْ[4]
فَتَلُوحُ المَنُونُ مُنْبَعِثاتٍ　　دانِياتٍ لِأَعْيُنِ النُّوتِيَّهْ
هٰكَذا كانَتِ الأَغارِقُ تَنْتا　　بُ حَشاها شَجِيَّةٌ وشَجِيَّهْ
ثارَ فيهِمْ كاللَّيثِ بَينَ صُوارٍ　　راتِعٍ في جُدُودِهِ وَعَذِيَّهْ[5]
لا تُطِيقُ الرُّعاةُ ذَوْداً فَيَجْرِي　　بَينَهُ وَهْيَ رِعْدَةً ضاوِيَّهْ[6]

---

(١) قال الطرمّاح :

كل مستأنسٍ الى الموت قد خا　　ضَ اليها بالسيف كل مخاضِ

وقال العباس بن مرداس :

اشد على الكتيبة لا أُبالي　　أحتفي كان فيها ام سواها

(٢) الصفاة الصخرة

(٣) الغراب السفينة

(٤) الغثي زبد الموج

(٥) الجدود الشواطيء والهور مستنقع المياه

(٦) بينه اي بين الصوار وهو القطيع

يَقْنِصُ اللَّيثُ منهُ ثورا و باقِيـ ـهِ فلولاَ يَفِرُّ في البريَّة
هـكذا فرَّتِ الأراغسُ منهُ بَلْ ومِنْ زَفْسَ ذي القَضايا الخَفيَّة
فَلَّ هكطورُ منهمُ فارِساً فَـ ـذًّا فَوَلَّوا بأَضلُعٍ مَحْنيَّة
فِيرِفيتُ الذي أَتى مِن مِكينا وأبْنُ فَقْرِيْسَ الذَّميمِ الطَّوِيَّة
لِهرَقْلٍ مِنْ لَدُنْ أُفْرُسْتُسَ المَلْـ ـكِ مَضى بالرَّسائلِ الوُدِّيَّة
لَمْ يَكُنْ فِيرِفيتُ مِثلَ أَبيهِ بَلْ حَميدُ الخِلالِ ذو أَلْمَعيَّة
فاقَ بينَ الأَقرانِ عَدْواً وبَاساً ثمَّ حلَّتْهُ حِكْمَةٌ وَرَوِيَّة
فَلِهذا قد نالَ هكطورُ في مَقْـ ـتَلِهِ المجدَ في السُّرى الدَّرْدنيَّة
هَمَّ في جُنَّةٍ الى قَدَميهِ قد تثنَّتْ أَهدابُها المُنْثَنيَّة
حُصْنَهُ في الكِفاحِ كانت وصدَّتْ عَنهُ تحتَ القِراعِ كُلَّ أَذِيَّة
مُلْفِتاً كانَ فالتَوى بخُطاهُ عاثِرًا في أَطرافِها المَلْويَّة
خرَّ مُستَلْقِياً فصلَّتْ عَليهِ خُوذَةٌ كَلَّلَتْهُ فُولاذِيَّة
خفَّ هكطورُ مُنْفِذًا رُمْحَهُ في صَدْرِهِ بينَ جُندِكُلِّ السَّرِيَّة
فَتَلظَّوا أَسىً ولٰكِنَّهُ لَمْ يَبقَ فيهم لِرَفْدِهِ مِنْ بَقِيَّة
لَجأُوا في صِفاحِ أَوَّلِ صَفٍّ مِنْ خَلايا العِمارةِ الأَرْغُسيَّة
والعِدى في الأَعقابِ تَضرِبُ حتَّى حَصَرُوهُمْ حَولَ الخِيامِ الخَلِيَّة
وَقَفُوا ثَمَّ عُصْبَةً أَوقَفَتْهُمْ خَشْيَةُ العارِ والمَنايا الدَّنِيَّة
وتَوالَوا بَعْضٌ يُحَرِّضُ بَعْضاً بِعَجيجٍ لِلْجَوِّ أَعلى دَوِيَّة

ومَلاذُ الكُماةِ نَسطُورُ يَستَحـ لفُ كُلاً بالأَهلِ والعَصَبيَّهْ:
« صحْبِ لا تَشغَلُوا بكُمْ أَلسُنَ الخَا قِ وذُودُوا ذَوْدَ الرِّجالِ الأَبيَّهْ
واذكُرُوا الوُلْدَ والنِّساءَ ومِلْكاً لكُمُ في تِلكَ الدِّيارِ القَصيَّهْ
واذكُرُوا أَهلكُمْ أَماتُوا وبادُوا أَمْ هُمُ في قَيدِ الحَياةِ الرَّضيَّهْ[1]
لا تَزيدُوا الشَّكْوى بحَقِّ عِيالٍ لِبِثِّ خَلفكُمْ تَبُثُّ الشَّكيَّهْ »
فاستَجاشَتْ نُفُوسَهُمْ وأَثينا قَشَعَتْ عَنهُمُ الغُيُومَ المَليَّهْ
سُحُبٌ صَبَّها رُكاماً عَلَيهِمْ رَبُّ هَولٍ دُجُنَّةً لَيْليَّهْ
بَدَّدَتْها فَفاضَ في السَّهلِ والأَسْـ طُولِ نُورا أَشِعَّةٍ شَمسيَّهْ
فَلَهُمْ لاحَ ثائِرَ الجَأْشِ هَكْطُو رُ بِجُندٍ تَكُرُّ طُرْوادِيَّـه
ولَهُمْ لاحَ مَنْ تَوانى عَنِ الحَرْ بِ ومَنْ خاضَها بِصادِقِ نِيَّهْ
وأَياسٌ بِعِزَّةِ النَّفسِ يَأْبى عُزْلَةً في المَواقِفِ العَسكَريَّهْ
غادَرَ الجُنْدَ ثُمَّ حَثَّ خُطاهُ في سُطُوحِ السَّفائِنِ الصَّدْريَّهْ
رُمْحُهُ طُولُهُ اثْنَتانِ وعِشْرو نَ ذِراعاً لِلكَرَّةِ البَحريَّـهْ
نافِذُ النَّصلِ مُحكَمُ الوَصْلِ زاهٍ بِحَرابيهِ الحِسانِ الزَّهيَّهْ

---

(١) أي اذكروا اهلكم من كان منهم حياً ومن مات فادكار الاحياء يهيج العواطف ويثير الحنان فيبعث على الاقدام وادكار الاموات يبعث على الانفة من العار وطلب الفخار والحرص على استبقاء الذكر الجميل ٠ وقد جمع نسطور بهذا الخطاب الوجيز كل ما يمكن ان يقال وعداً ووعيداً لبث روح الحمية في الجند

كَرَّ يَعْدُو كَفارسٍ كَرَّ يَعْلُو　　أَرْبَعاً من عِتاقِ جُرْدٍ سَوِيَّة[1]
ضَمَّها ثُمَّ حَثَّها في طَريقِ الـ　　خَلْقِ في السَّهْلِ حَثَّةً سَداهِيَّة
وضَواحي البِلادِ غَصَّتْ رِجالاً　　ونساءٌ تُجِلُّ تلكَ المَزِيَّة
وَهُوَ في جَرْيِها بِغَيرِ عَناءٍ　　واثِبٌ مِنْ مَطِيَّةٍ لِمَطِيَّة[2]
هٰكذا طارَ بالسَّفِينِ أياسٌ　　داوِيَ الصَّوتِ لِلذُّرى الجَوِّيَّة
يَسْتَثِيرُ النُّفُوسَ لِلفَتْكِ ذَوْدًا　　عَن أَساطِيلِهِمْ بِنَفْسٍ جَرِيَّة
وابْنُ فِرْيامَ رامِحٌ مِثْلَ نَسْرٍ　　شَقَّ أسْرابَ طَيرِ بَرٍّ شَقِيَّة
يَدْهَمُ الرَّهْوُ والغَرانيقَ والبَـ　　طَّ بِأَكْنافِ جَدَّةٍ نَهْرِيَّة
هٰكذا عَن سُراه بَرَّزَ هكطُو　　رُ يَؤُمُّ السَّفائِنَ الدَّانَوِيَّة
زَفْسُ أغراهُ دافِعاً مُسْتَثِيرًا　　خَلْفَهُ سائِرَ الجُنُودِ الكَفِيَّة

---

(١) أي كفارس يركب اربعة من جياد الخيل

(٢) المطية الظهر — ان هذا التشبيه فضلاً عما فيه من لطف التمثيل ينبئنا ان فن الفروسية كان بالغاً أعظم المبالغ في زمن هوميروس حتى لقد كان يتأتى لبعض مروّضي الجياد ان يثقفوها تثقيفاً يصعب الاتيان بمثله في هذا الزمن اذ كان الفارس الواحد يسوق اربعة منها ويثب من متن أحدها الى متن الآخر وهي مغيرة • ويؤخذ من قوله « حثها بطريق الخلق الخ » انهم انما كانوا يفعلون ذلك كما يفعل فرسان الملاعب في هذا الزمن ولعلهم كانوا يفعلونه للافتخار دون التكسب

أورد الشاعر هذا التشبيه بلسانه لا بلسان المتحاربين فلا يصح اذاً ان يكون دليلاً على نبوغهم في ترويض الخيل الى هذا الحد ايام الحرب الطروادية • وللشاعر أن يشبه ماجريات الاعصار الغابرة بما شاء من احوال زمانه ومكانه على شرط ان لا يرويها عن ابناء تلك الاعصار

فتلاقوا كأنهم ما تلاقوا قبلُ ما بين عاملٍ وحنيّه
لو رأيت النفوس كيف تلظّت قلت ذي كرّة لهم أوّليه
والأماني هجن مختلفات ففريق يرى المنون جليه
وفريق يرى الأعادي اضمحلّت والخلايا براسخ الأمنيه
وابنُ فريام كالشهاب انبرى يقـ ـبضُ أطرافَ مركبٍ مرخيه
مركبٌ فيه جاء أفرُطسيلا سُ بلا عودةٍ عليه هنيه (١)
حوله استحكم التلاحم لا تُر بيهم الشهب والحنايا الرويه
بل تراموا بمُديةٍ وسنانٍ رقّ حدّاه والسيوف الوضيه
كم حسامٍ أهوى بكفّ كميٍّ او بكتف الفوارس المرميه
والثرى اسودّ وابن فريام قد قا م على الفلك صائحاً بالبقيه :
«دونكم نارَكم وكرّوا كثافاً إنما اليوم زفس يرعى الرعيه
إنما اليوم يوم قشع الرزايا واحتلال السفائن المحميه
أوسعتنا منذ أوفدوها خطوباً رغم آل الميامن العليه
حال بيني وبينها بجنودي جبنُ هيّابةِ الشيوخ الغبيه
إن يكن زفس قبلُ أعمى حِجانا فله اليوم بالهجوم مشيه » (١)

---

(١) انما أحلّ الشاعر هكطور بمركب افروطسيلاس دون سواه لئلا يضطر الى رمي احد زعماء الاغريق بالجبن والخذلان واما افروطسيلاس فقد قتل قبل حين ولا بأس على احد منهم بحلول هكطور سفينته (افستاثيوس)

(٢) ان خطاب هكطور مع ما فيه من نخوة القائد المعتادة في مثل هذه الحال

فَاُسْتَشاطُوا وأَقْبَلُوا وأَياسُ ... حَوْلَهُ الرَّمْيُ كالغُيُوثِ الحَيِيَّهْ
سَئِمَ العَيْشَ لا يُطِيقُ ثُبُوتاً ... فَاُلْتَوى نَحْوَ مَجْلِسِ البَحْرِيَّهْ
(مَقْعَدُ قاسَ سَبْعَ أَقْدامِ طُولٍ ... وَعَلَيهِ مَلاَّحَةُ الجُنْدِيَّهْ)
ظَلَّ مُسْتَطْلِعاً يَصُدُّ بِرُمْحٍ ... مَنْ تَرامى مِنْهُم بِنارٍ ذَكِيَّهْ
داوِياً صَوتُهُ : «أَلاصَحْبِ كُرُّوا ... يا بَنِي دانَوُوسِ الآرِيَّهْ [1]
حِصْنُكُمْ بَاسُكُمْ ولَيسَ سِواهُ ... خَلْفَكُمْ نَجْدَةٌ بِجُنْدٍ عَتِيَّهْ
لا ولا مَعْقِلٌ يَصُدُّ المَنايا ... إِنْ تَرامَتْ بِهِ الجُنُودُ القَمِيَّهْ
لا ولا بَلْدَةٌ نَلُوذُ إِلَيها ... وبِها نَبْتَغِي عِصاباً وَلِيَّهْ
قد نَأَينا عَنِ الدِّيارِ وأَضْحى ... دُونَنا البَحْرُ والأَعادِي العَدِيَّهْ
فَالأَمانُ الأَمانُ بَينَ أَكُفٍّ ... فاتِكاتٍ لا في الأَكُفِّ البَطِيَّهْ» [2]

يشف عن أمرين أحدهما شعور هكطور بموالاة زفس في كل مواقع النهار واعلان ذلك بملء الحمد والشكر . والثاني رغبته في رد ما ربما يعترض عليه به من الاحجام عن مهاجمة السفائن حتى يومه فتملص من تلك التبعة بالقائها من وجه على عاتق شيوخ قومه الجبناء واحالتها من وجه آخر على مشيئة زفس

(١) الآرية نسبة الى اريس الاه الحرب

(٢) ان موقف اياس وخطابه منذراً بالهلاك ومنّياً بالظفر لاشبه شيء بموقف طارق بن زياد بعد ان انحدر من الجبل المنسوب اليه قاصداً غزو الاندلس بأمر موسى بن نصير فقدم رودريغ لمحاربته بجيش جرار . قال ابن خلكان : فحث طارق المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال : ايها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو من امامكم . فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة

ثُمَّ هَزَّ القَنا وَهَكطُورُ يُذْرِي　　صَحْبَـهُ بالمقَابِسِ النَّارِيَّهْ .
ما تَصَدَّى بِها فتى مِنْهُمُ حَـ　　ـتَّى تَخَلَّى بِمُهْجَةٍ مفْرِيَّهْ
فَأَياسٌ بِرُمْحِهِ أَهْبَطَ اثْني　　عَشَرَ قَرْماً لِلظُّلْمَةِ الأَبَدِيَّهْ

اضيع من الايتام في مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ... الخ .

النشيد السادس عشر

المعركة السادسة ومقتل فطرقل

مجمله

دخل فطرقل على اخيل ووقف لديه موقف الضارع الباكي يتوسل اليه ان يسلحه بسلاحه ليذهب لمقاتلة الطرواد فأجابه أخيل الى طلبه على شريطة أن لا يتجاوز الحدود بل يصد الطرواد عن السفن ولا يتقدم الى ما وراء ذلك . وكانت الاعداء قد تألبت على آياس وخارت قواه فجعل يتقهقر . وأضرمت النار بأحدى السفن وأخيل ينظر ذلك فنادى فطرقل وهو يشك في سلاحه وأمره بسرعة المسير فركب مركبة أخيل والى جانبه أفطوميذون رفيقه وحوذيه يسوق الجياد الخالدات . وجمع أخيل قومه المرامد وخطب فيهم ودعا وصلى فانقض بهم فطرقل على الاعداء فهزمهم واطفأ النيران المضطرمة بالسفن . وجرى أياس في طلب هكطور فاجتاز الطرواد وهم مدبرون الخندق وفطرقل في أعقابهم يثير الكفاح ويعمل السلاح ولم يقف في وجه فطرقل من الطرواد الا زعيم الليقيين . وكاد زفس ينقذه من يد فطرقل لو لم تتصدَّ هيرا فتمنعه فاحتدم غلوكوس الليقيُّ وتقدم بقومه صيانة لجثة زعيمهم فما أغناهم ذلك من شيء بل انتهى الامر بالتوائهم واستيلاء الاغريق على اسلاب ذلك الزعيم . وأما جثته فطار بها أفلون الى ليقيا . فثمل فطرقل بخمرة الانتصار ولم يأخذ بأمر أخيل بل تعقب الاعداء في هزيمتهم وهمَّ بتسلق اسوار المدينة فدفعه أفلون وأرسل اليه هكطور فقتل فطرقل حوذي هكطور فتقدم أفلون بنفسه وضرب فطرقل وجرده من سلاحه فبات أعزل لا يقوى على الدفاع فطعنه أوفرب وأجهز عليه هكطور وجرى في طلب خيل اخيل فأُرخي لها أفطوميذ الاعنة فطارت به وتوارت

وليست لتدرك بين الملا عتاقٌ بها زفس فيلا حبا

وقائع هذا النشيد أيضاً في اليوم الثامن والعشرين

النشيد السادس عشر

بذاكَ الغُرابِ اُستُطارَ الوَحى وفَطْرُقْلُ نحْوَ أَخيلَ عَدا
تُساقطُ عَيناهُ دمْعاً سَخيناً كأسْحَم ماءٍ بصَخْرٍ جَرى (١)
فهزَّتْ أَخيلَ لِرُؤيتهِ عَواطفُ رِفقٍ وفرْطُ أَسى
فمالَ إِليهِ وقالَ : « إِذاً أَفطْرُقْلُ قُلْ لي علامَ الشَّجى

شهقْتَ كطفلٍ جرَتْ تُسرِعُ ومن دُونها أُمُّها تهرَعُ
فتعلَقُ في ذَيْلِ أثوابِها ومُقلتُها صَبباً تهمَعُ
وتُرسِلُ طرْفاً ذليلاً إِليها عَساهُ بذِلَّتِها يَشفَعُ
وتجذبُها وَهيَ ضارِعَةٌ لِتَحمِلَها فتكفَّ البُكا

أَعِندَكَ مِن إِفثيا خَبَرٌ لهُ قومُنا وأَنا نُذعَرُ .

---

(١) أي كالماء الاسود المنبثق من الصخر ولا يخفى ان الماء لايكون اسود وانما اراد الماء المنفجر من الصخر الاسود فيشف عن الصخر فيظهر بلونه وذلك على نحو ما جرت به عادة العرب من تشبيه الدمع بالدم والعندم واستعارتهما له اشارةً الى حمرة العين . وأكثر ما يكون ذلك في كلام المولدين كقول عز الدين الموصلي :

ملفقٌ مظهر سري وشان دمي لما جرى من عيوني أو وشا ندمي

وأحسن منه قول الآخر:

ولئن بكيناه يحق لنا أولا ففي سعة من العذرِ
فلمثله بكت العيون دماً ولمثله جمدت فلا تجري

فإنَّ منتيُوسَ ما زَالَ حيًّا بذلكَ قد أَنبَأ الأَثَرْ
وفيلا كذا بمرامِدِهِ عَزيزٌ وإمرتَهُ ائتَمَرُوا
هُماماِن لا شكَّ موتهما بَلاءٌ علينا وأَيُّ بَلا [1]

أَم انتابكَ البثُّ حزناً على لفيفِ الأَخاءةِ مُذْ فشلا
تجاهَ عمارتهم جيشُهُمْ جزاءَ مظالمهِ خُذِلا
فَبُحْ بحقيِّ ضميركَ لي أُحطْ بالذي رُمتهُ عجلا»
فقالَ وصعَّدَ أَنفاسَهُ : «أَجلْ يا أَشدَّ قرُومِ الورى

دَعِ الكيدَ فالخطبُ جلَّ وقدْ تدفَّقَ نقعُ جراحِ العمدْ
ذِيُوميذُ أَقعدَهُ دمهُ وأُوذِيسُ ربُّ الطعانِ قعدْ
وأَتريذُ أَلَّمَهُ جرحُهُ كذاكَ أُريفيلُ لقى العددْ
أَحاطتْ بهمْ بسفائنهمْ لضمدِ الجراحِ خيارُ الإِسى [2]

وانتَ على الكيدِ صلدُ الفؤادْ فلا كانَ لي قطُّ هذا العنادْ
أَيا فاسدَ البأسِ قلْ لي لمنْ تُعِدُّ اشتدادَ البؤوسِ الشِّدادْ
إِذا لم تُزحْ عن لفيفِ الأَخاءِ عميمَ البلاءِ بيومِ الطِّرادْ [3]

---

(١) منتيوس والد فطرقل وفيلا والد أخيل كما علمت • ولقد قدم اخيل على نكبة قومه جزءه على أبيه وأبي حبيبه فطرقل يدلك ذلك على منزلة برهم بالوالدين

(٢) الإِسى جمع آسي الاطباء

(٣) قال معن بن أوس :

فَلَولا فَما أَنتَ مِنْ بَشَرٍ　　ولَسْتَ ابْنَ فِيلا الفَوارِسِ لا

وثِيتِيسُ لَيستْ بأُمّكَ أَصْلا　　بَلِ اخْتَرْتَ في لُجَّةِ البَحْرِ أَصْلا
ومِنْ كَبِدِ الصَّخْرِ كُنْتَ وَليدًا　　لِأَنَّ فُؤادَكَ كالصَّخْرِ فِعلا[1]
فإِمَّا خَشِيتَ المَقادِيرَ فيما　　رَوَتْ لكَ أُمُّكَ عن زَفْسَ نَقْلا
فَبِي فَابْعَثَنَّ وفي إِمْرَتي　　لَفِيفُ المَرامِدِ أُسْدِ الشَّرى

عَسى بِسِلاحِكَ إِنْ أُقْبِلِ　　يَخالُوكَ وافِيَتِهِمْ تَصْطَلي
فَيَنْجُو الاخاءُ وطَرْوادَةٌ　　تَفِرُّ وكُرْبَتُنا تَنْجَلي[2]

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني　　يمينك فانظر أي كفٍّ تبدّلُ
وفي الناس ان رثت حبالك واصلٌ　　وفي الارض عن دار القلى متحولُ
اذا انت لم تنصف أخاك وجدته　　على طرف الهجران ان كان يعقلُ

وأقرب من هذا لقول هوميروس قول جرير :

بأي نجاد تحمل السيف بعد ما　　قطعت القوى من محمل كان باقيا
باي سنان تطعن القوم بعد ما　　نزعت سناناً من قناتك ماضيا

(١) تشبيه الفؤاد بالصخر والحديد وما اشبه كثير في كلام الشعراء كقول عنترة :

خلقت من الحديد اشد قلباً　　فكيف أخاف من بيض وسمرِ

ومثله قوله : خُلقت من الجبال اشد قلباً　　وقد تفنى الجبال ولست أفنى

ومن هذا القبيل قول بعضهم :

امرٌّ بالحجر القاسي فالثمه　　لان قلبك قاسٍ يشبه الحجرا

(٢) قال المعرّي :

تهاب الاعادي بأسهُ وهو ساكنٌ　　كما هيب مس الجمر قبل اضطرامه

وَنَكْتَسِحُ القومَ نَكْساً هُمُ   لإِلْيُونَ بالبِيضِ والأَسَلِ
فإِنَّا وَليسَ بنا من عَياءٍ   نُبَدِّدُ جَيشاً رَماهُ العَيا »

لَتلكَ أَمانيهِ عن دفعِ نَفسٍ   الى الحَتفِ ساقتهُ في يوم بُؤسِ
فَأَنَّ أَخيلُ وقالَ لهُ :   «أَفطرُقلُ حدسُكَ ليسَ بحدسي
فَلَستُ لأَخشى المَقاديرَ فيما   رَوَتْ لِيَ أُمِّيَ عن حُكمِ رَفسِ
ولكِنَّ بي غُصَّةً حرَّقَتْ   فُؤادي الكَليمَ بجَرِّ اللَّظى

وما زِلتُ أَلهبُ مُنذُ انتصبْ   زَعيمُ السُّرى وفتاتي اُغتُصِبْ
وما هُوَ إِلاَّ قَريني مَقاماً   وما هِيَ الاجزاءُ النَّصَبْ
حِباءٌ حَباني الأَراغِسُ لَمَّا   فَتَحتُ البِلادَ ونالوا الأَرَبْ
وأَتريذُ مُغتَسِفاً رامَها   كأَنِّي دَخيلٌ بذاكَ الحِما

ولكِنْ لِنُغضِ عَنِ الغابِرِ   ونَأْهُ بِمَوقِفِنا الحاضِرِ
فإِنِّي وإِنْ كُنتُ آلَيتُ قَبلاً   بأَنْ لا أَلينَ الى الآخِرِ
إِلى أَنْ تُحيطَ بفُلْكي العِدى   وتَبدُو لَدَيَّ ظُبا الباتِرِ
فما كانَ لِلمَرءِ مَهما اُلتَظى   بأَنْ يكمِنَ الغَيظَ طُولَ المَدى(١)

وقوله : ويضحي والحديد عليه شاكٍ   وتكفيه مهابته النزالا
ومثلهُ قول عنترة :

ولو ارسلت رمحي مع جبانٍ   لكان بهيبتي يلقى السباعا

(١) قال الرضي :

فقُمْ بسلاحي وسِرْ بالمرامدِ فقدْ أدركَ الفُلْكَ جيشُ الطرّاودْ
وبالثَّغْرِ قد حصَرُوا قومنا فضاقَ عليهمْ مجالُ المجاهدْ
وإليونُ خلفهمُ اندفعتْ كأنَّ لها النَّصْرَ ألقى المقالدْ
وما لقيتْ بطلائعهمْ تريكةَ آخيلَ تلقي السَّنا

فلوْ أنَّ أتريذَ لم يعتسفْ لمَا خلتَ جيشَ العداةِ يقفْ
وولّوا وصرْعى كتائبهمْ ببطنِ حفائرنا ترتجفْ
وها همُ أحاطوا بذرّاعنا وعنهمْ ذيوميذُ عنفاً صُرفْ
وليسَ براحتِهِ عاملٌ يهيجُ احتداماً لدفعِ الأذى

وليسَ لأتريذَ من قبحِ نُطقِ بهِ نفثاتِ الخبائثِ يُلقي
ولكنْ لهكطورَ صوتٌ دوى يشقُّ الفضاءَ بغربٍ وشرقِ
وقد فازَ بالنَّصرِ أعداؤنا وضجّوا وعجّوا ونادوا بسبقِ
فكرٌّ وقِ الفُلْكَ من نارهمْ لِتُبلغنا الوطنَ المرتجى

لأمري ائتمرْ ومرامِيَ أجرْ فتحرزَ لي كُلَّ مجدٍ وفخرْ
وتحملَ لي بالجلالِ فتاتي على تحفٍ ونفائسَ غُرّ

لويت الى ود العشيرة جانبي على كظم داء بيننا متفاقم
ونمت عن الاضغان حين تلاحمت جوائف هاتيك الندوب القدائم
وأوطأت إقوال الوشاة اخامصي وقد كان سمعي مدرجاً للنمائم
وسالمت لما طالت الحرب بيننا اذا لم تظفرك الحروب فسالم

عَنِ الفُلْكِ صدَّ العَدُوَّ وَعُدْ وَلَو زَفسُ أَولاكَ أَعظَمَ نَصرِ
ولا تَندَفِعْ في العِدَى مفرَدًا فَتَبخَسَ قَدْرِيَ بَينَ الوَرى

ولا يَدفَعَنَّكَ طَيشُ القِتالْ لِإِليُونَ بالجَيشِ تحتَ النِّبالْ
فَرُبَّ إلاهٍ وَلِيِّ العُداةِ كَفِيبُوسَ أَخلى الأَلمبَ وصالْ
إذًا حالَنا الأَمنَ تَضمَنُهُ لِأُسطُولِنا وتَصدُّ الرِّجالْ
فَعُدْ ودَعِ الحَربَ يُضرِمُها سِواكَ وبادِرْ إليَّ هُنا

أَيا زَفسُ رَبَّ العُلى يا أَثِينا وفِيبوسًا السَّادَةَ الأَعظَمِينا
أَبِيدُوا الطَّراودَ فوقَ الأَخاءَ ةِ يَفنَوا بِرُمَّتِهِمْ صاغِرِينا
وَلا يَبقَ حَيًّا سِوانا بإِليُو نَ نَخلُو وَدَكًّا نَدُكُّ الحُصُونا »(١)

---

(١) جرى على السنة القوم منذ القدم ذكر توادّ أخيل وفطرقل وتوآخيهما مجرى الامثال • حتى لقد روي انه لما شخص الاسكندر لزيارة اضرحة ابطال اليونان الهالكين بحرب طروادة أخذ اكليلاً فوضعه على قبر أخيل فعمد صديقه هفستيون الى اكليل آخر فوضعه على قبر فطرقل اشارةً الى انه مقيم على ولاء الاسكندر اقامة فطرقل على ولاء أخيل • ويروى عن الاسكندر اذ ذاك قوله : ان اخيل ادرك منتهى السعادة بصديق كفطرقل يتفانى بحبه حياً وشاعر كهوميروس يخلد ذكرهُ ميتاً • وان لنا هنا بمحاورة اخيل وفطرقل رسماً ناطقاً رصعه الشاعر بلآلي تصوراته فمثل البطلين تمثيلاً

يتفطر فؤاد فطرقل لهفاً على مصاب قومه فيقبل على أخيل فتخنقه العبرة فتهز اخيل عواطف الرفق لرؤيته على تلك الحال وهو الفتى الصلد الفؤاد الذي لم يهتز رفقاً لصرع الالوف من قومه وتمزيق فيالقهم فكأن تلك العبرات المتساقطة من مقلتي حبيبه كانت أحر على فؤاده من نيران الاعداء اللاهبة بسفن اليونان • ثم بادره بالخطاب

فَذاكَ حَدِيثُهُما ها هُنا　　وَثَمَّةَ عَزْمٌ أَياسَ أُرْتَخَى

فكان اول ما افتتح به كلامه بعد سؤاله عن حاله ذلك التشبيه الذي يتدفق رقة وحناناً وهو وان يكن مرّ على بصر كل شاعر قبل هوميروس وبعده فلم نر احداً افرغه بذلك القالب البديع على سذاجته غـير هوميروس • ومن ذا الذي لم ير طفلة تعلق باكية بثوب امها لامر تروم فلا الامُّ تقوى على صدها بالعنف مهما كانت شواغلها ولا الطفلة تعرف ملاذاً غيرها تلوذ اليه فلا تجد لامها عذراً عن قضاء حاجتها وهي في نظرها المصدر والمآل القادرة القاهرة المطيعة المطاعة في كل الاحوال • ثم اخذ اخيل يستطلع فطرقل طلع امره فافتتح بالسؤال عن والد صديقه ثم عن والده فيلا كأنهما الشاغل الصحيح الذي يشـغله وثنّى استطراداً بالسؤال عن قومه كأنه انما فعل ذلك رعايةً لحبيبه

امافطرقل فلم يكن يهجس في صدره الا أمر واحد صرف نفسه اليه بكليتها وهو استنفار اخيل لنصرة قومه فأراد ان ينهال عليه بالتونيب والتنديد بدالة الودّ فوطأ بتعظيم المصاب فذكر ما المّ بزعماء الجند مبتدئاً بذيوميذ لـما كان يعلم من علو منزلته في نظر اخيل واتى خلسةً بين الاواخر على ذكر اغاممنون بلقبه أتريذ دون اسمه وذلك اللقب كما علمت يتناول اغاممنون واخاه منيلاوس كأنما اراد ان يخفف ثقل وطأة ذلك الاسم على مسامع اخيل • وباقي كلام فطرقل مع ما فيه من التوبيخ والتهكم يشف عن اكبارٍ لبأس اخيل عظيم • اذ يلقي بين يديه فوز الاغريق وانذحارهم فهو وحده كفوء لصد جيش عجزت عنه الدول المتألبة والكتائب المتكتبة • واعظم من ذلك انه اذ أراد ان يسد على اخيل جميع المخارج رغب اليه اذا ابى الا الاعتزال ان يقلده سلاحه وينفذه لنجدة القوم فتأخذ الاعداء الرعدة لمرأى ذلك السلاح ظناً منهم ان اخيل قد اقبل وما بعد هذا اطراءٌ للمخاطب وتفانٍ للمتكلم

واما اخيل فأول ما شرع به جواباً على هذا الخطاب دفع تهمة فطرقل اذ رماه بالجبن بقوله :

فاما خشـيت المقـادير فيا　　روت لك امك عن زفس نقلا
فبي فابعـثنّ وفي امرتي　　لفيف المرامـد اسـد الثرى

تَوالَتْ عَلَيهِ طِعانُ العدى ... وزَفْسُ قُوَى بَأْسِهِ بَدَّدا
وَفوقَ تَريكَتِهِ أنْهَلَتْ ... نِبالُهُمُ شاسعاتِ الصَّدى
ويُسْراهُ بالجَوبِ قائمةٌ ... يَكادُ مِنَ العيِّ يَلْوِي يَدا[1]
وما كُلُّ جَيْشِ العِدى بقَناهُ ... بدافعِهِ عَنْهُمُ القَهقرى

وَفوقَ جَوارِحِهِ العَرَقُ ... مِنَ الجُهْدِ كالسَّيْلِ يَنْدَفِقُ
فَشَقَّ تَرَدُّدُ أنفاسِهِ ... عَلَيهِ وقَدْ كادَ يَخْتَنِقُ
وسِيمَ على أزمةٍ أزمةً ... وزادَ على القَلَقِ القَلَقُ

ثم اعاد عليه سبب اعتزاله حقداً على اغاممنون وكأن عبارات فطرقل اصابت منفذاً في فؤاده فأجابه الى بعض ما سأل واذن له بتقلد سلاحه • وهنا هاجته الحمية فتحفز وتحمس وافتخر بما له من البأس ولم يذكر بالشماتة الا ذيوميذ واغاممنون اما الاول فلانه كان مقداماً مغواراً يؤخذ مما تقدم انه كان بينه وبين أخيل شيءٌ من التحاسد الخفي اذ لم يكن ذيوميذ من اللاجئين الى استرضاء أخيل • واما الثاني فلسابق سخطه عليه • ولهذا وصفه بعبارة تحقير اجلّ عنها ذيوميذ • ولما انتهى اخيل من تلك المقدمة اخذ يلقي اوامره على فطرقل فحظر عليه بعد صدّ العدوّ عن السفن ان يندفع بطيش القتال الى ما وراء الحصون لانه انما كان يودّ ان يكون هو القاتل لهكطور الفاتح لبلاده فضلاً عما كان يخشى من ان لا يكون فطرقل كفوءاً لتلك الصدمة فيقتل فيكون الرزء رزئين قتل الصديق الحميم وذهاب السلاح سلباً للعدو اللدود • ولم تكد تمر على مخيلة أخيل تلك الهواجس حتى زاحمته بلابل الافكار وعاودته قوارس الكيد فختم داعياً باضمحلال صديقه وعدوه وهو شأن اللدود الذي يطوح كيده الى الايقاع بما طالته يده فيعمي الغيظ باصرته وبصيرته وذلك مصداق جانب من صفات ذلك البطل الباسل

(١) الجوب الترس والتريكة الخوذة

أَلا لَيتَ شِعْرِيَ كَيفَ الأُوارُ عَلا الفُلْكَ فَلْنَ قِيانَ العُلى (١)

لِآياسَ هَكْطُورُ جَرْياً جَرى وعامِلَهُ بالحُسامِ بَرى
فأهوى السِّنانُ بِثَعْلَبِهِ يَصِلُّ صَلِيلاً لِوَجْهِ الثَّرى (٢)
فَباتَ أَياسُ بِعُودٍ ضَئِيلٍ وفي سُخْطِ آلِ العُلى شَعَرا
وقدْ خالَ زَفْسَ بِرَبٍّ دُونَهُ عِمادَ القِتالِ لِنَصْرِ العِدى

لِذاكَ الْتَوى عَن مَرامي الظُّبا وبالفُلْكِ أَورى العِدى اللَّهَبا
بِكُلِّ الغُرابِ السَّعِيرُ فَشا وفي سَطحِ وُجْهَتِهِ نَشِبا (٣)
فَصاحَ أَخِيلُ لِذا لاطِماً بِكَفَّيهِ فَخْذَيهِ مُضْطَرِبا :
« بِدارِ أَفَطْرُقْلُ يافَرْعَ زَفْسٍ بِدارِ أَيا فارِساً قَدْ سَما

أَرى الفُلْكَ بالنَّارِ تَلْتَهِبُ وأَعْداؤُنا جُمْلَةً وَثَبُوا
فَوا لَهَفِي هَلْ يَنالُونَها ويُمْنَعُ في وَجْهِنا الهَرَبُ
فَقُمْ بِسِلاحِي إِذاً رَيْثَما أُعَبِّي كَتائِبَنا وأُذْهِبُوا » (٤)

---

(١) القيان ربات الانشاد مر رسمهن ص٢٨٧ — هنا مثال آخر لانتقالات هوميروس البديعية عند ما يشرع في شرح امر خطير .

(٢) ثعلب الرمح عوده

(٣) الغراب السفينة ووجهته مقدمها أو صدرها

(٤) رأينا فيما مضى كم تزلف القوم الى اخيل وأتوه صاغرين مستجيرين فكانوا كأنهم يكلمون صخراً أصم ولم يلن بعض اللين حتى استصرخه فطرقل بهامي العبرات وما هو هنا ان رأى بعينه اللهب المضطرم بالسفن حتى استفزته الحمية من تلقاء نفسه

فَقَطرُقلُشكَّ بزاهي سلاحٍ　　　بِـبرّاقِ فولاذِهِ قد أضا

فَأَوثَقَ خفَّين بالقَدَمَينْ　　　بساقيهِ شدَّتْ عُرىً من لُجَينْ

وأَلقى على صدرِهِ لأْمَـةً　　　لأَخِيلَ روَّاعَـةِ الفيلقَينْ

وأَلقى حُساماً يُرصِّـعُهُ　　　قَتيرُ لُجينٍ على العاتقَينْ

وجُنَّتَهُ تلكَ ذاتُ الوَبالِ　　　تناوَلَها ثُمَّ فيها اكتَمى

وتلكَ التَّريكَةُ والعذَباتْ　　　تَطيرُ بقَونَسِها سابحاتْ (١)

رَماها علـى ثَبتِ هامتِـهِ　　　تَذِلُّ لِرُؤيتِها العزَماتْ

وقامَ يَهـزُّ قَنياً ثِقالاً　　　تَخِفُّ عليهِ لَدى الأَزَماتْ

كَذا غيرَ صَلْدِ قَناةِ أَخيلَ　　　جميعَ سِلاحِ أَخيلَ حوى (٢)

فما كانَ في القومِ غيرُ أَخيلْ　　　فتىً ذلكَ الرُّمحَ منهُم يُجيلْ

فأنَّ وتلهف وانقلب يستعجل فطرقل ويكتّب جنوده ٠ كل تلك مشاهد اعدها الشاعر بدقة شعوره فافاد المطالع ان الامور تؤتى من أبوابها ٠ فما وساطة الف وسيط بمؤثرة تأثير عاطفة يثيرها صديق حميم وما اثارة تلك العاطفة بشيء ازاء تمثيل المشهد حياً يراه الانسان بعينه٠ وان رؤية فقير ذي عاهة يتضور جوعاً وهو عار بقارعة الطريق لتكلمك كلاماً لا تستوفيه بلاغة الف شفيع يندب لديك حالة ذلك المسكين

(١) التريكة الخوذة والعذبات اهدابها المتدلية والقونس بيضة الخوذة

(٢) اي انه استلأم بلأمة اخيل (اي درعه) وتقلد كل سلاحه الا قناته فقد كان يصعب اعتقالها لثقلها الا على اخيل ٠ تلك مزية اخرى من المزايا التي تفرد بها أخيل

وعاملُهُ زَانَةٌ قُطِعَتْ　　بِقُنَّةِ فِلْيُوْنَ عُودًا ثَقِيلْ [١]
وخيْرُونُ أَهْدَى لِفِيلاسلاحًا　　عَلَى رَقَبَاتِ العُدَاةِ وَبِيلْ
ومُذْ شَكَّ فَطْرُقْلُ أَفْطِمذًا　　لِشَدِّ الجِيَادِ سَرِيعًا دَعَا

فَتًى كانَ يومَ انْتِيَابِ الشَّدَدْ　　وَلِيًّا وَفِيًّا لَهُ وسَنَدْ [٢]
وما كانَ يَرْعَى فَتًى مِثْلَهُ　　مِنَ الصِّيدِ بَعْدَ ابْنِ فِيلا أَحَدْ
فَهَبَّ لِزَنْشَسَ يَقْـرِنُهُ　　بِبَالِيسٍ بَهِيِّ العُـدَدْ
جَوَادَانِ عَنْقَاءُ أُمُّهُما　　وقد عَلِقَتْ مِن نَسِيمِ الهَوا

نَعَمْ تِلْكَ فُوذَرْغَةٌ وَهْيَ تَسْعَى　　عَلَى ضَفَّةِ الأُقْيَانُسِ تَرْعَى
كَذَا حَمَلَتْ والجَوَادانِ شَبَّا　　كَعَاصِفَةِ الرِّيحِ جَرْيًا وطَبْعَا
ولِلنِّيرِ شَدَّ فِدَاسَ الذي　　أَخِيلُ بِإِيتِيْنَ نَالَ سَفْعَا
جَوَادٌ وإِنْ كانَ رَهْنَ الرَّدَى　　فَجَرْيَ جِيَادِ الخُلُودِ جَرَى [٣]

---

(١) فليون جبل بتساليا

(٢) قوله فتى اي أفطميذ

(٣) لما كان دأبُ الشاعر ان يميز اخيل في كل شؤونه فقد ألبس مركبته من الزخرف حلة شائقة وجعل جواديها زنشس وباليس من جياد الخلد ثم جعلهما من نتاج العنقاء (وهي في الاصل Αρπυια «هَرْبِيَة» مخلوق خرافي ذو جناحين) والنسيم . ثم قرن اليهما احتياطاً جواداً ثالثاً من جياد الخيل الفانية واشار الى ان اخيل نال ذلك الجواد الشهير باحدى غزواته

والاعتقاد بوجود خيل من نتاج الريح قديم ذكره بلينيوس وغيره . وليس

وَبالخَيمِ طارَ أَخيلُ وَصاحْ يُعَبّي مَرامِدَهُ لِلْكِفاحْ
فَهَبُّوا كَسِربِ الذِّئابِ الكَواسِرِ يَدْفَعُهُ البَأْسُ دَفعَ الرِّياحْ
تُمَزِّقُ فَوقَ الذُّرى إِيَّلا وأَفْواهُها داميات الصِّفاحْ
وتَنْضَمُّ جَيْشاً جَرى والِغاً بِسَلْطِ اللِّسانِ بِماءٍ حَلا

فَتَنْبذُ في الماءِ تِلكَ الدِّما وتَرْوى ولا تَرْتَخي هِمَما[1]
كَذا حَولَ فِطرُقْلَ كُبّارُهُمْ لَقيهُمْ دارَ واُنْتَظَما
وبَينَهُمُ خِلُّ زَفسَ أَخيلُ يَحُضُّ الكُماةَ حُماةَ الحِمى
بِخَمْسينَ فُلْكاً أَتى بِهِمِ بِخَمسينَ كُلُّ غُرابٍ أَتى

بِخَمْسَةِ صِيدٍ بِهِمْ وَثِقا بِإِمْرَتِهِ كَفَّلَ الفَيْلَقا
فَأُولى جَرائِدِهِمْ نُظِمَتْ بِإِمْرَةِ مِينَسْتِيُوسِ اللِّقا
(هُوَ ابْنُ لِجَدْوَلِ إِسفِرْخِيُوسَ الـ ـذي كانَ مِن زَفسٍ انْبَثَقا

عندنا مما يشبهها بعض الشبه الا الفرس المسحور بألف ليلة وليلة . واما عنقاء مغرب او العنقاء المُغرِب فهي عند العرب طائر معروف الاسم مجهول الجسم كانوا يستعيرونها للاخبار عن الامر الباطل وفي ذلك يقول ابو نواس :

وما خبره الا كعنقاء مغربٍ تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤيةٍ ترى صورة ما ان تمرّ وان تحل

ولهذا اتخذناها لتعريب « الهربية » اليونانية الدالة على الطائر الخرافي السابق الذكر

(١) لم يكن له بعد ان تمادى على المرامدة زمن العطلة وهم يحرقون لنصرة قومهم الا أن يشبههم وهم واثبون للكفاح بالذئاب الكاسرة ويستطرد الى ذلك الوصف الرائع

ولٰكنّما أُمُّهُ فُولُدُورا الـ　　جَمِيلَةُ وابنَةُ فِيلا النُّهى
ومن بَعدِ ذاكَ الإِلاهِ بَنَاها　　بُرُوسُ بنُ فِيرِيرِس وحَباها
فكانَتْ لَهُ عَلَنًا زَوجَةً　　وشاعَ بأَنَّ فَتاهُ فَتاها)
وثانِيَةُ الفِرَقِ انتَظَمَتْ　　لأَفذُورَ مَن جَلَّ بأساً وجاها
هُوَ ابنُ فُلِيمِيلَةَ ابنَةِ فِيلا　　سَ مَنْ وَلَدَتْهُ بِشَرخِ الصِبا

بَدِيعَةُ حُسنٍ بِمَغنى الطَّرَبْ　　بها هِرمِسُ بالغَرامِ التَهَبْ
رَآها تُغَنِّي وتَرقُصُ بَينَ الـ　　عَذَارى لَدَى ذاتِ قَوسِ الذَّهَبْ (١)
فقاتِلُ أَرغُوصَ هامَ بها　　وفي ذُروَةِ القَصرِ فيها احتَجَبْ (٢)
وأَولَدَها وَلَداً نابِغاً　　إِذا ما عَدا وإِذا ما رَمى

ولما تبَدَّى لِشَمسِ النَّهارِ　　وثَمَّ إِلِيثِيَّةٌ بانتِظارِ (٣)
إِخِكلِيسُ أَكطُورَ أَنزَلَها　　بِمَنزِلِهِ بِاجَلِّ شِعارِ

---

(١) ذات قوس الذهب لقب من القاب ارطميس

(٢) قاتل ارغوص هو هرمس وارغوص هذا هو من ولد ايناخوس. ورابع ملوك ارغوس • كان الغالب عندهم في المنازل الكبيرة ان يجعلوا غرف النساء في اعالي البناء وبعبارة اخرى كان الحرم في الطبقة العليا • قال افستاثيوس كان اللقدمونيون يدعون الغرف العليا أُوا (ωα) ومعناها ايضاً البيض ولعل الخرافة القائلة ان هيلانة ولدت من بيضة نشأت من هذا المعنى

(٣) اليثية ابنة هيرا • كانت في اعتقادهم تحضر ساعة المخاض حتى تلد المرأة ولعلها ليليت اوميليتا البابليين ربة الليل والولادة

وفي حِجْرِ فيلاسَ ظلَّ الغلامُ يَشِبُّ رَبيباً عزيزَ المَثارِ
وثالثةُ الفِرَقِ اجْتَمَعَتْ لِفَيسَنْدَرَ بْنِ مِمالَ الفتى

فتىً لم يَفُقْهُ بِهَزِّ القَنا بِهِم غيرُ فَطْرُقْلَ إن طعنا
وفِينِكْسُ رابعُ قُوَّادِهِم هُوَ الفارسُ الشيخُ إلْفُ العَنا
وخامسُهم أَلْقِميذُ بْنُ لَرْفِيْ سَ مَنْ عادياتِ الوغى أُمْتُحِنا
كذلكَ آخيلُ كَتَّبَهُمْ وصاحَ يُثَبِّتُهُمْ لِلوَغَى:

« مَرامِدَةُ اُذْكُروا كَمْ عَلى عِداكُمْ صَديدُ الوَعيدِ عَلا
فكُلُّكُمُ عاذِلي كلّما حَنِقْتُ وكُلٌّ قَلى وتَلا :
« أيا ظالماً يا ابْنَ فيلا فأُمٌّ لكَ قد أرْضَعَتْ مِرَّةً وقِلا
«تَصَلَّبْتَ لُبّاً وقَسْراً حَجَرْتَ رِفاقَكَ عن أشرفِ المُلتَقى

« هلُمَّ بنا للدِّيارِ وإلاّ فماذا التَّحامُلُ حِقْداً وغِلاّ »
لتلكَ أقاويلُكُمْ جُمْلَةً فدونَكُمُ جَذْوَةَ الحربِ تُصْلَى
وتلكَ أمانيُّكُمْ فَأَيُّكُمُ إليها الذي كانَ للكرِّ أَهْلا »
فهَبُّوا ولَبُّوا مَلِيكَهُمُ كتائبَ رُصَّتْ كَرَصِّ البِنا

كَصَخْرٍ بِصَخْرٍ قدِ اتَّصَلا بحائطِ دارٍ سَمَتْ لِلعُلى
وأحْكَمَ بنّاؤُها رَصْفَها فليستْ تُبالي بِنَوْءٍ ولا

كَذاكَ تَأَلَّبَ جَيْشُهُمُ　　　وقد لاصَقَ البَطَلُ البَطَلا
وبِالخُوذَةِ الخُوذَةُ اشْتَبَكَتْ　　　وفَوقَ المِجَنِّ المِجَنُّ انْحَنى (١)

بِهَبَّتِهِمْ عَذَباتُ القَوانِسْ　　　تَلاقَتْ تَمُوجُ بِهامِ القَوامِسْ
وفَطْرُقْلُ شَكَّ وأَفْطَمِذُ　　　وقد بَرَزا لِالْتِقاءِ الدَّراهِسْ
هُمامانِ هَمُّهُما واحِدٌ　　　نَكالُ العَدُوِّ بِصَدْرِ الفَوارِسْ
وأَمَّا أَخِيلُ فَلَمَّا اسْتَتَمَّ انْ　　　تِظامُهُمُ لِلْخِيامِ انْثَنى

هُنَالِكَ غِطاءَ خِزانَتِهِ　　　أَماطَ يَؤُجُّ بِبَهْجَتِهِ
فَتِلْكَ الخِزانَةُ قد أَتْحَفَتْهُ　　　بِها أُمُّهُ يَومَ غَزْوَتِهِ
وقد شَحَنَتْها بِأَرْدِيَةٍ　　　تَصُدُّ الهَواءَ بِهَبَّتِهِ
وأَكْسِيَةٍ وطَنافِسَ غُرٍّ　　　تَشُوقُ بِرُؤْيَتِها مَنْ رَأى

فَأَخْرَجَ كُوباً بَدِيعاً سَناهْ　　　بِهِ لَيسَ يَشْرَبُ خَمْراً سِواهْ
لِزَفْسَ بِهِ الرَّاحُ تُرْفَعُ صِرفاً　　　وتُهْرَقُ مِنْ دُونِ كُلِّ إِلاهْ
بِنارِ الكَبارِيتِ طَهَّرَهُ　　　وغَمَّسَهُ بِنَقِيِّ المِياهْ
ومِنْ بَعدِ غَسْلِ يَدَيهِ بِهِ الخَمْ　　　رَ سَوْداءَ صَبَّ بِكُلِّ اعْتِنا

وبَينَ السُّرى قامَ يَرفَعُهُ　　　ويَعْلُو لِزَفْسَ تَضَرُّعُهُ

(١) مرّ هذا الوصف في النشيد الثالث عشر

يُشِيرُ بِعَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّماء　　وزفْسُ يَراهُ ويَسْمَعُهُ :
«أَيازَفْسُ رَبَّ الدُّدُونِ ومَوْلى ٱلْـ　　فَلاسِج مَنْ بانَ مَرْبَعُهُ⁽١⁾
وَيا مَلِكاً بِدُدُوْنَةَ حيثُ ٱزْ　　مَهَرَّ على القَومِ قُرُّ الشِّتا

وحَيثُ سُرى السِّلَّةِ السُّهَّدُ　　رُواتُكَ مِنْ حَوْلِكَ احتَشَدُوا⁽٢⁾
فَلَمْ يَغْسِلُوا لَهُمُ قَدَماً　　وغَيْرَ الثَّرى ما لَهُمْ مَرْقَدُ
دَعَوْتُكَ قَبْلاً فَأَعْزَزْتَني　　بِذُلِّ الأَخاءِ وقد جُهِدُوا
أَلا فَاسْتَجِبْنِيَ أَيضاً وَلا　　تُخَيِّبَنِّي ياسَمِيعَ الدُّعا

فَها أَنا ما بَينَ فُلْكِي مُقِيمْ　　فَيَنْزِ معَ فَطْرُقْلُ خِلِّي الحَمِيمْ
يَقُودُ مَرامِدَتِيَّ لِلْوَغى　　فَخَوِّلْهُ نَصْراً أَزَفْسُ العَظِيمْ
وصَلِّبْهُ لُبّاً فيَعْلَمَ هَكْطُو　　رُهَلْ هُوَ كُفْوءٌ لِرَغْمِ الغَرِيمْ
وهل لا يَكُرُّ ويَبْطُشُ إِلاَّ　　إِذا ما وَراءَ أَخِيلَ ٱنْبَرى

وشَدِّدْهُ حَتَّى إِذا ما ٱنْتَصَرْ　　وعَن مَوقِفِ الفُلْكِ زالَ الخَطَرْ
يَأُوبُ إِلَيَّ هُنا سالِماً　　بِعَسْكَرِهِ وسِلاحِي الأَغَرّْ»
لِزَفْسَ دُعاءُ أَخِيلَ رَقى　　وَزَفْسُ وعى جابِراً و كَسَرْ

(١) بان هنا بمعنى بعد والمربع المقام والددون والفلاسج امتان

(٢) السلة رواة زفس او مفسرو اوامره . كان الكهنة ينتحلون هذا اللقب لانفسهم في الاستخارة وغيرها

فَحَوَّلَ فِطْرُقْلُ صَوْنَ الخَلايا وأَمَّا سَـلامَتَـهُ فَأَبى

وأَمَّا أَخيلُ فَمُذْ أَكْمَلا فُرُوضَ عِبادَتِهِ قَفَـلا
بِمَوْضِعِهِ الكُوبَ أَوْدَعَ ثُمَّ إِلى بابِ خَيْمَتِهِ أَقْبَـلا
وظَلَّ هُنالِكَ مُرْتَقِبـاً مُنازَلَةَ الجَحْفَلِ الجَحْفَلا
وفَطْرَقْلُ والجَيْشُ مُنْتَظِمٌ بإِمْرَتِهِ لِلْكِفاحِ مَشَى

كَأَنَّهُمُ الدَّبْرُ ثارَ يَمُورْ وخَشْرَمُهُ بِسَبِيلِ العُبُورْ
وثَمَّـةَ وِلْدٌ تُحَثْحِثُـهُ فَيَبْعَثُ مُنْتَشِراً بالشُّرُورْ
يَمُرُّ على جَهْلِهِ عابِرٌ فَيَدْفَعُهُ فَعَلَيْهِ يَثُورْ
يَذُبُّ عَنِ البَيْضِ مُسْتَبْسِلاً حَدِيدَ الحُماتِ شَدِيدَ القُوَى[1]

سُرى المِرْمِدُونَ بِشِدَّتِهِمْ كَذا انْبَعَثُوا مِنْ عَمَارَتِهِمْ
وفَطْرُقْلُ يَصْرُخُ مُذْ أَقْبَلُوا يَعِجُّ الفَضاءُ بِضَجَّتِهِمْ :
« مَرامِيدُ لَيسَ لِقَومِ أَخِيلَ بِأَنْ يَنْثَنُوا عَنْ عَزِيمَتِهِمْ

---

(١) الحُمات ج حُمة إِبر النحل والدَّبر جماعة النحل والزنابير والمراد هنا الزنابير وخشرمه خليته او بيته . من معجزات هوميروس انه اذا شبه أمراً كبيراً بشيء صغير هيأه بصورة تنطبع في النفس فما تشبيه الجنود البواسل بالاسود الكواسر باوقع في النظر من تلك الزنابير الحقيرة وهي ثائرة تلك الثورات وكلٌّ منها

يذب عن البيض مستبسلاً حديد الحمات شديد القوى

وللشنفرى ابيات جميلة بهذا المعنى اوردناها في النشيد الثاني ص : ٢٥٥

عَلينا ونحنُ سُراهُ بأَنْ نُجِلَّ أَجلَّ فتًى بالسُّرى

لِيَعلمَ أتريذُ ما اُجترَحا بحطِّ أشدِّ قُرُومِ الوَحى»
فهاجت لِذاكَ حميّتُهمْ وكلُّهمُ لِلقا طمَحا
وكَرُّوا وصاحُوا وصيحتُهمْ صَداها بِفُلْكِهِمِ صدَحا
وفطرُقلُ يَزهو وأفطُمِذُ بِصدْرِهِمِ بِبَهِيِّ الحُلَى

فَخارَ الطّراودُ وأرتَعبوا لِمَنظَرِ فطرُقلَ واضطرَبوا
وخالوا أَخِيلَ أُرعَوى مقْبِلاً عليهِمْ وقد فاتَهُ الغضَبُ
فَكلُّهمُ ألتاعَ مُستَشرِفاً يرى كيفَ ينجُو بهِ الهرَبُ
ومُعظمُهمُ عجَّ حيثُ غُرابُ فرُوطِسلاسَ الأَبِيِّ رَسا

هُنالكَ فطرُقلُ حثَّ خُطاهْ وأرسَلَ يَقذِفُ صلْدَ القَناهْ
فأدرَكَ بالكَتفِ فِيرِخمَ مولى الـ فيُونَةِ صِيدِ الجيادِ العُتاهْ
بهمْ من أميذُونَ مِن جِدِّ أكسِـ يُسٍ خفَّ مُعتصِماً بقُواهْ
فخرَّ وخارتْ كتائبُهُ وولّوا شَتاتاً بعرْضِ الفَلا

مَقابِسهُمْ غادَرُوا بالْتِهابْ وقد لَهمتْ نِصفَ ذاكَ الغُرابْ
فَفطرُقلُ أخمدَها والعدى تبَدَّدَ شملُهمُ باصطِخابْ
وهبَّ الأخاءُ بتلكَ الخلايا وَهدَّةُ نعرَتِهمْ للسَّحابْ

عَنِ الفُلْكِ شَتَّ العَدُوُّ وقد بَدا فَرَجٌ بَعدَ طُولِ العَنا

كأَنَّ مثيرَ الصوَّاعقِ بَدَّدْ سَحاباً بهِ شامخُ الطَّودِ يَرْبَدْ
فَتَبْدُو الضَّواحي وشُمُّ الرَّواسي وبَطنُ الوِهادِ ونَجْدٌ وفَدْفَدْ
وينفتحُ الجَوُّ والنورُ يُلقي بلُبِّ الرَّقيعِ شُعاعاً تَوَقَّدْ (١)
ولٰكنَّما الحَرْبُ ما بلَغَتْ بشِدَّتِها غايةَ المُنتهى

فَطُرْوادَةً ساقَ حكْمُ اضطِرارْ فغادَرَتِ الفُلْكَ تبْغي القَرارْ
وظَلَّتْ تَذُودُ وفي إِثْرِها على كُلِّ قَرْمٍ عَميدٌ أَغارْ
وفَطْرُقْلُ في صَدْرِ جُنْدِ الأَخاءِ على عَرليقَ السِّنانَ أَطارْ
فأَنفذَ في حقْوِهِ والجَا الى العَظْمِ فانقضَّ فوقَ الثَّرى

وخَرَّ تُواسُ بِرُمحِ مَنيلْ وعن صدْرِهِ الجوْبُ كانَ أُميلْ
وأَمفِقْلُ رامَ مجيسَ ولٰكنْ مجيسُ تلَقَّى برُمحٍ صَقيلْ
فبَتَّ قَلْبَ شَظيَّتِهِ فخَرَّ غَضيضَ الجفُونِ قتيلْ
وأَنطِيلُخُ شَقَّ خَصْراً أَتيْـ ـيساً فلَدى قدَمَيْهِ الْتَوى

فحرَّقَ ماريسَ موتُ أَخيهْ فخَفَّ لجُثَّتِهِ ليَقيهْ
وقد كادَ يطعَنُ أَنطيلُخاً ولٰكنْ بدا ثرَسيمِيذُ يَليهْ

(١) كل ذلك اشارة الى انفراج الازمة عن الاغريق

فَبادَرَ عانقهُ بسنانٍ فَرى اللَّحمَ والعظمَ ينفُذُ فيه
فَخرَّ وصلَّ بشكَّتهِ وعينيهِ غشَّى ظلامُ الرَّدى

كلا الأخوين رمى الأخوانْ فمن وُلْدِ نسطور ذي الفضل ذانْ
وذانك فرعا أميسوذرٍ سليل خميرةِ هول الزَّمانْ [1]
حليفا ودادٍ لسرفيذنٍ وشهمان قرمان يوم الطِّعانْ
هما لأريبا كذا انحدرا وقد غادرا قرعَ صُمِّ القَنا [2]

كذاك أياسُ بنُ ويلوس كرْ إذا إقليوبولُ حيًّا ظهرْ
تربَّك يبغي الفرارَ فوافى أياسُ بماضي غِرارٍ أغرْ
فواراهُ في جيدهِ قفرَاهُ وأُخرجَ يلهبُ والقرمُ خرْ
وليقونُ رامَ فنيلا وكلٌّ رمى وكلا العاملين نبا

فكرَّا وكلٌّ براحتهِ حسامٌ فخفَّ بضربتهِ
فعاملُ ذاك أصابَ التَّريكَةَ فانقضَّ من كعبِ قبضتهِ
ولكن فنيلا فرى الجيدَ والرأسُ علِّقَ يهوي بجلدتهِ
فغادرهُ نورُ مقلتهِ وفوقَ الحضيضِ صريعاً هوى

(١) الخميرة حيوان خرافي مر ذكره ورسمهُ في النشيد السادس ص٤٥٠

(٢) اريبا محل الظلمات في الجحيم

وَمِرْيُونُ مُذْ أَقْبَلَ السَّهْلَ يَنْهَبُ أَ كاماسَ أَدْرَكَ إِذْهَمَّ يَرْكَبْ
فَأَلْقَى بِعاتِقِهِ طَعْنَةً فَجُنْدِلَ عَنْ طَرْفِهِ النُّورُ يُحْجَبْ .
وإِيذُومِنُ إِرْماسَ أَصابَ بِفِيهِ وفِيهِ السَّرِيَّةَ غَيَّبْ
فَشَقَّقَتِ العَظْمَ تَحْتَ الدِّماغِ وأَسْنانُهُ قُلْقِلَتْ في اللِّثِي

فَمِنْ مِنْخَرَيْهِ النَّجِيعُ تَفَجَّرْ ومِنْ فِيهِ والطَّرْفُ بالدَّمِ مُحْمَرّْ
ومِنْ فَوْقِهِ المَوْتُ أَلْقَى سَحاباً كَثِيفاً بِسُتْرَتِهِ قَدْ تَسَتَّرْ
وجَيْشُ الطَّرَاوِدِ وَلَّى شَتاتاً وقد فاتَهُ البَأْسُ والذَّبُّ والكَرّْ
وإِثْرَهُمُ انْقَضَّ جُنْدُ الأَخاءِ وكُلُّ زَعِيمٍ زَعِيماً فَرَى

كَسِرْبِ ذِئابٍ بِشُمِّ الجِبالِ قَدِ انْقَضَّ يَبْغِي قَطِيعَ السِّخالِ
وقَدْ فَرَّقَتْهُ الرُّعاةُ بِجَهْلٍ فَيَدْهَمُهُ بِفَسِيحِ المَجالِ
ويَبْطُشُ فِيهِ يُمَزِّقُهُ ولَيْسَ لَهُ مُهْجَةٌ لِلنِّضالِ
فَذا شَأْنُهُمْ وأَيَاسُ حَشاهُ لإِدْراكِ هَكْطُورَ فِيهِ التَظَى .

ولٰكِنَّ هَكْطُورَ وَهْوَ الهُمامْ وقد حَنَّكَتْهُ ضُرُوبُ الصِّدامْ
أَصاخَ بِسُتْرَةِ جُنَّتِهِ لِقَرْعِ القَنا وهَزِيزِ السِّهامْ
وقَدْ شَهِدَ النَّصْرَ رُجْحانَهُ لِقَوْمِ العُداةِ فَهامَ وَحامْ
تَثَبَّتَ يَفْكُرُ في صَحْبِهِ يَرُومُ لَهُمْ نَجْوَةً تُرْتَجَى .

فَمِنْ مَوقفِ المُلكِ بالمُنْفِ ثارْ ... هَدِيدُ الوغى وصَدِيدُ الفرارْ
كما انْدفعَ الغيمُ بالجوِّ في يو ... مِ صحْوٍ بهِ زَفْسُ نَوءاً أَطارْ
وفيلقُ إِليُونَ قد فرَّ حتّى انْـ ... ـحفَير بغيرِ هُدىً وقرارْ
بهِـكطُورهمْ جمحتْ جُرْدُهُ ... فأَلقتْهُ عنهمْ بعيدَ المدى

وبينَهمُ بات ذاكَ الحفيرْ ... لهمْ حاجزاً عن حثيثِ المسيرْ
فكمْ منْ عِجالٍ بهِ سُحِقتْ ... وقد غادرتْها الجيادُ تطيرْ
وفطرُقلُ ينْخي كتائبَهُ ... لِسَحْقِ جيوشِ العدى ويُغيرْ
فولَّوا بعرْضِ الفلا شُرَّدا ... وقد ولوَلوا والفؤادُ وهى

فعجَّ عجاجهمُ للسَّحابْ ... وفطرُقلُ يطلُبُ لُبَّ العُبابْ
فكمْ فارسٍ باتَ تحتَ العِجالِ ... وقد خرَّ يخفقُ فوقَ الترابْ
وكمْ فرسٍ غادرَ المركَباتِ ... تخُبُّ ووُجهةَ إِليُونَ آبْ
ولم تكُ جُرْدُ أَخيلَ لتعْبا ... بذاكَ الحفيرِ العميقِ الهُوى

تعدَّتهُ كالبرْقِ رامحةً ... منَ الجُرْفِ للجُرْفِ سابحةً
سَلاهِبُ خُلْدٍ بَنُو الخُلْدِ كانتْ ... لفيلا الفوارسِ مانحةً
ومُهجةُ فطرُقلَ ما لبثتْ ... لإِدراكِ هكطورَ طامحةً
ولكنَّ هكطورَ والخيلُ شطَّتْ ... بهِ جامحاتِ الصدورِ نأى

وخيلُهمُ وهيَ منطلقَهْ ... تُغيرُ وتصهلُ مندفقَهْ

كأنَّ الغيومَ بيوم خريفٍ بنوءٍ على الأرض منطبقه
فيهمرُ زفسُ السيولَ انتقاماً من الخلق إذ تنبذُ الشفقه
وتقضي القضاةُ بمجلسها ولا قسطَ في حكمها والقضا

وقد فاتها حمقاً أن تهابْ بني الخلدِ إن نهضت للعقابْ
فتطغى مجاري المياهِ وتطمو السيولُ وتنقضُّ فوق الهضابْ
تُغادرَ شمَّ الجبال زعاباً الى البحرِ يعلو لظهرِ زعابْ
تعيثُ وتفسدُ في الأرض حتى عنا الناسِ يُصبحُ طُرّاً هبا[1]

وفطرُقلُ بينَ الصدورِ صدرْ وساقَ الى الفلكِ تلكَ الزُمَرْ
على رغمهمْ دونَ عودتهمْ لإليونَ حالَ وأجرى العبرْ
وجندُهمُ بينَ مرسى الخلايا وسيموسَ والحصارِ حصرْ[2]
وصالَ وأوّلَ صولتـهِ على أفرنوسَ الهمامِ سطا

بدا صدرُهُ تحتَ جنّتـهِ وفطرُقلُ خفَّ بطعنتهِ
فجندلَهُ لا حراكَ بهِ وأهوى يَصلُّ بشكّتـهِ
وثنّى بشسطورَ إينفسَ لمّا تلملمَ من فوقِ سدّتهِ

(١) يرى بعض الشراح اشارة في الابيات السالفة الى الطوفان الذي كان يعتقدهُ القدماء وهو موافق لما نصت عليه التوراة وسببه هنا كسببه هناك تمادي الناس في الغي والشرور

(٢) الخلايا السفن والحصار السور . أي حال فطرقل بين الطروادين واليون وحصرهم بين مرسى السفن ونهر سيمويس

تَضَعْضَعَ خوفاً فأَرْخى العِنانَ   وفَطْرُقْلُ في إِثْرِهِ قد مَضى [١]

بصَفْحةِ وَجْنَتِهِ الرُّمْحَ أَلْقى   فَغاصَ وشَقَّ النَّواجِذَ شَقّاً

ومِن ثَمَّةَ اُجْتَرَّهُ بالسِّنانِ   عَنِ العَرْشِ بالرُّمْحِ يَلصَقُ لَصقا

كما اُصْطادَ بالشِّصِّ من فَوقِ صَخْرٍ   فتىً سَمَكَ البَحْرِ والشِّصُّ دَقّا

فأَلقاهُ والرُّمْحُ يَفْغِرُ فاهُ   على وَجْهِهِ ثُمَّ عنهُ اُغْتَدى

فإِرْيالَ أَلفى إِلَيْهِ اُبْتَدَرْ   فَبادَرَهُ قاذِفاً بِحَجَرْ

فَحَلَّ بِبَطْنِ تَرِيكَتِهِ   وهامَتَهُ شَقَّ ثُمَّ اُنْحَدَرْ

فَخَرَّ صَرِيعاً ومِن حَولِهِ اُا   حِمامُ مُبِيدُ الحَياةِ اُنْتَشَرْ

ومِن ثَمَّ أَتْبَعَهُ بِقُرُومٍ   على بَعْضِهِمْ بَعْضُهُمْ قد ثَوى

فَمِنْهُمْ إِرِيماسُ أَمْفُوطِرُوسْ   وإِيفَلْطُ إِيفِيسُ إِيخِيُوسْ

وإِطْلُوفْلِيمُ فِرِيسُ كَذاكَ   فُلِيمِيلُ أَرِغِيسٍ إِيبِفُوسْ

---

(١) أي فأذن لفطرقل ان ينفذ حكم القدر القاضي بموت سرفيذون قتيلاً بساحة القتال — كان سرفيذون أعظم محتداً وأشرف مولداً من جميع زعماء الفريقين لانه لم يكن من ابناء زفس بطل سواه في تلك الحرب ولهذا أطال الشاعر في حكاية مقتله كما سترى واطنب في ما مضى وما سيأتي من مدح صفاته اجلالاً لقدره • فهو حيثما ظهر الفتى الباسل والقائد الحكيم لايشوب محامدهُ منقصة فما هو بحقد اخيل ولا بتسرع ذيوميذ • وهو مع فصاحته بالكلام رجل بطش واقدام • ولقد غاظ مقتله زفس فوق مقتل كل بطل سواه حتى أراد ان يحول عنه حكم القضاء السابق النافذ بقتله فتصدت لزفس زوجته هيرا واثبتت له انه لابد من نفوذ القضاء المبرم والا لقامت قيامة الارباب وسعى كل منهم في الافراج عن ولده • وهنا بحث للشراح طويل في القضاء والقدر باعتقاد الاقدمين فقالوا ان كان نفوذ القضاء حتماً فليس لزفس وهو

فلمّا رأى صحبهُ سرفذونُ — بهم لعبت عاديات البؤوسْ
تحدّم يصرخ في قومه : — « فوا عاركم يا بني ليقيا

قفوا لا تفرّوا علام الوجلْ — فإنّي أطلب هذا البطلْ
لأعلم من ذا الذي عاث فينا — ومنّا العديد الوفير قتلْ »
ترجّل يعدو وفطرقل لمّا — رآه ترجّل ثمّ حملْ
كأنّهما عند ما اصطدما — عقابان من فوق صخرٍ تنا

يهبّان هبّة مظفّر — بعقف المخالب والمنسر (١)
يصرّان صرصرةً ويشبّا — ن من فوق ذيّالك الحجر
وزفس بعزلته راقبٌ — فهاج به الرّفق بالبشر
فقال لهيرا شقيقته — وزوجته : « آهِ حلّ القضا

أرى سرفذون أحبّ العباد — إليّ بعامل فطرقل بادْ
ينازع قلبي أمران إمّا — مواراته عن مجال الجلادْ
وإلقاؤه وهو حيٌّ مفدّى — إلى قومه في خصيب البلادْ
وإمّا السّماح بمقتله — فيبلغ فطرقل منه المنى »

فقالت : « وأيّ مقالٍ تقولْ — أيا ابن قرونس قيل القبولْ

الذي سطر لوحه المحفوظ ان يمحوه والا فلا معنى لوجوده • وليس المقام مقام اطالة في هذا الباب فقد تقدم لنا كلام بهذا المعنى • ولهوميروس كلام كثير يشير الى ان اعمال البشر انما هي الباعث على انصباب الويلات وتفاقم الشرور

(١) المظفر الآخذ بظفره

فَتىً من بَنِي ٱلموتِ حكمُ الرَّدى رَماهُ وأَنتَ تجوزُ الأُصولْ
فأَقْدِمْ امامكَ إِنْ رُمتَ لٰكِنْ بَنُو الخُلْدِ لا يُظْهِرُونَ القَبولْ
فَدُونَكَ منّي مَقالةَ حقٍّ فَأَلْقِ مَقالي بِسامي الحِجى

إِذا سِرْ فِدُونُ الى الأَهلِ حيًّا أَعدتَ فآلُ العلى تَتهَيَّا
وتطلُبُ إِنقاذَ أَبنائِها مِنَ الحَتفِ مِثْلَكَ شيئًا فَشيئًا
فإِنْ أَنتَ أَحيَيْتَهُ سمْتَهُمْ على مَضَضِ الكَيدِ غَيْظًا وغيًّا
فَخَلِّ حتُوفَكَ وأْذَنْ إِذًا فَقَطْرُقْلُ يُنْفِذُ حُكمًا مَضى

فإِنْ غادَرَتْهُ الحَياةُ وبادْ مُرِ المَوتَ فورًا وعَذْبَ الرُّقادْ
الى لِيقْيا يَحْمِلاهُ سَرِيعًا لاِخْوَتِهِ والصِّحابِ البِعادْ
فَيُدْفَنَ في اللَّحدِ حُرًّا كَرِيمًا ونُصْبُ الكِرامِ عَلَيهِ يُشادْ
فَذاكَ جزاءُ الأُولى جاهَدُوا وَماتُوا كِرامًا ونِعْمَ الجزا »

فأَذعَنَ زَفْسُ لها ثُمَّ أَمطَرَ على الأَرضِ طَلًّا مِنَ الدَّمِ أَحمَرَ (١).
قِيامًا بِإِجْلالِ فَرْعٍ حَبِيبٍ سيُرْدى غَرِيبًا وفَطْرُقْلُ يَفْخَرْ
فَكَرًّا وفَطْرُقْلُ ثَرْسِيلاً رَمى بالصِّفاقِ فَمِن فَورِهِ خَرّ

(١) لقد مرت على حرب طروادة وزمن هوميروس الوف السنين وعامة الناس لا تزال تعتقد ان المطر المحمر دليل على غضب الاهي مع ان رد ذلك الاحمرار الى اسباب طبيعية قديم جدًّا . وقد مر بنا مثل هذا المطر الدموي في النشيد الحادي عشر .

تَلا سَرْفِذُونَ بِسَوْقِ الجِيادِ ... وكانَ حَلِيفَ الصِّبا المُرْتَضى

وعامِلَهُ سَرْفِذُونُ قَذَفْ ... ولٰكِنْ بِكَتْفِ فداسَ وَقَفْ
فَخَرَّ لِوَجْهِ الثَّرى صاهِلاً ... وقد زَهِقَتْ رُوحُهُ وارْتَجَفْ
فَأَزْعَجَ مَصْرَعُهُ الفَرَسَيْنِ ... فَشَبَّا وَنِيرُهُما قد قَصَفْ
وَصَرْعُ عِنانَيهِما الْتَفَّ فاسْتَلَّ ... أَفْطِمِذٌ سيفَهُ وانْتَضى

وخَفَّ وَبَتَّ رِباطَ الجَوادْ ... فعادا لِرَوْعِهِما والطِّرادْ
وعادَ الكَمِيَّانِ للضَّرْبِ والطَّعْنِ ... في حَوْمَةِ الحَرْبِ فرمَى عِنادْ
رَمى سَرْفِذُونُ مُثَقَّفَهُ ... فَعَن كَتْفِ فَطْرُقْلَ يُمْراهُ حادْ
ولٰكِنَّ فَطْرُقْلَ عامِلَهُ ... أَطارَ وما إِنْ أَطارَ سُدى

فَفي سَرْفِذُونَ السِّنانُ انْتَشَبْ ... على عَضَلِ القَلْبِ حَيْثُ انْتَصَبْ
فأَهْوى يَصِرُّ أَمامَ العِجالِ ... بِأَسْنانِهِ والحَضيضُ اخْتَضَبْ
كَمَلُّولَةٍ أَوْ كَصَفْصافَةٍ ... وباسِقَةِ الأَرْزِ فوقَ الهِضَبْ
بِها نَفَذَ الحَدُّ في كَفِّ وَشَّاً ... رِفُلْكٍ مَتينَ الجُذُوعِ بَرى [1]

وخَرَّ كَثَوْرٍ بِصَدْرِ الصُّوارْ ... عَتا وعَلَيهِ الغَضَنْفَرُ ثارْ
ومِنْ تَحتِ صَكَّةِ أَنْيابِهِ ... يَخُورُ إِلى أَن تَرُجَّ القِفارْ
كَذا خَرَّ مَولَى بَني لِيقِيا ... ومِنْ كَفِّ فَطْرُقْلَ أَلْفى البَوارْ

---

(١) اي ان القتيل سقط سقوط احدى هذه الشجر وقد قطعها بناء السفن

ولكنَّهُ بتجلُّدِهِ علا صوتُهُ بجهيرِ النِّدا :

« ألا يا غلوكُس خيرَ أليفِ لذا الحينُ حينُ الصدام العنيفِ
لئن كُنتَ ذا مُهجةٍ وجنانٍ فلا تصبُ إلاَّ لقرْعِ السيوفِ
أثِرْ بقيولِ بني ليقيا لدى سرفذونَ أُوارَ الحتوفِ
وذودَنَّ عنّي وللحربِ ألْهِبْ قلوبَ السُّرى بسعيرِ الجُذى

وإلاَّ وبِهِمُ العدى صرعوني وجُندِلْتُ في وجهِ هذي السفين
سأُورِثُكَ الدهرَ خزياً وعاراً إذا ما العدى شِكّتي سلبوني »
ومن ثمَّ أخمدَ أنفاسَهُ وأغمضَ عينيهِ سترُ المنون (١)
وفطرُقلُ داسَ على صدرِهِ لينتزعَ العاملَ المُنتهى (٢)

(١) كثيراً ما يستعمل هوميروس امثال هذه الاستعارة للتعبير عن الموت كقوله اسبل الموت ستره وخيم ظلام الحمام ومن هذا القبيل قوله قبل ابيات ومن حوله انتشر الحمام مبيد الحياة وكلها استعارات لطيفة يألفها الذوق ولها في العربية امثال من ارقها قول بعضهم

ورنقت المنية فهي ظلٌّ
على الابطال دانية الجناح

قال في اساس البلاغة : فيه بيان جلي ان ترنيق المنية مستعار من ترنيق الطائر (أي رفرفته وخفقه بجناحيه) حيث جعل المنية كبعض الطير المرنقة بان وصفها بوصفه من التظليل ودنو الجناح


هيرا زوجة زفس

(٢) المنتهى الصقيل

فأُخرِجَ يَعلَقُ ذاكَ العضَلْ　　بحدِّ السِّنانِ ورُوحُ البطَلْ
وهمَّ المَرامِدُ في عَجَلٍ　　لِيستَوْقفُوا الجُرْدَ تحتَ العجَلْ
عتاقٌ وغادَرَها فارساها　　فَحَثْحَثها للفِرارِ الوَجَلْ
وأَمَّا غلوكُسُ فاَلتاعَ بثًّا　　لِذاكَ النِّدا وحَشاهُ انفأى[1]

لَقد بَسطَ الكَفَّ فوقَ الذِّراعِ　　وليسَ بِهِ قُوَّةٌ للدِّفاعِ
فما زالَ يُؤلمُهُ نَبلُ طِفقيْ　　رَ لَمَّا تَسلَّقَ فوقَ القِلاعِ
فأَلفتَ يدعُو أَفلُّونَ ربَّ الـ　　سِّهامِ: «أَلا ربِّ جُدْ باستماعِ
فَحيثُ تَكُنْ أَنتَ يَبلُغكَ صوتُ　　كَئيبٍ تلهَّفَ مِثلي أَنا

أَفي لِيقيا كُنتَ أَرضِ اليَسارْ　　أَم اخْترتَ إِليُونَ دارَ قَرارْ
فأَنتَ ترى أَلمِي وجِراحي　　وسَيلَ دَمٍ مِن ذِراعِيَ فارْ
تُثقِّلُ كَتفِيَ مِن هزِّ رُمحي　　اذا ما علا بالبِدارِ الغُبارْ
وذا سَرْفِذُونُ العَميدُ ابنُ زفسٍ　　وما صانهُ زفسُ أَلفى التَّوى[2]

فآلامِيَ الآنَ سكِّنْ وخفِّفْ　　وبأْساً أَنلْنِيَ والدَّمَ جفِّفْ
لِكي استَحِثَّ بَني لِيقيا　　وحولَ القَتيلِ الرِّماحَ نُكثِّفْ»
دعا فاستُجيبَ الدُّعا وسَيلُ　　الدِّماءِ على الفَورِ بالجُرحِ أُوقِفْ

(١) انفأى انفطر
(٢) التَّوى الهلاك

وآلامُهُ سَكَنَتْ وحَشاهُ بِبَأْسٍ شَدِيدٍ ذَكا واصْطَلى .

فَمالَتْ بهِ هِزَّةُ الطَّرَبِ لِما نالَ من بُلْغَةِ الأَرَبِ
بصيْدِ بَني لِيقيا طافَ يَستَنْهِضُ البُهْمَ للذَّودِ والطَّلَبِ
وبينَ الطَّراودِ جالَ فَمالَ لِفُولِيدَماسَ الهُمامِ الأَبي
وأَنياسَ آنفي فَحَثَّ وخَفَّ إلى آغنُورَ الفتى المُجْتَبي

وهكطُورَ وافى بقَلْبِ الحَديدْ يَؤُجُّ فصاحَ بصوتٍ شَديدْ :
« أَشأْنُكَ هكطُورُ عن حُلَفا لكَ تَغْضِي وصيدُ سُراهمْ تَبِيدْ
بحُبِّكَ قد هلَكوا وعِداهمْ عَنِ الأَهلِ والدَّارِ بونٌ بَعيدْ
فذا سَرْفِذُونُ المَليكُ الذي حَوى البأْسَ والعَدْلَ غضّاً ذَوِي

أَريسُ براحةِ فَطْرُقْلَ قد رَماهُ وحَرَّقَنا بالكَمَدْ
أَلا ما كَرَرْتُمْ وقلبُكُمُ انْتِياعاً بِجَرِّ الأَوارِ اتَّقَدْ
أَلا ما خَشِيتُمُ أَنَّ المَرامِدَ يَنتزِعونَ زَهِيَّ العُدَدْ
ويُولُونَهُ الذُّلَّ مِنّا انْتِقاماً لِبُهْمٍ أَبَدْنا بِغَرِّ الظُّبا »

فَهَدَّ الطَّراودَ ذاكي اللَّهَفْ على سَرْفذُونَ وفاضَ الأَسَفْ
فقد كانَ وهوَ دَخيلٌ بهِمْ لَهُمْ مَنْعَةً مِن عَوادي التَّلَفْ
مَشى إِثْرَهُ البُهْمُ جيشاً وليسَ لَهُ بِهِمِ شِبْهٌ أَو خَلَفْ

فَهاجُوا وهكطورُ في صدرهمْ تَحدَّمَ غيظاً يحثُّ الخُطى

ولكنَّ فطرُقْلَ بينَ الأَخاءْ عدا يستحثُّهمُ للقاءْ
وأقبلَ يدعو الأياسين لكنْ فؤادُ الأياسين يذكو اصطلاءْ:
«أَلا الآنَ دُونكما الذَّودَ مذْ كُنْتُما خيرَ كُلِّ قرومِ البلاءْ
فذا سرفذونُ الفتى مَن إلى الْـمَعاقِلِ قبلَ الجميعِ رقى

عسى أَنْ نفوزَ بجثّتهِ نجرِّدُها لِمَذلَّتهِ
ونفري بحدِّ الغِرارِ الأُولى يذبُّونَ من جندِ عصبتهِ»
فهبَّا ومن كُلِّ صوبٍ تكثَّفَ جيشٌ يجيشُ بهِمَّتهِ
وحولَ القتيلِ اصطدامٌ عنيفٌ وعجٌّ مخيفٌ وصلُّ الشبا [1]

بنو ليقيا ولفيفُ الطَّراودْ وجندُ الأَخاءِ وجيشُ المرامدْ
جميعهمُ اندفعوا دفعةً بصلصلةٍ ووحىً متصاعدْ
وزفسُ على فرعهِ حسرةً تحرَّقَ يبغي اشتدادَ الشَّدائدْ
فأَحدقَ فيهمْ وقد كيدَ كيداً وأَسبلَ سِترَ ظلامٍ دجا [2]

ففي البدءِ جيشُ القتيلِ اندفقْ وصدَّ الأَخاءِ الحدادَ الحدقْ

---

(١) الشبا حدود المناصل وهي جمع شباة

(٢) في الاصل « سترة ليل دجا » اشارة لطيفة الى الغبار المنتشر من تلاحم القوم حول القتيل

فَيَنَ المَرامدِ خرَّ إِفيْجِ ... يسُ بْنُ أَغكْليس فَخرُ الفِرقْ
لَقدْ كانَ قبلاً بيُوذِيـةٍ ... فغادرَها تحتَ جرْمٍ سبَقْ
مَضى فاتِكاً بابنِ عَمٍّ لهُ ... وعندَ ثنيسَ وفيـلا التجا

الى حربِ طرْوادةٍ سيَّراهْ ... لآخيلَ خرَّاقِ جيشِ الكُماهْ
لقد رامَ سلْبَ القتيلِ وهكْطُو ... رُ فوراً بجُلمُود صخْرٍ رَماهْ
وهامتَـــهُ بتريكتــــهِ ... لِشطْرينِ شقَّ فأَلْفى رَداهْ
ومِنْ فَوْرهِ خرَّ فوقَ القتيلِ ... وَحرَّقَ فطرُقْل فرْطُ الشَّدا(١)

حكى مُذْمَضى في الطَّلائعِ صقرا ... لَدَيهِ الزَّرازيرُ يفرنَ فرّا
وسِرْبُ المقاعقِ منْ وَجْههِ ... شَتاتاً تُساقُ بِهِ حيثُ كرّا
فَسعْدَيْكَ يا ابنَ مِشْيوسَ هزَّمْ ... تَ كلَّ فتًى هالماً مقشَعِرّا
بَني لِيقيا والطَّراوِدَ طرّاً ... قَهرْتَ انتقاماً لإِلفٍ كبا

وعُنْقَ ابنِ إِيثيمنٍ إِسْتنيلْ ... دَققتَ بصخرٍ قذَفْتَ ثقيلْ
فقرَّ الطَّراوِدُ في وَجْهِهِمْ ... كذلكَ هكطورُ ولَّى ذَليلْ
الى أنْ أُبينُوا على رَوْعِهِمْ ... على بُعْدِ مَرمى سنانٍ صقيلْ
على العُنفِ يرْمي بِهِ طاعنٌ ... بدارِ الوغى أو بعرْضِ اللُّهى(٢)

---

(١) الشدا الحر ويراد به هنا الغيظ

(٢) اللهى جمع لهوة والمراد بها هنا الالعاب والملاهي

وَلٰكِنْ غلوكُسُ ثَمَّ انْثَنى وعادَ فأَعْمَلَ شُهْبَ القَنا
وأَصمى بَتِكْلِيسَ خَلْكُونَ مَنْ بِهيلاذَةٍ ناعِماً سَكَنا
وما كانَ بَينَ الطَّراوِدِ مَنْ حَكاهُ بِهِمْ ثَرْوَةً وَغِنى
لَقَد كادَ يَرْمي غلوكُسَ لَمَّا وَراءَ العُداةِ حَثِيثاً سَعى

فَعادَ غُلُوكُسُ والرُّمْحَ زَجْ وفي الصَّدْرِ حَدُّ السِّنانِ وَلَجْ
على بَأْسِهِ خَرَّ فارْتَجَّتِ الأَرْ ضُ وانْتَهَبَتْ بِذَوِيهِ المُهَجْ
ولٰكِنَّ جَيشَ العِدى فَرِحاً تَكَثَّفَ مِن حَولِهِ وابْتَهَجْ
وأَمَّا الأَخاءُ فَلَمْ يَنْثَنُوا بَلِ انْدَفَعُوا كَزُعابٍ طَغا [1]

وَمِرْيُونُ بَينَ العِدى ظَفِرا بِقَرْمٍ بِلُوغُونُسٍ شُهِرا
هُوَ ابْنُ أُنِيطُورَ كاهِنِ زَفْسَ بِإِيذا وَمَنْ مِثْلَهُ وُقِرا
أُصيبَ على مَقْتَلِ الأُذْنِ فانْقَضَّ لا رَمَقٌ فيهِ فوقَ الثَّرى
فبادَرَ أَنْياسُ يَطْعَنُ مِرْيُونَ لٰكِنَّ ذاكَ السِّنانَ هفا [2]

لقد كانَ مِرْيُونُ مُسْتَتِرا بِجُنَّتِهِ عِنْدَما ابْتَدرا
فَمالَ عَنِ الرُّمْحِ والنَّصْلُ زَلَّ ومِن خَلْفِهِ لِلحَضيضِ سَرى
وظَلَّ هُنالِكَ مُرْتَعِشاً على ذٰلِكَ العَزْمِ إِذْ خَدِرا

(١) أي كالسيل المتدفق
(٢) هفا أي طاش

رَمَتْهُ ذِراعٌ لها البَأْسُ يَنْمي فأَنْفذَ لكِنْ بِبطْنِ النَّقا [1]

وأَنْياسُ صاحَ مَغيظاً : «أَجَلْ أَمِرْيُونُ فاتَكَ سَهْمُ الأَجَلْ
وإِلاَّ فَمَهْما تَفَوَّقْتَ رَقْصاً لَوِ النَّصلُ وافاكَ عَزْمُكَ فَلْ» [2]
فقالَ: «أَأَنْياسُ هَيهاتَ تُصْمي جَميعَ العُداةِ وأَنْتَ بَطَلْ
وأَنْتَ رَهِينُ الحِمام عَسى أُصيبُكَ مَهْما حَشاكَ عَسا» [3]

فإِمَّا رَمَتْكَ ظُبا أَسَلي وقد أَدْرَكَتْكَ أُنْتَهى أَمَلي
فَلا شَكَّ تَهْبِطُ في فَشَلِ لآذِيسَ رُوحُكَ والفَخْرُ لي»
ولٰكِنَّ فَطْرُقْلَ سِيءَ فقالَ يُؤَنِّبُ مِرْيُونَ بالعَجَلِ :
«علامَ أَخي ذا المَقالُ المُهِينُ وأَنتَ بَلَوْتُكَ سامي النُّهى

أَتَزْعَمُ أَنَّ حَدَيدَ الكَلامْ يَصُدُّ الطَّرَاودَ يَومَ الصِّدامْ
فما ذا بِدافِعِهِمْ عَن قَتيلٍ حَوالَيهِ تَصْطَكُّ لامٌ بِلامْ
ولَنْ يَرْجِعُوا عَنهُ حتَّى يُضافَ صَريعاً لِذاكَ الهُمام هُمامْ
فَلِلْحَرْبِ فِعلٌ ولِلسِّلْمِ قَوْلٌ وهٰذا أَوانُ الوَغى لا اللَّغا» [4]

---

(١) النقا الرمل
(٢) يقول له ذلك تهكماً عليه لان قوم مريون الاكريتيين كانوا مشهورين بالرقص
(٣) عسا غلظ واشتد
(٤) اللغا الكلام • وفي الاصل ماهذا اوان القول بل أوان الفعل وهي عبارة جرت مجرى الامثال في أكثر اللغات بقول اللاتين: Non verbis, sed facto opus est.

فَخَفَّ ومِرْيُونُ في الإِثْرِ خَفْ ... كَرَبٌ وللجيشِ جَيشٌ زَحَفْ
وفي السهلِ للبيضِ والسُّمْرِ قَرعٌ ... بفولاذِهِمْ وإِهابِ الحَجَفْ (١)
كأَنَّ بأَذْرُعِ حَطَّابَةٍ ... بغابٍ فؤوساً صداها قصَفْ (٢)
وحولَ القتيلِ اُستطارَ العَجاجُ ... ووَبْلُ الدِّما والنِّصالِ هَمى

من الرَّأْسِ غشَّاهُ حتَّى القَدَمْ ... فما كادَ يُبْصَرُ بينَ الرُّمَمْ
وفيلَقُ كُلِّ فريقٍ لديهِ ... بِهِدَّتِهِ للكفاحِ اُزْدَحَمْ
كأَنَّهُمُ بالرَّبيعِ ذُبابٌ ... يَطِنُّ طنيناً ببيتِ النَّعَمْ
وقد حامَ مِنْ حولِ أَلْبانِها ... إِذا ما الإِناءُ رآهُ اُمتَلا (٣)

وزَفْسُ بشامخِ تلكَ الذُّرى ... عَنِ الحربِ ما حوَّلَ النَّظَرا
ولٰكِنَّهُ لَمْ يَزَلْ راقباً ... بمقتَلِ فَطْرُقْلَ مُفْتَكِرا
يُجيلُ بأَمرَينِ هاجِسَهُ ... أَيَدْفَعُ هكْطورَ مُسْتَعِرا
فيقتُلُهُ فوقَ ذاكَ القتيلِ ... ويَسْلُبُ مِنهُ سِلاحاً زَها

ومن هذا القبيل قول العرب في امثالهم: هذا أوان شدكم فشدُّوا . وقولهم: هذا اوان الشد فاشتدي زِيم

(١) إِهاب الحجف جلد التروس

(٢) حطابة جمع حطاب

(٣) قد تقدم لنا مثل هذا المعنى وهو من التشابيه التي عيب عليها الشاعر على غير حجة ثبتة راجع ما قلناه بهذا الصدد (ن ٢ : ٢٨٥)

أَمِ الحربَ عُنْفاً شَديداً يَزِيدْ ... وفيها قُرُومَ الرِّجالِ يُبِيدْ
فعوَّلَ أَنْ يَستَحِثَّ الى الفَتْـ ... ـكِ بالبُهْمِ إِلْفَ أَخيلَ العَميدْ
فَيَدفَعُ هكْطُورَ والجَيشَ طرًّا ... لإِليُونَ مِن تَحتِ قَرْعِ الحَديدْ
لِذلِكَ أَوْهَنَ هَكْطُورَ قلباً ... فَهَبَّ لِمَرْكَبِهِ واعْتَلى

وَوَلَّى ونادى بِهِمْ بالفِرارْ ... وأَوْجَسَ مِن زَفْسَ عنهُ ازْوِرارْ
دَرى أَنَّ كِفَّةَ مِيزانِهِ ... أُمِيلَتْ ودَوْرُ الدَّوائِرِ دارْ
وعَزْمُ بَني لِيقيا خارَ حتَّى ... غَدَوا لا يَقِرُّ لَهُمْ من قَرارْ
ورَاعَهُمُ صَرْعُ مَلْكِهِمِ ... فَوَلَّوْا وقد جَلَّتِ الأَرْبى (١)

رَأَوْهُ طَعِينَ الحَشا جَنْدِلا ... ومِن فَوقِهِ جُثَثُ النُّبَلا
حَوالَيهِ خَرَّ الصَّناديدُ لَمَّا ... قَضى زَفْسُ أَن يَذلَهِمَّ البَلا
فَجَرَّدَهُ قَومُ فَطْرُقْلَ شِكَّـ ... ـتَهُ وإِلى فُلْكِهِم أُرْسِلا
فَصاحَ بِفِيبُوسَ زَفْسُ: «إِذاً ... أَلا يا وَلِيَّ الوِدادِ كَفى

إِلى سَرْفِذُونَ الأَميرِ الخَطِيرْ ... سِرِ الآنَ فَوراً وجُدَّ المَسيرْ
فإِنْ جِئْتَهُ فامْضِيَنَّ بِهِ ... الى عُزْلَةٍ قُرْبَ ماءٍ غَزيرْ
وَطَهِّرْهُ مِن دَنَسِ الدَّمِ حالاً ... وأَنْزِلْهُ في ماءِ ذاكَ الغَديرْ
وبِالعَنْبَرِ ادْهَنْهُ ثمَّ اكْسُهُ ... مَلابِسَ لا يَعْتَريها الفَنا

(١) اي عظمت الشدة

لِأَسْرَعِ قَادَةِ كُلِّ العِبَادْ ... إِلى التَّوأَمَينِ الرَّدى والرُّقَادْ[1]
بِهِ أَلْقِ يَحْتَمِلاهُ سَرِيعاً ... لِإِخْوَتِهِ والصِّحَابِ البِعَادْ
فَيُدْفَنَ في لِيقيا ضِمْنَ لَحْدٍ ... ونَصْبُ الكِرامِ عَلَيهِ يُشَادْ
فَذاكَ جَزاءُ الأُولى جاهَدُوا ... وماتُوا كِراماً ونِعمَ الجزا »[2]

(١) قال في النشيد الرابع عشر ان الموت والرقاد اخوان وزاد هنا انهما توأمان

(٢) في أقاصيص اليونان ان سرفيذون قاتل أخاه مينوس على ملك اكريت فغلبه مينوس عليها فبرحها وبعض اشياعه الى ليقيا وغلب زعماء بعض اطرافها عليها واستقل بها ملكاً وتوفي بها وكان قبره معروفاً في تلك الازمان . واذ كان من شأن هوميروس ان لايخرج بشعره في شيء عن روايات عصره التاريخية صاغ لدفنه في ليقيا بعد مقتله في طروادة ذلك القالب الجميل

وليس في الامر غرابة لان القدماء كانوا كابناء زماننا حريصين على دفن جثثهم في بلادهم ولعين باقامة الانصاب عليها . ولذلك امثلة شتى في اهرام مصر وتوراة الاسرائيليين وكتب العرب . فان ابراهيم الخليل ضم يوم وفاته الى مدفن امرأته سارة . وحفيده يعقوب استحلف ابنه يوسف ان لايدفنه في مصر فأرسله الى مدافن ابائه في بلاده . ولم يروَ للعرب ولعٌ وشغفٌ بمثل هذا كاليهود والمصريين بل كانوا اذا بعدت الشقة ابقوا الميت في مكانه كما استبقوا هاشماً جد صاحب الشريعة في غزة عند وفاته بها . ومع هذا فكان يُستحب عندهم جمع الاقارب في موضع . قال صاحب مشكاة المصابيح في الحديث : ويستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام « وادفنوا اليه من مات من أهلي » . وفي الحديث عن جابر انه قال : لما كان يوم أحد جاءت عمتي بابي لتدفنه في مقابرنا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا القتلى الى مضاجعهم » كل هذا يدل على انهم كانوا يستحبون جمع موتى العشيرة اذا لم يكن هناك مشقة وعناء . واما اقامة النصب على القبور فلم ترو عن عرب الجاهلية ومع هذا فقد رُوي استحسان جعل علامة على القبر يعرف بها وذلك (كما روى صاحب مشكاة المصابيح) : « لقوله عليه الصلاة والسلام اعلّم بالحجر قبر أخي »

فَلبّى أَفلُونُ طوْعاً يَسيرْ　ومن طُور إِيذَةَهَبَّ يَطِيرْ
أَتى سَرْفِذُونَ وسارَ بهِ　الى عُزْلَةٍ فوقَ سَيْلٍ غَزِيرْ
وطَهَّرَهُ مِن دَمٍ دَنِسٍ　ونَقّاهُ في ماءِ ذاكَ الغَدِيرْ
وطَيَّبَهُ عَنْبَرًا وكَساهُ　مَلابِسَ لا يَعْتَرِيها الفَنا

لِأَسْرَعِ قادَةِ كُلِّ العِبادْ　الى التَّوْأَمَينِ الرَّدى والرُّقادْ
بِهِ راحَ يُلْقي فَطارا بِهِ　لِإخْوَتِهِ والصِّحابِ البِعادْ
لِيُدْفَنَ في اللَّحْدِ حرًّا كَرِيماً　ونَصْبُ الكِرامِ عليهِ يُشادْ
فَذاكَ جَزاءُ الأُولى جاهَدُوا　وماتُوا كِراماً ونِعْمَ الجَزا

وفَطْرُقْلُ أَقطَمُذًا والخُيولْ　وراءَ العِدى حَثَّ فَوقَ السُّهُولْ
وبالنَّفسِ أَلقى لِتَهْلُكَةٍ　وضَلَّ ضَلالَ الغَبِيِّ الجَهُولْ
فَلَوْ لِأَخيلَ ارْعَوى ما انْبَرَتْ　عَلَيهِ عَوادِي الحِمامِ تَصُولْ
ولٰكِنَّ زَفْسَ إِذا ما نَوى　فَما لِلْوَرى رَدُّ ما قد نَوى (١)

(١) قال السموأل :
ولسنا بأول مـن فاته　على رفقه بعض ما يطلبُ
وقد يدرك الامر غير الأريب　وقد يصرع الحوّلُ القلّبُ
ولكـن لهـا آمر قادرٌ　اذا حاول الامر لا يُغلبُ
وما احسن ما تمثل به الخليفة عمر وهو على المنبر :
هـوّن عليـك فان الامور　بكـف الاله مقـاديرهـا
فليس بآتيـك منهيُّها　ولا قاصرٌ عنك مأمورها

فقد يَدفَعُ الفارِسَ البَطلا ... لِيُولِيَـهُ الذُّلَّ والفَشَـلا
لِذلكَ فَطرُقلَ حَثَّ وأَغرى ... لِيَبلُغَ في كَرِّهِ الأَجَـلا
أَلا قُلْ أَفطرُقلُ مَنْ آخِراً ... ومَنْ أَنتَ جَنْدَلْتَهُ أَوَّلا :
عَدا وبأَدْرَسْتَ ثم بأُوطُوْ ... نُوُوْسَ وإِيخِيكلُوسَ بَدا

كَذاكَ ابنَ ميغاسَ فِيرِيمَ ثُمَّ ... فِلَرْتُسَ ثُمَّ إِفستُوْرَ أَصمى
وإِيلاسَ مُوْلِيُساً مِيلَنِيفَـاً ... وسائِرُهُمُ لِلْهَزِيمةِ هَمَّا
وكادَ الأَخاءةُ إِلْيُونَ يَفتَـ ... تَحُونَ بِهِمَّةِ فَطرُقلَ رَغْما
ولٰـكِنْ رَقى الحِصْنَ فِيبُوسُ يَنْوي ... لَهُ الشَّرَّ والحُصْنَ منهُ وَقى

ثلاثاً لِرُكنِ الحِصارِ أَنْدَفَعْ ... وفِيبُوس عَنهُ ثلاثاً دَفَعْ
بِراحَتِـهِ صَـدَّ جُنَّتَـهُ ... فما أَرْتَدَّ عَنْ عَزْمِهِ وأَرْتَدَعْ
بَلِ أنقَضَّ رابعةً كَالإِلاهِ ... فَما خَالَ إِلاَّ الدَّوِيَّ أَرْتَفَعْ
وفِيبُوسُ صاحَ: «أَلا عُدْ أَيافَرِ ... عَ زَفْسَ فما لَكَ ذا المُنتَسا[1]

فَما دَكُّ إِلْيُونَ في الغَيبِ لَكْ ... ولا لِأَخِيلَ الذي فَضَلَكْ»
تَقَهقَرَ فَطرُقـلُ مُضطَرِباً ... لِخَشيَتِهِ سخْطَ ذاكَ المَلَكْ
وهَكطُورُ في بابِ إِسكِيَةٍ ... على جُرْدِهِ فاكِرٌ بالدَّرَكْ

وقال عبد الله بن يزيد الهلالي :

ما اقرب الاشياء حين يسوقها ... قدر وابعدها اذا لم تقدر

(١) اي تلك الشقة البعيدة

أَيدفَعُها لِلجهادِ أَمِ القَو　مَ يجمعُ لِلذَّودِ خلفَ الرُّبى

وإِذْ كانَ يفكرُ مُضطَرِبا　إِلَيهِ أَفلُونُ اقترَبا
دَنا وحكى خالَ هكطُورَ آسِـ　يسًا فرعَ دِيماسَ منتَسِبا
شقيقٌ لإيقابَ مِن ثغرِ سنغَا　رِسِ بِفريجا بِشَرخِ الصِّبا
وصاحَ: «علامَ اعتزلتَ الكفاحَ　أَهكطُورُ ليسَ بِشأنِكَ ذا

فلو زَفسُ لي بِقُواكَ حكَمْ　لأَوليتُكَ الآنَ مُرَّ النَّدَمْ
فعُدْ وجِيادَكَ حُثَّ عسى　تُخلِّدُ ذِكرَكَ بينَ الأُمَمْ
لعلَّ أَفلُونَ يُوليكَ نَصرًا　وفَطرُقلَ ترمي بِجَدٍّ أَصَمّ»
ومِن ثَمَّ عنهُ الإِلاهُ توارى　وكالبَرقِ بينَ الجُيوشِ سَرى

وهَدَّ قلُوبَ الأَخاءةِ هَدًّا　وطَرْوادةً بالوَلاءِ أَمَدَّا
وفي قبرِيونَ ابنُ فِريامَ صاحَ　يَرُدُّ الجِيادَ الى الحَربِ رَدَّا
فَساطَ وهكطُورُ مِن دُونِ كُلِّ الْـ　أَراغسِ يقصُدُ فطرُقلَ قَصْدا
ولكِنَّ فطرُقلَ ما ارتاعَ بَلْ　ترجَّلَ مُحتفِزًا لِلقا

بِيُسْراهُ عامِلُ رُمحٍ مَتينْ　كَذا حَجَرٌ خَشِنٌ باليَمِينْ
رَماهُ فأَخطأَهُ ومَضى　الى قبرِيُونَ أَخِيهِ الأَمِينْ
فأَدرَكَهُ وهوَ مُستَمسِكٌ　بِصَرعِ أَعِنَّتِهِ بالجَبِينْ
فَقَضَّ العِظامَ على الحاجِبَينِ　وعَيناهُ طيَّرتا لِلبَرى[1]

(١) البرى التراب

فَخَرَّ عَنِ الخَيلِ كالبَرْقِ يَسْرِي الى الأَرْضِ يَهْوِي كَسابِرِ قَعْرِ
وفَطْرُقْلُ صاحَ بِهِ ساخِرًا : « فَيا لِلَباقَتِهِ كَيْفَ يَجْرِي
فَلَو مِن سَفِينَتِهِ واثِباً الى اليَمِّ غاصَ لِلُجَّةِ بَحْرِ
لَصادَ حلزًا ولَوْ صدعَ النَّوءِ يَكْفِي الجَماهِيرَ شَرَّ الطَّوى (١)

لَئِنْ غاصَ بالبَرِّ مِن تي العِجالْ فَغاصَةُ طِرْوادِ نِعْمَ الرِّجالْ »
ومِن ثَمَّةَ انْقَضَّ فَوقَ القَتِيلِ كَلَيثٍ بِقَلبِ الحَظائِرِ صالْ
فَيُدْرِكُهُ السَّهمُ فِي صَدْرِهِ وَيُلْقِي بِهِ بَأْسُهُ لِلوَبالْ
فَوَيحَكَ فَطْرُقْلُ مِن صائِلٍ على قَبْرِيُونَ تَهِيجُ صلا (٢)

وَهَكْطُورُ عن خَيلِهِ نَزَلا وفي طَلَبِ الجُثَّةِ اقْتَتَلا
كَلَيثَينِ بَينَهُما ظَبْيَةٌ بِها فَتَكا فَوقَ طَودٍ عَلا
كِلا البَطَلَينِ يَهِيجُ احْتِداماً لِيُعْمِلَ فِي نِدِّهِ الأَسَلا

(١) الطوى الجوع ـ شبه سقوطه من سدة المركبة يهوي الى الارض بالصيّاد الواثب من السفينة الى قعر البحر ثم قال لو وثب تلك الوثبة لصاد من المحار ما يقري الجماهير ولم يعبأ بتلاطم الامواج واستطرد بقوله في البيت التالي ان كان هذا غوصه بالبر من ظهر المركبة فلا ريب ان في الطرواد غاصة مهرة • وفي هذا الكلام من التهكم على القتيل ما لا يخفى • ولهذا ذهب البعض الى ان هذا التشبيه دخيل في ثنايا الاصل خصوصاً ان ليس من شأن فطرقل ان يتهكم هذا التهكم وهو القائل قبل ابيات

علامَ اخي ذا الكلام المهين وأني بلوتك سامي النهى

(٢) الصلاء النار فكأنه قال تحرق

فَمَكْظُورُ بالرَّأسِ مُسْتَمْسِكٌ   وفطرُقلُ بالقَدَمَيْنِ كَذَا

وحَوْلَهُما اصْطَدَمَ الجحفلانِ   بنقعٍ علا تحت قرع الطّعانِ
كأنَّ الصَّبا عَرَضَتْ لِلْجنوبِ   بغابٍ تشامَخَ فوقَ القنانِ
تُزَعْزِعُ دَرْدارَها والقَرا   نياوَكذا الزّانَ بينَ الرّعانِ[(١)]
فَيَلْتَفُّ غُصْنٌ بِغُصْنٍ فَيَنْـ   قَضُّ بَيْنَ حَفِيفٍ وقَصْفٍ دَوِي

كذا اشْتَبَكُوا والوَغى الْتَحما   يُثيرُ بهبّتهِ الهمَما
طِعانٌ تَشُقُّ الدُّروعَ وَغَيْثُ   سِهامٍ بِعَرْضِ الفَلا الْتَطَما
وَصَخْرٌ يَقُضُّ التَّرائكَ حولَ الْـ   قَتيلِ الذي خَرَّ هامي الدِّما
سَهَا عَنْهُمُ تَحْتَ عِثْيَرِهِمْ   ولِلدَّهرِ عن جُرْدِهِ قد لَهَا

تَساوَتْ مَراميهِم ما اسْتَوَتْ   بَراحِ بِقَلْبِ السَّما وَعَلَتْ[(٢)]
ولَمَّا دَنا آنَ حَلِّ الثّيارِ   ومالتْ فَجُنْدُ الأخاءِ ارْتَمَتْ[(٣)]
وَرَغْمَ القَضاءِ بِجُثَّتِهِ   خَلَتْ وبها لِلبَراحِ جَرَتْ[(٤)]
وشَكَّتَهُ انْتَزَعَتْ وانْثَنَتْ   وفطرُقلُ كيدَ العُداةِ انْتَوى[(٥)]

(١) الرعان الجبال ج رَعْن وما قبل ذلك اسماء أشجار
(٢) براح علَم للشمس
(٣) اي لما مالت الشمس للمغيب . هكذا كانوا يعبرون عن ساعات النهار راجع ص ٦٤٦ من شرح النشيد الحادي عشر
(٤) للبراح اي للعراء
(٥) انتوى بمعنى نوى

ثلاثاً كآريسَ كرَّ يَصيحْ ... بصوتٍ دوى في الفضاءِ الفسيحْ
ثلاثاً ثلاثةَ صِيدٍ رَمى ... وأقبلَ رابعةً يستبيحْ
فوَيبكَ فطرُقلُ قد قُضِيَ الأَمْـ ... ـرُ فاليومَ قتلُكَ حتماً أُبيحْ
وفيبوسُ وافاكَ منحدرًا ... بظلِّ السحابِ بطيِّ الخفا

ومن خلفهِ جاءَ مستترا ... لذلكَ فطرُقلُ ما شعرا
وأَلقى على ظهرهِ يدَهُ ... فعيناهُ أُلهبتا شررا
ودحرجَ للأرضِ خوذتَهُ ... أمامَ خُطى الخيلِ فوقَ الثرى
فضلَّتْ ودُنِّستِ العذباتُ ... بنقعِ الحضيضِ وسيلِ الدِّما

تريكةُ آخيلَ تلكَ وما ... إلى الأرضِ قطُّ هوتْ قِدَما
ولم تكُ إلا لذاكَ الجبينِ الـ ... ـذي بالفخارِ سما عِظَما
وزفسُ قضى أن تُجلِّلَ هامَـ ... ـةَ هكطورَ لمَّا هنا أَقدَما
ولن تلبثنَّ له غيرَ حينٍ ... لأنَّ الحِمامَ إليهِ دَنا

وعاملُ فطرُقلَ في كفِّهِ ... تسحَّقَ ينذرُ في حتفِهِ
وجُنَّتُهُ بحمائلها ... أُميلتْ إلى الأرضِ عن كتفِهِ
وحلَّت عنِ الصدرِ لأمتُهُ ... بصرفِ أفلُّونَ لا صرفِهِ
فأُوقفَ يهلعُ رُعباً وخارتْ ... قِواهُ وغشَّى حِجاهُ العمى

وثَمَّةَ كانَ فتًى دَرْدَني ... تَفَوَّقَ في فِتْيَةِ الزَّمَنِ
بأُوفُرْبَ فَنْثُوسَ يُعرَفُ وَهوَ ... أَخُو البأسِ والعَدْوِ والحُصُنِ (١)
لقد كانَ وَهوَ يَكرُّ فتًى ... تُحَنِّكُه ساحةُ المِحَنِ
رَمى عن صُدُورِ العجالِ مِنَ الصيْدِ عِشرِينَ قِرْماً لِظَهْرِ الحَثَى (٢)

فَذَلِكَ ذَلِكَ فطرُقْلُ قَدْ ... أَتاكَ وظَهرَكَ بالرُّمحِ قَدْ
وذَلِكَ أَوَّلُ قِرْمٍ رَماكَ ... ولكِنَّهُ خابَ فيما قَصَدْ
فَعامِلَهُ اجْتَرَّ ثُمَّ جَرى ... يَفِرُّ الى قَومِهِ وارْتَعَدْ
لَقد سَمَّتَهُ الرُّعْبَ حتى اتَّقى ... وإن كُنْتَ أعزَلَ لا تُتَّقى

ولكِنَّ فَطرُقْلَ هَدَّ قُواهْ ... سِنانُ القَناةِ وَرَوْعُ الإِلاهْ
لِذاكَ تَنَصَّلَ خَوفَ المَنُونِ ... الى صَحبِهِ لائذاً بِسُراهْ
وَهكْطُورُ لَمَّا رَآهُ جَريحاً ... تَقَفَّاهُ بَيْنَهُمُ ورَماهْ
فَشَقَّ الصِّفاقُ لأَحْشائِهِ ... فَخَرَّ وقَلْبُ ذَوِيهِ ذَكا

كأَنَّ على الشُّمِّ خِرنَوصَ بَرْ ... دَهاهُ على الوِرْدِ ليثُ فَكَرْ
وفي طَلَبِ الوَشَلِ اقْتَتَلا ... فما انْكَفأَ اللَّيْثُ حتَّى انْتَصَرْ (٣)
كذَلِكَ هَكْطُورُ فَطرُقْلَ أَصمى ... وهَدَّ بِهِ صائحاً وافْتَخَرْ:

(١) جمع حصان
(٢) الحثى التراب
(٣) الوشل الماء

« زَعمتَ أَفطرْقلُ أَنَّ لكَ الجَوَّ مِنْ فوْقِ إِلْيونَنا قد خَلا

أَخِلْتَ بِدَكِّ مَعاقلنا تفوزُ وَسَبْيِ عقائلنا
لِقَومكَ بالفُلْكِ تَحمِلُهُنَّ أَفاتَكَ طَعنُ ذوابلنا
تَعِسْتَ أَلم تَدرِ أَنَّ بِهَكْطو رَ تَنْسابُ جُرْدُ صَواهلنا
لِيَرْفعَ عنهُنَّ ذِلَّةَ رِقٍّ بِرُمحٍ بِقَلْبِ العُداةِ مَضى

هَلَكتَ فَرُخْ مطعماً لِلصقور فهلاَّ كَفاكَ أَخيلُ الثُّبُورْ
كأَنِّي بهِ قالَ حينَ الوداعِ بِتلكَ الخِيامِ مَقالَ الغَرُورْ:
« إِلى الفُلْكِ فطرُقلُ لا عَوْدَ ما لَمْ تَمَزِّ العُداةَ بأَدهى الشُّرُورْ
«تُمَزِّقُ عَن صَدْرِ هَكطورَ دِرْعاً كَسَتْها الدِماءُ خَضيبَ الكِسا»

أَجَلْ قَولُهُ ذاكَ مُذْ أَرسَلَكْ وأَنتَ اغْتَرَرْتَ بما قالَ لَكْ »
أَجابَ عَلى زَفَراتِ المَنُونِ : « عَلى العُجْبِ فَوزُكَ قد حَمَّلَكْ
بِصَولَةِ زَفْسَ وفِيبُوسَ فَطرُقْلُ لا بَأْسَ هَكطورَ حَتْماً هَلَكْ
هُما عَرَّيانِيَ من عُدَّتي وإِلاَّ أَرَيْتُكَ قَطْعَ الطُّلى [1]

بِعشرينَ هَكْطُورَ مِثْلَكَ لا أُبالي إِذا ما الغُبارُ عَلا
أُصلِّيهِمُ وسِنانُ قَناتي شَحيذٌ لَهُمْ يَحمِلُ الاجَلا
فإِنَّ الرَّدى وابنَ لاطُونَةٍ وأَوْفَرْبَ هُمْ عِلَّتي والبَلا [2]

---

(١) الطلى الرقاب
(٢) ابن لاطونة اي فيبوس

وماكُنْتَ أَنْتَ بِطَعْنِكَ لي ... سوى ثالثٍ قد تلا وَوَنَى [1]

وَمنّيَ خُذْ نبأً صدقا ... فَفطرُقْلُ بالحقّ قد نطقا
فما أَنْتَ بَعدِيَ حيٌّ طويلاً ... فإنَّ الرَّدى بكَ قد أَحْدَقا
وقد حانَ حينُكَ فاشْقَ بِهِ ... قريباً بكفِّ أَخيلِ اللّقا » [2]
ومِن ثَمَّ أَسبَلَ ظِلُّ الظَّلامِ ... عَلَيهِ ستارَ الرَّدى فطفا [3]

هوَتْ رُوحُهُ صَبّاً تَستَطِيرْ ... لِربِّ الجحيمِ بوادي الزَّفيرْ
هُنالكَ تَنْدُبُ حكمَ القضاءِ ... وتلكَ القوى والشّبابَ النّضيرْ
وهكْطورُ ما زالَ يُزْري بِهِ : ... « عَلامَ بحتفِيَ كُنْتَ النّذيرْ
فمَنْ قالَ عُمْرُ ابْنِ ثِيتِيسَ لا ... بِحدِّ قَناتيَ قَبْلي انْقضى »

وعامِلَهُ اجْتَرَّ مِن صَدْرِهِ ... وأَلقاهُ فيهِ على ظَهْرِهِ
وفي نَفْسِهِ قَتْلُ أَفْطِمْذٍ ... فأَقبَلَ يَنقَضُّ في إِثْرِهِ
ولٰكِنَّ إلفَ أَخيلَ بِخَيلِ ... أَخيلَ تَوارى على قَهْرِهِ
وليستْ لِتُدْرَكَ بينَ المَلا ... عِتاقٌ بِها زَفَسُ فِيلاحَبا

(١) ونى فتر وضعف
(٢) كانوا يعتقدون انه اذا احتُضر المرء خفّت نفسه وادرك المغيبات فتنبأ ولهذا انبأ فطرقل ساعة موته بموت هكطور قتيلاً بذراع اخيل
(٣) طفا مات

النشيد السابع عشر

المعركة السابعة حول جثة فطرقل

مُجمَلهُ

تحرق منيلاوس لقتل فطرقل فتقدم يدافع عن جثته وكان اوفرب يجردها من السلاح فقتله منيلاوس . واذا بهكطور مقبلٌ بايماز افلون فتقهقر منيلاوس واستعان بآياس. فأقبل آياس وهكطور يوشك ان يقطع رأس فطرقل فصده آياس فأقبل غلوكوس يؤنب هكطور لتخليه عن سرفيذون والتوائه امام آياس . فشك هكطور بسلاح اخيل ونادى صحبه فانقضوا مع الاغريق وفزع لمنيلاوس الابطال من قومه والتحم القتال حول القتيل وكلهم طامعٌ في الاستيلاء على شلوه . فالتوت الطرواد امام اياس ولم يكن النبأ قد طار بعد الى اخيل بمقتل حبيبه . ولما توارت جياد اخيل عن ميدان الحرب ذرفت الدموع حزناً على فطرقل فرق لها زفس واهبط عليها قوة جديدة فانثنى افطوميذ بها الى ساحة القتال ثم القى بالاعنَّة الى رفيقه القيميذ وأخذ يقاتل راجلاً فاندفع هكطوروانياس ونفرٌ من ابطال الطرواد في طلب تلك الجياد واشتد الكر والفر وجرت جياد اخيل مسرعة فتوارت بالمركبة عن الطرواد . وأخذت اثينا بيد منيلاوس وافلون بيد هكطور وارعد زفس فارعب الاغريق فاستظهر عليهم الاعداء . وارسل منيلاوس ينمي الى اخيل موت فطرقل ونكبة الاغريق . وظل الاياسان يدفعان العدو عن جثة القتيل فسار بها منيلاوس ومريون الى المعسكر وانهزمت الاغريق الى ما وراء خندقهم

وغادرت في الخاف والحفيرِ ما انهال من سلاحها الكثيرِ

وقائع هذا النشيد في مساء اليوم الثامن والعشرين

النشيد السابع عشر

لَم يَخفَ إلفَ آرسٍ منيلا   هَلاكُ فَطرُقلَ الفتى قتيلا (١)

فخفَّ في صدرِ السُرَى إليهِ   بعُدَّةٍ تألَّقتْ عليهِ

ودارَ حولَهُ العِدى يُباري   كأنَّهُ ثنيَّةُ الصُوارِ (٢)

قد نُتِجَتْ بكرًا عليهِ حنَّتْ   وانعطفتْ مِن حولهِ وأنَّتْ

قناتَهُ وجَوبَهُ الثقيلا   مدَّ يرومُ للعدى تنكيلا

لكنَّ أُوفُرْبَ الفتى مازالَ في   فطرُقلَ فاكرًا بذاكَ الموقفِ

لِذا على مقرُبةٍ منهُ وقفْ   يُخاطبُ الشهمَ منيلا بصلفْ:

«يا إلفَ زفسَ سيِّدَ القبيلِ   تخلَّ لي عنْ شلوِ ذا القتيلِ

إذ كنتُ في الطروادِ والأحلافِ   أوَّلَ طاعنٍ لهُ حذَّافِ

فخلِّني أحرزْ جميلَ الشرفِ   أولا فأيقِنْ بوبيلِ التلفِ»

فنفسُ أتريذَ ذكتْ توقُّدا   وصاحَ: «يازفسُ الأبَ المسوَّدا

ما أقبحَ الغرورَ بالنفوسِ   فما حكى كِبْرَ بني فنثوسِ

---

(١) كل هذا النشيد مصاولة وكفاح لاتخلله نكات وغرائب كسائر انشاد الالياذة فهو وحيد في بابه بهذا المعنى • ولقد افتتحه الشاعر بالتغني باعمال منيلاوس لانه لم يكن يجدر بهذا الفارس وهو المستنفر الى حرب طروادة الا ان يستلفت الانظار ببأسه واقدامه وسمو صفاته حيناً بعد حين • وقد لقبه الشاعر بالفارس الاه الحرب اشارةً الى انه لم يكن بالفتى الهيَّاب كما زعم بعض اعدائه

(٢) الثنية البقرة الفتية

لا خُيَلاءُ النِّمْرِ واللَّيْثِ وَلا | زُتُّ الفَلا المِغْوارِ يَزْءَاءِ الْمَلا
لـٰكِنَّ هذا الكِبْرَ والغُرُورا | ما وَقَيا الفَتى هفيرِينُوْرا (١)
لَمْ تَهْنِهِ غَضَاضَةُ الشَّبابِ | لَمَّا تَصَدَّى لِيَ بالسِّبابِ
وقالَ إِنِّي ساعَةَ الإِبْلاءِ | أَجْبَنُ مَن في زُمْرَةِ الأَخاءِ
غَدا ولا عِرْساً وأُمّاً وأَبا | يَبْتَهِجُونَ بِلِقاهُ طَرَبا
فَدِنْ إِذاً وَوَلِّ مِنْ أَمامي | فَلَيسَ يُغْني العُجْبُ مِنْ إِقْدامي
ولُذْ إِلى قَومِكَ مِنْ قَبلِ اللِّقا | أَولا فَوَقْعُ الخَطْبِ يَشْفي الحُمُقا»
فَلَمْ يَزِدْ أُوفُرْبُ إِلاَّ حَنَقا | وصاحَ: «يا أَتْرِيذُ أَدركْتَ الشَّقا
غَرَّكَ أَنْ باتَ أَخي صَرِيعا | لَتُؤْخَذَنْ بِدَمِهِ سَرِيعا
فَعِرْسُهُ الهَدِيُّ في أَقصى الغُرَفْ | أَرْمَلَةً باتت وما كادت تُزَفْ (٢)
وقد أَذَقْتَ أَبَوَيهِ غُصَصا | ظَلَّ بِها عَيْشُهُما مُنَغَّصا
لـٰكِنْ سأَزوي غُلَّةَ الحِدادِ | حِينَ بُعَيْدَ العَودِ للبِلادِ
لَدى فُرُنْتِيسَ وفَنْتُوسَ يُرَى | رأْسُكَ والسِّلاحُ في تلكَ الذُّرى (٣)
والآنَ فَصلُ القَولِ فالبِدارُ | يَعْقُبُهُ الفَوزُ أَو الفِرارُ »
وأَطلَقَ الرُّمْحَ فَفي الجَوبِ وَقَعْ | لـٰكِنْ عَنِ النُّحاسِ في الحالِ ارْتَدَعْ

(١) هيفيرينور ابن فنتوس وشقيق اوفرب قتله منيلاوس (ن ١٤)

(٢) العرس الهدي العروس حين زفافها تهدى الى زوجها . وقوله « في اقصى الغرف » اشارة الى اقامتها في الحرم . راجع ما قيل بهذا الباب في حواشي النشيد السابق ص : ٨٢٤

(٣) فرنتيس ام هفيرينور

فَرَفَسَ أَتْرِيذُ دعا وَشَهرا ... نَصلاً وأُوفُرْبُ يَسيرُ القَهقَرى .
وزَجَّ زَجَّ واثقٍ عَمِيدِ ... فَقَطَعَ النَّصْلُ حِبالَ الجِيدِ
فَصَلَّ لَمَّا خَرَّ والنَّقْعُ جَرى ... يَكْسُو بَديعَ الشَّعْرِ ثَوباً أَحْمَرا
غَدائِرٌ كَشَعْرِ حُورِ العِينِ ... ضُفِرنَ بالعِينِ وبالُّلجَينِ (١)
كأنَّهُ فَرْخٌ مِنَ الزَّيْتُونِ ... غَضٌّ على مُجْتَمَعِ العُيُونِ
يُنعِشُهُ النَّسِيمُ والزُّهُورُ ... بَيضاءُ في فُرُوعِهِ تَمُورُ
لٰكِنَّما الاعْصارُ فوراً هَبَّتْ ... فاسْتَأْصَلَتْهُ مِنْ زَوايا العُزْلَةِ (٢)
فَخَرَّ أُوفُرْبَ يُحاكي مُذْ وَثَبْ ... عَلَيهِ أَتْرِيذُ لإِحْرازِ السَّلَبْ

---

(١) العين الذهب واللجين الفضة • ذكرنا في ما تقدم .ان فتيان بعض قبائلهم كانوا يرسلون شعورهم او يضفرونها كبدو العرب (ن:٢ص٢٩٢) ولكننا لم نر قبل هذا ان غدائر الفتيان كانت تضفر بالفضة والذهب يتخذونها حلية كحلي النساء • على ان في جاهلية الامم كثيراً من امثلة تحلي الرجال بالشنوف والخلاخل وسائر انواع الحلى ولا اخال الرجل في اول امره الا متخذاً الحلى لنفسه قبل المرأة اذ كان يستأثر بقوته بكل ما يروقه ثم اخذ يتجاوز عنها الى المرأة من باب الاثرة ايضاً اذ جعل يأنس بالنظر اليها وهي رفيقته فوق ما كان يأنس بالتلبس بها بنفسه • وكان كلما تقدم في الحضارة ينبذ منها جانباً الى ان استبقى منها السهل الذي لا يزعجه حمله كالخواتم والسلاسل وابقى لها ما يوجب الحرص والاذى وثقب الاذان

(٢) كثيراً مايشبه الشاعر البطل الخار صريعاً في ساحة القتال بالشجر الشامخ الفروع المتين الجذور كالارز والملول • واما تشبيه اوفرب بفرخ الزيتون الغض فانما كان لجماله وغدائره المسترسلة وهي مضفورة بالفضة والنضار • قالوا انه كان لفيثاغورس شغف خاص بهذه الابيات يتغنى بها على نغم القيثار حتى تمادى به هذا الشغف فادعى انه اوفرب بالذات تقمصت اليه نفسه بعد موته

وَلم يَكنْ في قوم أوقْرْبَ أحَدْ يَلقى مَنيلا وَهوَ يَخْلو بالعُدَدْ
كَأَنَّهُ ضَيغَمُ غابٍ وثقا بِبأسِهِ وفي الصُّوار أندفقا [(١)]
فَفرَسَ الغُرَّةَ منها وسَحَقْ عُنُقَها ما بَينَ نابَيْهِ ودَقّ [(٢)]
ومزّقَ الأحشاءَ وامتصَّ الدِّما والناسُ والكلابُ عَجَّتْ في الحِما
لا تَستَطيعُ الذودَ عنها فالجزَعْ من رُؤيَةِ اللَّيثِ قُلوبَها خلَعْ
وكَدَ أَترِيذُ يَفوزُ بالمُنى لَكنْ ذَكتْ غيرَةُ فيبُوسَ هُنا [(٣)]
كَقَيِّمِ الكيكُونِ مِنتِيسَ نَهَضْ وصاحَ: «يا هَكطُورُ اخطأتَ الغَرَضْ [(٤)]
جَرَيتَ تَبغي خَيلَ آخيلَ ولا يَبلُغُ منهنَّ سواهُ الأَملا
أَلا تَرى أترِيذَ عن فَطرُقلَ ذَبْ وأَبسلَ الطَّروادِ أُوفُرْبَ ضَرَبْ»
ثمَّ مضى عنهُ وفي الجَيشِ ذَهَبْ وقلبُ هكطُورَ مِنَ البثِّ التَهَبْ
سَرَّحَ ما بَينَ الجُموعِ النَّظَرا وثمَّةَ القِرْمَينِ حالاً أبصَرا
ذاكَ صَريعٌ دَمُهُ يَنفَجِرُ وذا إلى تَجريدِهِ مُبتَدِرُ [(٥)]
فثارَ يحكي نارَ هيفستَ التي ما إنْ خَبَتْ قَطُّ إذا ما هبَّتِ
وانقَضَّ في صَدرِ السُّرى مُدَجَّجا بِهَدَّةٍ لَها مَنيلا اختَلَجا

---

(١) الصوار قطيع البقر
(٢) غرة الشيء خياره
(٣) يراد بأتريذ هنا منيلاوس
(٤) اي انه تشبه بمينيس زعيم الكيكونيين
(٥) اي منيلاوس واوفرب

فهاجَ بَثًّا نفسهُ يُناجي : « ما حيلتي في القَدرِ المُفاجي
أَأَبرحُ الآنَ وذا فطرُقلُ مَنْ في الذَّودِ عن عِرضيَ وافتهُ المحَنْ
فمَنْ مِنَ الإغريقِ لو رآني أَحجمتُ عنهُ الآنَ ما لحاني
وإِنْ دعتني عِزَّةُ النفسِ الى كِفاحِ هكطورَ الذي قد حَمَلا
فَخلفَ هكطورَ بنو الطروادِ طرًّا على أَنِّيَ بانفرادِ ...
لا كانَ ذا الهاجسُ مَن لاقى الأُولى صانتهمُ آلُ العلى لاقى البَلا
بحُكمِ آلِ الخُلدِ هكطورُ هجمْ فمَنْ يلومُني إِذا أَلوي القدَمْ
آهِ ولو لي صوتُ آياسَ نمي لا قتحمتْ دُهمَ الرَّزايا همَمي
أَنا وآياسُ نخوضُ الشِّددا حتَّى ولو ربٌّ للقيانا بدا
بشلوِ فطرُقلَ الى أَخيلا نمضي فيمسي خطبُنا محمولا »[1]
وبينما هاجسُهُ يثورُ وافى العدى في صدرِهمْ هكطورُ
فغادرَ الجُثَّةَ ثُمَّ انصاعا ملتفتاً إِليهمِ ملتاعا
كالليثِ للمرْبِطِ يوماً لاحا فقابلَ النُباحَ والرِّماحا

---

(١) أُعجب كثيرون من الشراح بكلام منيلاوس في هذا الموقف وهو يناجي نفسه . ولا بدع فان فيه من براعة تصرف الشاعر مالا يكاد يتصوره شاعر آخر . اقبل هكطور تتبعه سرايا قومه فاوجس منيلاوس خيفة في نفسه فتردد في الاستواء امام ذلك الجيش العرمرم ولم يأخذه الرعب حتى مر على ذهنه ان لهكطور وجنده عضداً الاهيًّا لا تصده قوى البشر ومع هذا كلّه فقد تمنى ان يكون اياس الى جانبه فلا يبالي اذ ذاك بذلك الجيش الجرار ولو تقدمهم بطله المغوار وفيبوس الرب القهار . وفي هذا التدرج ما فيه من الفخر لمنيلاوس واياس كليهما

وارْتَدَّ مُنْتَمِاً على الأَعْقابِ كما انْثَنى أَتْرِيذُ بِاكْتِئابِ[1]
حتّى إذا في قومِهِ حلَّ وقفْ مُسْتَشْرِفاً يَطْلُبُ آياسَ وخَفْ
لمَّا رآهُ قامَ أَقصى المَيْسَرَهْ مُسْتَنْفِراً الى الصِّدام عَسْكَرَهْ
وهَدَّهمْ فِيبُوسُ طرّاً رُعْبا صاحَ : « أَلافَوراً أَياسُ هُبّا
نَذُودُ عن فَطْرُقْلَ حولَ جُثَّتِهْ فإِنَّ هَكْطُورَ خلا بِشِكَّتِهْ
لعلّنا وإن عرَتْ عَنِ العُدَدْ لِإِلْفِهِ آخِيلَ نَمضي بالجَسَدْ»
فَهاجَ آياسُ أَسىً ثُمَّ انْطَلَقْ يجري وأَتْرِيذُ الى صَدرِ الفِرَقْ
فَأَلْفَيا هَكْطُورَ ثَمَّ جرَّدا شِكَّةَ فَطْرُقْلَ وجرَّ الجَسَدا
لِيَأْخُذَ الهامَةَ باقْتِضابِ ويَدْفَعَ الجُثَّةَ للكِلابِ
بَجَوبِهِ كالبُرْجِ آياسُ جرى فَعادَ هَكْطُورُ الى قلبِ السُّرى
ثُمَّ اعْتَلى وصاحَ: « أَلْقُوا لِيَ في إِلْيُونَ ذا السِّلاحِ يَسْمُو شَرَفي»[2]
لٰكِنْ أَياسُ بَسطَ الجَوْبَ على جُثَّةِ فَطْرُقْلَ وما تَقَلْقَلا
كَلَبْوَةٍ في الغابِ بالأَشْبالِ حلَّتْ فَبالكُماةِ لا تُبالي
تُقَطِّبُ الجَفْنَ على مُقْلَتِها صائِلَةً تَحْمي حِمى فِتْيَتِها[3]

---

(١) يقال رب انكسار خير من انتصار . وهكذا فان ارتداد منيلاوس كالليث الملتوي امام الرماح والنباح لا يغض من شأنه شيئاً

(٢) اي سلاح اخيل . ارسل هكطور ذلك السلاح الى اليون قبل ان يتقلده ليراه قومه ويكون نبأً لهم عظيماً

(٣) قال عنترة :

ولي بأس مقتول الذراعين خادرٍ يدافع عن اشباله ويحامي

وقامَ أَتْرِيذُ لَدى أَياسا   يَذكُو حَشاهُ كَآبَةً وَباسا
فَجاءَ هكْطُورَ غلوْكُسُ الفَتى   قَبْلُ بَني لِقْيةٍ مُبَكِّتا
صاحَ بِهِ يرْمقُهُ ازْوِرارا :   «ما كُنْتَ الاَّ هالِعاً فَرَّارا
يُعْزى لكَ البأسُ جُزافاً إِنَّما   حالُكَ شفَّتْ عن فُؤَادٍ أَحْجَما
أَلكَ في جَماعَةِ الطُّرَّادِ   مِن دُونِنا حِمايَةُ البِلادِ
فَقَومُنا في وَجْهِ أَبْطالِ العِدى   لَنْ يَقِفُوا حَولَ الحُصُونِ أَبدا
اذ قدأَطالوا الحَربَ والإِبْلاءَ   ولَم يُوافُوا فِيكُمُ وَفاءَ
وَيحكَ أَنَّى بِكَ عُرْضُ الجُنْدِ   خَيراً تُرَجِّي بَعدَ هذا الصَّدِّ[1]
وضَيفَكَ الحَبيبَ سَرْفِذُونا   غادَرْتَ غُنْماً لِلأَخائِيِّينا
وَقاكُمُ من أَزْمَةِ الدَّراهِسِ   وما وَقيتَهُ مِنَ النَّواهِسِ[2]
فَرأْيِيَ الآنَ على أَصْحابِي   بأَنْ يُعِدُّوا أُهْبَةَ المآبِ
عَنْكُمْ الى الأَوطانِ يَنْثَنُونا   فَيَنْزِلُ الوَيلُ على إِلْيُونا
فَلَو لَكُمْ بَسالَةُ الشُّجْعانِ   في ذَوْدِهِمْ عن ساحَةِ الأَوطانِ
لِجُمْلَةٍ صِلْنا ونَحْوَ البَلَدِ   سِرْنا بِفَطْرُقْلَ بِلا تَرَدُّدِ[3]
بِسَرْفِذُونَ والسِّلاحِ الأَزْهَرِ   يَؤُمُّنا العِدى بِلا تَأَخُّرِ

(١) عرض الجند اي عامتهم
(٢) الدراهس الشدائد والنواهس الكلاب . يقول غلوكوس هذا القول لانه لم يكن يعلم ما كان من امر سرفيذون وذهاب افلون به ليدفنه بامرزفس في وطنه
(٣) اي نحو اليون

إِذْ إِنَّ فَطْرُقْلَ أَعَزَّ النَّاسِ — لَدى أَخيلَ القَرْمِ رَبِّ البَاسِ
لٰكِنْ لِآيَاسَ الذي تَرَاهُ — وَهَنْتَ عَزْماً قَبلَ أَن تَلْقاهُ
هَيهاتَ هَيهاتَ فَلَنْ تَنفَرِدا — لَهُ وتَدْري أَنَّهُ أَسْمَى يَدا »
فَقالَ مُنْعِماً حَدِيدَ النَّظَرِ : — «كَفاكَ ياغلوكُسُ أَنْ تَفْتَري
خِلْتُكَ ذا عقلٍ رَجيحٍ قدسَما — فَوقَ بني لِيقِيَةٍ إِنْ حَكَما
لٰكِنْ أَرى الخِلافَ فيما تَزْعَمُ — أَنِّي لَدى أَياسَ جُبْناً أُحْجِمُ
ماراعَني الطَّعْنُ ولا وَقْعُ خُطَى — جُرْدِ الوَغى لٰكِنَّما زَفْسُ سَطا
وَهْوَ وَلِيُّ الأَمْرِ قد يَخْذُلُ مَن — يَحُثُّ لِلإِقْدامِ في حَرِّ الفِتَنْ[1]
فَادْنُ إِليَّ الآنَ واشْهَدْ تَنظُرِ — ذا اليومَ مِنْ هٰكَطُورَ حَقَّ الخَبَرِ
أَكانَ هَيَّاباً كما تَقُولُ — أَم هُوَ مِحْرابُ وَغًى يَصُولُ
يُذِلُّ قَسْراً كُلَّ صِنْديدٍ بَطَلْ — لِلذَّودِ عَن جُثَّةِ فَطْرُقْلَ حَمَلْ»
وصاحَ يَعْلُو صَوتُهُ بَينَ الزُّمَرْ: — «طَرْوادُ لِيقِيُّونَ أَبْناءَ الظَّفَرْ
يا آلَ دَرْدانُوسَ هُبُّوا وقِفُوا — بِبَأْسِكُمْ فَذاكَ ذاكَ المَوقِفُ
وإِنَّني ماضٍ أَشُكُّ مُقْبِلا — بِعُدَّةِ القَرْمِ أَخيلَ عَجِلا
تِلكَ التي سَلَبْتُ مِن فَطْرُقْلِ» — ثُمَّ انْثَنى يَعْدُو حَثيثَ الرِّجْلِ

---

(١) قال بعضهم :

وما كل ما يخشى الفتى نازلٌ به — ولا كل ما يرجو الفتى هو نائلُ
فوالله ما فرّطت في جنب حيلةٍ — ولكنه ما قـدر الله نازلُ
وقد يسلم الانسان من حيث يتقي — ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافلُ

فصحبهُ أدركَ من بعدِ أمَدْ — من قبلِ أن تبلغَ إليونَ المُدَدْ
فثَمَّ عن وقعِ القنا بمعزلِ — ألقى لهم شكتَهُ في العجلِ
يأمرُهم أن يحملوها للبلَدْ — وشكُّ في سلاحِ آخيلَ وجَدْ[1]
ذاكَ سلاحٌ ليسَ يعروهُ البلا — حباهُ آلُ الخلدِ فيلا البطلا
ولابنهِ مذ شاخَ تلكَ العُدَدُ — ظلَّتْ ولن يشيخَ فيها الولَدُ[2]
وعندما هكطورَ زفسُ نظرا — مُعتزلاً بدرعِ آخيلَ انبرى
أجالَ رأسهُ بنجوى نفسهِ : — «واويحهُ شتَّ الردى عن حدسهِ
هكطورُ قد كادَ يوافيكَ الأجلْ — وأنتَ في حلَّةِ روّاعِ المِلَلْ
صرعتَ إلفهُ النبيلَ الأبسلا — ونلتَ عنفاً منهُ تلكَ الحُلَلا
لكنَّني موليكَ نصري السامي — جزاءَ ما أوتيكَ من حِمامِ
إذ لن ترى في صرحكَ أزتيا حا — عرسكَ كي تلقي لها السلاحا»
ومومئاً بجفنهِ زفسُ اعتدَلْ — فناسبتْ أعضاءَ هكطورَ الحُلَلْ[3].

---

(١) ذهب القدماء الى انه كان من مهارة هوميروس ان اوقع سلاح اخيل مغنماً بيد هكطور ليتساوى البطلان والا لما كان لاخيل الفخر بقتل هكطور وسلاح اخيل صنع الآلهة وسلاح هكطور صنع البشر • وهنا امر آخر يحسن التنبيه اليه وهو ان الشاعر وطأ بهذه المقدمة الى الاتيان على الوصف البديع للسلاح الذي سيصنعه هيفست لاخيل في النشيد التالي

(٢) اي لن يبلغ سن الشيخوخة لانه سيقتل شاباً

(٣) لايفوت الشاعر محل انتقاد الا ويتنبه اليه ويتلافاه • اذ قد يمكن ان يعترض بان عدة معدة لرجل لاتحسن لكبر او صغر او قصر او طول لرجل آخر فقال الشاعر ان زفس جعلها كانما صنعت لهكطور وهو القدير على اكثر من ذلك

وحلَّ آريسُ بهِ فاحتدما　　فتكأوا بالبأس حشاهُ اضطرما
فهبَّ بالأحلافِ بالهديدِ　　يسطعُ بالنحاس والحديدِ
يخوضُ في صفوفهم مشتدَّا　　يحثُّ للإيقاع فردا فردا
كمستليسَ وغلوكسَ الجري　　وثرسلوخَ ثمَّ ميذونَ السَّري
وعسطروفَ ثم هيفونوسا　　فرقيسَ ذيسينورَ إخروميسا
كذلكَ العرَّافِ إينومُوسا　　يثيرُ في أحشاهمُ النفوسا :
« سمعاً أيا قبائلاً عديدهْ　　أحلافنا والجيرةَ العميدهْ
لم أدعُكم من دوركم طرًّا أنا　　لتلبثوا حشداً بلا جدوى هنا
بل لتصولوا في لقا الأعادي　　ذوداً عن النسوة والأولادِ
أنفدتُ رزقَ الجندِ زاداً وجدا　　لكم لتعملوا القنا المجرَّدا
فاندفعوا بالبأسِ في وجهِ العدى　　والحربُ إمَّا ظفرٌ إمَّا ردى
فأيكمْ أياسَ صدَّ وانثنى　　بشلوِ فطرقلَ ولو ميتاً لنا
أحبوه نصفَ الغنمِ منيَ أجرا　　وهوَ قريني شرفاً وقدرا »
فقوَّموا السلاحَ فوق الساعدِ　　واندفعوا دفعةَ صفٍّ واحدِ
لينقذوا الجثةَ من أياسِ　　واوَيْهمْ في ذلكَ الوسواسِ
فكم كميٍّ منهمُ سيمسي　　من فوق فطرقلَ فقيدَ الحسِّ
وبمنيلا صاحَ آياسُ : « ألا　　ما خلتُ أنَّا قد بلغنا الأجلا
ما جزعي لشلوِ فطرقلَ لديْ　　كجزعي الآنَ عليكَ وعليْ

فإنْ فطرُقلَ قريباً يَغتَذي | للطيرِ طُعْماً وكِلابِ البلَدِ
وذا غَمامُ الحربِ فوقَنا انْطبَقْ | هكطورُ وهوَ حيثُما حلَّ حرَقْ (١)
فقمْ ونادِ صفوةَ الأبطالِ | لعلّهم يسعَونَ للنضالِ »
فصاحَ أترِيذُ بهم يقولُ : | « ياصحبُ يارتُوتُ ياقيُولُ
يامَن على موائدِ ابنيْ أترا | من قسمةِ الجُندِ رشفتُم خمْرا
ومَن حباكم زفسُ عاليَ القدْرِ | فقمتُمُ بينَ السُّرى بالأمْرِ
كيفَ أراكم وعجاجُ القسطَلِ | يسترُ عنّي كلَّ جُندِ الجحفلِ
فطرُقلُ كادَ الضُّعفُ والضَّواري | ينهشنَهُ هبُّوا لِدرءِ العارِ »
فما انتهى حتّى ابنُ ويلوسَ عَدا | أوّلهمْ ملبِّياً ذاكَ النِّدا (٢)
تلاهُ إيذومينُ ثُمَّ القرْمُ | مِريُونُ والكلُّ تِباعاً همُّوا
كُماةُ بأسٍ لايحيطُ الفِكرُ | بعدِّهمْ فانبعثُوا وكرُّوا
ونحوَهمْ جُندُ العِدى تقدَّمُوا | في صدْرِهمْ هكطورُ ذاكَ الأيهَمُ
بهدّةٍ مثلِ عجيجِ البحرِ | يقذفُ بالموجِ لثغرِ النّهْرِ
فتدفعُ الأمواجُ فوقَ الجُرُفِ | منتشراتٍ بشديدِ القصفِ

---

(١) يشبه هكطور بغمام الحرب وهو تشبيه غريب ولهذا ذهب بعضهم الى ان هذا البيت دخيل . قلت ولا أراه غريباً بتصرفه به هذا التصرف

(٢) ابن ويلوس هو اياس الاصغر . كان اول قادم اما لانه كان اعداهم كما تقدم . واما لانه كان إلف اياس الاكبر فكان اول مجيب لندائه

وَدُونَها تِيكَ الجُيُوشِ الوافِدَهْ تَقَدَّمَ الإِغْرِيقُ نَفْساً واحِدَهْ
حَولَ القَتِيلِ كَثَّفُوا الأَجوابا وَزَفسُ أَلقَى فَوقَهُمْ ضَبابا
يَستُرُ بَرَّاقَ التَّرائِكِ التي أَجَنَّتْ وأَغراهُمْ بِصَونِ الجُثَّةِ
لِأَنَّ فَطرُقْلَ عَزِيزًا حُسِبا لَدَيهِ مُنذُ لِأَخِيلَ انتَسَبا
فَكَرِهَ الإِغضاءَ عَنهُ حِينا فَيُشبِعَ الكِلابَ في إِلْيُونا
وَدُفِعَ الإِغرِيقُ بَدءَ الأَمرِ فَانهَزَمُوا عَن مَيْتِهِمْ بالقَسرِ
وَلَم يَمَسَّهُمْ مِنَ الضُّرِّ سِوى أَنَّ القَتِيلَ ظَلَّ في أَيدِي العِدى
لٰكِنَّما أَياسُ في الحالِ أُثنى بِهِمْ وفي طَلِيعِهِ الجَيشِ دَنا
أَياسُ مَن بَعدَ أَخِيلَ كانا أَجمَلَهُمْ وَجهاً وأَعلى شانا
فَانقَضَّ كالرُّتِّ بِغابٍ عَرَبَدا والغُضُفَ والفِتيَةَ طُرًّا بَدَّدا (١)
كَذا تَبَدَّدَتْ لَدَيهِ الفِرَقُ لَمَّا بِفَطرُقْلَ جَمِيعاً أَحدَقُوا
إِذ يَحسَبُونَ مُنتَهى فَخارِهِمْ بِحَملِهِ فَورًا إِلى دِيارِهِمْ
وكانَ هِيفُوثُوسُ الشَّهمُ الأَبَرّْ فَرعُ الفَلاسِجِيِّ لِيثُوسَ الأَغَرّْ
أَدارَ حَولَ قَدَمِ القَتِيلِ حِمالَةً وَهَمَّ بالقُفُولِ
يَجتَرُّهُ لِداخِلِ البِلادِ تَقَرُّباً لِسادَةِ الطُّرْوادِ
فَكانَ ذا عَلى الفَتى وَبالا لَم يَملِكُوا لِدَفعِهِ مَجالا
إِذْ إِنَّ أَياسَ عَلى الفَورِ زَحَفْ ثُمَّ عَلى الخُوذَةِ بالرُّمحِ قَذَفْ

(١) الرت الخنزير والغضف الكلاب

فَخَرَقَ الدِّماغَ هَوْلُ المَضْرَبِ ... فانْهالَ بالدِّماءِ فوقَ الثَّعْلَبِ [1]
فأفلَتَتْ مِن يَدِهِ الحِمالَهْ ... وخرَّ فَوقَ المَيتِ لا مَحالَهْ [2]
ويا لَها عَلَيهِ مِن مُصيبَهْ ... في البُعْدِ عَن لَرِيسَةَ الخَصيبَهْ
إذْ لَمْ يُتِحْ لَهُ إداءَ الشُّكْرِ ... لأَبَوَيهِ قِصَرُ ذاكَ العُمْرِ
فَهَبَّ هَكْطورُ وبالرُّمحِ حَذَفْ ... لٰكِنَّ آياسَ عَنِ النَّصلِ انْحَرَفْ
فَحَلَّ في بأديلِ إسكيذيُّسا ... هُمامِ فُوقيا فَتى إيفيتُسا
قد كانَ يرعى أُمَماً كَثيرَهْ ... بالجاهِ في فانُوفَهَ الشَّهيرَهْ
فَصَلَّ مُذْ خَرَّ صَريعاً يَرْتَجِفْ ... وبَرَزَ السِّنانُ مِن فَوقِ الكَتِفْ
وهَبَّ آياسُ وفُرْقيسَ ضَرَبْ ... إذْ دُونَ هِيفُوثُوسَ كانَ انْتَصَبْ
فَنَفَذَ السِّنانُ في مُهْجَتِهِ ... بالدِّرْعِ يُلْقيهِ عَلى راحَتِهِ
فانْهَزَمَتْ طَليعَةُ الطُّرْوادِ ... وبَينَهُمْ هَكْطورُ أيضاً عادي
والارغُسيُّونَ وَراهُمْ عَرْبَدُوا ... وبالقَتيلَينِ خَلَوْا فَجَرَّدُوا [3]
وكادَتِ الطُّرْوادُ تَلْوي ذُعْرا ... ونَحْوَ إليُونَ تَفِرُّ قَسْرا
ويَظْفَرُ الأغارِقُ انْتِصارا ... وإنْ يَكُنْ زَفْسُ لَهُمْ قَهّارا
لٰكِنَّ فيبُوسَ انْبَرى عَلى الأثَرْ ... وفي مِثالِ ابْنِ إفيتُوسَ ظَهَرْ
(أفيج فيرِيفاسَ مَن شاخَ لَدى أبيهِ ذاكَ الشَّيخِ رَغّامِ العِدى

(١) ثعلب الرمح عوده
(٢) اي حمالة السيف التي اراد ان يجر بها جثة فطرقل
(٣) اي فرقيس وهيفوثوس

لَهُ أُنْتِمَتْ إِصالَةُ الآراءِ) فَحَثَّ أَنْياسَ على الإِبْلاءِ :

« أما أَتاكَ كَيفَ تُحمى الدَّارُ حَتَّى ولو قاوَمَت الأَقْدارُ

بالكَرِّ مِثل كَرَّةِ القَوم الأُولى بَلَوتُ في طَيِّ زَمانٍ قد خَلا

بالعَزْم والإِقْدام جَدُّوا الجِدَّا وبَاسٍ أَجْنادٍ تَقَلُّ عَدَّا

زَفْسُ لَنا أَحرَزَ مَذْخُورَ الظَفَرْ وكُلُّكُمْ أَحْجَمَ بالجُبْنِ وَفَرْ »

فَلَمْ يَفُتْ أَنْياسَ لَمَّا أَحْدَقا بأَنَّـهُ رَبُّ السِّهامِ مُطْلَقا

فَصاحَ يَعلُو صَوتُـهُ الهَدَّارُ : « هكْطُورُ ياطَرْوادُ يا أَنْصارُ

أَلعارُ كُلُّ العارِ أَنْ نَرْتَدَّا تُجاهَ إِلْيُونَ بِعَزْمٍ هُدَّا

والآنَ لي لاحَ مِنَ الأَرْبابِ رَبٌّ تَصَدَّى لِيَ بالخِطابِ

وقالَ إِنَّ زَفْسَ قَيِّمَ الظَّفَرْ ظَهِيرُنا إِيهٍ فَأَحسِنُوا الكَرْ

فَطَرْوَلٌ ذا لا تَدَعُوا الإِغْرِيقا يَلْقَوا بِهِ لِفُلْكِهِمْ طَرِيقا »

وانْقَضَّ في صَدْرِهِمِ وَوَقَفا والجَيْشُ من وَراهُ طُرًّا زَحَفا

فَزَجَّ عَن ساعِدِ بَاسٍ قاسِ يُرْدِي لِيُقْرِيطَ بْنَ آرِسْبَاسِ

وكانَ لِيقُومِيذُ إِلْفُهُ يَرَى فَهاجَهُ البَثُّ وَنَحْوَهُ جرى

وأَرْسَلَ العامِلَ رَمْيًا يَرْمي أَفِيسَوُونَ بْنَ هِفَاسَ القَرْمِ

فَحَلَّ في كَبْدِهِ فَانْطَرَحا وكانَ من فِيُونَةٍ قد بَرِحا

ولَمْ يَكُنْ مِن بَعدِ عَسْطَرُوفِ فَتًى حَكَاهُ في أُولى الصُّفُوفِ

فَثارَ عَسْطِرُوفُ ثُمَّ وَثَبا فَلَمْ يَنَلْ مِنَ الأَخاءِ مَأْرَبا

تَدَرَّعُوا بِشِدَّةِ البُؤُوسِ وَراءَ مَعْقِلٍ مِنَ التُرُوسِ
وبَسَطُوا مِن حَولِ فَطْرُقْلَ القَنا إِذا بآياسَ يَصيحُ عَلَنا :
« عَن شِلْوِ فَطْرُقْلَ الى الوَراءِ لا تَلْتَوُوا يا مَعْشَرَ الأَخاءِ
ولا تَهِنَّ إِلى الأَمامِ بَلْ حَولَهُ ذُوْدُنَّ بالإِقْدامِ »
فَاشْتَبَكُوا والنَّقْعُ كالسَّيلِ جرى فَأَلبَسَ الحَضيضَ ثَوباً أَحْمَرا
وانْبَسَطَتْ فوقَ الثرى الأَشْلاءُ رُصَّتْ كِثافاً ما لها إِحْصاءُ
أَقَلُّهُمْ قَتْلى الأَخائيِّينا إِذ هُمْ قاموا مُتَكاتِفينا
يَدْرَأُ بَعْضٌ وافِدَ المَنُونِ عَن بَعْضِهِمْ كَراسِخِ الحُصُونِ
والْتَحَمَ القِتالُ كالأُوارِ وانْتَشَرَتْ سَحابَةُ الغُبارِ
حتَّى كأَنَّ الشَّمْسَ بادَتْ والقَمَرْ مِمَّا لدى فَطْرُقْلَ في الجَوِّ انْتَشَرْ
لكِنَّهُمْ في سائِرِ الأَطْرافِ تَلاحَمُوا تَحْتَ رَقيعٍ صافِ
لا غَيمَ يَعْلُو الأَرْضَ والجِبالا والشَّمْسُ يَزْهُو نُورُها جَمالا
بَينَهُمُ بَونٌ فَهُمْ يَبْلُونا غِبًّا وهَولَ الحَرْبِ يَتَّقُونا [1]
وظُلْمَةُ النَّقْعِ بِحَرِّ الحَرْبِ ما فَتَكَتْ إِلَّا بِجُنْدِ القَلْبِ
ووَلَدا نَسْطُورَ في الجَناحِ ما شَعَرا بالنَّبَإِ الفَضَّاحِ [2]
بَلْ حَسِبا فَطْرُقْلَ في الصُّدُورِ حَيًّا دَهى الأَعْداءَ بالثُّبُورِ

(١) غِبًّا اي حيناً بعد حين
(٢) ترسيميذ وانطيلوخ

جَيشُهما أُنخلّ فخلفَ الجحفلِ ظَلاًّ يذودانِ اتّقاءَ الفشلِ
بأمرِ نسطورَ الحكيمِ عَمِلا إذْ بهما الى الخلايا أرسلا
ودامَ حولَ جثّةِ الجديلِ مشتجرُ الرّماحِ للأصيلِ
حتّى وهتْ أعضاءُ تلكَ الفرقِ من عيّها وسبحتْ بالعرقِ
فالتوتِ الرُّكبةُ والشظيّةْ خارتْ ثقلُ القدمَ المضويّةْ
وكفّتِ الكفُّ وكُفَّ البصرُ والجسمُ طرًّا سابحٌ معفّرُ
تألّبوا تألّبَ الأتباعِ بأمرِ سيّدٍ لهمْ مطاعِ
داروا حوالي جلدِ ثورٍ مدًّا والشحمُ سيّالٌ عليهِ امتدّا
تجاذبوا حتّى البلالُ نضحا والشحمُ للجلدِ مليًّا رشحا (١)
وهكذا تجاذبَ القومانِ جثّةَ فطرقلَ بجهدِ العاني
قومٌ بهِ أسطولهمْ يبغونا ولحِما إليونَ آخرونا



القتال حول جثة فطرقل

(١) يعلمنا هوميروس هنا كيف كانوا يبسطون الجلود وهو اول من ذكر ذلك فيما نعلم

بَينهمُ قد حَمِيَ الوَطيسُ　　بهمَّةٍ ما عابها آريسُ
ولا رَمتها آنَ الاحتدامِ　　فالاسُ بالتثريبِ والملامِ [1]
يومٌ بهِ زَفسُ على الأجنادِ　　والخيلِ أورى جذوةَ الجهادِ
والحربُ في بونٍ عنِ السفينِ　　أجَّتْ على مَقربَةِ الحصونِ
لذاكَ لم يحطْ أخيلُ عِلما　　بما بفطرُقلَ هُنا ألمَّا
بلْ ظنَّهُ حياً أتى الأبوابا　　فينثني ويحسنَ المآبا
إذ لم يكنْ في الغيبِ أنَّ البَلَدا　　لبأسِ فطرُقلَ يَدينُ أبدا
حتَّى ولو أخيلُ أنقضَ معَهْ　　ذلكَ سرٌّ من ثتيسٍ سَمعهْ
أوحتْ إليهِ غيبَ زفسَ في القدَرْ　　مُخفيةً مُصابَ إلفِهِ الأبرْ
هُناكَ ظلَّ نافذُ السنانِ　　يُصمي فيصطكُّ بهِ القومانِ
يُشجّعُ الإغريقُ بعضٌ بعضا :　　« للفُلْكِ عودَ العارِ أنَّى نرضى
خيرٌ لنا يا قومُ أنْ ينشقَّا　　جوفُ الثرى وفيهِ طرًّا نُلقى
مِن أن نرى قتيلَنا يَغيبُ　　بينَ العدى وسعينا يَخيبُ »
وضجَّتِ الطُّروادُ في الصفوفِ:　　« لا تنثنُوا عنْ موقفِ الحتوفِ
حتَّى ولو طرًّا أبادنا القدرْ　　من حولِ فطرُقلَ وفاتَنا الظفرْ »
وفي الرقيعِ طارَ فوقَ المعمعهْ　　لقُبَّةِ النحاسِ صوتُ القعقعهْ [2]

---

(١) اي ان فالاس وهي اثينا ربة الحكمة لا تجدمر مى للوم والتثريب وان كانت مغيظة. تلك اشارة الى ان حدة الغيظ تدفع حتى البصير الحكيم الى كشف معايب غيره. وهي طرفة من طرف هوميروس الكثيرة

(٢) اي الى السماء

هذا وصافنات آخيلَ انبرت　في عزلة تذرف دمعاً مذ درت
بأن رواض متونها هلك　وفيه هكطورأخو الباس فتك(1)
لم يجد أفطميذ سوط الجبر　على تلطف بها أو زجر
وقد أبت تسير نحو البحر　للفلك او نحو السرى أن تجري
بل لبثت صماء كالعمود　على ضريح سيد عميد
او قبر ذات عزة وشان　وأطرقت في الارض بالبحران(2)

(١) لاعجب اذا مثل لنا هوميروس جياد اخيل تذرف العبرات أسىً وحزناً على فطرقل وهي من الجياد الخالدة فلقد روى الرواة في كل الاعصر ان الخيل تبكي وتحرق لهفةً على فرسانها . ذكر امثال هذا ارسطاطاليس وبليناس وذكر سولينوس مثله عن الفيلة اذا أُخذت من مواطنها وقال هذا القول عن الحيوان بعض المتأخرين وقد حذا حذو هوميروس باستبكاء الجياد فرجيليوس فقال :

Post bellator equus, positis insignibus Æthon
It lacrymans, guttisque humectat grandibus ora.

واما شعراء الافرنج فقد لطفوا المعنى اذ اضربوا عن ذرف الدموع وعبروا عن حزن الخيل بجمود العين وتنكيس الرأس وما اشبه كقول راسين في روايته فدر

L'œil morne maintenant et la tête baissée
Semblaient se conformer à sa triste pensée.

وممن استبكى الخيل من شعرائنا عنترة العبسي بقوله :

ولقد تركت المهر يدمى نحره　حتى اتقتني الخيل ثاني جدعمِ
مازلت ارميهم بثغرة نحره　ولبانه حتى تسربل بالدمِ
فازورَّ من وقع القنا بلبانه　فشكا اليَّ بعبرة وتحمحمِ
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى　ولكان لو علم الكلام مكلمي

واما استبكاء الحمام والورق وما اشبه من الطيور فقد صار في لغتنا من المبتذلات السواقط .

(٢) ان عادة اقامة النُّصُب على قبور الاموات رجالاً ونساءً قديمة جداً كما ترى . راجع النشيد السابق ص : ٨٤٨

وَهيَ لَدى المَرْكَبَةِ العَجيبَهْ بِلا حَراكٍ تَنْدُبُ المُصيبَهْ

والدَّمعُ من بَينِ مآقيها جَرى مِن كَبِدٍ حَرَّى الى وَجهِ الثَّرى

وانْبَسطَتْ أَعْرافُها المُخَضَّبَهْ مَسْدُولةً من فوقِ عَرْشِ المَرْكَبَهْ

فَلأْساها رَقَّ زَفْسُ وانْعَطَفْ وهاجَ رَأْسَهُ على ذاكَ اللَّهَفْ

وقالَ في نَجْواهُ : « أَوَّاهُ لِما بِكُمْ حَبَونا المَلْكَ فِيلا قِدَما

فَهوَ مَليكٌ لِبَني المَوتِ انْتَمى وَأَنْتُمُ لاهَرَمٌ ولا فَنا

وَبِحُكْمُ أَكانَ ذا في القَدَرِ حتَّى تُمَنَّوا بِشَقاءِ البَشَرِ

إِذ لَيسَ فيها دَبَّ او تَنَفَّسا أَشْقى مِنَ الإِنْسانِ بُؤْساً وأَسى

لكِنْ مَهٍ فَلَنْ يُرى هَكْطورُ بِكُمْ على مَرْكَبَةٍ يُغيرُ

فَلَنْ أُتيحَنَّ لَهُ هذا كَفى أَنْ تاهَ في دِرْعِ أَخيلَ شَرَفا

وها أَنا في هَوْلِ ذَيَّاكَ اللَّجَبْ مُولِيكُمُ قُوَّةَ قَلْبٍ ورُكَبْ

لِتُنْقِذُوا من ساحَةِ الهَيْجاءِ سائِقَكُمْ لِلسُّفُنِ الحَدْباءِ

إِذ قَدا تَحْتُ الفَتْكِ والتَّنْكيلا لِلقَومِ حتَّى يَبْلُغوا الأُسْطُولا

حتَّى يُوافِيَ الغُرُوبُ المُؤْنِسُ مِن ثَمَّ يَتْلُوهُ الظَّلامُ الأَقدَسُ[1]

ونَفَخَ القُوَّةَ فيها فَمَضَتْ وعَن نَواصِيها غُباراً نَفَضَتْ

طارَتْ وأَفْطَميذُ مُنْقَضٌّ بِها مِثْلَ العُقابِ البَطَّ في الجَوِّ دَها

لَمْ يَثْنِهِ البَثُّ على الرَّفيقِ عَن مَوْقِفِ الطِّرادِ والإِغْريقِ

---

(١) سبق لنا ذكر السبب في تقديس الظلام (ن ١٤ : ٧٥٦)

كرّاً وفرّاً جُردُهُ تطيرُ وهوَ على غيرِ هدىً يسيرُ
يهزمُهمْ وليسَ يُصمي أحدا مُذْ ظلَّ في كرسيّهِ منفردا
إذ لم يكنْ في حيّزِ الإمكانِ تدبُّرُ العنانِ والسنانِ (١)
أبصرَهُ الشهمُ ابنُ لايرقَ فهبْ ومن ورائهِ على القورا انتصبْ
قالَ : « أأفطميذُ مَن أغواكا وأيُّ ربٍّ سالبٌ هُداكا
دُفعتَ مفرداً بصدرِ الفيلقِ آهِ على إلفكَ فالحتفَ لقي
أوردَهُ الردى ابنُ فريامَ وظلْ يعتزُّ مُذْ بثوبِ آخيلَ رفلْ »
قالَ أأفميذُ مَن في الجندِ يثيرُ أو يكبحُ جردَ الخلدِ
سواكَ مِن بعدِ الفتى فطرُقلَ مَنْ آلَ العلى حاكى ذكاءً وفطنْ
لكنّما فطرُقلُ أوّاهِ مضى ينفذُ فيهِ الموتُ أحكامَ القضا
فدونكَ الصروعَ والسوطَ هنا حتّى على الأعداءِ أنقضَّ أنا »
فاحتلَّ أفميذُ بطنَ العرشِ وأفطميذُ انحازَ عنهُ يمشي
فصاحَ هكطورُ لدى مرآهُ ذاكَ بأنياسَ الذي حاذاهُ
وقالَ : « يا أنياسُ يا عضيدي أنظرْ فقد أبصرتُ من بعيدِ
مطهّمَي أخيلَ منقادينِ لسائقينِ في الوغى غرّينِ
فإنْ تكنْ أنتَ ظهيري في الطلبْ أحرزهما غنماً ويا نِعمَ السلبْ

(١) لما قتل فطرقل اصبح افطميذ منفرداً في كرسي المركبة فكان يغير بغير هدى على الاعداء فيهزمهم ولا يقتل احداً منهم اذ لم يكن بامكانه ان يكافح ويطارد في آن واحد

فَما لِسائِقَيهما مِن شِدَّةِ على لِقائنا ودَفْعِ الصَّدْمَةِ »
فَانْقَضَّ آياسُ وما تَرَدَّدا وانْدَفعا قِرْمَينِ قد تَوَقَّدا
بِجُنَنٍ فيها عَلى سِبْتِ البَقَرْ صفائِحُ النُّحاسِ تَبْهَرُ النَّظَرْ[١]
مَعْهُما اسْتَطارَ إِخْرُوْمِيُّسُ وذُو المحاسِنِ الفَتى إِرِيتُسُ
طُرًّا بَغَوْا بالفارسَينِ شَرًّا والعَوْدَ في تِلكَ العِتاقِ ذُخْرا
ضَلُّوا فما هُمْ قَطُّ راجِعُونا ما لم يُرِيقُوا الدَّمَ خاسِرِينا
زَفَسَ دَعا يَضْرَعُ أَفْطِمِيذُ فَاشْتَدَّ ثُمَّ صاحَ: «أَلْقَمِيذُ!
«بِهذِهِ الجِيادِ قُرْبِي ظَلَّا بعاتِقي أَنْفاسُها تَحَلَّا[٢]
فَإِنَّما هكْطورُ لا يَنْفَكُّ ما لمْ يَنَلِ النَّصرَ ويَسْفُكِ الدِّما
وَيَدْفَعِ الجِيادَ والجُنُودا يَفُلُّها مُبَدِّدًا مُبِيدا
او إِنَّنا في صَدْرِ جَيْشِ النُّبَلا نَظْفَرُ فيهِ خاسِرًا مُذَلَّلا»
مِنْ ثَمَّ صاحَ: «يا أَياسُ الأَكْبَرا وَيا مَنِيلا يا أَياسُ الأَصْغَرا
عَن جُثَّةِ القَتيلِ عِبْءِ الصَّدِّ أَلْقُوا بِهِ لِخَيْرِ بُهْمِ الجُنْدِ
وأَدْرِكُونا نَحنُ حَيَّانِ وقَدْ بَرَّزَ هكْطورُ وأَنِياسُ وَفَدْ
بِصَفْوَةِ الطُّرْوادِ طُرًّا أَقْبَلُوا ونَحوَنا كُلَّ قُواهُمْ حَوَّلُوا

(١) الجنن التروس والسبت الجلد المصنوع
(٢) يقول لا تبعد عني بالجياد بل سر دائماً على مقربة مني حتى اشعر بنفسها على عاتقي

لـكنّني أُبلي ولا أُبالي على ولاءِ زَفسٍ اتّـكالي»[1]
رَمى ورُمحُهُ مضى يَغُلُّ وفي حَشا إرِيتُسٍ يحُلُّ
ما صدّهُ المِجنُّ بل منهُ مَرقْ إلى نجادِهِ وأحشاهُ اختَرقْ
فَهَبَّ هبَّةً ومن ثمَّ انحَرفْ مُسلَنقيًا والنَّصلُ مُرتجًّا وقفْ
كأنَّما ذُو شِدَّةٍ وبأسِ قابَلَ ثورًا بشَحيذِ القَأسِ
من مَنبِتِ القَرنَين بتَّ العِرقا فهَبَّ ثمَّ خرَّ ثمَّ اسلَنقى
فخفَّ هكطُورُ وفورًا طَعَنا لـكنَّ أفطِميذَ في الحالِ انحَنى
فذهبَ السِّنانُ من فوقِ الكتِفْ مُرتكزًا في الأرضِ عنقًا يَرتجِفْ
وأوشكَ القِرْنانِ يَصطَكّانِ بالسَّيفِ دُونَ الرُّمحِ والسِّنانِ
لَولا الايا سانِ اللّذانِ اندَفعا لرَفدِ أفطِميذَ لمَّا سَمِعا
فارتاعَ هكطُورُ وصاحِباهُ وانقَلبا والمَيتَ غادَراهُ
مُنطَرِحًا ممزَّقَ الأحشاءِ فهَبَّ أفطِميذُ كالأنواءِ
وجرَّدَ العُدَّةَ عنهُ وابتَدرْ يَصيحُ: «عن قلبي انجَلى بعضُ الكدَرْ
وإن يكُنْ فطرُقلُ لا يُقاسُ بذا الفتى ولو بَلاهُ النّاسُ»
وَوَضعَ العُدَّةَ فوقَ العَجلَهْ ثمَّ اعتَلى مُنتَصِبًا بالعَجلَهْ
مُخضَّبَ اليدَينِ والرِّجلَينِ كاللَّيثِ ثورًا رَضَّ بالكَفَّينِ

(١) حيثما نظرنا الى الالياذة رأينا فيها الادلة الساطعة على خالص الاعتقاد بالقضاء والقدر ووجوب التسليم الى العناية على حد قول المعرّي :

سـلِّم الى الله فكل الذي ساءك اوسرَّك من عندهِ

هُنَاكَ عَجَّ حَولَ فَطْرُقْلَ الوَحى　يُثِيرُ خَطْباً فادِحاً مُبَرِّحاً
وانْحَدَرَتْ فالاسُ مِنْ أعلى السَّما　بأَمْرِ زَفسَ لإِرَاقةِ الدِّما
أَنْفَذَها لِتَنْصُرَ الأَخاءَ　إذ شاءَ أَنْ يُبَدِّلَ القَضاءَ
وَسْطَ سَحابَةٍ مِنَ البِرْفِيرِ　حلَّتْ على شأنٍ لها خَطيرِ
كأَنَّ في قلبِ السَّما قوسَ قُزَحْ　أَلقاهُ زَفسُ مُنْبئاً بما سَنَحْ [1]
يُنْذِرُ بالحَرْبِ وَقُرِّ العامِ　وأَزْمَةِ الحارثِ والسَّوامِ [2]
فانْخَرَطَتْ بَيْنَهُمُ في السُّحُبِ　تَحُثُّهُمْ مِنْ طَيِّ تلكَ الحُجُبِ
ثُمَّ حكَتْ فِينكسَ شَيْخاً أَكْمَلا　تُخَاطِبُ الشَّهْمَ مَنِيلا أَوَّلا:
«أَلعارُ والشَّنَارُ أن تُمَزِّقا　غُضْفُ العِدى خِلَّ أَخيلَ الأَصْدَقا
قُمْ لا يُزَعْزِعْكَ هَزِيعُ الحَرْبِ　وصُلْ مُثِيراً بأْسَ كُلِّ الشَّعْبِ»
قالَ: «أَجَلْ يا أَبتا الشَّيْخَ أَلا　لَيتَ أَثِينا عَضُدي في ذا البَلا
حتَّى تُبِينَ وابِلَ النِّبالِ　عنّي فَفَطْرُقْلَ أَقي في الحالِ
فإنَّ موتَهُ فؤادي فَطَرا　لكنَّما هكْطُورُ كالنَّارِ انْبَرى
ولم يَزَلْ يُعْمِلُ باري الحَدِّ　لأَنَّ زَفسَ خصَّهُ بالمَجْدِ»
فَطَرِبَتْ إذ ذاكَ مِمَّا وَجَّها　دُعاءَهُ قَبلَ بَني الخُلْدِ لَها
فَشَدَّدَتْ بالحَزْمِ مَنْكِبَيهِ　وصَلَّبَتْ بالعَزْمِ رُكْبَتَيهِ

---

(١) قوس قزح هنا نذير سوء لا يشير خير كما جاء في التوراة

(٢) القر اشتداد البرد والسوام الدواب والانعام

وحامَ حولَ الميتِ حيثُ انبعثا كأنّهُ الذبابُ غرثاناً عثا[1]
يدفعُهُ المرءُ فلا يظلُّ يمتصُّ من دمٍ لديهِ يحلو
كذا منيلا الدمَ بالبأسِ سفكْ بنصلِ رمحٍ حيثما حلَّ فتكْ
وكانَ في الطروادِ علجٌ يسعى بفودسَ بنِ إيتيون يدعى
ذو دولةٍ وصولةٍ يجلُّهُ هكطورُ وهوَ ضيفُهُ وخلُّهْ
لم يرعَ مثلَهُ فتىً فذاكا أوردَهُ أتريذُ الهلاكا[2]
ولّى فغاصَ النصلُ في نجادهِ لجوفهِ يمرقُ من فؤادهِ
فخرَّ والعدَّةُ صلَّتْ وعدا يجترُّهُ أتريذُ من بينِ العدى
فجاءَ آفلونُ هكطورَ على شكلِ ابنِ آسيوسَ فينفسِ العلا
من صرحِ آميذوسةٍ قديما ضيفاً لهكطورَ أتى كريما[3]
فقالَ: «من هكطورُ يخشاكَ إذا حاذرتَ من سطوةِ أتريذا الأذى
ما إن عهدتُ البأسَ فيهِ قبلا وهوَ تراهُ قد جرى وأبلى
واجترَّ من بينِ سراكم مفردا جثةَ فودسَ الذي أولى الردى»
غشّى ابنَ فرْيامَ غمامُ الغمِّ فانقضَّ يجري بالسلاحِ الجمِّ
إذ ذاكَ زفسُ هزَّ للإرهابِ مجنَّةَ الباهرَ ذا الهدّابِ

(١) الغرثان الجائع وعثا أفسد

(٢) لعل الاتيان بفودس هنا ومقتله مقصودان من الشاعر بازاء قدوم فطرقل ومقتله لان هذا خليل اخيل بطل الاغريق وذاك خليل هطكور بطل الطرواد

(٣) اي اسيوس الذي تمثل افلون بهيأته

فَغَشِيَتْ إِيذَةَ دُهْمُ السُّحُبِ بالبَرْقِ والرَّعْدِ المَخُوفِ المُرْهِبِ
يُشِيرُ لِلطُّرْوادِ بالغَنِيمَهْ ولِبَنِي الإِغْرِيقِ بالهَزِيمَهْ
وَلَّى فنيلاسُ البيُوتي أَوَّلا مُذْ كانَ في صَدْرِ السُّرى مُسْتَقْبِلا
فَرَجَّهُ فُولِيدَماسُ الباسِلُ فَشَقَّ حتَّى العَظْمِ منهُ الكاهِلُ
وانْقَضَّ هكْطُورُ ولِيطُوسَ ضَرَبْ بِقَبْضَةِ الكَفِّ فَوَلَّى وهَرَبْ
مُلْتَفِتاً مِنْ كُلِّ صَوبٍ يَئِسا مِنْ مُلْتَقَى العدى بِزَنْدٍ يَبِسا
في إِثْرِهِ هكْطُورُ كالبَرْقِ رَكَضْ لٰكِنَّ إِيذُومِينَ في الحالِ اعْتَرَضْ
بِطَعْنَةٍ بالثَّدْيِ كادَتْ تَنْشَبُ لٰكِنْ بِبَطْنِ الدِّرْعِ قُضَّ الثَّعْلَبُ
فَصاحَتِ الطُّرْوادُ والمَطْعُونُ زَجٌّ فَما أُصِيبَ إِيذُومِينُ
قد كانَ واقِفاً على مَرْكَبَتِهْ فَمالَ والنَّصْلُ مَضَى بِشِدَّتِهْ
الى فَتَى مِرْيُونَ قِيرانُوسا تابِعِهِ الأَمِينِ من لِقْطُوسا
كانَ إِذُومِينُ مِنَ الخِيامِ قد جاءَ عادِياً على الأَقْدامِ
وأَوشَكَ الطُّرْوادُ يُحْرِزُونا بِمَوتِهِ نَصْراً لَهُمْ مُبِينا
لٰكِنَّ قِيرانُوسَ وافى بالعَجَلْ إِلَيهِ فَامْتَطَى على خَيرِ العَجَلْ
مِنَ العدى أَنْجاهُ لٰكِنْ ما نَجا ونَصْلُ هكْطُورَ بِفِيهِ وَلَجا
في الفَكِّ تَحْتَ الأُذْنِ والأَسْنانا حَتَّى ثُمَّ اسْتَأْصَلَ اللِّسانا
فَخَرَّ والعِنانُ مِن يَدَيهِ أَهْوَى فَمِرْيُونُ انْحَنَى عَلَيهِ
تَناوَلَ الصِّرْعَ وإِيذُومِينا دَعا: «أَلا سُطْ واطْلُبِ السَّفِينا»[1]

(١) الصرع العنان.

أَما رأَيتَ النَّصرَ عنَّا وَلَّى ... فَما إِلَيهِ مِن سَبيلٍ أَصلا »
فَخَفَّ نَحوَ الفُلْكِ بالجيادِ ... مُرتَعِدًا مُنخَلِعَ الفُؤادِ
رأَى مَنيــلا وأَياسُ حالا ... أَنَّ العدى زَفسُ إِلَيهِم مالا
وقد حَباهُمُ بِيَناتِ النَّصرِ ... فصاحَ آياسُ بِضيقِ الصَّدرِ :
« ذُو العِلمِ وَيلاوالجَهولُ أَبصَرا ... زَفسَ أَجتَبَى اليومَ العدى ونَصَرا
فَكُلُّ سَهمٍ منهُمُ طارَ قَتَلْ ... سِيَّانِ إِن رَماهُ نِكسٌ أَو بَطَلْ
فَإِنَّمَا زَفسُ هُوَ المُصَوِّبُ ... وسَهمُنا لِطَيشُ حيثُ يَذهَبُ(١)
فَلْنَفكِرَنَّ الآنَ مَهما كانا ... بِرَدِّ فَطرُقْلَ الى حِمانا
لَعَلَّ جُندَنا تُسَرُّ طَرَبا ... بِعَودِنا فيهِ وإِن ساءَ النَّبا
هَدَّهُمُ لا شَكَّ فَرطُ الحَزَنِ ... لِما رَأَوا مِن هَولِ هذي المِحَنِ
فَما يَخالُونَ بِنا مِن شِدَّةِ ... لِصَدِّ هَكطورَ بِهذي الشِدَّةِ
بَلْ حَسِبوهُ لَن يَكُفَّ حَتَّى ... يَعلُو الخَلايا والسُّرى يَبتَتَّا
آهاً أَلا نَلقى لَنا رَسُولا ... يَطيرُ بالأَنباءِ لِإبنِ فِيلا
ظَنِّي بِهِ لا زالَ يَجهَلُ الخَبَرْ ... بِقَتلِ إِلفٍ وَدَّمِن فوقِ البَشَرْ
أَوّاهُ لٰكِن كَيفَ بالوُصُولِ ... فَما إِلى الرَّسُولِ مِن سَبيلِ
فَحُجُبُ الظَّلامِ بِانسِدالِ ... على السُّرى والخَيلِ والعِجالِ

(١) قال البحتري :

متوقد يفري بأول ضربة ... ما ادركت ولو أنها في يذبل
واذا اصاب فكل شيء مقتل ... واذا اصيب فـا لهُ من مقتل

يا زفسُ أيُّها الإلهُ الأكبرُ أنزِعلى الاغريقِ حتّى يُبصرُوا .
منْ جوّكَ امحقْ حندسَ الدَّيجُورِ ثمَّ امحُهُمْ إنْ شئْتَ وسْطَ النُّور» (١)
فرقَّ للدُّمُوعِ زفسُ وانصدعْ وبدَّدَ الضَّبابَ والغيمَ قشَعْ
وسطعتْ في ساحةِ الكفاحِ شمْسُ العلى بنُورِها الوضَّاحِ
فصاحَ آياسُ : « منيلا هيَّا عَلَّكَ انطيلُوخَ تلقى حيًّا
فقُلْ لهُ بالخبرِ المشؤُومِ يمْضي الى أخيلِ الغشُومِ » (٢)
لبَّى منيلا ومضى كالضَّاري أُجلِيَ عن حظائرِ الأبقارِ
صدَّتْهُ غضْفٌ ورُعاةٌ ظلَّتْ ترْصدُهُ اللَّيلَ وما تخلَّتْ
ولمْ تُبِحْ لهُ سمينَ الشَّحْمِ فصدَّ غرْثانًا لِذاكَ اللَّحْمِ
تهمِي عليهِ في الظَّلامِ الدَّامسِ شُهْبُ القنا ولهَبُ المقابسِ
لمْ يُجْدِهِ البأسُ وقبلَ الفجْرِ ممتعضًا ولَّى بكيدِ النَّحرِ
كذاكَ فطرْقَلَ منيلا كرْها غادرَ يخشى وقعَ خطْبٍ أدْهى
يخشى إذا الإغريقَ هدَّ الجزعُ ولّوا وفي أيدي العداةِ يقعُ

---

(١) لما كان الجو قد اربد واكفهر بما كثف زفس فيه من الضباب وتصاعد من الغبار المتكاثف كالسحاب سُدت سبل البطش في اوجه الابطال فقال اياس في دعائه هذا القول البديع اذ لم يلتمس نجاةً لنفسه ولقومه ولا عوناً علوياً يستمده من زفس بل جل ما رام وتمنى ان تنقشع السحب فيتسع له المجال للكفاح ولا حرج عليه بعد ذلك اذا مات قتيلاً وهو يجاهد ويطارد

(٢) الغشوم الظالم — وقع اختيار اياس على انطلوخ بن نسطور لكونه صديقاً حميماً لاخيل

فصاحَ : « يا أياسُ يامرْيُونُ　　يا زُعَماءَ الجيشِ لا تَبِينُوا
واذَّكِرُوا أخلاقَ فطرُقْلَ وَكَمْ　　برقّـةِ الجانبِ لِلْكُلِّ اتَّسَمْ
واوَيْحَهُ كَمْ مِنْ يَدٍ بيْضاء　　لَهُ قُبَيلَ الحتفِ بالقضاءِ »
ثمَّ انبرى مُستَنْشِراً فَاحيثُ جَرَى　　كالنَّسرِ أحدَقِ الطُّيُورِ بصَرا
ذاكَ الذي مِنْ قلّةِ السَّحابِ　　أبصَرَ خِرْنِقاً بوَعْرِ الغابِ[1]
وَمِن عُبَابِ الجوِّ كالبَرْقِ انْحَدَرْ　　وانْشَبَ المِنْسَرَ في لَمْحِ البصَرْ
كذا مُنيلا لحظَـكَ النقّادا　　سَرَّحْتَ ما بينَ السُّرَى ارتيادا
عَلَّ ابْنَ نَسطُورَ لديكَ يَبْدُو　　حيّاً فتجري نحوَهُ وتعْدُو
إذا بهِ ميْسَرَةَ الأجنادِ　　يَستَنْهِضُ الهماتِ للجهادِ
فَخفَّ نَحْوَهُ وصاحَ: «ادْنُ ترى　　يا انْطِلوخُ الصَّادِعَ المُفطِرا
خَطْبٌ بنا يا ليتَهُ ما حلاَّ　　جلَّ وظنّي بكَ تدري جلاّ
تدري لنا أعدَّ زفسُ العارا　　وانْحازَ عنّا لِلْعدى انْتِصارا
فطرُقلُ ذيَّاكَ الهُمامُ الأرْوَعُ　　ميْتٌ وهَدَّ القومَ منهُ المصْرَعُ
طِرْ لأخيلَ علّهُ في حسْرَتِهِ　　ينْهَضُ في طِلابِ عاري جثّتهْ
قُلْ سوفَ يَلقى جِسمَهُ مُجرَّدا　　لأنَّ هكطُورَ استَباحَ العُدَدا»
أصاخَ انْطِلوخُ واقْشَعَرَّا　　وظلَّ صامتاً يُطيلُ الفِكرا
فَفَاضَ دمعُهُ وقَلبُهُ انْخَلَعْ　　وَصوتُهُ الهدَّارُ في الحالِ انْقطَعْ[2]

(١) الخرنق ولد الارنب

(٢) لاوصف ابلغ للحزن من هذا الوصف الوجيز: اقشعرار وصمت وفكرة

لٰكِنَّهُ أَبَى مَنيلا وَهَرَعْ من بَعدِما سِلاحَهُ حالاً نَزَعْ
أَلْقى بهِ لِلوَذُقَ الجَوادِ ظَهيرِهِ وسائِقِ الجِيادِ
وغادَرَ العَسكَرَ والدَّمعُ هَمَى بِنَبَإٍ جَلَّ وخَطْبٍ دَهَما .
أَبْعَدْتَ أَنطِلُوخَ يا مَنيلا ولم تُقِمْ مَقامَهُ بَديلا
ساءَ بَني فِيلُوسَ أَن قد نَزَحا عَنهُمْ وجُهْدُ العَيِّ فيهم بَرَّحا
أَمَّرَ فيهمْ ثِرَسمِيذَ الْمُجْتَبى وَنَحْوَ فَطْرُقْلَ عدا مُنْقَلِبا
ولم يَقِفْ حتَّى الأَياسِينَ أَتى فقالَ: «قدأَنفَذْتُ لِلفُلْكِ فتى
أَنفَذْتُ أَنطِلُوخَ بالأَنْباءِ الى أَخيلَ الْمُستَبِدِّ النَّاءِي
لٰكِن على هَكطُورَ مَهما اشتَعَلا غِلاً فَهلْ نَراهُ يُبْلي أَعزَلا
إِذاً عَلينا عِهْدَةُ التَّبَصُّرِ بِحَمْلِ فَطْرُقْلَ إِلى الْمُعَسكَرِ
والعَودِ عن مُشْتَجَرِ السُّيُوفِ تَمَلُّصاً من داهِمِ الحُتُوفِ»
قالَ أَياسُ بْنُ تِلامُونَ: «أَجَلْ بمِثلِ هذا القَولِ مَن قالَ عَقَلْ
أَنتَ ومِرْيُونُ احمِلا الفَقيدا وانْدَفِعا عَنَّا بهِ بَعيدا
خَلْفَكُما نُقارِعُ الأَعادي صَدّاً لِهَكطُورَ ولِلطَّرْوادِ
إِنِّي وآياسُ الفَتى قِرْنانِ بالبَأْسِ وَاسْماً مُتَشابِهانِ
فَكَمْ كَبَحنا قَبلُ عِلجاً أَرْوَعا وَكَمْ تَحالَفْنا على الكَرِّ مَعا»
وما انْتَهى حتَّى سَريعاً عَمَدا ورَفَعا الجُثَّةَ ثُمَّ ابْتَعدا
فَضَجَّتِ الطَّرْوادُ ثُمَّ انْدَفَعتْ كالعُضْفِ دُونَ فِتيَةِ الصَّيدِ سَعَتْ

ودمعٌ وانخلاع قلب وانقطاع صوت

تَعَقَّبَتْ رُتًّا جَرِيحاً طَمعَتْ ... فِيهِ فَمالَ نَحوَها فَجَزِعَتْ

وأنْهزَمتْ يَدفَعُ بَعْضٌ بعضا ... كَعَسْكَرِ الطُّرْوادِ لمَّا انْقَضا

تَأَثَّرُوا الإغْرِيقَ بالمَغَاوِلِ ... نَفْحاً وَوَخزًا بِظُبى العَوامِلِ (١)

حتَّى إذا ضاقَ المَجالُ انْعطَفا ... كِلا الأَياسَيْنِ لَهُمْ ووَقَفا

فامْتُقِعُوا لوناً وخارُوا ووَهَوا ... وجُمْلَةً عن طَلَبِ الشِلْوِ سَهَوا

وذانِكَ القَرْمانِ نَحوَ الفُلْكِ ... خَفًّا بِهِ فَثارَ نَقْعُ الفَتْكِ

كالنَّارِشَبَّتْ تَحتَ قَصْفِ الرِّيحِ ... في بَلَدٍ جَمّ الذُّرى فَسِيحِ

فَالتَهَمَتْ مَنازِلَ السُّكَّانِ ... وهَدَرَ النَّوءُ على المَبانِي



اياس الكبير يحمل فطرقل
ليدفعه الى منيلا ومريون

(١) المغاول السيوف وظبى العوامل نصال الرماح

ذلك عجُّ الجيشِ والخُيُولِ خلفهما في طلبِ الأُسطُولِ
وليثا بالشلوِ يجريانِ كما منَ الشمِّ جرى بغلانِ
جدًّا بجذعٍ حملا متينِ أُعدَّ فوقَ الغابِ للسفينِ
توغلا بشدَّةٍ في الوعرِ بعرقٍ في الجُهدِ رشحاً يجري
أما الأياسانِ فمنْ خلفهما قد حكيا في بطنِ وادٍ علما[1]
في وجهِ مجرى النهرِ جبَّارا يقفْ فصاغراً عنهُ سريعاً ينعطفْ
كذا الأياسانِ بوجهِ الفرقِ صدًّا سرايا جيشها المندفقِ
لكنَّما الطرْوادُ ظلُّوا في العقبْ أنياسُ يغريهم وهكطورُ يثبْ
قرمانِ ضجَّتْ لهما الجُيوشُ وانهزمتْ بالرُّعبِ تستجيشُ
حكوا سحابةً منَ الزرازرِ ولَّتْ لدى منظرِ صقرٍ كاسرِ
رأتْ بهِ موتاً لها زؤاما فانهزمتْ من وجهِهِ انهزاما
كذلكَ الإغريقُ في كشفتها مذعورةً ولَّتْ على ذلتها
وغادرتْ في الحافِ والحفيرِ ما انهالَ مِن سلاحها الكثيرِ
وليسَ هذا منتهى القتالِ وعبثِ الأزمةِ والوبالِ[2]

(١) العلم هنا الجبل

(٢) ان التشابيه الشائقة متلازَّة متزاحمة في آخر هذا النشيد تزاحم الفرسان في حومة الميدان . وحسب المطالع ان يعيد النظر عليها فيرى بدائع التراكيب وغرائب الاساليب قد تطايرت من قريحة الشاعر بابياتٍ قصار تطاير النبال عن سواعد الابطال

النشيد الثامن عشر

تفجع اخيل على فطرقل ووصف الترس الذي صنعه له الاه النار

مُجْمَلُهُ

جرى انطيلوخ الى اخيل فأنبأه بموت فطرقل فبكى اخيل وانتحب وأخذ منه الحزن كل مأخذ . فسمعت امه ثيتيس انينه وهي في لجة البحر فصعدت اليه مع بنات الماء فأخذت تصبره وهو لا يتصبر ولا يرى الا الانتقام لرفيقه وحبيبه . وكان فطرقل قد ذهب بسلاح اخيل فبقي اعزل لا قبل له بالتقاء الاعداء على تلك الحال . فثبطته امه ريثما تحضر له شكة في اليوم التالي من صنع آلاه النار . فصرفت زميلاتها وصعدت الى الاولمب فتلاحم الجيشان حول جثة القتيل وكاد هكطور يظفر بها لولم تأت ايريس من قبل هيرا وتأمر اخيل بالاقبال من بعيد على الطرواد . فأقبل الى حافة الخندق وصاح ثلاث صيحات فارتاع الطرواد وانهزموا وخلا الاغريق بجثة فطرقل واتوا بها قبيل المغرب الى خيمة اخيل . وعقد الطرواد مجلسهم فأشار فوليداماس بالتحصن في المدينة فأبى هكطور الا البقاء خارجها . فقضوا ليلتهم متيقظين والاغريق واخيل يندبون فطرقل فغسلوه وطيبوه . وأما ثيتيس فدخلت صرح الاه النار فرحبت بها زوجته ثم اتاها بنفسه فبثت له شكواها والتمست سلاحاً لابنها فدخل معمله واصطنع الترس العجيب والدرع والخوذة والخفين والقى بهن اليها « فاندفعت بها اندفاع الصقر »

وقائع هذا النشيد في اليوم التاسع والعشرين وليلة الثلاثين ومجرى حوادثه في مضارب أخيل وفي منزل الاه النار

النشيد الثامن عشر

صدامُهُمْ كأُوارِ النَّارِ مُحْتَدِمُ   وأَنْطِلُوخُ بهِ قَدْ خفَّتِ القَدَمُ

أَلفى أَخيلَ لَدى الأُسطُولِ يَخْبِطُ في   بُحْرانِهِ قَلقاً مِمَّا بَدا لَهُمُ [(١)]

يئنُّ وَهوَ يُناجي النَّفْسَ مُضْطَرِباً:   «وَيلاهُ ما أَرى الأَرْغُوسَةَ انْهَزَمُوا

وَلَّوا عَبَاديدَ نحوَ الفُلْكِ شارِدَةً   هَلْ جَلَّ خَطْبٌ بِهِ الأَرْبابُ قد حَكَمُوا [(٢)]

خَطْبٌ بِهِ أَوعزَتْ ثِيتِيسُ قائِلَةً :   «بُهْمُ الْمرامِدِ يَلقى الحَتْفَ خَيْرُهُمُ [(٣)]

«يَغِيبُ عنهُ ضِياءُ الشَّمْسِ فاتِكَةً   بِهِ الأَعادي وحَيٌّ أَنتَ عِندَهُمُ »

لاشَكَّ فَطْرُقْلُ أَودى وَيْحَهُ أَفَلَمْ   أَقُلْ لَهُ دُونَكَ النِّيرانُ تَضطَرِمُ

أَخْمِدْ شرارَتَها وارْتَدَّ مُجْتَنِباً   هَكْطورَ لا تَنْخَرِطْ إِيَّاكَ وَسْطَهُمُ»

تِلْكَ الهَواجِسُ هاجَتْ بَثَّهُ فإِذا   بأَنطِلُوخَ بَدا والدَّمْعُ يَنْسَجِمُ

قال:«ابْنَ فِيلا مُصابٌ قد دُهِمْنا بِهِ   يا حَبَّذا لو بَنُو العَلْياءِ ما دَهَمُوا

فَطرُقْلُ مُلْقًى وهَكطُورٌ بِشِكَّتِهِ   والجِسْمُ عارٍ عَلَيهِ النَّقْعُ مُلْتَحِمُ» [(٤)]

---

(١) الاسطول بمعنى الطائفة من السفن معرّب Στόλος (ستولُس) باليونانية

(٢) عباديد اى شراذم ذاهبين في كل وجه

(٣) البهم الابطال ج بهمة

(٤) يتخذ الافرنج هذين البيتين مثالاً لبلاغة الايجاز ودقة التعبيرفان انطلوخ أنبأ أخيل بقتل فطرقل وذكر اسم القاتل وفوزه بسلاح اخيل وتجريد جثة القتيل والتحام الحرب من حولهـا ذلك كله ببيت واحد وطأ له ببيت آخر هيأه فيه لسماع ذلك الخطب الجلل ونبهه الى ان ذلك انما كان بمشيئة لامردّ لقضائها فكأنه قال له فوق هذا بوجوب التأسي والاذعان

فلما أنتهى أنطلوخ من مقالته حتَّى محيَّا أخيلٍ غشَّت الغمم [1]
وفوق طلعته الغرَّا وهامته براحتيه سناجاً ذرَّ يلتطم [2]

يتمثل اليونان بهذين البيتين كما يتمثل اللاتين بقول يوليوس قيصر Veni, vidi, vici. ومعناها اتيت فرأيت فظفرت وهي كلمات ثلث كتبها الى مجلس الشيوخ برومية عندما حمل فائزاً من مصر على بلاد مثريداتس في اسيا فاكتسحها

وعندنا في العربية امثلة كثيرة لجمع المفاد الطويل بالكلام القليل كقول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل بشطر واحد

وقول بعضهم:

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا فسام صبراً فاعيى نيله فقضى

فجمع الغرام من النظرة الى الحسرة الى الصبر الى القبر

وقول شوقي الشاعر المصري:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

والايجاز في محله كالاطناب في محله منتهى البلاغة فالموقف موقف سرعة واهتمام لا موقف بحث وكلام كما مر بنا في النشيد التاسع اذ أوفد الوفود الى أخيل واخذوا يتجاذبون اطراف الحديث يقضون به ليلتهم والحرب خامدة والاعين هاجدة بظلام الليل

ثم ان في بلاغ انطلوخ نكتة أخرى قلَّ من ينتبه اليها وهي أنه اخبر اخيل بمقتل حبيبه فطرقل بعبارة لا تثقل على السمع فقال « هكطور ملقى » ولم يقل ميت او قتيل كقوله في سائر المواضع

(١) الغمم جمع غمة اي الاكدار

(٢) السناج ما يعلق على الحائط من أثر الدخان . وفي الاصل « ذرَّ رماداً اسود » ولعلنا اصبنا بقولنا السناج

كان القدماء من امم الشرق يذرّون الرماد على رؤوسهم عند حلول المصائب

فاسْوَدَّ مِنهُ مُحيَّاهُ وقد عَلِقَتْ ... بِطِيبِ أثوابهِ آثارُهُ السُّحُمُ (١)

أكَبَّ يَشغَلُ ميداناً بِقامتِهِ ... تَمرُّغاً وهوَ زاهي الشَّعرِ يَصطَلِمُ (٢)

وحَولَهُ انْطلقَتْ تَبكي مُولولَةً ... تلكَ السَّبايا التي غَصَّتْ بها الخِيَمُ (٣)

غِيدٌ أخيلُ وفَطرُقلُ بِبأسِهِما ... قد أحرَزا سَلَماً يا حبَّذا السَّلَمُ (٤)

لَطَمْنَ بَضَّ صدُورٍ والتَّوَيْنَ أسىً ... فَسَحَّ مِن أنطلوخَ المَدمعُ الرَّذِمُ (٥)

ذَرْعَيهِ أمسَكَ حتَّى لا يَثُورَ أسىً ... ونَحْرَهُ يَلِجُ الصَّمْصامةُ الخَذِمُ (٦)

ويتمرغون على التراب ويجلسون على المزابل • وسيرد ذكر ذلك بيان أجلى في النشيد الثاني والعشرين

(١) السحم السود ج اسحم ــ تقدم ذكر الطيب (ن ١٤ : ص : ٧٤٧)

(٢) لس في الالياذة كلها ما يفيد ان اخيل كان جباراً عظيم الجثة كعمالقتنا وعليه فلا ارى بقوله هنا « يشغل ميداناً بقامته » الا اشارة بتلوٍّ للفسحة التي كان يتمرغ عليها

(٣) قالوا في سبب ولولة السبايا انهن فعلن ذلك اما حزناً على فطرقل لانه كان يعاملهن بالتؤدة والرفق لما عرف به من الدعة والحنان واما لانهن انتهزنها فرصة لندب حالهنّ وهن في ربقة الاسر • قلت والاولى ان يقال انهن انما فعلن ذلك جرياً على العادة المألوفة في ذلك الزمان من ندب الميت والولولة عليه على ما هو جارٍ في زماننا في مصر وغيرها من بلاد الشرق حتى لقد تستأجر النادبات فينحن ويولولن وهن لا يعرفن الميت وليس بهن عاطفة حنان عليه • وسترى ذلك باكثر ايضاح في النشيد الاخير بمأتم هكطور

(٤) السلم الاسر والاسير

(٥) الرذم السيال

(٦) الصمصامة الخذم السيف القاطع • اي ان انطلوخ أمسك بذراعي اخيل لئلا يولج اخيل سيفه بنحره فيقتل نفسه من شدة الحزن

فَأَنَّ عَن أَلَمٍ مِن ضَيْمِهِ فَمضى ... حتَّى لثيتيسَ ذاكَ الضَيمُ والأَلَمُ (١)

فصعَّدَتْ مِن عُبابِ البَحرِ زفرتها ... حَيثُ اُستَقرَّ أبوها نيرُسُ الهَرِمُ (٢)

وَحولهَا ثَمَّ في الأَعماقِ قائمةً ... في اليَمّ كُلُّ بَناتِ اليَمّ تلتَئِمُ

غلوُ لَهُ قِيمُذُوكا ثاليا وَثوا ... وآليا مَن بعَيْن الحُورِ تَتَسِمُ

صِفَيَّةٌ نِيسيا أَكْتا قِموثوَة ... لِمْنورَةٌ ذُورس قانوبُ أَمفنمُ

أَمفيثُوا ذِينَمينا ذِكسمينا ذُتو ... غلاطيا الحُسْنِ مَن شاعت لها الشِيَمُ

وحَولهَا ياريا مِيليتُ آغيا ... فيرُوزُ قليانرا إقروطُ تزدحمُ

وأَفسُذِيسُ نِميرتيسُ قلينسا ... أَماثيا مَن بشَعرٍ زانها وَسَموا

يَانَاسُ يا نِيرُ إقليمِينُ أُورثيا ... مايرُوالكلُّ ضمنَ الكَهفِ ينتَظِمُ (٣)

كَهفٌ لها أَبيَضٌ حسناً فارتكمنَ بهِ ... وفيهِ كُلُّ بَناتِ البَحرِ ترتَكِمُ

---

(١) لما كانت ثيتيس والدة اخيل من بنات البحر وهن كما علمت من زمرة الآلهة لم يكن بالعسير عليها ان تسمع انين ابنها وهي في قعر البحر

(٢) نيرس هو الماء ثم مُثّل شخصاً فجعل رب الماء او ملك الماء — قلما تخلو اساطير امة من قوم يأوون الى قاع البحار ويساكنون اسماكها وبناتها وعندنا في الف ليلة وليلة من اخبار السمندل ملك البحر وقومه ما يربو على اقاصيص نيرس وبناته



بنت الماء

(٣) يمثلون بنات اليم ممتطيات ركوبة يسمونها فرس البحر يرسمونه بصور مختلفة والغالب اما ان يجعلوه بوجه انسان او يصوروه كما ترى في الرسم

وَلْوَلْنَ وَلْوَلَةً ثُمَّ التَطَمْنَ معاً ... وَوَلْوَلَتْ عَن فُؤَادٍ كَادَ يَنْفَصِمُ

صاحت: «أُخَيَّاتِ سَمْعاً وَانْتَبِهْنَ إِذَا ... لِنَقْمَةٍ قد عَرَتْني دُونَهَا النِّقَمُ

وَيْلاهُ وَيْلاهُ مِن أُمٍّ لِقَرْمٍ وَغًى ... عَن شَأْوِهِ قَصَّرَ الأَبْطَالُ كُلُّهُمُ

أَنْشَأْتُهُ مِثلَ غُصْنٍ طابَ مَنْبِتُهُ ... فِي رَوضَةٍ فَإِذَا بِالسَّادَةِ اخْتَصَمُوا [1]

بِالفُلْكِ أَنْفَذْتُهُ لِلحَرْبِ وَاحَرَبا ... والآنَ مَوطِنُ فيلا دُونَهُ حَرَمُ [2]

ما زالَ حَيًّا عَلَيهِ الشَّمْسُ ساطِعَةٌ ... وفي حُشاشَتِهِ مِن ضَيْمِهِ ضَرَمُ

لا أَسْتَطِيعُ لَهُ عَوْناً وها أَنَذَا ... فَوْراً لِرُؤْيَتِهِ ذَا الحِينَ أَغْتَنِمُ

أَرَى الحَبِيبَ فَأَدْرِي ما أَلَمَّ بِهِ ... مِن مِحْنَةٍ وَهُوَ عن قَرْعِ القَنَا وَجِمُ»

وغادَرَتْ كَهْفَها يَصْحَبْنَها وغَدا ... أَمامَهُنَّ عُبابُ البَحرِ يَنْقَسِمُ

حَتَّى إِذا ما بَلَغْنَ السَّهْلَ سِرْنَ إِلى ... حَيثُ المَرامِذُ تِلكَ الفُلْكَ قد نَظَمُوا

وحَيثُ حَوْلَيْهِ قد أَرْسَوْا عِمارَتَهُمْ ... فَأَسْمَعَتْ زَفَرَاتٍ هاجَها السَّأَمُ

دَنَتْ وأَنَّتْ وضَمَّتْ رَأْسَهُ لَهَفاً ... وكَلَّمَتْهُ تُجارِي دَمعَها الكَلِمُ: [3]

«بُنَيَّ ماذا الأَسَى ما الدَّمْعُ تَذْرِفُهُ ... بُحْ لي فَبَثُّكَ عَنِّي لَيسَ يُكْتَتَمُ

أَلا تَرَى زَفْسَ ذاكَ الوَعْدُ بَرَّ بِهِ ... لَمَّا بَسَطْتَ لَهُ كَفَّيْكَ تَتَظَلَّمُ

ناشَدْتَهُ مُذْ عَنِ الإِغرِيقِ بِنْتَ إِذَنْ ... في وَجْهِ فُلْكِهِمِ كَيداً يَكِيدُهُمُ» [4]

---

(١) المراد بالسادة الآلهة

(٢) اي محرّم عليه الرجوع الى موطن فيلا ابيه

(٣) يقال في هذا البيت ما تقدم في اول هذا النشيد عن خطاب انطيلوخ فقد جمع فيه عواطف الامهات وحركاتهن بابلغ ما يمكن من الايجاز وصدق التعبير

(٤) جهلت ثيتيس او تجاهلت موت فطرقل وقالت له تخفيفاً لوطأة الحزن

فأنَّ عن كبدٍ حرَّى وقال: «أجلْ   قد برَّ وَيلاهُ فيما قد أذاقهمُ
لكنْ إذا اخترمتْ أبطالُ صيدِهم   ما نالني والفتى فطرقلُ مخترمُ [1]
فطرقلُ أرفعهم شأناً وأعلقهم   بمهجتي لا تضاهيهِ قرومهمُ
بهامتي كنتُ أفديهِ فوالهفي   عدِمتُهُ مثلما كبارُهم عدِموا
مِن بعدِ مصرعهِ في صلدِ شكّتهِ   هكطورُ ذو القونسِ الطيّارِ محتكمُ [2]
سلاحُ خلدٍ مِنَ الأربابِ أُهديهُ   فيلا فما حصرتْ تقويمهُ القيمُ
فيضاً أنالوهُ لمّا كنتِ قسمتهُ   يا حبّذا لو لهُ إنسيّةً قسموا [3]
فلو بقيتِ ببطنِ البحرِ قاطنةً   ما نلتِ مِن إنسِ أهلِ الأرضِ ضيمهمُ
وما تألّمتِ لابنٍ لن يأوبَ إلى   أوطانهِ وهوَ بحرَ الموتِ يقتحمُ
لا عيشَ لي فسناني اليومَ تنفذهُ   كفّي لهكطورَ عن فطرقلَ أنتقمُ»
صاحت وسحّتْ على الخدّين عبرتها: «إذاً حياتكَ كادت آهِ تنصرمُ
هلاكُ هكطورَ يتلوهُ هلاككَ لا   مرىً» فقالَ: «اذاً يا حبّذا الشّبمُ [4]

عليه ان كنت تتضور لهفةً وأسى على مصاب الاغريق فقد كنت انت المتسبب به اذ توسلت الى زفس ان يذيقهم من العذاب فها هو منيلك مرامك فتفجعك اذاً عبثٌ وفضول

(١) ما استفهامية

(٢) القونس بيضة الخوذة وذو القونس الطيار لقب من ألقاب هكطور وقد عبرنا عنه في غير هذا الموضع بلفظ هيّاج التريكة اي الخوذة

(٣) اي ان الارباب اهدوا ذلك السلاح الى فيلا والد اخيل اكراماً لثيتيس لا لفيلا نفسه

(٤) الشبم الموت

يا حبَّذا الموتُ إذْ غُلَّتْ يدي سلفاً ... عن صونِ إلفي لمّا اشتدَّتِ الإزَمُ
فطرُقلُ أودى ولم أبرُزْ لجانبهِ ... أقيهِ من صدماتٍ تحتها اصطدموا
فلم أصُدَّ زُؤامَ الموتِ عنهُ ولم ... أرُدَّ عن فتيةٍ هكطورُ فلَّهمُ
فالموتُ فالموتُ لا عودٌ ولا وطنٌ ... إذْ لم أهُبَّ الى الهيجا أصونهمُ
حِملاً على الأرضِ لاجدوى لثقلتهِ ... ظللتُ دونَ أساطيلي تجاهَهمُ
لئنْ يفقْ بسدادِ الرأيِ بعضُهمُ ... فإنّني بقراعِ الصمِّ فقتُهمُ
فلتهلكِ الفتنةُ الدهما التي عبثتْ ... بالجنِّ والإنسِ حتّى افتلَّ شملُهمُ
وليهلكِ الغيظُ من بينِ الأنامِ فكمْ ... أغرى وأوغرَ منقاداً حكيمَهمُ
كالشهدِ في الصدرِ يجري وهوَ منتفخٌ ... مثلَ الدخانِ بهِ أهلُ العيونِ عَمُوا
أثريذُ حدَّمني غيظاً وذاكَ خلا ... فلننفضِ ولنمضِ مهما برّحَ الأضمُ (١)
نعمْ سأطلبُ هكطورَ الذي فتكتْ ... كفّاهُ في قمّةٍ تعنو لها القممُ
حتّى إذا شاءَ زفسٌ في بطاتهِ ... موتي فإنَّ حياتي تلكَ دونهمُ
هِرَقلُ لم يُغنِ عنهُ بأسهُ وَولا ... زفسٍ فأودى وإنْ أولوهُ وُدَّهمُ
أصابهُ كيدُ هيرا والقضاءُ إذاً ... فلألقَ ميتاً إذا كانت كذا القسمُ

(١) المصائب مرآة المعايب . يتصف المرء بصفة يمقته لاجلها الناس فلا يبالي حتى اذا نالته من ورائها مصيبة افاق ورأى تلك الصفة باقبح مظاهرها . وهكذا فان اخيل لم ينثن لنصائح نسطور وفينكس وأوذيس وعمي عن رؤية كل ما قالوه بشأن شر الفتنة ووبال الغيظ فلم يفقه شيئاً من كلامهم حتى ضربته الرزية بحليف وده فطرقل فتنبه من تلقاء نفسه وقال ما قال بوصف الفتنة والغضب

وليسَ مِن شاغلٍ ذا اليومَ يَشغَلُني　　إلاَّ ادّخارٌ عليّ تسمو به الهِمَمُ
والدّردنيّاتُ بضّاتُ الصدور يُرى　　لهنَّ دمعٌ سخينٌ جَريُهُ دِيَمُ (١)
يمسحنَ ماسحَ عن غضّ الخدود وقد　　هاجت تلهُّفهنَّ الأبؤسُ الدُّهُمُ
يَعلمنَ أنَّ اعتزالي طال فاغتنمَ الأ　　أعداءُ بوني وإنّي الآنَ بينهم
ما أنتِ مهما بذلتِ النُّصحَ مانعتي » قالت : « أجل أحكمتَ في قولكَ الحِكَمُ (٢)

---

(١) يقول ان الدردنيات اي نساء طروادة سيبتئسن لما أولاهنّ من المصائب بقتل ازواجهنّ

(٢) اطال الشراح الكلام على ماحوى جواب اخيل لأمه في هاتين القطعتين من روائع الالفاظ وبدائع المعاني فان فيهما مرآة ناطقة بشعائر الشهم الابي العظيم والصديق الوفي الحميم والابن الشفيق الكريم يتأفف ويلوم نفسه على تقاعده وينسى ماكان من اذى اغاممنون ويغضي عن زلة منه مضت ويلعن الفتنة والغضب ويقدم على خوض ميدان القتال غير منثنٍ ولا هيَّاب ولو علم انه سيلقى حتفه • يتمنى لو افتدى فطرقل برأسه او مات عقاباً له لتقاعده عن البروز مع صديقه كتفاً لكتف • يتفجع لغمة والدته ويتمنى لو لم يعرفها والده لانها لو لم تلد ابنها الانسي وهي جنّية لما عرفت الضيم والاسى • ثم انه لايتمثل وهو البطل الباسل الا بالبطل العظيم هرقل الذي طبقت شهرته الآفاق وهو مع تلك الانفة الشماء والشعور بطول باعه لا يأنف من الاقرار ان بين قومه افراداً يفوقونه حكمةً وسداداً • وهو اقرار يزيد قوله في الفخر وقعاً ورجحاناً — لم أر لاخيل في كل انشاد الالياذة كلاماً يشف عن دقة احساس ورقة عاطفة واستسلام للقضاء المبرم كهذا الكلام حتى انه لما استطرد الى التهديد والوعيد لم يقل بجندلة الابطال وصرع الاقيال بل اشار الى مايعقبها من نحيب النساء وذرف العبرات ومسح ماسح منها على الوجنات • وليقل حساد هوميروس بعد هذا ان اخيل لم يكن الا بطل كر وقلب صخر

وَافخَرْ مَن عَن سَراياهُ وَأُسْرَتِهِ أَزاحَ بالبَأْسَ خَطباً جَلَّ هالَهُمُ

معارضة

بين بعض ما جاء من قول بطل العرب موافقاً لقول بطل اليونان في هذا الموضع

قال أخيل : وليهلك الغيظ من بين الانام فكم أغرى وأوغر منقاداً حكيمهمُ
وقال عنترة : لا يحمل الحقد من تعلو به الرتبُ ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ
قال اخيل : وليس من شاغل ذا اليوم يشغلني الا ادّخارُ علىً تسمو به الهممُ
وقال عنترة : دعني اجد الى العلياء في الطلب وابلغ الغاية القصوى من الرتبِ
قال اخيل : والدردنيات بضّات الصدور يُرى لهنّ دمعٌ سخينٌ جريهُ ديمُ
يمسحن ما سحّ عن غض الخدود وقد هاجت تلهّفهنّ الابؤسُ الدهمُ
وقال ايضاً بعد ابيات :
فكم ثم طروادية دردنيةً سبينا بدار بأسنا فوقها امتدّا
يَنُحنَ عليك اليوم والليل كلّه ويلطمن بض الصدر والنحر والخدّا
وقال عنترة : سلي عنا الفزاريين لما شفينا من فوارسها الكبودا
وخلينا نساءهم حيارى قبيل الصبح يلطمن الخدودا
وقال ايضاً : ويل لشيبان اذا صبحتها وارسلت بيض الظبى شعاعها
وخاض رمحي في حشاها وغدا يشك من دروعها اضلاعها
وأصبحت نساؤها نوادباً على رجال تشتكي نزاعها
وقال : وحولك نسوة يندبن حزناً ويهتكن البراقع واللفاعا
قال اخيل : يعلمن ان اعتزالي طال فاغتنما أعداءَ بوني واني الآن بينهمُ
وقال عنترة : سكتُّ فغر اعدائي السكوتُ وظنوني لاهلي قد نسيتُ

قال ذلك وهو في موقف موجدة واعتزال كموقف اخيل اذ خرج عن قومه غضبان فنزل على بني عامر واقام فيهم فأغارت هوازن وجشم على ديار عبس فارسلوا يستمدون عنترة فأبى وامتنع حتى اذا اعظم الخطب على بني عبس خرجت اليه جماعة من نساء القبيلة وطلبن اليه ان ينهض معهنّ لمقاومة العدو والا تشتت شمل العشيرة فاحتمس

لٰـكِنَّ شِكَّتَكَ الغَرَّاءَ فازَ بها ا أ ... ـِدَى وهَكْطُورُ فيها الآنَ مُتَّسِمُ

ما خِلْتُـهُ يَتَمادَى عَهْـدُهُ زَمَنـاً ... عَلِمْتُ ساعَتُهُ حانَتْ وَما عَلِمُوا

فَلا تَلِجْ لُجَجَ الهَيْجاءِ مُقْتَحِماً ... حَتَّى تَرانِي غَداً والفَجْرُ يَبْتَسِمُ

في شِكَّةٍ من لَدى هِيفَسْتَ شائِقَةٍ ... أَعُودُ فَأَبْلُ بها وافْلُلْ جَمْعَهُمُ »

وَغادَرَتْهُ وقالَتْ لِلْحِسانِ : « إلى ... مَ الشَّيْخُ والِدُنا بالصَّبْرِ مُعْتَصِمُ

ونهض وانشد ابياتاً استهلها بالبيت السالف الذكر

قال اخيل: حتى اذا شاء زفس في بطانته ... موتي فان حياتي تلك دونهمُ

هرقل لم يغن عنه بأسـهُ وَلا ... زفسٌ فأودى وان اولوه ودَّهمُ

أصابه كيد هيرا والقضاء اذاً ... فلا الوَ ميتاً اذا كانت كذا القِسمُ

وقال عنترة: اذا كان امر الله امراً يقدَّرُ ... فكيف يفرّ المرء منه ويحـذرُ

ومن ذا يرد الموت او يدفع القضا ... وضربتـه محتومة ليس تعبرُ

قال اخيل: فطرقل ارفعهم شأناً واعلقهم ... بمهجتي لاتضاهيـه قرومهـمُ

بهامتي كنت افـديه فوا لهـفي ... عدمته مثلما كبارهم عـدموا

نعم سأطلب هكطور الذي فتكت ... كفاهُ في قمـةٍ تعنو لهـا القممُ

وقال عنترة في رثاء زهير بن جذيمة العبسي :

تولى زهـير والمقانب حوله ... قتيلاً واطراف الرماح الشواجرِ

وكان اجل الناس قدراً وقد غدا ... اجل قتيـل زار اهل المقابرِ

فوا اسفا كيف اشتفى قلب خالد ... بتـاج بني عبس كرام العشائر

وكيف انام الليل من دون ثأره ... وقد كان ذخري في الخطوب الكبائر

وان من تصفح ديوان عنترة ليعجب من كثرة المشاكلة بين كلامه وكلام اخيل وقد اوردنا شيئاً من ذلك في مواضعه واضربنا عن ذكر الكثير خوف الاطالة . وانا مثبتون الآن ابياتاً قالها عنترة في رثاء مالك بن زهير العبسي صديقه يرى المطالع اللبيب شبهها القريب برثاء اخيل لفطرقل في هذا النشيد ومواضع اخرى من الالياذة :

لِجُنَ العُبابَ إِذًا بَلَغْنَهُ وأَنا هيفَسْتَ أَطْلُبُ فَهُوَ العَهْدَ يَحْتَرِمُ»
فَمَضَيْنَ وَهْيَ أستطارَتْ تَبْتَغِي مَدَدًا في الخُلْدِ حَيْثُ اسْتَقَرَّ المَجْدُ والعِظَمُ

ما زالَتِ الطُرّادُ تَحْتَ القَسْطَلِ مِن وَجْهِ هَكْطُورَ المُدَمِّرِ تَنْجَلِي
بَلَغَتْ على صَلَقاتِها أُسْطُولَها وقَتِيلُها تَحْتَ النِّبالِ الهُمَّلِ
كَشَرارَةٍ هَكْطُورُ هَبَّ يَرُومُهُ بِرِجالِهِ ولَفِيفِ ذاكَ الجَحْفَلِ
أَخْنَى ثَلاثًا قابِضًا قَدَمَيْهِ وَهْـ وَ يَصِيحُ يا جُنْدَ الطَّرَاوِدِ أَقْبِلِي
وكَذا ثَلاثًا صَدَّهُ عَزْمُ الأَيا سِيَنِ المُذَلِّلُ عَزْمَ كُلِّ مُذَلِّلِ
لٰكِنَّهُ ما انْفَكَّ عن عَزَماتِهِ مُتَدَرِّعًا بِزَماعِ قَرْمٍ قَيِّلِ
مُتَرَبِّصًا طَوْرًا يَهُدُّ وتارَةً يَلِجُ العُبابَ بِكَرَّةِ المُسْتَبْسِلِ
لَمْ يَبْلُغا أَرَبًا بِهِ لٰكِنَّهُ مِنْ حَوْلِ ذاكَ الشِّلْوِ لَمْ يَتَحَوَّلِ

... فلله عينا من رأى مثل مالكٍ عقيرة قوم أن جرى فرسانِ
فليتهما لم يجريا نصف غلوةٍ وليتهما لم يرسلا لرهانِ
... وقد جلبا حيناً لمصرع مالكٍ وكان كريماً ماجداً لهجانِ
وكان لدى الهيجاء يحمي ذمارها ويطعن عند الكرّ كل طعانِ
به كنت اسطو حينما جدت العدى غداة اللقا نحوي بكل يمانِ
فقد هد ركني فقدهُ ومصابه وخلى فؤادي دائم الخفقانِ
فوا اسفا كيف انثنى عن جواده وما كان سيفي عنده وسناني
رماه بسهم الموت رامٍ مصممٌ فياليته لما رماهُ رماني
فسوف ترى ان كنت بعدك باقياً وامكنني دهر وطول زمانِ
واقسم حقاً لو بقيت لنظرةٍ لقرّت بها عيناك حين تراني

كالليثِ ضَوَّرَهُ الطوى بفَريسةٍ يخلو ويزْري بالرُعاةِ البُسَّلِ
ولرُبّما بِثَنَاهُ عادَ مُظفَّرًا لو لم تلحْ إِيرِيسُ تَرْمَحُ مِن عَلِ
أَمَّتْ أَخيلَ مِنَ الأُلمبِ فأَقْبَلَتْ كالرّيحِ تُنْذِرُ بالوَبالِ المُقْبِلِ
هِيرا أَسارَتها فلمْ يَعْلَمْ بها زَفْسٌ ولا أَرْبابُ ذاكَ المَحْفَلِ
قالت: «أَخيلُ وأَنتَ مِغْوارُ الوَغى لِلذَّودِ عن فَطرُقْلَ كُرَّ وعجِّلِ
دُونَ السَّفائِنِ تحتَ مُشْتَجرِ القَنا حولَيهِ كَمْ قَرْمٍ يخرُّ مُجَنْدَلِ
ما بَينَ حامٍ يستَشيطُ وحائمٍ بالشِّلْوِ إِلْيُونًا يَرُومُ ويَصْطَلي
وأَشَدُّهُمْ هَكطُورُ يَدْفَعُهُ المَرا مُ لِفَصْلِ هامَتِهِ وبَتِّ المَفْصِلِ
مِن ثَمَّ تُعْرَضُ للهَوانِ على القَنا أَفتَلْبَثَنَّ عَنِ الكِفاحِ بِمَعْزِلِ
كُرَّنَّ أَو فَطرُقْلُ بَينَ نَواهِسٍ في ساحَةِ الأَعداءِ جُثَّتَهُ تَلي
فإِذا بها عبَثَتْ فأَيَّةُ حِطَّةٍ أَبدًا تَسُومُكَ ذِلَّةَ المُتَذَلِّلِ »

فأَجابَ: «إِيرِيسُ وَمَنْ أَسراكِ لي» قالت: «حَليلةُ زَفْسَ ذِي الطَّولِ العَلي
لم يَدْرِ بي زَفْسٌ وسائرُ مَن ثوى بِذُرى أُلمبٍ بالثُّلُوجِ مُكلَّلِ »
فأَجابَ: «آهِ وَكيفَ أَقتَحِمُ الوَغى وأَخُوضُ لُجَّتَها بِراحَةِ أَعْزَلِ
مالكَ العِدى عُدَدي وأُمّي حَتَّمُها أَبقى هُنا بِتَرَبُّصِ المُتَحمِّلِ
حتّى أَراها أَقْبَلَتْ في شِكَّةٍ قد دَقَّها هِيفَسْتُ أَعظمُ صَيقَلِ
أَولا فَأَيُّ فتًى بِشكَّتِهِ أَرى غَرَضي خِلافَ مِجَنّ آياسَ المَلي
وآياسُ مِن حَولِ القَتيلِ إِخالُهُ قد حامَ يَطْعَنُ في الخَميسِ الأَوَّلِ »

قالت: «عَلِمْنا كُلَّ ذلكَ إنّما إنْ تَبْدُ للطُّرّادِ دُونَ المَعْقِلِ
ذُعِرُوا وَصَحْبُكَ يا نَسُونَ بِجُهْدِهِمْ فَعلى البُرُوزِ لَدى سُراهُمُ عَوِّلِ
ضاقت منافسهُمْ وفي دارِ الوَحى هَيْهاتَ تُؤمَلُ راحةٌ لمُؤمِّلِ»
طارت فهبَّ فألبَسَتْهُ مِجنَّها فالاسُ في هُدّابهِ المُسترسِلِ
وعلى مُحَيّاهُ غَمامَةَ عَسْجَدٍ ألقَتْ يَفيضُ لها لَهيبُ المشعَلِ
فكأنّما بَلَدٌ بِقَلْبِ جَزيرةٍ حُصِرَتْ علا مِنهُ الدُّخانُ المُعتَلي
خَرَجتْ بَنُوهُ الى مُبارَزَةِ العِدى وقضَوا نَهارَهُمُ بِقَرْعِ الأنصُلِ
حتى اذا بَرِحَتْ بَراحِ تألَّقَتْ نِيرانُهُمْ مِن تحتِ لَيلٍ ألْيَلِ (١)
أملاً بِجيرَتِهِمْ تَرى فتَمُدُّهُمْ بِعِمارةٍ تُجْلي العَدُوَّ المُبتَلي
وكذا أخيلُ لَهيبُ هامتِهِ سما حتّى الرَّقيعِ لِمُقلَةِ المُتأمِّلِ
فَوقَ الحَفيرِ أقامَ لا يطأُ الوَغى إذْ عن مَقالةِ أُمِّهِ لَمْ يَغْفُلِ
بالقَومِ صاحَ وصَوتُ فالاسٍ علا فتَقَلقَلَ الأعداءُ أيَّ تَقَلقُلِ

---

(١) برحت براح اي غابت الشمس . يقول ان الدخان يعلو من الجزيرة نهاراً فاذا غابت الشمس ظهرت النيران لان النار لا ترى عن بعد نهاراً فلا يظهر اللهيب حتى تغيب الشمس وذلك على نحو ما جاء في سفر الخروج : وكان الربّ يسير امامهم نهاراً في عمود من غمام ليهديهم الطريق وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم ليسيروا نهاراً وليلاً (خر ١٣ : ٢١)

وما أحسن ما قال ابو تمام وقد ذكر ضوء النهار وظلمة الدخان في الحريق :

ضوءٌ من النار والظلماءُ عاكفةٌ وظلمةٌ من دخان في ضحى شحبِ
فالشمس طالعة من ذا وقد افلت والشمس واجبة من ذا ولم تجبِ

كالصُّورِ خلفَ السُّورِ ينفخهُ العدى تحتَ الحِصارِ تبيَّنوا الصوتَ الجلي

كانوا يتفاهمون بالاشارات النارية كما يتفاهمون الآن على اسلاك البرق . والنار المقصودة هنا انما هي نار الحرب وقد كان لها شأن عظيم في جاهلية العرب وأوائل الاسلام ومنها النار التي أوقدها سهل بن صباح العبسي في حصار بعلبك . قال : فطلعت الى ذروة الجبل فعلوته واشرفت على العسكرين وجعلت انظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم في العرب ... فأسرعت الى جرائم الشجر فجعلت أكسرها واعبي الحطب بعضه على بعض وعمدت الى زناد كان معي فاوقدت النار وعبيت حطباً اخضر ويابساً حتى علا منه دخان عظيم وكانت علامتنا اذا أردنا ان يجتمع بعضنا الى بعض بارض الشام في الليل وقود النار واثارة الدخان . قال فما هو ان علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد واصحابه وضرار بن الازور واصحابه فنادى بعضهم بعضاً الحقوا الامير اباعبيدة (الواقدي)

لم أر في الالياذة الا نارين من النيران المعروفة عند العرب وهما نار الحرب هذه ونار القرى ذكرت تلميحاً غير مرة ولا ريب انه كان لهم نيران اخرى لم يذكرها الشاعر . اما نيران العرب فكثيرة جمع جلها الشيخ ناصيف اليازجي بقوله

أول نار عندهم نار القرى ... وذكر نار الوسم بعدها جرى

ونار الاستسقاء والتحالف ... والصيد والحرب لدى التزاحف

ونار غدر وسلامة تعدّ ... ونار راحل كذا نارُ الأسدْ

والنار للسليم والفداء ... فجملة النيران هؤلاء

فنار القرى كانت توقد للضيوف اذا حضروا او ارشاداً لهم الى محل الضيافة . ونار الوسم هي التي توقد ليحمى بها الميسم التي كانوا يسمون بها إبل الملوك لترد الماء اولاً . ونار الاستسقاء كانوا يوقدونها تبركاً طلباً للمطر اخذاً عن المجوس . ونار التحالف توقد عند التحالف على امر . ونار الصيد توقد للظباء لتعشى ابصارها . ونار الحرب توقد على جبل اعلاماً للاحلاف الاباعد كما ذكر هوميروس . ونار الغدر كانوا يوقدونها بمنى أيام الحج اذا غدر الرجل بصاحبه ثم يقولون هذه غدرة فلان . ونار السلامة توقد للقادم من سفر سالماً . ونار الراحل توقد للمسافر اذا لم يحبوا ان يعوده

صُدِعوا وأَعرافُ الجيادِ تطايرت	جزعاً وفرّت خيلهم بتجفُّلِ
بعجالها انقلبت تفرُّ بساقةٍ	ذُعرت لِذيالك اللهيبِ المنجلي
مِن حول هامتِهِ أثينا أججت	ذاك السَّعيرَ يَروعُ عينَ المجتلي
فوقَ الخفيرِ علا ثلاثاً صوتُهُ	وكذا ثلاثاً أجفلوا بتبلبُلِ
وتجندَلَ اثنا عشرَ من أبطالهم	برماحِهِم تحتَ العِجالِ العُجَّلِ [1]
فخلا بفطرُقلَ الأغارقُ واثنوا	نائين عن مرمى الرِّماحِ الذُّبَّلِ
وضعوهُ فوقَ سريرِهِ وتقاطرت	خلانُهُ تبكي لِهولِ المقتَلِ
وافاهمُ آخيلُ منتحباً على	إلفٍ بهِ لعبت حدودُ المنصَلِ
هوَ ساقَهُ للحربِ فوقَ جيادِهِ	لكنَّهُ وَاويحَهُ لم يقفُلِ
فهناكَ هيرا أنفذت شمسَ العلى	فتخلَّلت بطنَ العُبابِ لتختلي
فتثبَّطَ الإغريقُ عن هجماتِهم	وتربَّصوا تحتَ الظلامِ المسبَلِ
تخافتِ الطروادُ لمّا الدُّجى اربدّا	مغيراً وحلّوا من عجالهمِ الجُردا

ونار الاسد توقد عند الخوف من سطوة الاسد حتى اذا رآها ينفر منها • ونار السليم اى الملسوع توقد له ويكره على السهر على ضوءها • ونار الفداء توقد لنساء الاشراف كانوا اذا سبيت نساء الاشراف منهم وفدوهنَّ يخرجوهن ليلاً ويوقدون لهن ناراً يستضئن بها

(١) ذلك مبلغ ذعرهم رهبةً من اخيل حتى تبلبلت الرجال وانقلبت الجياد بالعجال واختلط عليهم الامر فباتوا لايرون امراً وكانت نصالهم تنفذ في صدورهم فتصرعهم بايديهم وهم لايشعرون

وُقوفاً قُبيلَ الزَّادِ حَشْداً تألَّقُوا ... ولم يجلسُوا رُعباً وإنْ أُثقلوا جهْدا
لقد هالَهُمْ أنَّ ابْنَ فيلا بدا لَهُمْ ... وبعدَ اعْتزالِ الحرْبِ قد عادَ مُشْتدَّا
بِهِمْ فُولِداماسُ الحكيمُ ابْنُ فَنْثُسٍ ... تبدَّى خطيباً يفقهُ الحلَّ والعقْدا
نَظُورٌ لما يأتي خبيرٌ بما مضى ... ولِيٌّ لِهكْطورٍ ومن رَهطِهِ عُدَّا
لقد وُلِدا في ليلةٍ بيدَ أنَّهُ ... بدا دونَهُ بأساً كما فاقهُ رُشْدا
فقالَ: «أُصَيْحابي اقتفُنَّ نَصيحتي ... هلُمُّوا الى إليُونَ ذا الحينَ نرتدَّا
لدى الفُلْكِ في ذا السَّهلِ للفجرِ لا أرى ... مُقاماً وعنّا السُّورُ تدرُونَ قد نَدَّا
لقد كانتِ الأرْغوسُ أسهلَ مأخذاً ... وآخيلُ مُشْتدٌّ بعزلتِهِ حِقْدا
وكم شاقني إذ ذاكَ ليلي بقربِها ... على أملٍ بالقُرْبِ أنْ نَبلُغَ القصْدا
ولكنَّني أخشى وأدري بأنَّهُ ... بِجِدَّتِهِ لنْ يرضَيَنَّ هنا الحدَّا
يجُوزُ مرامي الجحفلَينِ مغادراً ... لِيَمْلِكَ الأسوارَ والأهلَ والوِلْدا
صدقتُكُمُ نُصحاً فسيرُوا بنا فإنْ ... يكُفَّ فذاكَ الليلُ في وجهِهِ اسْوَدَّا
ولكنْ إذا ما أصبحَ الصبحُ وانْبرى ... بِعُدَّتِهِ أيقنتمُوهُ الفتى الفَرْدا
لإليُونَ مَنْ ولّى فمُستبشراً نجا ... ويُشْبِعُ طيرَ الجوِّ والغُضْفَ مَنْ يُرْدى
فلا طرقَتْ هذي النَّوازلُ مسمعي ... ولكنَّ علي ذا وإنْ ساءَكُمْ جِدَّا
إذاً فلنقُمْ في الليلِ حشْداً مُكثَّفاً ... بإليُونَ أسبابَ الوقايةِ نَعتَدَّا
فأبراجُها الشمُّ وأرتاجُها التي ... بأصفاقِها زُلِّجْنَ نُجْلي بها الوَفْدا (١)

(١) الارتاج الابواب والاصفاق المصاريع وزلجن قفلن

وعِندَ بُزُوغِ الفَجرِ بالعُدَدِ الأُولى ... تَأَلَّقنَ نَبْدُو فَوقَ مَعقِلِنا حَشْدا

فَهيهاتِ آخِيلُ يَفُوزُ إذا بَدا ... بِمُمتَنِعِ الأَسوارِ مَهما عَلا جَهدا

يَعودُ إذا ما أَجهَدَ الخَيلَ حَولَها ... مَغارًا الى أُسطُولِهِ لاهِباً وَجْدا

سَتَفرِسهُ غُضفُ الكِلابِ قُبَيلَ أَنْ ... يَحُلَّ بِهِنَّ اليَومَ اوبُعمِلَ الحَدَّا »

فَأَحدَقَ شَزْرًا فيهِ هَكطُورُ صارِخاً : ... «لَقَدجِئتَ أَمرًا فُولِداماسَنا إِدًّا

أَنَدخُلُ إِليُونًا فَهَلَّا عَيِيتَ مِن ... مُقامِكَ مِنْ خَلفِ المَعاقِلِ مُنْهَدًّا

لَقَد مَلأَ الأَسماعَ ما أَرضُنا حَوَتْ ... نُضارًا بَهِيًّا او نُحاساً بِها صَلْدا

وقَد نَفِدَتْ جُلُّ الكُنُوزِ وبُدِّدَتْ ... فَلَستَ لَها تَلقى بِأَفنائِها عَهْدا

بِإِفرِيجِيا بِيعَتْ وأَرضِ مِيُونَةٍ ... عَلى حِينَ عَنّا زَفسُ مُنتَقِماً صَدّا

وها هُوَ عَنّي الآنَ راضٍ مُنِيلُني ... مِنَ النَّصرِ ما لِلفُلْكِ يَطرُدُهُمْ طَرْدا

تَعِستَ فَصَهْ لاتَخدَعِ الجُندَ لَن يَرَوا ... بِرَأيِكَ نُصحاً او أَرُدَّهُمُ رَدًّا

هَلُمُّوا إِذًا لِلزّادِ لا تَتَشَتَّتُوا ... وكُلُّ فَتًى في حِينِهِ يُحسِنُ الرَّصْدا

ومَن باتَ في خَوفٍ عَلى المالِ فَليَقُمْ ... ويَجمَعْ لَدَيهِ المالَ يُطعِمهُ الجُندا

فَخَيرٌ لَنا نَلهُو بِهِ جُملَةً ولا ... نُمَتِّعُ بِالأَموالِ أَعداءَنا اللُّدَّا

وإِنْ طَرَّ وَجهُ الصُّبحِ دُجِّجَ جَيشُنا ... فَتَعقِدُ دُونَ الفُلْكِ كَرَّتُهُ العَقْدا

فَإِن كَرَّ آخيلُ الى ساحَةِ الوَغى ... رَأَى عَجَباً مِنْ قَبلِ أَنْ يَرِدِ الوِرْدا

أُبارِزُهُ لاهالِعاً أَو مُوَلِّياً ... ولا بُدَّ مِنّا ماجِدٌ يُحرِزُ المَجدا

لِكُلِّ هُمامٍ كانَتِ الحَربُ مَنهَلا ... فَكَمْ بَطَلٍ فيها يَصُدُّ العِدى أَصدى[1]

---

(١) اصدى مات

فَضَجَّتْ لهُ الطُّرْوادُ جهلاً وما دَرَوا   بأنَّ أثينا قد أَضَلَّتْهُمُ عَمْدا
وَهكْطُورَ طُرًّا وافَقُوا يُغْفِلُونَ ما   لَهُمْ فُولِداماسٌ بحِكْمَتِهِ أبْدى
ومالُوا وما زالُوا بِمِلءِ انْتِظامِهِمْ   لِزادٍ لَهُمْ ما بينَ تلكَ السُّرى مُدًّا
وأمّا بَنُو الإغريقِ آناءَ لَيْلِهِمْ   فقد لَبِثُوا في مَأْتَمٍ هَدَّهُمْ هَدَّا
وَبينَهُمُ آخيلُ في زَفَراتِهِ   يحِنُّ لِفَطْرُقْلٍ وقد أكْبَرَ الفَقْدا
على صدرِ ذاكَ الإلفِ ألقى أكُفَّهُ   يُحاكي إذا ما أحْدَقَ الأسدَ الوَرْدا
كأنَّ بِبَطْنِ الغابِ أشْبالَهُ بها   خلا قانِصٌ فازْبَدَّ واشْتَدَّ واحْتَدَّا
وَهَبَّ على آثارِهِ بِحَزازَةٍ   تُحَدِّرُهُ وَهْدًا وَتُصْعِدُهُ نَجْدا
فَصاحَ: «ألا رَبَّاهُ واعْظُمَ مَوْعِدٍ   وَعَدْتُ مِنِتْيُوسًا وَلَنْ أَصْدُقَ الوَعْدا[1]
بِمَنْزِلِهِ عاهَدْتُهُ لأُفَنِطِسٍ   أُعيدُ ابْنَهُ من بعدِ أن يقهرَ الضِّدّا
وَيَهْدِمَ إليُونًا وَيَرْجِعَ غانِمًا   وهيهاتِ زَفْسٌ كلَّ آمالِنا أسْدى
بإلْيُونَ قد خطَّ القضاءُ بأنَّ مِن   دِماءِ كِلَينا الأرضُ مُحْمَرَّةً تَنْدى
فَلَنْ يَتَلَقّاني أبي الشَّيخُ عائِدًا   وثيتيسُ أُمّي بعدَ أن أعظَمَا البُعْدا
أفَطْرُقْلُ مُذْ سِيقَتْ لِذا التُّرْبِ أعْظُمي   وبَعدَكَ لي قد خُطَّ أنْ أنزِلَ اللَّحْدا
فلَسْتُ مُتِمًّا مأتَمًا لكَ قبلَ أنْ   أُذِيقَ الرَّدى هكْطُورَ قاتِلَكَ الجَلْدا
وشِكَّتُهُ تُلْقى لَدَيْكَ ورأسُهُ   فأُذْكي لكَ النِّيرانَ مُدَّخِرًا حَمْدا
ومِن حَولِها اثْنَي عَشَرًا سابِصارِمي   أُقَضِّبُ مِنْ طُرْوادَةٍ فِتْيَةً مُرْدا[2]

(١) منتيوس والد فطرقل

(٢) هذا نذرٌ ينذرهُ اخيل قبل ان يقيم مأتم هكطور وسيبرّ به كما سترى .

فَظَلَّ إِذًا مُلْقًى لَدى الفُلْكِ رَيْثَمَا | أَبرُّ فَذا عَهْدي ولَنْ أُخْلِفَ العَهْدا
فَكَمْ ثَمَّ طُرْوَادِيَّةٍ دَرْدَنِيَّةٍ | سَبَيْنا بِدارٍ بَأْسُنا فَوقَها امْتَدَّا
يَنُحْنَ عَلَيْكَ اليَومَ واللَّيلَ كُلَّهُ | ويَلْطِمْنَ بَضَّ الصَّدْرِ والنَّحرَ والخَدَّا »
وأَوعَزَ أَن يُغْلى على النَّارِ مِرْجَلٌ | وفي غَسْلِ جِسْمِ المَيتِ مِن حِينِهِمْ يُبْدا
فَلَبَّوا وفيهِ الماءَ صَبُّوا وأَشْبَعُوا | لَهُ النَّارَ تَذْكُو مِن جَوانِبِهِ وَقْدا
ولَمَّا غَلى في ساطِعِ القِدْرِ ماؤُهُمْ | فَفي غَسْلِهِ جَدُّوا وقَد أَحْسَنُوا الجِدَّا
ونَقَّوْهُ مِن تِلكَ الدِّماءِ وبادَرُوا | لِزَيتٍ كَثِيفٍ يَدْلُكُونَ بِهِ الجِلْدا
وفي كُلِّ جُرْحٍ أَفْرَغُوا بَلْسَمًا مَضى | لِتِسْعَةِ أَعْوامٍ تَقادُمُهُ عَهْدا
وأَلْقَوْهُ مِنْ فَوقِ السَّرِيرِ وأَسْبَلُوا | مِنَ الرَّأْسِ حَتى تَحْتَ أَقْدامِهِ بُرْدا
ومِن فَوقِهِ سِتْرٌ مِنَ النَّسْجِ أَبْيَضٌ | وناحُوا وآخِيلٌ مَدى لَيلِهِمْ سُهْدا[1]
فَقالَ لِهِيرا زَفْسُ في قُبَّةِ العُلى : | « فَلَحْتِ فَآخِيلٌ لَقَدْ أَنِفَ الصَّدَّا
فَلا رَيبَ في أَنَّ الأَغارِقَ قَدْ نُمُوا | إِلَيكِ وأَضْحَى مِنكِ طارِفُهُمْ تُلْدا »[2]

وفي اخبار العرب كثير من امثال ذلك في ايام الجاهلية والاسلام • روي أنه لما قُتل حمزة بن عبد المطلب في غزوة أُحد وكان قاتله وحشي مولى جبير بن مطعم عظم قتله على صاحب الشريعة الاسلامية فنذر ان يقتل به سبعين رجلاً من قريش وكبّر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة

(١) يبسط لنا الشاعر في الابيات السالفة كيف كانوا يغسلون الميت ويطيبونه ويكفنونه

(٢) نموا نسبوا والطارف الحديث والتلد القديم • لايخفى ما في هذا البيت من التهكم الظاهر والوعيد الخفي

فقالت: «ألا يا ظالمًا قد هزأت بي ... وللإنس تلقى الإنس قد أحسنوا العضدا
ولم يبلغوا من راسخ العلم علمنا ... ولا مثلنا أوتوا بأرضهم الخلدا
وإني وإن ما كنت أسمى إلاهة ... وبعلي أخي من لا أقيس به ندًا [1]
فلم أعط أن أولي الطراود ذلة ... ولا قوم أرغوس أنيل هنا رفدا»

ذاك الحديث في السماء يجري ... ونحو هيفست ثيتيس تجري
حيث بنى الأعرج زاهي القصر ... صرحًا من النحاس عالي القدر [2]
في الخلد يسمو راسخًا للدهر

---

(١) كان زفس بعل هيرا واخاها . قالت اني وان كنت اعظم الاهة وبعلي الذي هو اخي اسمى الاه فلم يسعني ان انصر اوليائي الاغريق ولا ان اخذل اعداءهم الطرواد . كأنها قالت انك لا تذخر لي رعاية ولا تحفظ لي حرمة . يمثل هوميروس تنافر الزوجين بخلوتهما وان كانا في مصاف الآلهة

(٢) الاعرج لقب هيفست ويلقب ايضاً بالحداد وهو الاه النار ومطرّق الصواعق ومشير البراكين . لقب بالاعرج لانه ولد قبيح الصورة فالقت به أمه من اعالي السماء كما سيأتي بعد ابيات — هذا سبب تلقيبه بالاعرج بحسب نص الرواية الميثوليجية . اما سبب تلقيبه بالحداد فمأخوذ من صناعته . على ان الباحثين في التعليل الرمزي لاصل العبادات ذهبوا في ذلك مذاهب نعتمد منها على رواية هرقليذس اذ قال ان هيفست ممثل النار وابوه زفس ممثل الاثير وامه هيرا ممثلة الهواء فالنار سقطت الى الارض من الهواء والرقيع اما بفعل الصواعق واما بوجه آخر . لقب بالاعرج لان النار لاتشتعل بلا وقود كما ان الاعرج لايستطيع المشي ما لم يستند الى عضد يعضده . واما قول هيفست عن نفسه في ما يلي انه لولا ثيتيس وافرينومة لكان هلك فتأويله انه لو لم تقع النار في محل يمكن حفظها فيه لاضمحلت وتلاشت — قيل اخذ

أَلْفَتْـهُ سَـحَّ عَرَقاً فَوَّارا   يُدِيرُ مِنْفَخاً ويُذْكي نارا
مَناصِداً عِشْرِينَ قد أَدارا   على الجِدارِ تَبْهَرُ الأَبْصارا (١)
مَرْفُوعَةً على عِجالِ تِبْرِ
حتَّى بها بأَعْجَبِ العُجابِ   مِن نَفْسِها لِمَجْلِسِ الأَرْبابِ
تُسْرِعُ بالذَّهابِ والإِيابِ   تَمَّتْ سِوى مَقابِضِ الأَجْنابِ
مَعَ عُراها الشَّائِقاتِ الغُرِّ
أَمامَهُ قد حَمِيَ الوَطِيسُ   يُشْغِلُهُ إِذْ أَقْبَلَتْ ثِيتِيسُ
فأَبْصَرَتْها عِرْسُهُ خارِيسُ   فبادَرَتْ بِفَرْعِها تَمِيسُ
وصافَحَتْها بِعَظِيمِ البِشْرِ :



هيفست الاه النار

اليونان عبادته عن المصريين حيث كان يسمى فتالي • والاهة النار عند البلاسجة والطرواد ثم الرومان تدعى فستا تطرقت اليهم عبادتها من الفرس • ومن الغريب ان يكون هذا التشابه بين المعبودين واحدهما ذكر والاخرى انثى • والاغرب من ذلك ان اول صيقل لجميع المصنوعات الحديدية والنحاسية في التوراة هو توبل قاين (تك ٤ : ٢٢) وتوبال اوطوبال باللغات التترية ومنها التركية الاعرج وقين باللغات السامية ومنها العربية الحداد وكلاهما لقب هيفست مع ان توبل قاين كان قبل عهد هوميروس بحسب نص التوراة بنحو الفي عام • ولم أر من انتبه الى هذا التفسير مع انهم بحثوا فيه بحثاً طويلاً واستخرجوا اصل قاين السامي

(١) تقدم لنا بحث وافٍ في المناصد ن ٩ : ص ٥٥٧

« يارَبَّةَ المِقْنَعةِ المسدُولَهْ　　ثِيتِيسُ يا خِلَّتَنا الجليلَهْ
عَلامَ أَنتِ عِندَنا نَزِيلَهْ　　عَلى خِلافِ عادَةٍ جَميلَهْ
هَيِّي بِنا حَيثُ الضُيُوفَ نَقري »
وأَجلَسَتْها طَلْقَةَ الإِيناسِ　　عَرشاً بَديِعاً مُحْكَمَ القِياسِ
قَتيرُهُ مِنَ اللُّجَينِ القاسي　　ذامَوطِىءٍ لأَرْجُلِ الجُلاَّسِ (١)
وزَوجَها نادَتْ بِصَوتِ الجَهْرِ :
« هيفستُ قُمْ ثِيتِيسُ عَونَكَ ابتَغَتْ » فقالَ: « أَهلاً بِالاهَةٍ سَمَتْ (٢)
تِلكَ التي الكُرْبةَ عَنّي فَرَّجَتْ　　لَمَّا مِنَ السَّماءِ بِي أُمّي رَمَتْ
تَكَتُّمُ عاهَتي بِشَرِّ الكِبْرِ
فَهْيَ وأَفْرِينُومَةُ الإِحسانِ　　بِنتُ المُحيطِ الجازِرِ الهَتَّانِ

---

(١) قتيره اي مساميره

(٢) مما يروى عن سبيل التفكهة ان افلاطون كان في صغره مغرماً بنظم الشعر تحدثه نفسه بالتشبه بهوميروس فينظم القصيدة ثم يقابلها بمنظومات هوميروس فيظهر له البون الشاسع فيعدل عنها الى غيرها وهكذا الى ان تحقق انه لم يكن ذا سليقة شعرية سامية . فأخذ منه اليأس كل مأخذ وجمع كل ما سطر من الشعر والقى به الى النار . على انه لم يتمالك وهو على تلك الحال ان ذكر شيئاً من منظوم هوميروس نفسه فعلق بذهنه هذا الشطر ولكنه عوضاً عن ان يقول

هيفست قم ثيتيس عونك ابتغت

قال　　هيفست افلاطون عونك ابتغى

قالوا وهذا هو السبب في كراهة افلاطون للشعر وتنديده به شأن من يقبح على الحسناء جمالها لاعتصامها عليه

بالبِشرِ والأُنسِ تلقّاني أولا فما كانَ إذا أشقاني
ووارَتاني في عُبابِ القعرِ

جللتُ كهفاً حولَهُ قد دارا مجرى الخضمّ مزبداً هدّارا
كم صغتُ فيهِ لهما سِوارا خواتماً قلائداً أزرارا
تِسعةَ أعوامٍ بطيِّ السترِ

سِواهُما في الارضِ والسماء لا أحدٌ درى مقامي النائي
هُما هُما قد خففا شقائي والآنَ ثِيتِيسُ هنا إزائي
أنّى أؤدّي حقّ فرضِ الشكرِ

خاريسُ وافيها بواجبِ القِرى حتّى أُريحَ منفخي وأحضرا
وغادرَ العَلاةَ عنها مدبرا تخمعُ ساقاهُ بهِ فأخرا[1].
منفاخهُ عن حرِّ واري الجمرِ

وأودعَ الدُّدّةَ دُرجَ فِضّةِ يعمدُ مِن ثَمَّ إلى إسفنجةِ
يمسحُ صدرَهُ وعالي الجبهةِ كذا يديهِ ومتينَ الرّقبةِ
ثمّ اكتسى بُرداً وعادَ يسري

بصولجانٍ شائقٍ صلبٍ ذهبْ معتمداً على وصيفتَيْ ذهبْ[2].
أُعطيتا صوتاً وعقلاً وأدبْ لخدمةِ الاربابِ في كلِّ أربْ

---

(١) العلاة السندان

(٢) الوصيفة الجارية

كَغادَتينِ ازْدانَتا بالفِكَرِ

وَلِيَتا هيفستَ مِن حيثُ انْثنى　　حتَّى الى ثِيتيسَ بالجُهْدِ دَنا

حَلَّ على عَرْشٍ بَهِيٍّ مُعْلِنا　　تَرْحابَهُ لَها ومِنْ ثَمَّ انْحنى

مُصافِحاً لَها بِهَولِ الخَزَّ :

« يا رَبَّةَ المِقْنَعَةِ المَسْدُولَهْ　　ثِيتِيسُ يا خِلَّتَنا الجَليلَهْ

عَلامَ أَنْتِ عِندَنا نَزِيلَهْ　　على خِلافِ عادَةٍ جَمِيلَهْ

مُرِي فإِنَّني رَهِينُ الأَمْرِ »

قالت تُسيلُ الدَّمعَ: «هَلْ مِثْلي تَرَى شَقِيَّةً ما بَينَ رَبَّاتِ الوَرى

دُونَ بَناتِ الماءِ زَفْسُ قَدَّرا　　عَلَيَّ أَنْ أُصِيبَ بَعلاً بَشَرا

فِيلا وأَمْضى أَمْرَهُ بالقَسْرِ

فِيلا لَقَدْ أَقْعَدَهُ فَرطُ الكِبَرْ　　عَجْزاً وَزَفْسُ كادَني كَيداً أَمَرْ

أُعطِيتُ نَجلاً فاقَ أَبطالَ البَشَرْ　　أَنْشَأْتُهُ كالغُصْنِ في رَوضٍ أَغَرْ (١)

فَثارَتِ الحَربُ على ما تَدْرِي

أَنْفَذْتُهُ في الفُلْكِ لِلطِّعانِ　　آهٍ فَلَنْ يَعُودَ لِلأَوطانِ

(١) تشبه ثيتيس ابنها أخيل بالغصن . وما أحسن ما قالت الخنساء في نفسها وفي أخيها صخر:

كنا كغصنين في جرثومة بسقا　　حيناً على خير ما ينمى له الشجرُ
حتى اذا قيل قد طالت عروقهما　　وطاب غرسهما واستوثق الثمرُ
أخنى على واحد ريب الزمان وما　　يبقي الزمان على شيء ولا يذرُ

قَصَّرَ عن إمْدادِهِ بَناني   حَيا ولٰكِنْ ثائرَ الأشجانِ

يَرى سَنا الشَّمْسِ قَصيرَ العُمْرِ

حَبَّتْهُ غادَةً بَنُو الآخاء   جَزاءَ حُسْنِ الذَّودِ والإِبْلاء

فَرامَها أَتْرِيذُ بالدَّهاء   أَقْعَدَهُ الكَيْدُ عَنِ الهَيجاء

فَشَهَرَ الطُّرْوادُ سَيفَ النَّصرِ

ودَفَعوا الإغْرِيقَ لِلأُسْطُولِ   فَهَبَّتِ الصِّيدُ الى أَخيلِ

تُطْمِعُهُ بِنائلٍ جَزِيلِ   أَبى قَبُولَ تُحْفَةِ القُيُولِ

لٰكِنْ دَعا فَطْرُقْلَ لِلْمَكَرِّ

أَلْبَسَهُ شِكَّتَهُ سِلاحا   فَهَبَّ في أَصْحابِهِ وراحا

فكافَحوا عِداهُمُ كِفاحا   لِسُورِ إِلْيُونِهِمِ اكْتِساحا

فَأَوْشَكَتْ تَعْنُو لَهُمْ بالقَهْرِ

لٰكِنَّما فِيبُوسُ فَطْرُقْلَ قَتَلْ   لَمَّا رَآهُ مَزَّقَ الجَيْشَ وَفَلْ

وخَوَّلَ النَّصرَ لِهَكْطُورَ البَطَلْ   لِذاكَ بادَرْتُ إِلَيكَ بالعَجَلْ

أَبْسُطُ فَوقَ رُكْبَتَيْكَ عُذْري

أَحْسِنْ إِذًا لِوَلَدي الحَبيبِ   مَنْ سَيُلاقي المَوتَ عن قَريبِ

بِخُوذَةٍ ومِجْوَبٍ عَجيبِ   ولَأْمَةٍ مَعَ حِذًا قَشيبِ [1]

تُحْرِزْ ثَنائي وجَميلَ الأَجْرِ »

---

(١) المجوب الترس واللأمة الدرع والقشيب الجديد

قالَ: «أُطمئنّي آهِ لو يومَ القَدرْ يُتاحُ ان أَقيهِ أَهوالَ الخَطرْ
كما يُتاحُ الآنَ في هذا المَقرْ إِعدادُ عُدَّةٍ لهُ أَيُّ نَظَرْ
الى سَناها بسِواها يُزْري »

ثُمَّ مَضى يُديرُ نَحوَ الكُورِ مَنافِخاً دارَتْ بلا مُديرِ
فَأَجَّجَتْ بمِثْلِ لَمحِ النُّورِ عِشْرينَ مَوقِدًا لَظَى السَّعيرِ
تُفْرِغُ ما يَحْتاجهُ بالقَدْرِ

تَهُبُّ طَوراً هبَّـةَ الأَنْواءِ وتارَةً تَنفُـخُ بالإِبْطاءِ
ثُمَّ رَمى بالعَسْجَدِ الوَضَّاءِ للنَّارِ فَوقَ الفِضَّةِ الغَرَّاءِ
فَوقَ قِلزِّهِ وصلْدِ الصفْرِ

وإِذْ دَحى سِنْدانَهُ المَهيلا فَفي يَدٍ مِطرَقَهُ الثَّقيلا
وفي يَدٍ مِلقاطَهُ الطَّويلا أَعْلى وَقامَ شاغِلاً مَشغُولا
يَشرَعُ في المِجَنِّ بَدءَ الأَمرِ

تُرْسٌ عظيمٌ شائِقُ الأَوصافِ وطَوقُهُ البَهِيُّ فَوقَ الحافِ[1]
يَكنُفُهُ مُثَلَّثَ الأَطرافِ على حَمائِلِ اللُّجَينِ الصافي
يَزهو على خَمسِ طِباقِ الظَّهرِ

أَوْدَعَهُ نَقشاً بِهِ تَحارُ لِحُسْنِهِ الأَنظارُ والأَفكارُ
فالأَرضُ والسَّماءُ والبِحارُ مِنهنَّ لاحتْ فَوقَهُ الآثارُ
وساطِعُ الشَّمسِ وتَمُّ البَدرِ

---

(١) الحاف جمع حافّة.

وَصاغَ فِيهِ جُمْلَةَ الدَّرارِي   مِثْلَ الثُّرَيَّا الجَمَّةِ الأَنْوارِ
والدَّبَرانِ وَلِقا الجَبَّارِ   دُبٍّ دَعَوا مَرْكَبَةً دَوَّارِ
مِنْ دُونِها لا يَرْتَوِي بالبَحْرِ (١)

وَبَلْدَتَيْنِ غَصَّتا بالنَّاسِ   إِحْداهُما بالبِشْرِ والإِيْناسِ
زُفَّ بِها الزَّوجانِ بالأَعْراسِ   بَيْنَ غِناءٍ وَسَنا مِقْباسِ
وَرَقْصِ فِتْيَةٍ لَهَتْ وَصَفْرِ (٢)

وَنَغْمَةُ الرَّبابِ والشَّبَّابِ   تَصْدَحُ والنِّساءُ في الأَعْتابِ
وَقَفْنَ لِلزَّفَّةِ بالإِعْجابِ   وغَيرُ هذا الحَشْدِ بانْتِصابِ
حَشْدٌ بِشُوراهُمْ عَسِيرُ الحَصْرِ

هُنالِكَ اثْنانِ اسْتَطالا جَدَلا   لِدِيَةٍ حَقِّ قَتِيلٍ قُتِلا
هٰذا ادَّعى إِيفاءَها مُكَمَّلا   يُعْلِنُ ذاكَ الأَمرَ ما بَيْنَ المَلا
وذاكَ مُنْكِرٌ أَشَدَّ النُّكْرِ

كِلاهُما يَطْلُبُ حُكْمَ القاضِي   والنَّاسُ بَيْنَ ساخِطٍ وراضِ

---

(١) اي من دون تلك الدراري

(٢) رسم بلدتين احداهما دار سلم والاخري دار حرب لتحسن المقابلة ثم مثل احسن مايحصل أثناء السلم في الواحدة واقبح مايحدث أثناء الحرب في الاخرى. فأخذ اعظم مزايا البلد الامين فأورد افراح الاعراس واقامة القسطاس للعدل بالناس كما سترى

زعم الاقدمون انه اشار الى أثينا لانها كانت السابقة الى وضع سنن الزواج وهي اول بلدة عندهم جُعل فيها عقاب القاتل القتل

ضَجُّوا لِأَيٍّ ساعَةَ التقاضي　　أَحسَنَ والفيُوجُ باعتِراضِ
تأمرُ بالصمْتِ لِحَسْمِ الأَمْرِ

هُنالكَ الشُيوخُ من ضمْنِ حَرَمْ　　على مَقاعِدٍ منَ الصَخْرِ الأَصمّْ
قاموا بأَيدِيهِمْ على مَرأَى الأُمَمْ　　صَوَالِجُ الفيُوجِ يِنْذُونَ الحِكَمْ
قاضِينَ عَن رَوِيَّةٍ وخبرِ

فرْداً فَفَرْداً أَدَّوا الاحكاما　　أَمامَ هاتِيكَ السَّرى قِياما
وشاقلانِ ذَهَباً تَماماً　　بَينَهُمُ قد أُودِعَتْ إِكْراما
لِمَن محا بالعَدلِ شرَّ الوِزْرِ (١)

والبَلدَةُ الاخرى هفَتْ رُسَما　　جَيشَينِ حولَها عَليها هجَما
جَيشٌ لقد آلى بأَنْ تُهدَّما　　وذاكَ نِصفَ المالِ يَبْغي مَغْنَما
وأَهلُها تَحصَّنوا بالسِرِّ

كَمينُهم بَينَهمُ أَعَدُّوا　　وفوقَ سُورِهِمْ أَقامَ الوِلْدُ
والأَهلُ والشُيوخُ ثُمَّ امتَدُّوا　　أَمامَهم رَبُّ الكِفاحِ الصَلْدُ
كَذا أَثينا مَلجَأُ المُضطَرِّ

(كِلاهُما مِنْ ذَهَبٍ وَضَّاحِ　　بالجِسْمِ والمَلْبَسِ والسِلاحِ

(١) في الابيات السالفة قطعة تاريخة بوصف هيئة تقاضيهم في تلك الايام احتلف النقلة بقوله « وشاقلان .... اودعت اكراماً لمن محا بالعدل شر الوزر » . فقال بعضهم ان ذينك الشاقلين يعطيان للقاضي الناطق بالحكم العادل وقال الآخرون وهو الاصح انهما يعطيان لمن ثبت الحق في جانبه

تَراهما العينُ على البَراحِ أعظمَ قدًّا من سُرى الكِفاحِ

ما مسَّ آلَ الخُلْدِ شَيْنُ الصِغْرِ)

فبلغُوا جدَّةَ نهرٍ جاري مَوْرِدُ غُرِّ الشاءِ والثِيار [1]

فوقفُوا بالرُمْحِ والبتَّارِ وأرصَدُوا عينَينِ لِلصوَّار [2]

لِيَرْقُبا عينَ وزودِ النَهْرِ

فأقبلَتْ أمامَ راعيينِ بنغمةِ المِزْمارِ لاهيينِ

عَنْ ذلكَ الكَمينِ غافلَينِ فوثَبُوا وَقتلُوا الغرَّينِ

وَنحَرُوا السوّامَ شَرَّ النَحْرِ

فارْتفعتْ عجاجُ الضوَّضاءِ فبلَغَتْ مسامعَ الأعْداءِ

فأقبلُوا بغارةٍ شعْواءِ واشتبكُوا وانْهالَ باللِقاءِ

غيثٌ منَ النِصالِ فوقَ الثَغْرِ

بينهُمُ فِتنةُ والغَوغاءِ كذا مُبيدُ الأُمَمِ القَضاءِ

يَعلُو على كاهلهِ رِداءِ تَسيلُ مِنْ أطرافهِ الدِماءِ

يَفرُّ عن هذا وذاكَ يَفري

وآخَراً أمسكَ بالأَقدامِ يُزيحُ عن مواقفِ الصِدامِ [3]

(١) الجدة الثغر

(٢) العين الرقيب والصوار القطيع

(٣) لافائدة من مجاراة الشراح على التخرص لمعرفة البلدة التي اشار اليها الشاعر داراً للحرب ولعله لم يشر الى محل معين • ولكنه لابد من الاشارة الى براعة

تِلكَ رُسُومٌ بِيَدِ الرَّسَّامِ تُرَى على المِجَنِّ كالأجسامِ
تَسحَبُ مَوتاها وبِرَيّاتَبري

وَدُونَ هذا الرَّسْمِ رَسْمُ حَقْلِ خِصْبٍ ثَلاثاً حَرَثُوا بالفِعلِ
رِجالُهُ قامتْ بِعِبْءِ الشُّغْلِ قد عَمَّقُوا الثَّلْمَ بِسَطْرٍ عَدْلِ
يَرْتَشِفُونَ مِن لَذِيذِ الخَمْرِ[1]

في مُنْتَهى الأَرضِ انْبَرى غُلامُ إِذا انْقَضى ثَلْمُهُمُ التَّمامُ
ناوَلَهُم كاساً وَهمْ قِيامُ فَانْقَلَبُوا ونِيرَهُمْ أَقاموا
بِكُلِّ وُجْهَةٍ بِمِلْءِ الصَّبْرِ

والأَرضُ سَوداءُ تَلُوحُ لِلنَّظَرْ وإِنْ تَكُنْ مِن ذَهَبٍ تِلكَ الصُّوَرْ
كأَنَّما الفَلاَّحُ في الحالِ عَبَرْ نَعَمْ فَذي مُعْجِزَةُ مِمَّنْ قَدَرْ
أَن يُخضِعَ العُسْرَ لِأَمرِ اليُسْرِ

الشاعر بالاحاطة باسباب الحرب ووقائعها ولواحقها بهذا الايجاز البديع . وابدع منه وصف القضاء قبل الانتقال الى مشهد آخر فلقبه « بمبيد الامم » وهيأهُ بصورة شخص يعلو كاهلهُ رداء تسيل الدماء من اطرافه وهو بلا سبب معقول يفر عن هذا ويفري ذاك ويمسك بقدمي الآخر يزيحه عن موقف الصدام . واي وصف يصدق عليه كهذا الوصف اللهم الا ان يكون قول زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمتهُ ومن تخطىء يعمر فيهرم

(١) انتقل الشاعر الى منظر آخر ابان فيه انه لم يكن بالقرع والضرع اعلم منه بالزرع والضرع فوصف الحالة الزراعية بدقائقها كأنه آلى على نفسه ان لا يطرق باباً الا ويلج مكتشفاً كل ما بدا وراءهُ وما استتر كأنه استجمع له في صدره كلَّ ما وسع زمانه من مكنونات العقل ومذخورات النقل

وقُرْبَهُ يانِعُ زَرعٍ بادي　　دارَتْ بهِ مَناجِلُ الحُصَّادِ
ومِن وَراها زُمْرَةُ الأَولادِ　　تَجْمَعُ ما يُلقى على التَّمادي
وخلفهم ثلاثةٌ تَستَقري

تَضُمُّ ما أَلقَوا لهم ضِمنَ حُزَمْ　　وَثَمَّ رَبُّ الأَرضِ ما بينَ الحَشَمْ
قد قامَ صامِتاً يَرى تِلكَ الهِمَمْ　　مُعْتَمِداً على عَصاهُ فابْتَسَمْ
يَنظُرُ بالبِشْرِ لِوَفْرِ الذُّخْرِ

وتَحتَ سِنديانَةٍ قامَ النَّدَلْ　　يُهَيِّئونَ الزّادَ في ذاكَ المَحَلْ [1]
قد ذَبَحُوا ثوراً بهِ الكُلُّ اشتَغَلْ　　وَعاوَنَتْهُمُ النِّساءُ في العَمَلْ
على لُحُومِهِ الدَّقيقَ تَذْري

كَذاكَ كَرْمٌ بِدَوالي ذَهَبِ　　قامَتْ فمالَتْ تَحتَ ثِقْلِ العِنَبِ
سُمُوكُهُ مِن فِضَّةٍ لم تُشَبِ　　قد سُطِّرَتْ دُونَ وَشيعٍ أَشهَبِ [2]
يَكنِفُها وخَنْدَقٌ مُغْبَرّ

لَيسَ لَهُ الاَّ طَريقٌ رُسِما　　يَعبُرُهُ الكُرّامُ أَيّامَ النَّما
والمُرْدُ تَبْدي والعَذارى الحُمَا　　تَجْني وفي السِّلالِ تُلقي كُلَّ ما
جَنَتْهُ مِنْ قِطفٍ ذَكا مُحْمَرّ [3]

(١) الندل خدمة الطعام
(٢) السمك الاوتاد والوشيع الحجار المعروف بالسياج
(٣) القطف العنقود

بَينَهُمُ فَـتًى بِعُـودٍ قاما مُرَدِّدًا بِنَقـرِهِ الأَنغاما
نَشِيدَ لِينُوسَ الذي تَسامى فَرَدَّدُوا النَّشِيدَ والأَقداما[1]
في الأَرضِ دَقُّوا وَفقَ ذاكَ النَّقرِ

وَدُونَ ذا سِربٌ مِنَ الثِّيارِ مِنَ الفلزِّ وَمِنَ النُّضارِ
مُنـدَفِعٌ يَزْأَرُ لِلـبَراري يُرَى لَدى نَهرٍ على مَجارِ
مُحاطةٍ بالقَصَبِ المُخضَرِّ

رُعاتُهُ أَربَعَةٌ مِن عَسجَدِ وتِسعَةٌ كِلابُهُ لِلرَّصَـدِ
وَثَمَّ لَيثانِ مَرُوعا المَشهَدِ قدفَرَسا ثوراً فكَرَّتْ تَعتَدي
رُعاتُهُ وغُضفُهُ في الإِثرِ

قَـد مَزَّقاهُ مَغنَماً بَينَهُما وازْدَرَدا الأَحشاءَ وامتَصّا الدَّما
فَأَوغَرَ الرُّعاةُ مِن خَلفِهِما كِلابَهُمْ فَهالَهـا بَطشُهُما
هَرَّتْ وهَدَّها شَدِيدُ الذُّعرِ

ودُونَ ذا في مَرجةٍ خَضراءِ صَرائفٌ مُحكَمَةُ البِناءِ[2]

---

(١) لينوس في اساطيرهم أول من نطق بالشعر . أبوه افلون أو هرمس (عطارد) وأمه قليوبا او اورانيا . كان معلماً لهرقل وثميريس وأُرفيوس فانتهر هرقل يوماً لتلاهيه فضربه هرقل ضربة كانت القاضية عليه . ويقول الثيبيون بوجود لينوس آخر اقدم من هذا كان يناظر افلون بالانشاد فاهلكه افلون

وكان من عادة اليونان ان يقيموا للينوس مأتماً سنوياً ينوحون فيه عليه كما يقام مأتم عاشوراء في هذه الايام . ذلك ما أشار اليه هوميروس بقوله « نشيد لينوس الخ»

(٢) الصرائف الاكواخ

لَدى حظائرِ تَسُرُّ الرّاءِي بَينَ مَراتِعٍ لِغرِّ الشّاءِ
كَذا غِياضٍ فَوقَ رَوْضٍ نَضِرِ
وقُربَ هذا رَسمُ مَغْنى طَرَبِ كأنّهُ نادٍ بَديعُ العَجَبِ
ألّفَ في أكنُوسَ ذِيذالُ الأبي لِحَظِّ أريانا بماضي الحِقَبِ (١)
مِنْ فِتيةٍ ومِن عَذارى زُهُرِ
رِداهُمُ المَنسُوجُ كالزَّيتِ بَرَقْ وبُرقُعُ الحِسانِ بالحُسْنِ نَطَقْ
وحليُهُمْ سَيفٌ مِنَ التِّبرِ انْطَلَقْ على نِجادِ فِضّةٍ هيفَسْتُ دَقّْ
لـكِنَّ حَلْيَهُنَّ تاجُ زَهْرِ (٢)
تَعاضَدُوا بالكَفِّ والإبهامِ فَرقَصُوا بالعِلْمِ والإلْمامِ
كأنّهُمْ بِخِفّةِ الأقدامِ مَحالُ خَزّافٍ رَماهُ الرّامي (٣)
ثُمَّ جرَوا سَطْرٌ وراءَ سَطْرِ
حَولَهُمُ حَشْدٌ وفي وَسْطِهِمِ قامَ مُغَنٍّ بِشَجِيِّ النَّغَمِ
إنْ نَقَرَ العُودَ فَمِنْ بَينِهِمِ قرمانِ دارا بِخَفيفِ القَدَمِ
رَقْصاً يُرَدِّدانِ لَحْنَ الشِّعْرِ

(١) ذيذال شخص خرافي ينسبون اليه كثيراً من خوارق الاعمال ويزعمون ان النساء لم يكنَّ يرقصن مع الرجال فأخذ سبعة فتيان وسبع فتيات فعلمهم الرقص على النمط الذي يشير اليه هوميروس ولا يزال مستعملاً في بلاد اليونان واني إخال الكدريل الافرنجي ضرباً منه

(٢) واي حلي أبهج من تلك الحلى: للرجال السيوف وللعذارى تيجان الزهر

(٣) المحال جمع محالة وهي الدولاب

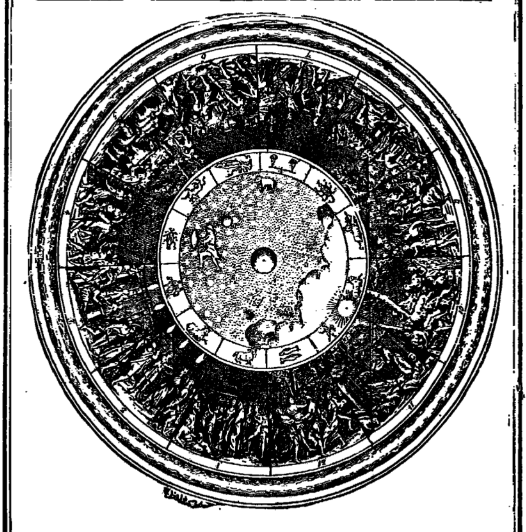
وعِندَ ما أَتَمَّ هاتيكَ البِدَعْ مَجارِيَ المحيطِ في الحافِ وَضَعْ[1]
فأَكمَلَ المِجَنَّ مِنْ ثَمَّ ابْتَدَعْ دِرْعاً سَناها كَسَنا الشَّمْسِ سَطَعْ
ما صلُحَتْ إِلاَّ لِذاكَ الصَّدْرِ

وخُوذَةً بِقَوْنَسٍ جَميلِ مِن عَسْجَدٍ وَمِحْمَلٍ ثَقيلِ
لاقَتْ لِذاكَ البَطَلِ الجَليلِ ومِنْ نُحاسٍ لَيِّنٍ مَصْقولِ
طرَّقَ خُفَّيْنِ تَمامَ البِرِّ

وإِذْ أَتَمَّ كُلَّ تِلكَ الغُرَرِ أَلقى بها لِأُمِّ آخيلَ السَّري
مِنْ لَدْنِ رَبٍّ تُحْفَةً لِلْبَشَرِ فَانْحَدَرَتْ مِنَ الأُلُمْبِ الأَزْهَرِ
وانْدَفَعَتْ بِها انْدِفاعَ الصَّقْرِ

(١) الى هنا انتهى الشاعر من وصف الترس فأودعه من مكنونات الطبيعة ما لم يبق معه موضع لاسهاب فأتى على ذكر سائر القطع موجزاً كل الايجاز بعد هذا الاطناب الوحيد في شكله الفريد في بابه





ترس اخيل

مقسوماً الى اثني عشر جزءًا

ثلثة منها لبلدة مسالمة ١ حفلة زفاف ٢ مجلس شورى ٣ مجلس قضاء
وثلثة لبلدة محاربة ٤ حصار ٥ رماة وكمين ٦ قتال
وثلثة للزراعة ٧ حراثة ٨ حصاد ٩ كرمة
وثلثة لرعاية المواشي ١٠ سباع وانعام ١١ خراف ١٢ رقص وطرب

هذا هو الترس العجيب الذي اطنب هوميروس بوصفه ٠ وكأنه لم يكتف بجعله اسطرلاباً للافلاك فأودعه جميع مخلوقات الله من اجرام وسماء ويبس وماء ٠ واخاله اختار الترس مستودعاً لتلك البدائع دون سواه من قطع السلاح لانه كان من عادتهم ان يزخرفوا تروسهم برسوم ونقوش ٠ وقد نسب لهسيودس الشاعر وصفٌ من هذا

القبيل . ثم انه فضلاً عن ذلك لم يكن يصلح سواه لرسم الكون باجمعه . وهو سواء كان بيضيًا كما ذهب البعض او مدوراً كما هو في الرسم يصح به تمثيل كروية الارض والسماء

ولقد اصاب هذا الترس من نقد النقاد وهذر الحساد ما اصاب غيره من اللآلئ الهوميرية كقولهم مثلاً انه لم يكن يعقل ان المناضد تدور من نفسها على مجالها كأنه لايسوغ لشاعر يروي اعجوبة لرب باعتقاده قدير ان يتصور امراً تقول الشعراء اعظم منه لبشر باعتقادهم قصير الباع مقيد الذراع كقول ابي الطيب لسيف الدولة :

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً　　مضى قبل ان تلقى عليه الجوازمُ

وقوله في محمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين اعمل رأيهُ　　لما اتى الظلمات صرن شموسا
او كان لج البحر مثل يمينه　　ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
او كان للنيران ضوء جبينه　　عُبِدت فكان العالمون مجوسا

واذا أردنا مجاراتهم وأتينا الامر من حيث اتوه طلباً لاثبات الممكن المعقول أفلا يكون ذلك ممكناً ونحن نرى من الاعيب الصبية ما يسير بنفسه . والعجب ان الذين قالوا هذا القول صمتوا عن مغالاة الشاعر بارتجاج السموات وزلزال الارضين وانفجار البحار باشارة من اربابهم ذوي الهيبة والاقتدار . وكقولهم ان الترس لم يكن ليتسع لكل تلك الرسوم والنقوش البارزة كانه لم يكن بوسع ذلك الصيقل العلوي ان يكبّر ويصغر حسبما يشاء . وهي كما تراها بادية على رسم صغير مع انه يؤخذ من نص هوميروس وغيره ان مجانهم كان كبيرها يستر الجسم من الرأس الى ما تحت الركبة

وقد أثبتنا هنا صورة الرسم الذي صُنع لبوب فادرجه بترجمته الانكليزية المطبوعة سنة ١٧٢٠ واليك تفصيله تتمة للفائدة : —

الظاهر من كلام هوميروس انه شرع في بسط المعدن خمس طبقات فاكمل المجن وطوقه طوقاً

يَكنُفهُ مُثلَّثَ الأَطرافِ　　على حمائل اللُّجَينِ الصافي

ثم اخذ يرسم وينقش فبدأ به من وسطه فرسم فيه الارض وفي دائرة من حولها القمر والكواكب وفي دائرة اخرى الشمس والبروج وجعل ما وراء ذلك دائرة

اكبر اودعها المألوف من احوال البشر فكانت اثني عشر جزءاً

الجزء الاول — البلدة المسالمة

وبلدتينِ غصتّا بالناسِ احداهما بالبشرِ والإيناسِ ...

ترى في الرسم العروسين يتقدمهما حاملة المصابيح ويكتنفهما الراقصون والراقصات ووراءها العزفة والمغنون

ونغمةُ الرّبابِ والشبّابِ تصدحُ والنساءُ في الاعتابِ

وتمنّ للزّفةِ بالاعجابِ

الجزء الثاني — مجلس شورى الامة

هنالكَ اثنانِ اُستطالا جدَلا لِديةٍ حقّ قتيلٍ قُتِلا ...

رسم فيه والد القتيل والقاتل والشهود والحضور ، والمدعي والمتهم

كِلاهما يطلبُ حُكمَ القاضي والناسَ بينَ ساخطٍ وراضِ

وهذا الجزء مع الذي يليه في حلقة واحدة وفيهما المجال انتسع لتصوُّر امهر المصورين

الجزء الثالث — مجلس الشيوخ او القضاء

هنالكَ الشيوخُ من ضِمنِ حرَمْ على مقاعدٍ من الصخر الأصمّ

الشيوخ في وسط الرسم يتكلم احدهم واقفاً وقد هم الآخر بالوقوف ليشرع في الكلام والجمع محدق بهم بين سامع ومتفرج

الجزء الرابع — البلده المحاربة

والبَلدَةُ الأُخرى هفستُ رَسَما جيشَينِ حولها عليها هجما

جيشٌ لقد آلى بأن تهدّما وذاكَ نِصفَ المالِ يبغي مغنما

واهلُها تحصنوا في السرّ

يعبر عن البلدة بما يبدو للنظر من مجموع الرسم وزعماء الجيشين امام الاسوار اخذ فريق منهم بمقابض السيوف وهم ينظرون الى البلد اشارة الى انهم يرومون فتحه عنوة والفريق الآخر يهوّن عليهم الامر وينهاهم عن ذلك اما اهالي البلد فقد ذُعروا

. . . . وفوق سورهم اقامَ الولدُ

والأَهلُ والشيوخُ ثم امتدُّوا امامهم ربُّ الكفاحِ الصلّدُ

كذا أثينا ملجأُ المضطرّ

وقد ميز الشاعر بين رسوم الآلهـة ورسوم البشر كما جرت به عادة ابناء ذلك الزمان فافرد لرب الحرب وربة الحكمة وصفاً خاصاً وجعلهما اعظم قدًّا كما كانا ارفع قدراً

الجزء الخامس — الكمين

فبلغُوا جـدَّةَ نَهرٍ جاري مَوردِ غُرِّ الشاءِ والنّيارِ ...

ان اعتراض هذا القسم بين الذي تقـدمه والذي يليه يمثـل اوقات الراحة والسكون في زمان الحرب • فان فيه نهراً وعلى احدى ضفتيه شجر تتفيأ الجنود بظله • وعلى الضفة المقابلة رقيبان يرصدان الماشية

فاقبلت امام راعِيينِ بنغمةِ المزمارِ لاهِيَيْنِ

عن ذلك الكمينِ غافلَينِ

الجزء السادس — القتال

فوثبوا وقتلوا الغُرّينِ ...

في صدر الرسم الراعيان قتيلان والسوام منحورة وباقيه صدام وكفاح واهم مافيه صورة «القضاء سيد الامم»

يعلو على كاهلهِ رِداء تسيلُ من اطرافهِ الدِّماء

الجزء السابع — الحرث

ودُونَ هذا الرَّسمِ رَسمُ حَقْلِ خِصْبٍ ثلاثاً حرثوا بالفعلِ...

في الرسم صورة الحرث والحارث وأرضه والات الزراعة وابدع ما فيه من مؤثرات النظم الهوميري ذلك الغلام الذي قام في طرف الارض المحروثة

. . . . اذا انتهى ثَلْمَهُمُ التَّمامُ

ناولهم كأساً وهم قيامُ فانقلبوا ونيرَهم اقاموا

بكل وجهةٍ بملء الصَّبرِ

الجزء الثامن — الحصاد

وقُرْبَهُ يانِعُ زرعٍ بادِ دارت بهِ مناجل الحُصادِ...

فالحصّاد في صدر الرسم محولون وجوههم نحو الجمع المحدق بهم وخلفهم الفعلة والاولاد يجمعون ويرزمون • وفي وسط الرسم رب الارض قام بينهم آمراً مطاعاً يشير بعصاه وتليهم سنديانة قام تحتها الخدم

. . . . يهيئون الزاد في ذاك المحل

قد ذبحوا ثوراً به الكُلُّ اشتغل وعاونتهم النساء في العمل

على لحومهِ الدقيقَ تذري

الجزء التاسع — الكرمة

كذاك كَرْمٌ بدوالي ذَهَبِ قامت فمالت تحت ثقل العنبِ...

هنا الكرمة بدواليها وقطوفها ووشيعها وسمكها وخندقها وفيها الغلمان والعذارى

تجني وفي السّلال تلقي كلما جنَتهُ من قُطفٍ ذَ كا مُختَمِرْ

وبينهم فتى ينقر عوده وينشد وهم اذا غناهم صوتاً طربوا

فردَّدوا النشـيد والأَقداما بالأَرضِ دقوا وفق ذاك النقرِ

ليس على المجن رسم اوقع في النفس من هذا

الجزء العاشر — الحيوانات

ودون ذا سِرْبٌ من الثيارِ ... مندفع يزأر للبراري...

سوام ورعاة وكلاب وسباع فالاسود في وجه الرسم قبض احدها على ثور والآخر آخذ في تمزيق ثور آخر والرعاة تثير الكلاب للذود عن القطيع . وامام هذا المشـهد مشهد قطيع آخر منهـزم رعباً ووراءهُ رعاته وكلابه والنهر في ما وراء ذلك

الجزء الحادي عشر — الخراف

ودون ذا في مرجةٍ خضراءْ صرائفٌ محكمة البناءْ

لدى حظائرٍ تسرُّ الرائي بين مراتعٍ لغرِّ الشاءْ

كذا غياض فوق روض نضرِ

لم يكن للشاعر بد بعد هول منظر الجزء السابق من اراحة المخيلة بمشهد عزلة وسكون تسرح فيها الفكرة بين مناظر الطبيعة . فأتى بهذا التخيل البديع

الجزء الثاني عشر — المرقص

وقرب هذا رسم مغنى طرَبِ كأَنه نادٍ بديع العجبِ ...

جعل هوميروس هذا المشهد خاتمة المشاهد التي نقشها على ظهر المجن وحسب المطالع الرجوع الى المتن شرحاً وافياً للاعجاب بهذا المنظر الراقص المرقص . فالفتية والعذارى بابهى الملابس . حلى الفتية السيوف وحلى العذارى اكاليل الزهر وقد

تعاضدوا بالكفِّ والإِبهامِ فرقصوا بالعِلْمِ والإِلمامِ

كأنَّهم بخفَّـةِ الأَقـدامِ محالُ خزّافٍ رماه الرامي

ثم جرَوا سطرٌ وراءَ سطرِ

وهناك على ربوة صاحب العود يضرب ويطرب ثم هو

ان نقر العود فمن بينهم قرمانِ دارا بخفيفِ القَدَمِ

رَقصاً يُرَدِّدانِ لَحنَ الشِّعرِ

افلا يليق ان تتخذ هذه خطة تتبع حتى في أيامنا هذه

حاشية المجن

وعندما أكمل هاتيك البِدَعْ مجاريَ المحيط في الحافِ وَضَعْ

لم يزد الشاعر على هذا الكلام بوصف حاشية المجن • وفيه ما يغني عن الاطناب وقد استبقى المحيط الى الحاشية لتكتنف المجن كما تكتنف المياه اليابسة • فكان مجنه جامعاً رسوم العالمين من علويات وسفليات



النشيد التاسع عشر

مصالحة اغاممنون واخيل

مجمله

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد من يمه يبرز فوق العباد

حتى انبرت ثيتيس الى ابنها أخيل بالشكة التي اصطنعها الاه النار وحسنت له مصالحة أغاممنون . وأفرغت بمنخري فطرقل مادة تحفظها من الفساد أثناء غيابه فحشد أخيل الجمع وتصالح مع أغاممنون وأنبأ القوم انه على أهبة القتال في تلك الساعة . فاعترف أغاممنون بخطائه والقى تبعة فعلته على القضاء والقدر ورغب الى أخيل ان ينتظر ريثما يؤتى له بالتحف التي مرّ تعدادها فأبى أخيل الا الكر بلا توان لما بلغ منه الغيظ على مقتل حبيبه فطرقل . فاعترضه أوذيس محتجاً انه لا بد للجيش من تناول الطعام ودعا أخيل الى الغذاء في مضرب أغاممنون فآلى أخيل ان لا يذوق طعاماً قبل الاخذ بثأر فطرقل . فأكل الجيش وأحضرت تحف أغاممنون ومعها بريسا سبية أخيل وأقسم أغاممنون امام الجمع انه لم يمسها أثناء اقامتها عنده . وأرسلت التحف الى خيام أخيل وأخذت الجواري وبريسا يبكين فطرقل ويندبنه . وأخيل كل تلك الآونة متوجع متفجع لا يرى الا القتال ومن حوله الملوك يرومون له تعزية فلا يتعزى بل يندب وينتحب كالطفل . ثم تقدم أخيل بالجيش مستلئماً درع هيفست وشد أفطوميذ الخيل الى مركبته فاعتلى وعنف الجياد فنطق أحدها وأنبأه بمصرعه القريب فلم يعبأ بنبوته

وحث في صدر السرى جرده بهدة تدوي بتلك النجاد

مجرى الوقائع في اليوم الثلاثين

النشيد التاسع عشر

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد من يمه يبرز فوق البلاد[1]
يرمقه معبودها والعباد

حتى أنبرت دون الخلايا ثتيس في تحف الرب هفست تميس[2]
فأبصرت آخيل فوق الثرى معانقاً فطرقل واري الفؤاد

يشهق بالعبرة هامي الجفون وحوله أصحابه يندبون
وسطهم حلت بتلك الشجون

ويده اجترت وقالت: «ألا مهما طما الخطب وطم البلا
دع ثم فطرقل على الترب إذ في قدر الأرباب بالغيب باد

بني قم وارفل أتاك السلاح من لدن هيفست زهي الصفاح[3]
ما قط إنسي به قبل لاح»

---

(١) الجساد الزعفران والمراد به الزعفران الاحمر الذي ينبت في بلاد اليونان وجبال أوروبا . راجع ما قلناه بهذا الصدد ن ٨ ص ٥١٥ . مثل الفجر شخصاً يبرز من يم البحر مشتملاً بثوب يشبه الزعفران باحمراره

(٢) الخلايا السفن

(٣) ان القول باهداء الآلهة شيئاً من اسلحتهم للبشر قديم وكثير باعتقاد الامم الخالية وقد أشار هوميروس الى ذلك غير مرة ووصف السلاح الذي انعم به زفس على فيلا ابي اخيل . ووصف فرجيليوس السلاح الذي القت به الزهرة الى ابنها آنياس . وفي الفصل الخامس عشر من سفر المكابيين الثاني وافى ارميا النبي يهوذا بالرؤيا « وناوله

مِن ثَمَّ أَلقَتهُ لَدَيهِ فَصَلْ وَهدَّقلَبَ المِرْمِدْونَ الوَجَلْ[1]
لم يَستَطِيعُوا رَمقَ أَنوَارِهِ بَلْ عَنهُ صَدُّوا جُملَةً بارْتِدادْ

لٰكِنَّما آخِيلُ مُذْ أَحدَقا فِيهِ حَشاهُ غلَّهُ مَزَّقا
وطَرْفُهُ نارًا ذَكَتْ أُلقِا
مُستَبشِرًا قَلَّبَهُ فِي يَدَيهْ يَنظُرُ بالبِشرِ مَلِيًّا إِلَيهْ
وقالَ يا أُمَّاهُ لَيسَتْ سِوى تُحفَةِ رَبٍّ جادَ فِيما أَجادْ

هَيهاتِ إِنسيٌّ كَذا يَبتَدِعْ وها أَنا مِن ساعَتِي أَدَّرِعْ
لٰكِنْ فُؤَادِي جُملَةً يَنخَلِعْ
لِهاجِسِي بالشِّلوِ إِنَّ الذُّبابْ يَعِيثُ ما بَينَ جِراحِ الذُّبابْ[2]
ويَنشُرُ الدُّودَ بِهِ عابِثًا فيَعتَرِي جِسمَ الحَبِيبِ الفَسادْ»[3]

سيفاً من ذهب وقال خذ هذا السيف المقدس هبة من عند الله به تحطم الاعداء » ع ١٥ و ١٦٠ ورواية التوراة لاتتعدى حالة الرؤى العادية على ان فيها اشارة الى شيوع ذلك المعتقد اذ لايحلم بشيء غير معروف او مسموع

(١) أي فصلَّ السلاح وارعب المرمدون قوم اخيل

(٢) الذباب الاولى الهوام المعروف والثانية يراد بها حدود المناصل

(٣) كانوا يحتفظون كل الاحتفاظ بجثة الميت لئلا يدركها الفساد قبل ان تحرق او تدفن ولهذا ترى الشاعر حريصاً على تدوين ذلك المعتقد وحيثما اراد حفظ كرامة ميت تذرع بكل الوسائل لحفظ جثته نقية سليمة فيستعين بالآلهة لئلا يتجاوز المعقول بعرفهم ٠ فهنا ثيتيس تباشر الامر بنفسها كما عني زفس وغيره من الآلهة بحفظ جثة سرفيدون في النشيد السادس عشر وسترى الزهرة وافلون محتاطين بجثة هكطور في النشيد الثاني

قالت: « دَعِ الفِكْرَةَ إِنِّي أُزِيلْ عَنْهُ جَرَائِمَ الذُّبابِ الوَبِيلْ
تِلْكَ التي تَنْهَشُ لَحْمَ القَتِيلْ
حَتَّى وَلَو عاماً هُنا الجِسْمُ ظَلْ ماخامَرَ ذا التَّشْوِيهِ إِلاَّ اضْمَحَلْ
فَنادِ لِلشُّورى كِبارَ السُّرى وصافِ أَتْرِيذَ وأَلْقِ العِنادْ

وشِكَّ وَالْبَسْ ثَوبَ بَأْسٍ مَنِيع » وأَنْهَتَتْهُ بالزَّماعِ الذَّرِيعْ
ثُمَّ انْثَنَتْ تَلْفِتُ نَحْوَ الصَّرِيعْ
في مِنْخَرَيْهِ أَفْرَغَتْ عَنْبَرا وسَلْسَبِيلاً صافِياً أَحْمَرا
لِيَسْلَمَ الجِسْمُ وفَوراً جَرَى آخِيلُ فَوقَ الجُرْفِ يَذْكُو اتِّقادْ (١)

وصاحَ صَوتاً بالسَّرايا قَصَفْ فَكُلُّهُمْ لَبَّى مُجِيباً وَزَفْ
حَتَّى الذي بالفُلْكِ دَوماً وَقَفْ
ومَنْ على السُّكَّانِ ظَلَّ المُقِيمْ ومَنْ على الأَرْزاقِ كانَ الزَّعِيمْ

والعشرين — اما قولهم ان ثيتيس حفظت جثه فطرقل من الفساد لانها من بنات البحر فيفيد انهم ملحوه فحفظوه وهذا من باب التكلف الذي لاحاجة بنا اليه خصوصاً وانه قال بعد هذا انها افرغت بمنخري القتيل العنبر والسلسبيل

(١) كانوا يعتقدون بوجود مأكول ومشروب للآلهة يدعون الاول Αμβροσια (أمبرُوسيا) وهو مادة لطيفة لذيذة الطعم تقتل الموت فيخلد آكلها وقد تقدم ذكرها (ن ١٤ : ٧٤٧) والثاني Νεκταρ (نكتار) وهو نوع من الخمر الاحمر شائقٌ بطعمه ولونه ذكيٌّ برائحته وكلاهما مضادللفساد • وقد عربنا الاول بالعنبر لتقارب اللفظين والثاني بالسلسبيل لتقارب المادتين • وربما يحسن تعريب هذا بالكوثر كما سيأتي بعد ابيات

طُرًّا الى الشُّورى سَعَوا مُذْ بَدا آخيلُ لِلْهيجاء بَعْدَ البِعادْ [1]

ثَمَّةَ ما عَتَّمَ أَنْ عَرَّجا يَعْرُجُ أُوذِيسُ إمامُ الحِجا
كذا ذِيُومِيذُ الفتى المُرْتجى
تَوَكَّأَا على كُعُوبِ الرِّماحْ بِشدَّةِ الضَّيمِ وَهَولِ الجِراحْ
تَصَدَّرا في النَّادِ ثُمَّ انْبَرى بَعْدَهُمَا أَتْرِيذُ رَبُّ القِيادْ

أَثقَلَهُ جُرْحُ كُوُونَ الهُمَامْ يَومَ عَلا النَّقْعُ بِحَرِّ الصِّدامْ
وما إنِ انْضَمُّوا وتَمَّ النِّظامْ
حَتَّى بِهِمْ آخيلُ فَوراً نَهَضْ وصاحَ: «يا أَتْرِيذُ بِئْسَ الغَرَضْ
ما كانَ أَولى السِّلْمَ ما بَيْنَنا مُذْ ثارَتِ الأَحْقادُ تُوري الزِّنادْ

يا حبَّذا لَو يَومَ كِدْتُ العُداةْ بِقَهْرِ لَرْنِيسا وسَبْيِ الفتاةْ
مِنْ أَرْطَمِيسٍ فَخْرِ صِيدِ الرُّماةْ
أَدْرَكَها في الفُلْكِ سَهْمُ الرَّدى لَمَا بِنا جَلَّتْ خُطُوبُ العِدى
وعَضَّتِ التُّرْبَ صَنادِيدُنا وَنالَتِ الطُّرْوادُ مِنَّا المُرادْ

أَقْعَدَنِي الغُلُّ بِيَونٍ بَعِيدْ تِلْكَ إِذًا عُقْبَى الخِصامِ الشَّدِيدْ

---

(١) يقول ان جميع الجيش التف متهافتاً للقتال اجابةً لنداء اخيل حتى الذين كانوا يقعدون عن الهيجاء جبناً فيلجأُون الى السفن او يقيمون على سكان السفينة اي دفتها او يتولون تقسيم ارزاق الجند . كل ذلك لما كان لصوته من الوقع في نفوسهم

يَذْكُرُها الإِغْرِيقُ دَهراً مَدِيدْ

قد فَدَحَ الأَمْرُ فَدَعْ ماذَهَبْ وَلْنُغْضِ ولْنُخْمِدْ سَعِيرَ الغَضَبْ
فَلَسْتُ بالحافظِ حِقْدًا مَضى قُمْ إِذًا أَضْرِمْ أُوارَ الجِهادْ

واُحْمِلْ على الأَعْداءِ حتَّى أَرى أَتَطْلُبُ الأُسْطُولَ تِلكَ السُّرى
لٰكِنَّني أَدْري ومِثْلي دَرى
أَنَّ الَّذِي مِنْهُمْ هَزِيماً نَجا مِن عامِلي يَأْنَسُ حَيثُ اُلتجا»[1]
فَضَجَّتِ الإِغْرِيقُ بِشْرًا لَهُ إِذْ غادَرَ الأَضْغانَ تَوًّا وَعادْ

فَقامَ أَتْرِيذُ وَلَم يَمْتَثِلْ فِي الوَسطِ بَلْ مِنْ عَرْشِهِ يَرْتَجِلْ:
« ياصَحْبُ أَتباعَ أَرِيْسَ اُلمُذِلْ
يا دانَوِيُّونَ اُصمُتُوا لِلخِتامْ فَلَيسَ باللائِقِ قَطعُ الكَلامْ
فَكُلُّ نادٍ قد عَلا ضَجَّةً لا مُسْتَفِيدُ فيهِ مِمَّنْ أَفادْ

مَهْماعَلا صَوتُ خَطِيبٍ خَطَبْ واُنْتُقِدَتْ نارُ حِجاهُ اُضْطَرَبْ[2]
آخِيلَ لَبَّيْتُ إِلى ما اُنْتَدَبْ
فَاُصْغُوا فَكَمْ لُمْتُمْ بِمُرِّ الكَلامْ ولَمْ أَكُنْ أَهلاً لِذاكَ المَلامْ

(١) اي انه لا ينجو من بطشه الا من فاز بالهزيمة فيأنس بذلك الفوز — ان في كلام اخيل من الانفة وعلوّ الهمة ما شاء اذ اغضى عن كل ما مضى وهو لا يرى الا الاثئار ودفع العار

(٢) اي يضطرب الخطيب للّغط والغوغاء

ما الذَّنبُ ذَنبي حِينَ حِرمانهِ　　فتاتهُ إذْ قد حُرِمتُ الرَّشادْ

بَلْ ذَنبُ زَفسٍ ذا وذَنبُ القَدَرْ　　والظُّلْمَةِ الدَّهماءِ ذاتِ العِبَرْ
فَهُمْ هُمُ أعمَوا عَليَّ البَصَرْ

وما تُرى قَد كانَ في طاقَتي　　لمَّا اُستُبيحَتْ فِتنةٌ باحتي
فَتاةُ زَفسٍ تِلكَ غَدَّارةٌ　　تَقُودُ مَنْ شاءَتْ ولَيسَتْ تُقادْ[1]

تَجرِي وَفَوقَ التُّربِ لَيستْ تَدُوسْ　　لكِنَّها تَهشُمُ شُمَّ الرُّؤوسْ
وَتَبتَلِي النَّاسَ بِدُهمِ البُؤوسْ

وَزَفسُ قَوَّامُ الدُّنى والعُلَى　　أدرَكَهُ مِنها عَميمُ البَلا
مُـذْ بِهِرَقلٍ أقْمِينا أتى اْلَا　　مَخاضُ في ثِيبَةَ ذاتِ العِمادْ

زوجَتُـهُ والَتْ وَثيقَ الوَلاءْ　　فَأَعمَلَتْ فِيهِ دَهاءَ النِّساءْ[2]
إذْ قالَ مُعتَزًّا بِدارِ البَقاءْ:

« أرْبابُ يارَبَّاتُ سَمعًا لِما　　نَفسي تُناجِيني بأنْ يُعْلَما
« رَأسُ المَوالِيدِ إليثِيَّةُ　　تَرئِسُ هذا اليومَ أسمى وِلادْ[3]

« في الإنسِ مِنْ ذُرِّيَّتي أيُّهُمْ　　بالبَأسِ فِيهِمْ سائدًا يَحكُمُ »
قالَتْ لَهُ هِيرا الدَّها تَكتُمُ:

---

(١) اي الفتنة بنت زفس
(٢) اغرت الفتنة هيرا فخدعت هيرا زفس كما اغرت الحية حواء فخدعت حواء آدم
(٣) الاهة المواليد وقد تقدم ذكرها

« كَذَبْتَ لنْ تُنفِذَ هذا المَقالْ أَو لا فَأَيمانَكَ أَغلِظْ ثِقالْ
« بِأَنَّ مَنْ تُلْقِيهِ إِنسِيَّةٌ ذا اليومَ مِنكَ الإِنسَ بالبَأْسِ سادْ»

فَأَغلَظَ الأَيمانَ زَفسٌ وَما أَدرَكَ مَغزَاها فَيا بِئسَما
فَانْدَفعَتْ هِيرا كَسَيلٍ طَما
تَجرِي وَتَدرِي أَنَّ في أَرْغُسا عِرْسَ سَتِينِيلٍ فَتى فِرسِسا
حُبلى شُهُوراً قد خلَتْ وَهْيَ في أَوائِلِ السَّابِعِ دُونَ ازْدِيادْ

فَوَلَّدَتها الطِّفلَ مِنْ قَبلِ حِينْ وَاستَوقَفَتْ في أَلقِمِينا الجَنِينْ
وَزَفسَ جاءَتْ بالبَلاغِ اليَقِينْ :
« ياقاذِفَ البَرقِ اسْمَعَنِّي فَقَدْ أَقبَلَ مِنْ نَسْلِكَ ذاكَ الوَلَدْ [1]
إِفرِسْتِسٌ يُدْعى وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَحكُمَ الإِغرِيقَ أَنَّى أَرادْ »

فَنَفْسُهُ جاشَتْ على قَهرِها وَفِتنَةً أَمْسَكَ مِنْ شَعْرِها
آلى بِأَنْ تُنفَى مَدى دَهرِها
مِنْ مَجلِسِ الأُولَمْبِ والأَصفِياءْ وَمِنْ رَقِيعٍ بالدَّرارِي أَضاءْ
ولِلثَّرى أَلقَى بِها قاذِفاً مِنْ بَعدِ ما بالكَفِّ عُنْفاً أَمادْ [2]

(١) لان فرسيس والده من نسل زفس

(٢) لانكاد نجد أمة من امم الاقدمين لاتعتقد بوجود ملاك كابليس أُهبط من السماء فكان على الارض علة الشرور والبلاء . وهذه « فتنة » هنا بنت زفس التي بها زفس من قبة الزرقاء الى وجه الغبراء فكان منها ما كان وقد رأينا فيما مضى كيف نكل زفس بالطيطان (ن ١٤ : ص ٧٥٧)

وَكَمْ تَلظَّى زَفْسُ لمَّا احتُكِمْ　　إِفرِسْتسُ ثُمَّ فَتاهُ حَكم
يَسومُهُ الأَمْرَ بِجافي العِظَمْ

كذاكَ لمَّا لِلْخَلايا اندفَقْ　　هكطورُ يُصْمِي بينَ تِلكَ الفِرَقْ
ما كانَ لي طاقةُ رَدٍّ لها　　لكنَّما لي الآنَ حُسْنُ ارتداد [١]

أَضَلَّني زَفْسُ وَعقلي انْحرَفْ　　لكنْ لكَ اليومَ تُنالُ الطُّرَفْ
فَكُرَّ إنْ تَزْحَفْ فَكُلٌّ زَحَفْ

وَكُلُّ ما أَمْسِ أُذِيسُ وَعَدْ　　لازالَ طرًّا لكَ عِندي مُعَدْ
فإنْ تَشأْ فالْبَثْ يَسيراً ترى　　وإنْ تَعَلْ صبرًا لِقَرْعِ الصِّمادْ

فليُحْضِرَنَّ الآنَ تِلكَ الغُرَرْ　　قَومي مِنَ الفُلْكِ وعَيناً تقرْ» [٢]

---

(١) لها اي للفتنة . يشير الى انها استولت عليه حتى غاظ اخيل على كره منه ولم يكن في ذلك مختاراً

(٢) أن موقف اغاممنون هنا لمن احرج المواقف اذ لابد له من الاعتذار والاسترضاء مع الاحتفاظ بهيبة الملك ورئاسة الزعماء فجمع بين الامرين . قام ولا قيام غيره بل لبث على سدته يخطب واسترعى الاسماع وأطال الكلام في القاء تبعة ما فات على الآلهة والقضاء ووصف الفتنة ذلك الوصف البليغ تهويناً على اخيل ثم مثّل بفعلها مع من هو أعظم شأناً منه ومن اخيل (اي زفس وهيرا) وقص الخرافة القائلة أن زفس انبأ الملأ الاعلى يوم ميلاد هرقل أن اول مولود من نسله بين البشر في ذلك اليوم سيكون ملكاً عظيماً فاستوثقت منه هيرا زوجته بالايمان ليبرنَّ بذلك الوعد وولدت زوج ابن فرسيس بن زفس في اول شهرها السابع فاضطر زفس الى توليته بدلاً من هرقل ثم كان ماكان من امرها مما انبتاه في النشيد الثامن . وقد قصد اغاممنون بهذا الاسهاب تحويل غيظ اخيل بما لايحط من قدر كليهما . ولما

فقالَ : « يا أترِيذُ مولى البَشَرْ

أنتَ وَلِيُّ الأمرِ والمَرْجِعِ إنْ شِئْتَ فامْنَحْ أو تَشأْ فامْنَعِ [1]

لٰكِنَّما ذا الحِينُ حِينُ الوَغى فلا نُضِعْ باللَّغْوِ وَقْتَ الجِلادْ

مَكرُنا تَدْرُونَ ما أُنجِزا كُرُّوا تَرَوا آخيلَكُمْ بَرَزا

بِعامِلٍ يَفْري ولَنْ يَعْجَزا

كُرُّوا وكُلٌّ مِنكُمُ فَلْيَصُلْ مُبارِزاً مِنْهُمْ كَمِيّاً عُتُلْ » [2]

فقالَ مُحْتَجّاً على قَولِهِ أُوذِيسُ ذو الحِكْمَةِ رَبُّ السَّدادْ :

« آخيلُ يا عِزَّ سَراةِ الخُلُودْ مَهْما تَحَدَّمْتَ فَخَلِّ الجُنُودْ

لا تَدْفَعَنَّ الجَيْشَ دُونَ الحُدُودْ

وَهُمْ صِيامٌ فاذا النَّقْعُ ثارْ واصْطَدَمَ الجَيْشانِ تَحتَ الغُبارْ

وَهاجَتِ الأَرْبابُ كُلَّ السُّرى يَطُولُ لا رِيبَةَ أَمْرُ الطِّرادْ

فَمَنْ إِذا يُؤْتَى بِزادٍ وراحْ فَذاكَ يُوْلي البأسَ يَومَ الكِفاحْ

فَمَنْ الى المَغْرِبِ مُنْذُ الصَّباحْ

أنس تحقيق مرامه وتأثير كلامه امر باحضار الطرف التي اعدها لاخيل . وهو دهاء ما فوقه دهاء

(١) من أحسن ما قيل بهذا المعنى قول ابي نواس :

يرجو ويخشى حالتيك الورى كأنك الجنة والنارُ

(٢) الكمي العتل الفارس الشديد

يَقْوى عَلى الإِبْلاءِ فَوقَ السَّغَبْ مَهْما عَلَتْ هِمَّتُـهُ والْتَهَبْ (١)
يُنْهِكُهُ العيُّ على رَغْمِـهِ وَهوَ بلا قُوتٍ ضَئِيلٌ وصادْ (٢)

لٰكِنَّهُ إِمَّا اُكْتُفي وأُرْتَوى نَهارَهُ قاتَلَ جَمَّ القُـوى
بِقَلْبِ بَأسٍ لم يَنَلْهُ الطَّوى
وَلا يُبالي باُصْطِدامِ الطَّغامْ مِنْ غُرَّةِ الكَرَّةِ حَتَّى الخِتامْ
فَوَزِّعِ الجُنْدَ على فُلْـكِهِمْ ومُرْ إِذًا يُؤْتى بِراحٍ وَزادْ (٣)

وَلْيُحضَرَنْ أَتْرِيذُ لِلْمَجْلِسِ ما لَكَ مِنْ ذُخْرٍ حَوى أَنْفَسِ
في مَشْهَدِ القَومِ بِهِ تَأنَسِ
وَواقِفاً بالجُنْدِ فَلْيَحْلِفِ أَنَّ بَرِيسا قَطُّ لَم يَعْرِفِ
مِنْ ثَمَّ في خَيْمَتِهِ فَلْيُقِمْ مأْدُبَةً تَضْمَنُ صافي التَّوادْ

وَيُحْسَمُ الأَمْرُ فَتَرْضى إِذا تَطِيبُ نَفْساً وتَعافُ الأَذى
وأَنتَ يا أَتْرِيذُ مِنْ بَعدِ ذا

(١) السغب الجوع
(٢) صاد أي عطشان
(٣) يشبه كلام اوذيس هنا خطاب ابي عبيدة بن الجرّاح في جند المسلمين وهم على حصار بعلبك . قال غياث بن عديّ الطائي : فلما صلينا صلاة الفجر نادى منادٍ من قبل ابي عبيدة رضي الله تعالى عنه يقول عزيمةٌ مني على كل رجل من المسلمين لايبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى يبرز الى رحله ويصلح لهُ طعاماً حارًّا يأكله ليكون بذلك شديداً على لقاء العدو (الواقدي)

أَنصف فَمَنْ قوّامَ قومٍ أَهانْ لا بَدْعَ إِنْ يسترْضِهِ كُلَّ آنْ»
فقالَ أَترِيذُ: « أَيا أُوذِسُ أَدّيْتَ بالحِكْمَةِ كُلَّ المَفادْ

أَجَلْ يَمِيني صادِقاً أَحلِفُ أَمامَ رَبٍّ كُنْهَها يَعرِفُ
واستُ بالحانِثِ لٰكنْ قِفُوا
وأنتَ يا آخيلُ مَهْما اُستطارْ في لُبِّكَ الذاكي شِرارُ الأُوارْ
مَهْ رَيْثَما تَبدُو الهَدايا هُنا فَنُبْرِمَ العَقْدَ لِعَهْدِ الوَدادْ

وَأَنْتَ يا أُوذِيسُ بالأَمْرِ سِرْ مِنْ نُخْبَةِ الفِتْيانِ وَفْداً أَسِرْ
لِلفُلْكِ يأْتُونا بِذُخْرٍ ذُخِرْ
أَعْدَدْتُهُ لِابْنِ أَياكٍ أَنا وَتَلْثِيُوسُ يُضَحِّي لَنا[1]
رُتّاً لِزَفْسٍ وَلِشَمْسِ العُلَى وَاُستَقْدِمُوا كُلَّ السَّبايا الخِرادْ»[2]

فقالَ: « يا أَتْرِيذُ هٰذا المَجالْ نَخُوضُهُ بَعدَ اصْطِدامِ الرِّجالْ
في هُدْنَةٍ تَبْدُو عَقِيبَ القِتالْ
إِذْ تَسكُنُ الغُلَّةُ في مُهْجَتِي أَما تَرى صِيدَ سُرى الحَمْلَةِ
صَرْعَى فَرى الحَدِيدُ أَجسادَها مُذْ زَفسُ هَكْطُورٌ بِهِ القَوْمَ كادْ

(١) اياك جد اخيل وقد مرَّ مثل هذه التكنية بالجد دون الاب

(٢) الرت الخنزير . كان من عادتهم ان يضحوا بخنزير في بعض الاحوال فاخذ الرومان عنهم تلك العادة وجعلوا التضحية بالخنزير دليلاً على التحالف والتواثق

شاقكما الزّادُ فلا لن أحولْ		أُحرّضُ الآنَ جميعَ القيولْ[1]
لِلكرِّ لا زادٌ قُبيلَ القُفولْ
نُؤجّلُ الأُدبةَ حتّى المَغيبْ		مِنْ بعدِ أنْ ننقمَ عمّنْ أُصيبْ
فالقوتُ والمشربُ لنْ يدخلا		فمي وما إنْ خضتُ تلكَ الوهادْ

كيفَ وفي الخيمةِ إلفي يُرى		مُخضّباً بحدّ نصلٍ فرى
مِنْ حولِهِ الصّحبُ بدمعٍ جرى
قد حوّلوا رجليهِ لِلمدخلِ		آهِ فلنْ يحلُوَ ذا اليومَ لي[2]
إلاّ انفجارُ النّقعِ والبطشِ والا		إبلاءُ بينَ الزفراتِ الشّدادِ »

فقالَ أُوذيسُ: « ابنَ فيلا أجلْ		قد فقتني بأساً وفقتَ المِللْ
لكنَّ لي فضلَ رشادٍ أجلْ
حنّكني العمرُ وطولُ اختبارْ		فانظرْ إلى قولي بعينِ اعتبارْ
تُضوى القُوى أيّانَ تمضي القنا		في الهامِ كالسُّنبلِ وقتَ الحصادْ

ولا يهونُ الأمرُ حتّى يميلْ		ميزانُهُ زفسُ لأمرٍ جليلْ
فليسَ للإغريقِ ندبُ القتيلْ
بالصّومِ إذْ في كلِّ يومٍ تخرْ		قتلاهمُ أنّى إذاً نستقرْ

(١) يريد بقوله شاقكما اغاممنون واوذيس

(٢) تلك عادة كانت متبعة في ازمانهم

نَدْفِنُ قتلانا ونَبكي أسىً   يوماً ولا نُضوَى ونألُوا اجتهادْ

ومَنْ يَعيشُوا بعدَ ذاكَ القِراعْ   عليهمِ أن لا يَظلُّوا جِياعْ
لِيُدْرِكوا قهرَ العِدى بالزَّماعْ
فذاكَ رأيي لا تُطيعُوا سِواهْ   مَنْ ظَلَّ بينَ الفُلْكِ وافى بَلاهْ
نَكُرُّ طرًّا كرَّ عزمٍ على   أعدائنا رُوَّاضِ جُرْدِ الجيادْ »

وما انتهى أوذِيسُ حتى اندفعْ   في وُلْدِ نَسْطُورٍ إمامِ الوَرَعْ
ثُواسَ مِيجيسَ ومِرْيُونَ مَعْ
لِيقُومذٍ يَصحَبُهُمْ مِيلَنِيفْ   فَسارَعُوا طرًّا بِسَيرٍ خفيفْ
خَيْمَ أغامَمْنُونَ أمُّوا الى   أوذِيسَ يَنقادُونَ أيَّ انقيادْ

عادُوا بِما أتْريذُ فيها ادَّخرْ   مَناضِدٌ سَبعٌ تَشُوقُ النَّظَرْ
يَكْتَنِفُها عِشْرُونَ طِستًّا أغَرْ
وَمِنْ بَناتِ السَّبْيِ سَبْعٌ حِسانْ   قد أبْلَغَتْهُنَّ بَرِيسا الثَّمانْ
طرًّا تَثَقَّفْنَ بِصُنْعِ النِّسا   كذلكَ اثنا عَشَرَ رأساً جَوادْ

أمامَهُمْ أوذيسُ في عَشْرَةٍ   شَواقِلٍ مِنْ ذَهَبٍ عُدَّتِ
سائِرُهُمْ في سائِرِ التُّحْفَةِ
سارُوا وألقَوها أمامَ الحُضُورْ   فقامَ اتْريذُ المَلِيكُ الوَقُورْ

وَتَلْثِبيُوسُ هُنَاكَ انْبَرى　　إِلَيهِ والخِرْنُوصَ في الحَالِ قادْ

مِنْ ثَمَّ أَتْرِيذُ انْتَضى مِدْيَةً　　إِزاءَ غِمْدِ السَّيْفِ مَلوِيَّةً
أَدَّى فُرُوضاً صانَ مَرْعِيَّةً

ناصِيَةَ الخِرْنُوصِ مُذْ قَصَّ مَدّْ　　يَدَيْهِ مِنْ زَفْسَ يَرُومُ الْمَدَدْ
وسائِرُ الإِغْرِيقِ أَصغَوا لَهُ　　يَعْتَقِدُونَ الخَيْرَ خَيْرَ اعْتِقادْ

ثُمَّ تَلا يَنْظُرُ نَحْوَ العُلَى :　　« بِزَفْسَ إِنِّي مُقْسِمٌ أَوَّلا
أَجَلَّ آلِ الخُلْدِ بَينَ المَلا

بالأَرْضِ والشَّمْسِ كَذا أُقْسِمُ　　وبِبَنَاتِ النَّارِ مَنْ تَعْلَمُ
حَقائِقَ الأَمْرِ وَتَحْتَ الثَّرى　　بِكَيْدِها الحالِفُ زُوراً يُكادْ

أَنَّ بَرِيسا لَبِثَتْ بِاحْتِرامْ　　ما قَطُّ مَسَّتْها يَدِيْ في الخِيامْ
لا لِفِراشٍ او لِأَمْرٍ يُرامْ

وإِنْ أَمِنْ فَلأَلْقَ كُلَّ الخُطُوبْ　　شَأْنُ الذي يُقْسِمُ وَهْوَ الكَذُوبْ»
وعُنُقَ ذاكَ الرَّتِّ رَمْياً رَمى　　فَوراً بِنَصْلٍ ساطِعِ الحَدِّ حادْ

وتَلْثِبيُوسُ تَلَقَّى الذَّبِيحْ　　يَطْرَحُهُ في قَعْرِ بَحْرٍ فَسِيحْ
في اليَمِّ لِلأَسْماكِ قُوتاً أُبِيحْ[1]

---

(١) القوا بجثة الخنزير الى البحر لانه كان محرماً عليهم اكل الذبائح التي تنحر توثيقاً لايمان

فَصاحَ بَينَ الجَمْعِ آخيلُ:« كَمْ يا زَفْسُ فوقَ الخَلْقِ هِلْتَ النِقَمْ
لو لَمْ تَشأْ نَكْبَةَ أَبْطالِنا ما سامَني أَترِيذُ قَطُّ اُحْتِدادْ

كَلاَّ وَلا حُمْقاً فَتاتي اُسْتَباحْ لٰكِنْ مَضى الماضي وآنَ الرَّواحْ
هُبُّوا الى زادِكُم بِاُرْتِياحْ
ثُمَّ على أَعْدائِنا نَحْمِلُ طرًّا » كَذاكَ اُنْصَرَفَ المَحْفَلُ
واُرْفَضَّتِ الجُنْدُ وكُلٌّ مَضى يَجْري الى أُسْطُولِهِ بِاُشْتِدادْ

وقَومُ آخيلَ حَثيثي القَدَمْ سارُوا بِذَيّاكَ الحِبا لِلْخِيَمْ
وأَجْلَسوا الغِيدَ وبَعضُ الحَشَمْ
ساقُوا جِيادَ الخَيلِ بَينَ الجُمُوعْ فاُنْدَفَعَتْ تُذْري بَريسا الدُّمُوعْ
مُذْ أَبْصَرَتْ فَطْرُقْلَ قد مَزَّقَتْ أَعضاءَهُ صُمُّ الحُدُودِ الحِدادْ

أَهْوَتْ عَلَيهِ بالبُكا والعَوِيلْ تَلْطِمُ ذَيّاكَ المُحَيّا الجَميلْ
وَصدْرَها البَضَّ وَجِيداً أُميلْ
كَأَنَّها الزُّهْرَةُ في المَشْهَدِ جَلَّلَها فَرْعٌ هَوى عَسْجَدِي
صاحَتْ:« أَيا فَطْرُقْلُ وَيْلاهُ يا خِلَّ فَتاةٍ لازَمَتْها النَّآدْ (١)

أَلَمْ أُغادِرْكَ قُبَيلَ الذَّهابْ حَيًّا فَأَلْفَيْتُكَ عِندَ المَآبْ
مَيْتاً فَكَمْ يَتْلُو مُصابي مُصابْ

(١) النآد الداهية والمصيبة

أَبِي وَأُمِّي أَنْكَحانِي فَتَى قد أَبْصَرَتْهُ مُقْلَتِي مَيْتا
دُونَ الحُصُونِ اخْتَرَمَتْهُ القَنَا مُكافِحاً يُحْسِنُ عنَّا الذِّيادْ

وإِخْوَتِي لَمَّا اسْتَطارَ الغُبارْ ثَلاثَـةً بادُوا بِذاكَ النَّهارْ
وعاثَ آخيلُ بِتِلْكَ الدِّيارْ
بَلْدَةَ مينِيسَ العَظِيمِ اكْتَسَحْ وفي الْتِحامِ الحَرْبِ بَعْلِي ذَبَحْ
وَلَمْ تُبِـحْ لِي آهِ فَطْرُقْلُ أَنْ أُهْمِيَ عَلَيـهِ عَبَراتِ الحِدادِ

عَلَّلْتَنِي أَنَّ اخيلاً يَسِيرْ لإِفْثِيا بِي فَوقَ فُلْكٍ تَطِيرْ
يُولِمُ لِلأَفْراحِ حَتَّى أَصِيرْ
عِرْساً لَهُ يا معْدَنَ اللُّطْفِ آهْ عَلَيكَ أُهْمِي الدَّمْعَ طُولَ الحَياةْ»[1]
وَانْفَجَرَتْ أَجْفانُها وَانْبَرَتْ كُلُّ السَّبَايا حَوْلَها بِاحْتِشادْ

يَنْدُبْنَ في الظَّاهِرِ فَطْرُقْلَ بَلْ يَنْدُبْنَ خَطْباً جَلَّ فِيهِنَّ حَلّ[2]

---

(١) ان في ندب بريسا قطعة تاريخية تمثل حالة السبايا في تلك الازمان • هنا سبية أميرة قتل أخيل بعلها واخوتها ودمر بلادها تعلل النفس باتخاذه بعلاً اذ لم يكن لها الا الرضاء بذلك اوالاستسلام للرق المؤبد • ولا شك ان فتاةً هذا شأنها في عصرنا يغلب ان تؤثر الرق • على ان لكل زمان اخلاقاً وعادات بل كانت بريسا تذرف عبرات الشجي على رجل كان يعللها بنيل تلك الامنية • وقد باحت بها في الختام تذكيراً لاخيل بوعده لعله ينجزه وقد أُرجعت الآن اليه وصارت في قبضة يديه

(٢) لم يكن نواح السبايا كنواح بريسا اذ لم يكن فيهن من يطمع بالعتق والنجاة من الرق

وحَولَ آخيلَ سَراةُ المِلَلْ

ساعُونَ في اُسترضائِهِ أَنْ يَنالْ شيئاً مِنَ القُوتِ فَبالْبَثِّ قالْ :
«أَستَحلِفُ الأَحبابَ أَنْ يَرعَوُا ولا يَسُومُوا ما أَقولُ انتِقادْ

لاقُوتَ لاشَربَ فقَتلُ الحبيبْ أَجَّجَ في قلبي أُوارَ اللَّهيبْ
أَصومُ حتَّى الشَّمسُ عنَّا تَغيبْ
وليسَ يُؤْذِيني طُولُ انتِظارْ » وصَرَفَ القَومَ وظَلَّ الكِبارْ
أَتْرِيذُ أَتْرِيذُ أُذيسُ ونَسْـ ـطورُ إِذُومِينُ فِنِكسُ الجَوادْ[1]

ظَلُّوا وراموُا سَلْوَةً تَجمُلُ يَلْهُو بها وا بُعْدَ ما أَمَّلُوا
سُلْوانُهُ أَن الوَغى تَشْتَعِلُ
وَطأْتَها . فَكَّرَ في نَفسِهِ وأَنَّ مُغتَمّاً على بُؤْسِهِ
وصاحَ : « واوَيْلَكَ يا ذا الذي قد كُنتَ لي إِلفاً وَثيقَ العِهادْ

كَمْ قَبلُ في خَيمي بَذَلْتَ الهِمَمْ في أُدْبَةٍ تُقيمُ يومَ النِّقَمْ[2]
مُذْ طَلَبَ الجيشُ العِدى واقتَحَمْ
وأَنتَ ذا الآنَ طَعينٌ طَرِيحْ كَلَّا فَنفسي الزَّادَ لا تَستَبيحْ

(١) قوله أتريذ وأتريذ اي اغاممنون ومنيلاوس

(٢) لا عجب ان يتذكر اخيل في هذا الموقف همة فطرقل في المآدب والجند لاهون بطعامهم ولعل هذه الذكرى كانت سبباً آخر لامتناعه عن مشاركة القوم في طعامهم

ماعِشْتُ لَنْ يَنْتَابَني حادِثٌ يَبدُو كما ذا الحادِثُ اليَومَ بادْ

كَلّاً وَلو يَوماً أَتاني النَّبا أَنَّ أبي في إِفْثِيا قد خَبا
ذاكَ الَّذي بالدَّمْعِ دَوماً صَبا
لِأَبْنٍ نَأَى عَنهُ بِدارِ اغْتِرابْ فيها يُثِيرُ الحَرْبَ تَحْتَ الحِرابْ
وذاكَ مِنْ آثارِ هِيلانَةٍ أُسِّ الرَّزايا وَالعَوادي النَّوادْ

كَلّاً ولَو أُنبِئْتُ فَرْعي الوَحيدْ نِفْطُولِمٌ رَبُّ الجَمالِ الفَريدْ
إِنْ لَم يَمُتْ لِلآنَ أَضحى فَقيدْ
أَمَّلْتُ لكِنْ خابَ كُلُّ الأَمَلْ أَنّي بِإِلْيُونَ أُوافي الأَجَلْ
أُودي بَعيداً عن حِمى أَرْغُسٍ وأَنْتَ يا فَطْرُقْلُ حَيٌّ تُزادْ

إِسْكِيرُساً أَمَّلْتُ أَنْ تَطْلُبا حَيثُ تَرى نِفْطُولِماً قد رَبا
أَمَّلْتُ مِنْ ثَمَّةَ أَنْ تَذْهَبا
لِإِفْثِيا في فُلْكِكَ الأَسْحَمِ لِيَدِهِ تُدْلي بِما يَنْتَمي
لي مِنْ عَقارٍ أَو سَبايا وَمِنْ مَنازِلٍ شاقَتْ وكُلِّ العَتادْ

فَإِنَّ فِيلا الهِمَّ لاشَكَّ ماتْ أَوإِنَّهُ في جُرُفِ اللَّحْدِ باتْ
يُشْفِقُ دَوماً أَنْ تُوافي الثِّقاتْ
مُبْلِغَةً حَتْفي لهُ بَغْتَةً » وجادَ بِالدَّمْعِ وَهُمْ جُمْلَةً (١)

(١) كان فطرقل خليلاً كفوءاً حسباً ونسباً وسناً وبأساً وهو مع هذا يلازم أخيل

هزّتهمُ الذِكرى لأوطانِهمْ   وكلُّهمْ بفائضِ الدمعِ جادْ
فرَقّ زفسُ لهمُ وانثنى   نحوَ أثينا رفقةُ معلنا :

ملازمة الاخ النصوح والخادم المطيع يقرأ اوامره بعينه فيلبي الامر قبل ان ينطلق من شفتي اخيل • وهذا اخيل روّاع الابطال يبكي بكاء الاطفال ويتمنى لو أُتيح له ان يفديه برأسه وأبيه ووحيده وأن يموت دونه وهو حي يقوم لابي اخيل مقام الولد ولابنه مقام الوالد • فلا عجب بعد هذا ان تضرب الامثال مدى الدهور بهذا التوادّ

ولقد جمع اخيل برثائه خليله فطرقل رثاء الابيرد الرياحي بقوله :

فليتك كنت الحيَّ في الناس ناديا   وكنت انا الميت الذي غيب القبرُ

ورثاء كعب بن سعد الغنوي بقوله :

اخ كان يكفيني وكان يعينني   على نائبات الدهر حين تنوبُ

وقول الخادرة :

أفبعد من ولدت نسيبة اشتكي   زوّ المنية او أُرى اتوجعُ
ولقد علمت ولا محالة انني   للحادثاتِ فهل تريني أجزعُ

وقول الهذلي :

فوالله لا أنساك ماعشت ليلة   صفيّ من الاخوان والولد الحَمِ

وقول الآخر :

اجاريَ لو نفس فدت نفس ميتٍ   فديتك مسروراً بنفسي وماليا
وقد كنت ارجو ان املاك حقبةً   فحال قضاءُ الله دون قضائيا
الا ليمت من شاء بعدك انما   عليك من الاقدار كان حذاريا

وقول البحتري :

فوا اسفا الاّ اكون شهدته   نخاست شمالي عنده ويميني
والا لقيت الموت احمر دونه   كما كان يلقى الدهر اغبر دوني
وان بقائي بعده لخيانة   وما كنت يوماً قبله بخؤونِ

وقول الحطيئة :

ولو عشت لم املل حياتي فان تمت   فما في حياتي بعد موتك طائلُ

«لِمْ يا ابْنَتي أَلقَيْتِ عِبْءَ العَنا

بالشَّهْمِ آخيلَ أَلَمْ أُلْفِهِ   في خَيْمِهِ يَبْكي عَلى إِلفِهِ
كُلُّهُمُ لاهُونَ في زادِهِمْ   وَهْوَ عَنِ الخَمْرَةِ والزَّادِ صادْ

هُبِّي أَسْكُبي العَنْبَرَ والكَوْثَرا   في صَدْرِهِ الضَّامِرِ كَي يَصْبِرا»
فَانْبَعَثَتْ مِنْ شُمِّ تِلكَ الذُّرى

كَنَسْرِ بَحْرٍ في عَظيمِ الجَناحْ   يَذْوي بِساحاتِ الرَّقيعِ الفِساحْ
قَدْ هاجَها زَفْسُ وفي نَفْسِها   وُدٌّ لِآخيلَ فلا تُسْتَزادْ

فَأَفْرَغَتْ في صَدْرِهِ كَوْثَرا   وعَنْبَرَ الخُلْدِ لِكَيْ يَصْبِرا
والجَيْشُ يَسْتَلْئِمُ مُسْتَبْشِرا

عادَتْ الى صَرْحِ أَبيها الرَّفيعْ   ومِنْ خِلالِ الفُلْكِ هَبَّ الجَميعْ
فَانْتَشَرُوا كَالثَّلْجِ في شَمْأَلٍ   تَرْمي بِهِ فَامْتَدَّ أَيَّ امْتِدادْ

تَرائِكٌ تَسْطَعُ مِن فَوقِ هامْ   مِن دُونِها زانُ العَوالي ولامْ
وَصُمُّ أَجْوابٍ تَصُدُّ الحِمامْ (١)

فَطَفِقَتْ تَبْسِمُ تِلكَ البِطاحْ   يَشُقُّ فيها الجَوَّ لَمْعُ السِّلاحْ
وارْتَجَّتِ الأَرْضُ لِوَقْعِ الخُطَى   وصَبْرُ آخيلَ اعْتَراهُ النَّفادْ

---

(١) الترائك الخوذ والعوالي الرماح واللام مخفف اللام الدروع والاجواب التروس

أَسْنانُهُ صَرَّتْ صَرِيرًا وَطارْ مِن لَحظِ عَينَيهِ أُوارُ الشِّرارْ
ولُبُّهُ لِلبَطْشِ بالقَومِ ثارْ
وَسْطَهُمُ هَبَّ إلى شِكَّتِهْ مِن فَضلِ هِيفِستٍ ومِن صَنْعَتِهْ
فَزَرَّ خفَّيهِ لِساقَيهِ في عُرى لُجَينٍ شائقاتٍ جِدادْ

ثُمَّ كَسا الصَّدْرَ بِدِرْعٍ تُنيرْ وبَينَ كِتْفَيهِ الحُسامُ الخَطيرْ
مِنْ فِضَّةٍ قد دُقَّ فيهِ القَتيرْ
والجَوْبُ ذاكَ الجوبُ أَنَّى ارْتَفَعْ كالبَدرِ بَدرِ التِّمِّ نُورًا سَطَعْ
في قُبَّةِ الجَوِّ مَضَى لامِعاً يُنيرُ أَطرافَ الرَّقيعِ البِعادْ

كأَنَّهُ والنَّوءُ عُنْفًا قَصَفْ حَتَّى الى اليَمِّ بِفُلْكٍ قَذَفْ
وعَن مَجالِ الأَمْنِ فيهِ انْحَرَفْ
لَهِيبُ نارٍ في مَحَلِّ اعْتِزالْ يُبصِرُهُ المَلَّاحُ فَوقَ الجِبالْ
وبَعدَ هذا خُوذَةٌ قد غَدَتْ كَكَوكَبٍ في أُفُقِ الجَوِّ غادْ

قَونَسُها الوارِي عَلَيهِ أَدارْ هِيفِستُ تَزْهُو عَذَباتِ النُّضارْ
ثُمَّتَ في الشِّكَّةِ آخِيلُ دارْ
يَخْبُرُها هَلْ وافَقَتْ جِسمَهُ أَو أَزعَجَتْ في ثِقْلِها عَزمَهُ.
إِذا بِها مِثلَ الجَناحَينِ قد خَفَّتْ بِها يَرْتادُ كُلَّ ارْتِيادْ

وسَلَّ مِن غِمدٍ سِناناً صقيلْ		يُثقِلُ كلَّ البُهْمِ إلاَّ أخيلْ
أهداهُ خيرُونُ لِفيلا الجليلْ
قناتُهُ قد كُنَّ قبلُ انتقى		مِن رُعْنِ فِلْيُونِ لِيومِ اللِّقا[1]
مُرَّانةٌ شمَّاءُ أهوالُها		عادتْ على الابطالِ أدهى معادْ[2]

وأَفطُميذُ الخيلَ في الحالِ شدْ		وأَلْقميذٌ بِهِيِّ العُددْ
فألجمتْ والصَّرْعُ لمَّا استندْ
لِلعرشِ أفطُميذُ في الكَبكَبَهْ		في سوطِهِ هبَّ إلى المَرْكَبَهْ
تلاهُ آخيلُ كشمسِ الضُّحَى		عُدَّتُهُ تزهو وتجلو السَّوادْ

بِصوتِهِ الهدَّارِ بالجُرْدِ صاحْ:		« يا نسلَ فُوذَرْغةَ نسلَ الفلاحْ
زَنثُ أَباليُسُ بجُنْحِ النَّجاحْ
بي لِلْحِمى عُودا إذا ما ارتويْتْ		لا تترُكاني إنْ أمُتْ ثَمَّ ميتْ
نَظيرَ فطرُقلٍ » فزَنثُ انحني		يُطْرِقُ بالمِضْمَدِ تحتَ القِلادْ[3]

. (١) اي من جبال فليون

(٢) يظهر انهم كانوا احياناً يتخذون غمداً لسنان الرمح كما يتخذ الغمد لنصل السيف ـ ترى من هذه الابيات ان رمح اخيل لم يكن صُنْع هيفست بخلاف سائر قطع سلاحه وقد مرَّ ان فطرقل ذهب بكل شكة اخيل الاولى ما عدا هذا الرمح لانه لم يكن يقوى على حمله فبقي عند اخيل ولم يكن بهيفست حاجة الى اصطناع رمح آخر وخصوصاً ان هيفست كان حداداً ولم يكن نجاراً ليصطنع القناة لا يفوتن القارىء النظر الى هيبة مشهد اخيل وهو يشك بسلاحه

(٣) اردنا بالقلاد حلقة المضمد وهو النير

قالَ وَهِيرا خوَّلَتْهُ المَقالْ ‌‌ ‌‌ وللثَّرى أعْرَافُهُ بانْسِدالْ :

« أَجَلْ اخيلُ اليومَ شدَّ النِّزالْ

نَقيكَ لٰكِنَّ المَنايا إِلَيْكْ ‌‌ ‌‌ دَنَتْ وَلَم نَجْنِ بهذا عَلَيْكْ

لٰكِنَّما الجاني إِلاهٌ سَطا ‌‌ ‌‌ وقَدَرٌ ما رَدَّهُ قَطُّ رادْ [1]

فَإِنْ يَكُنْ فَطْرُقْلُ قد جُرِّدا ‌‌ ‌‌ فَلا لِعَجْزٍ مِنْ كِلَينا بَدا

لِيطُونَةٌ تِلْكَ فَتاها اعْتَدى [2]

رَماهُ في صَدْرِ السُّرى إِذْ أَغارْ ‌‌ ‌‌ يُولي ابْنَ فِرْيام شِعارَ الفَخارْ

فالرِّيحَ إِنْ نَسْبُقْ فَإِنَّ الرَّدى ‌‌ ‌‌ في الغَيْبِ مَحْتُومٌ فَلا يُسْتَعادْ

لا بُدَّ أَن يُصْمِيكَ تَحتَ النِّصالْ ‌‌ ‌‌ رَبٌّ وقَرْمٌ بِقُوَى الرَّبِّ صالْ» [3]



الأقدار او الاهات القدر

(١) يمثلون الاقدار الاهات اناثاً ثلاثاً بايديهن المغازل يغزلن عليها الاعمار ثم يقطعن حبال الحياة عند حلول الاجل ولهنَّ شأن عظيم في اعمال الخلق ورقابة العالم والثواب والعقاب . يذكرهن هوميروس مرة واحدة بصيغة الجمع (ن ٢٤) وفي ما سوى ذلك يعبر عن القدر بالاهة واحدة

(٢) فتى ليطونة اي ابنها هو افلُّون

(٣) رأينا فيما تقدم جوادَي اخيل يذرفان الدمع حزناً على فطرقل وها هنا احدهما يتكلم بل ويتنبأ — ولا غرو فان الشاعر اعد السامع لرواية الغرائب عن

وصوتهُ أخفتْ بناتُ الوبالْ

فما بحرفٍ بعدَ هذا نطقْ فقالَ آخيلُ بملءِ الحنقْ :

« لِمْ بالرّدى يا زنْثُ أنبأتني فمنكَ ذا المنطقُ لا يُستجادْ

فلستُ بالجاهلِ حكماً مضى عليَّ بالموتِ غريباً قضى

فلا أُبالي لا ولنْ أُعرضا

حتّى أرى الطّروادَ سيموا الجزعْ وثقلةَ العيِّ عليهمْ نقعْ »

وحثَّ في صدرِ السُّرى جُرْدهُ بهدّةٍ تدوي بتلكَ النجادْ

هذين الجوادين منذ ذكرهما لاول مرة اذ قال انهما من جياد الخلد فكان لا بد ان يميزهما عن سائر الخيل تمييزه للآلهة عن البشر ثم هو ينسب الى هيرا ايلاءهما قوة الكلام ليقلل من غرابة الرواية

ان امثال هذا الكلام المروي عن الحيوانات كثيرة عند الاقدمين فقد روى بلينوس كلاماً لثورين • ولا نساوي بتلك الحيوانات حمارة بلعام وظبية القاع فكلامهما لا يزال مروياً باعتقاد



النشيد العشرون

تحفز الآلهة للقتال وبطش اخيل

مجمله

عقد زفس مجلسه واذن للآلهة بمعاضدة ايّ شاؤا من الفريقين فانحازت هيرا وأثينا وفوسيذ وهيفست الى الاغريق وآذيس وأفلون وارطميس ولاطونة وزنثس والزهرة الى الطرواد . فاتخذ افلون هيئة ليقاوون وحث آنياس على البروز لاخيل . فرامت هيرا ان تنفذ فوسيذ واثينا لشد ازر اخيل ولكن افلون رأى ان الاجدر بهم ان تجتنب الآلهة قتال البشر وترقبهم عن بعد . ولما رأى اخيل آنياس مقبلاً عليه انذره بالقتل ان لم يرجع فابى الا مبارزة اخيل وكاد يهلك لولم يبادر فوسيذ الى انقاذه فغشّى على بصر اخيل . فاحتدم اخيل غيظاً واقدم يستحث صحبه على الفتك بالاعداء . وهكطور من الجهة الاخرى يستنهض همم صحبه وهمّ بالاقبال على اخيل لولم يصده افلون فرجع وانقض اخيل على الطرواد يذبحهم ذبحاً حتى فتك باحد ابناء فريام الملك . فلم يتمالك هكطور عن الكر للطلب بثأر اخيه . وكاد البطلان يصطدمان لو لم ينقذ افلون هكطور ويواريه في سحابة . ولما لم ينل اخيل منالاً من هكطور جعل يبطش يمنةً ويسرةً بجنود الطرواد حتى جرت مركبته فوق القتلى

وبراحتيـه وقد تخضبتا نقع العجاج على الدما جمدا

مجرى هذه الواقعة في اليوم الثلاثين ايضاً

النشيد العشرون (١)

لكَ يا ابنَ فِيلا الباسلَ احتشدا　　حولَكَ قومُكَ ينظمُ العُددا
أنتمْ إزاءَ الفُلكِ قابلَكُمْ　　فوقَ الهِضابِ يعجُّ جيشُ عِدى

---

(١) أن من ضعف عجزة الشعراء ان يفرغوا جعبة تصوراتهم في بدء قصائدهم فلا تأتي على ربع المنظومة الا وترى مخيلة الناظم قد فرغت من كل معنى بليغ او تصور مبتكر . وهذه الالياذة تقرأها من اولها الى آخرها فلا تفرغ من نشيد منها وتشرع في تلاوة الآخر حتى تخال الشاعر كالفارس المتضور للحرب بعد الراحة المستطيلة لم ينفد شيء من قواه المدخرة . فاذا كرر معنى فانما يكرره بزيادة او تعديل يشوق السامع . واذا اعاد نوعاً من الاطراء فانما يعيده ليأتي بأحسن منه . واذا اكثر من ذكر شيء فلا يزعجك بالاطناب المملّ فينوّع الاساليب وينتقل تنقلاً ينسيك ما كان من ذلك الاطناب والاسهاب بل يشوقك ان تتمنى لو زادك منه . فجميع شعره كسلّم لا تبرح درجة منه حتى تطأ درجة اعلى

رأيناه يصف بسالة اخيل وهو بمعزل عن مواقع الكفاح ومشتجر السلاح بما يسوق الى الظن انه لم يبق ولم يذر وانه سيبدو بعض الضعف بوصفه حاملاً على الاعداء وسترى في ما يلي ان ما قيل قليل بالنسبة الى ما سيقال . نسب في اوائل الالياذة فشل الاغريق الى اعتزاله حتى اضطروا الى ايفاد الوفود اليه فلم يفلحوا (ن ٩) . ثم فاز الطرواد ذلك الفوز المبين فكادوا يلتوون فشلاً لمجرد توهمهم ان اخيل يراهم . (ن ١٣) ثم ارتدوا مخذولين وكاد يحطم بعضهم بعضاً لمجرد نظرهم الى سلاحه ومركبته . (ن ١٦) وما هو ان اشرف عليهم اعزل وصاح بهم صوتاً حتى تخامت قلوبهم وولوا مدبرين (ن ١٨) —

تلك هيبة اخيل ولم يأت بعد امراً مذكوراً فما عسى ان يفعل وقد اقبل مدججاً بسلاحه ؟ لم يبق وهو يخوض تلك الغمرات الا ان ترتج السموات والارضون وتهيج البحار وتفيض الانهار وتنقض الارباب لمواقع الضراب . ذلك ما سيبسطه الشاعر استجماعاً لاساطير ذلك الزمان

وتَمِيسَ زَفْسُ دَعَا فَأَنْفَذَها　تَدْعُو ذَوِيهِ لِمَجْلِسٍ عُقِدَا [١]
طارَتْ مِنَ الأُولِمْبِ جائِبَةً　كُلَّ الوَرى تَسْتَقْدِمُ العُمَدا [٢]

لَبُّوا وغَيرُ الأُوقِيانُسِ لا　نَهْرٌ تَخَلَّفَ بَلْ جَرَوا عَجَلا [٣]
لَمْ يَبْقَ مِنْ حُورِيَّةٍ سَكَنَتْ　نَبْعاً جَرى أَو جَدْوَلاً جُدِلا
أَو غابَةً أَو رَوضَةً نَضُرَتْ　إِلاَّ سَعَتْ فَوراً لِتَمْتَثِلا
فَإِذا بِهِمْ والصَّرْحُ غَصَّ بِهِمْ　مِن حَولِ زَفسَ بِمَحْفَلٍ حُشِدا

جَلَسُوا على سُدَدٍ تَفِيضُ سَنَا　لِأَبِيهِ هِيفَسْتُ النَّبِيلُ بَنى
ومُزَعْزِعُ الأَرَضِينَ مِنْ لُجَجِ الـ　أَعْماقِ هَبَّ مُلَبِّياً عَلَنا [٤]
ثُمَّ انْبَرى إِذْ قَرَّ وَسْطَهُمُ　مُسْتَفْسِراً عَمَّا دَعاهُ هُنَا :
« يا ذا الذي يَرْمي الصَّواعِقَ ما　أَقْصَى لِحَشْدٍ بَني العُلى وَبَدا

أَبِذَيْنِكَ القَومَينِ تَمْتَكِرُ　والحَرْبُ بَيْنَهُمُ سَتَسْتَعِرُ »
فَأَجابَ زَكَّامُ الغُيُومِ : « نَعَمْ　أَدْرَكْتَ ما عَلِقَتْ بِهِ الفِكَرُ

---

(١) تميس الاهة العدل . لم يكن اليق منها لتأدية الرسالة
(٢) العمد الرؤساء والمقصود الآلهة
(٣) الاوقيانوس اصل الاصول وابو جميع الارباب . اطالوا البحث في سبب تخلفه بما لا محل لبسطه هنا . وكفى بكونه الاب الهرم المعتزل سبباً لاجتناب حفلات البنين
(٤) يريد بمزعزع الارضين فوسيذ

ما زِلْتُ دوماً عانياً بِهِمِ حتَّى ولَو هَلَكُوا ولَو دُمِرُوا
فَأَنا أُسَرِّحُ ناظري جذَلاً فَوقَ الأُلبِ إِذا اللَّظَى اتَّقَدا

وجَميعُكم بينَ السُّرى انقَسموا وبِسالِكِ أَيٍّ شِئْتُمُ انْتَظِموا
ما خِلْتُ طَرْوادًا تُطيقُ لِقا آخيلَ لَو فَذًّا بَدا لَهُمُ
مَرْآهُ راعَهُمُ فَكَيفَ وقد أَضحى عَلى فَطْرُقْلَ يَحْتَدِمُ
لا بِدْعَ إِنْ دَكَّ الحُصُونَ وإِنْ قَصَدَ القَضاءَ خِلافَ ما قَصَدا»[1]

فَبِهِمْ أُوارُ الفِتْنَةِ الْتَهَبا وتَطايَرُوا كُلٌّ كَما رَغِبا
لِلفُلْكِ هِيرا أَسْرَعَتْ وكَذا فالاسُ ثَمَّةَ فُوسِذٌ ذَهَبا
وكَذلِكَ القَوَّامُ هِرْمِسُ وال جَبَّارُ هِيفَسْتُ القُوَى عَقَبا
يَجْرِي ويَخْمَعُ لا تُطيقُ لَهُ ساقاهُ حَمْلاً إِنْ جَرَى وعَدا

---

(١) انتقد البعض على هوميروس قوله هذا اذ لا يمكن تحويل القضاء باعتقادهم . وأطال آخرون في الدفاع عنه . ولا أرى وجهاً لذلك الانتقاد فالرجل يتكلم بالشعر . ولا يتسع مجال للتأويل والتخريج اتساعهُ للشاعر وفضلاً عن ذلك فقد جاء مثل هذا الكلام في الشعر والنثر حتى وفي الكتب المنزلة . قال ابن هانىء للخليفة المعز لدين الله :

ما شئت لا ما شاءت الاقدارُ فاحكم فانت الواحد القهّارُ
فكأنما انت النبيُّ محمّدٌ وكأنما انصارك الانصارُ

وقال ابو الطيب المتنبي في ممدوحه ابن زريق :

بشر تصور غايةً في آية تنفي الظنون وتفسد التقييسا
لو كان صادف رأس عازر سيفهُ في يوم معركة لاعيا عيسى

وأَرِيْسُ رَبُّ القَونَسِ القَلِقِ　　أَمَّ الطَّرَاوِدَ بادِيَ الحَنَقِ
مَعَ أَرْطَمِيسٍ في كِنانَتِها　　مَعَ عَفْرُذِيْتَ المَبْسِمِ الطَّلِقِ (١)
وكَذاكَ لاطُونا وزَنْثُ جَرى　　مِن ضِفَّتَيْهِ جَرْيَ مُنْدَفِقِ
وكَذاكَ فِيبُوسٌ مَنِ انْسَدَلَتْ　　تَزْهُو غَدائِرُهُ لِكُلِّ مَدى (٢)


الزهرة

ومثل ذلك قول المعرّي وقد تكلم بلسان منجّمي زمانه وكأنه عبر تعبيراً هوميرياً اذ قال :

اذا البرجيس والمرّيخ راما
سوى ما رمت خانهما الكيانُ

والبرجيس المشتري او زفس والمريخ آريس الاه الحرب كما لا يخفى

(١) عفرذيت هي الزهرة يمثلونها عريانة على صورٍ شتى

(٢) علل افستاثيوس سبب انحياز كلٍّ من الآلهة الى أحد الفريقين تعليلاً لطيفاً قال : جعل هوميروس في جانب الاغريق هـيرا وأثينا وفوسيذ وهرمس وهيفست • اما هيرا فلان من خصائصها حفظ العلائق الزوجية ومعاقبة الخائن ومعلومٌ ان سبب الحرب خيانة زوجة وعشيقها • واما أثينا فلانها الاهة الحكمة والحرب ومن جملة شؤونها تعقُّب الغادر • وفوسيذ الاه البحار وكان اليونان في عداد اتباعه لكون معظمهم سكنة جزر وسواحـل بحار • وهرمس من مزاياه النظر في خدَع الحرب ومعلوم ان الاغريق لم يظفروا بطروادة الا بخدعة اوذيس وحصانه الخشبي • وهيفست عدو الفسَقة والفجّار ورب الصناعة فسبب ميله الى الاغريق ظاهر

وقُيلَ ما آلُ العلى اتّخذوا · كرّتْ سُرى الإغريقِ تفتخرُ
آخيـلُ عادَ عقيبَ عزلتِهِ · ولهولِ رؤيتـهِ العدى صغُروا
ألفـوهُ مشتدًّا بشكّتـهِ · كأريسَ هولِ الإنسِ يستعرُ
وبنو العلى بالناسِ ما اشتبكوا · حتّى غمامُ الفتنةِ التبـدا

فالاسُ بينَ الثغرِ والحفَرِ · صاحتْ تُشدِّدُ جملةَ الزُمَرِ
وأريسُ هبَّ هبوبَ عاصفةٍ · يُغري طراودَهُ على الأثرِ
بهضابِ سيموئسٍ يهُدُّ وفي · قُلَلِ المعاقـلِ واريَ الشَّرَرِ
فكذلكَ الأربابُ فتنتهمْ · صدعتْ وزفسُ منَ العلى رَعدا

فتنوا سُرى الجيشينِ فاصطدما · وفُسيذُ هزَّ الأرضَ محتدِما
فارتجَّ إيذا مِن دعائمهِ · حتّى أمادَ بميدِهِ القِمَما
وتزعزعتْ طرُوادةٌ وغـدا · بالفلكِ وجهُ اليمِّ ملتطِما
حتّى بجوفِ الأرضِ آذِسُ عن · عرشِ الجحيمِ اهتزَّ مرتعِدا

وجعل في جانب الطرواد آريس والزهرة وارطميس ولاطونة وزنثس وفيبوس. فآريس رب الحرب ومن خصاله السلب والنهب وقد بدأ بهما الطرواد . والزهرة ربة الجمال والفسق وامرها مع هيلانة وفاريس مشهور . وارطميس من جملة مميزاتها الرقص وكان الطرواد امهر فيه من اليونان . وزنثس نهر طروادي فهو اولى بقومه . وفيبوس رب النبال وجل اعتماد الطرواد كان على رماتهم . وأما لاطونة فما من سبب ظاهر لانحيازها الى الطرواد الا ان تكون مالت اليهم مشوقة بميل اولادها

بالوَيلِ صاحَ وهالَهُ الخَبَرُ يخشى فِجاجُ الأَرضِ تنفجِرُ
ومَنازِلُ الظُلُماتِ ظاهِرَةً تَبدُو يَراها الجِنُّ والبَشَرُ
تِلكَ الوِهادُ اللاءِ مَخبَرُها حتَّى بَنُو العَليا لهُ ذُعِرُوا
ولِذاكَ زِلزالُ العَوالِمِ إِنْ بِسُرَى العُلَى عادي الشِقاقِ عَدا

لِفُسيذَ مَلْكِ الهَولِ مُذْ ظَهَرا فِيبُوسُ بَينَ سِهامِهِ صَدَرا
ولِهِرْمِسٍ لاطُونَةٌ بَرَزَتْ والى أَثينا آرِسُ انحَدَرا
ولِزَوجِ زَفْسَ بَدَتْ شَقيقَةُ مَن في القاصياتِ سِهامَهُ نَشَرا
هِيَ أَرطَميسُ تَميدُ ساطِعَةً قَوسُ النُضارِ بِكَفِّها مَيَدا (١)

وعلى هِفَسْتَ أُنقَضَّ مُصطَفِقا ذَيّالِكَ النَهْرُ الذي أُندَفَقا
في الخُلدِ زَنْثُ جَرى أُسمُهُ وكَذا بالإِسكَمَندَرِ في الوَرى أُنطَلَقا
هٰذي هِيَ الأَرْبابُ فِتنَتُهُمْ وأَخيلُ ظَلَّ يَؤُجُّ مُحتَرِقا

---

(١) ان هوميروس تنبَّهاً غريباً الى كل منقول ومعقول حتى أثناء الخوض في ابعد الخرافات . فقد انزل في قتال الآلهة كل شيء منزلته . قال افستاثيوس برز افلون لفوسيذ لان احدهما يمثل الرطوبة والآخر اليبوسة . وبرز آريس لأثينا لانه يمثل الغلظة وهي ممثلة الحكمة . وبرزت هيرا لارطميس اشارةً الى تضادّ الزيجة والعزوبة . وهيفست وزنثس يمثلان النار والماء

ويظهر من سياق الكلام ان الآلهة تهيأوا كما تقدم كلٌّ لندّه وتحفزوا تحفزاً ولم يتقاتلوا . وهذا موضع انتقاد عظيم على هوميروس اذ لم تسفر هذه المقدمات الهائلة عن نتائج طائلة . ولكن هذا الانتقاد مدفوعٌ بقتالهم في النشيد التالي

لِلقاءِ هكطورٍ وخرقِ سُرَى　　تلكَ الكتائبِ صبرُهُ نفدا

يذكُو ليدوي في تحدُّمهِ　　ربَّ الوغى السفَّاكَ مِنْ دمهِ
لكنَّ فيبُوساً أثارَ لهُ　　أنياسَ يَعْصِمُ بأسَ مِعصَمِهِ
في شكلِ ليقاوُوْنَ خاطبَهُ :　　« أنياسُ أينَ صِلى تعظُّمِهِ
آليتَ للطُّرْوادِ مُرْتَشِفاً　　لتُلاقِيَنَّ أخيلَ منفردا » [1]

قالَ : « ابنَ فِرْيامٍ علامَ على　　رَغْمي إليهِ تَسُوقُني عَجَلا
ليستْ بأوّلِ مرَّةٍ ثبَتَتْ　　قدمي لديهِ فسامَني فشَلا
في إيذةٍ مِن وَجهِ صِعْدَتِهِ　　وَلَّيتُ قَبلاً هالِعاً وَجِلا
لمَّا استباحَ صُوارَنا ورَمى　　لِرْنيسَةَ وفِداسَ مُضْطَهِدا [2]

لكنَّ زفسَ مُشدِّدًا رُكَبي　　وقُوايَ أنقذَني مِنَ العَطَبِ
أو لا فكانَ أبادَني عَجَلاً　　وأمامَهُ فالاسُ في الحُجُبِ
تُوْليهِ نُصرَتَها ليقتضبَ الـ　　ـليليغَ والطُّرْوادَ بالقُضُبِ
ما كانَ إنسيٌّ لهُ كُفُوءًا　　وبَنُو العُلَى كانُوا لهُ عَضُدا

---

(١) اي اقسمت للطرواد وانت ترتشف الكأس

(٢) الصوار قطيع البقر — كم من قطعة تاريخية ورواية خرافية حفظ لنا هوميروس بادماجها في منظوماته كقوله في هذا الموضع ان اخيل غزا لرنيسة وفداس

إن يرُمْ صائنوهُ وحيثُ رمى　طارتْ مناصلُهُ تسيلُ دما
فلو أنّهمْ ما بيننا عدلوا　ما سامني ذُلّاً كما زعما
حتّى ولو صلبتْ مفاصلُهُ　مثلَ النُّحاسِ وصالَ واقتحما»
فأجابَ فيبوسُ: «ادعُ أنتَ إذاً　رهطاً بأكنافِ العلى خالدا

فلعفرُديتِ ساقكَ النسبُ　ولبنتِ شيخِ البحرِ ينتسبُ
فإذاً لكَ الرُّجحانُ عن ثقةٍ　حسباً وزفسُ لعفرُديتَ أبُ
فهلمّ بادرهُ بنصلكَ لا　يأخذكَ من نعراتهِ الرُّعبُ»
من ثمَّ أفرغَ فيهِ قدرتَهُ　فانقضَّ لا يرتدُّ مبتعدا

فرأتهُ هيرا بارزاً يثبُ　من جيشهِ لأخيلَ يقتربُ
فدعتْ إليها من بطانتها　من نُصرةَ الأرغوسةِ اطّلبوا
قالت: «ائتينا فوسدُ انتبها　لمآلِ حربٍ دونها الحربُ
أنياسُ رامَ أخيلَ مدّرعاً　بأساً على فيبوسَ معتمدا

فيبوسَ فلندفعْ بلا مَهلِ　أو بعضُنا فوراً أخيلَ يلي
ويخوّلنهُ فوقَ شدّتهِ　بأساً ويعصمهُ منَ الوجلِ
فيرى عياناً صيدَ أسرتنا　أولوهُ وُدّاً جلّ عن مثلِ
وجميعُ أحلافِ الطّراودِ ما　هالوا وعنّا يقصرُونَ يدا

أَفَما انْحَدَرْنا لِلْكِفاحِ هُنا ... لِنَقِي أَخِيلَ اليَومَ كُلَّ عَنا
فَإِذا كَتَمْنا الأَمْرَ ثُمَّ بَدا ... في وَجْهِهِ رَبٌّ عَتا جُبُنا[1]
فَمَناظِرُ الارْبابِ مُرْعِبَةٌ ... وِلِأَيِّ إِنْسِيٍّ بَدَتْ وَهَنا
مِنْ ثَمَّ فَلْيَرِدِ الحِمامَ كَما ... غَزَلَ القَضاءُ سِنِيهِ مُذْ وُجِدا»

فَأَجابَ فُوسِيذٌ: «دَعِي الشَّطَطا ... ما كانَ شَأْنُكِ أَعْهَدُ الغَلَطا
ما رُمْتُ إِذْ كُنَّا أَشَدَّ قُوىً ... حَرْبَ العِبادِ نَلِي فَنَنْخَرِطا
لِلإِنْسِ خَلِّي الحَرْبَ نَرْقُبُها ... مِنْ فَوقِ ذاكَ التَّلِّ طَيَّ غِطا
وإِذا أَرِيسُ وفِيبُسُ اعْتَدَيا ... فَوراً عَمَدْنا مِثْلَما عَمَدا

وأَخِيلَ إِنْ رَدَّا وإِنْ رَدَعا ... فَهُناكَ بَأْسُ أَكُفِّنا صَدَعا
وهُناكَ ظَنِّي لِلْعُلَى هَلَعاً ... نَلْقاهُما لِسُرَى العُلَى رَجَعا»
مِنْ ثَمَّ فُوسِيذٌ بِأُسْرَتِهِ ... هَرَعُوا إِلى السُّورِ الذي ارْتَفَعا
سُورٌ لِأَجْلِ هِرَقْلَ قَبْلُ بَنَتْ ... فالاسُ والطُّرْوادُ مُذْ جُهِدا

مِن وَجْهِ وَحْشِ البَحْرِ فِيهِ لَجا ... لَمَّا عَلَيهِ هاجِماً خَرَجا
فَهُناكَ فُوسِيذٌ بِمَنْ مَعَهُ ... في طَيِّ حُجْبِ غَمامَةٍ وَلَجا
وإِلى رِياضِ هِضابِ سِيمِيسٍ ... فِيبُوسُ مالَ وآرِسٌ عَرَجا
بِجَمِيعِ أَنْصارِ الطَّراوِدِ مِن ... حَولَيهِما فَوقَ الرُّبَى قَعَدا

---

(١) اي اذا كتمنا عن اخيل ولاءنا له ثم بدا له ربٌّ من الارباب فربما يهوله فيجبن

وكذا مِنَ الصَّوتين قائمةً ... لبثت سرى الارباب ناقمةً
ظلّتْ هناكَ بظلّ عزلتها ... عن ساحةِ الهيجاء واجمةً
لكنّ زفس بعرشِ عزّتهِ ... قاض بأنْ تنقضّ هاجمةً
وصفائحُ الجيشينِ ساطعةٌ ... أجّتْ ونقعُ خطاهما صعدا

والأرضُ تحتَ الرّجلِ والعجلِ ... مادتْ لوطأةِ هاتهِ المللِ
مِن كلّ جيشٍ زفّ مقتحماً ... بطلٌ تحدّمَ أيّما بطلِ
أنياسُ ربُّ البأسِ قابلهُ ... آخيلُ ربُّ البيضِ والأسلِ
هزّ القناةَ مبرّزاً وعدا ... أنياسُ في الميدانِ منجرداً

في رأسهِ أعرافَ خوذتهِ ... قد هاجَ يرفعُ صلدَ جنّتهِ
فانقضّ آخيلٌ كليثٍ شرى ... نهضَ الجموعُ لكسرِ شوكتهِ
فزعتْ لهمْ كلُّ البلادِ فلمْ ... يعبأْ وظلّ على سكينتهِ
حتّى رماهُ بهمْ فتيتهمْ ... بقناً فأحدقَ مرغياً زبدا

حنقاً تقدّمَ فاغراً فمهُ ... يصلى بمهجتهِ تضرّمهُ
أسنانهُ صرّتْ ومقلتهُ ... بشرارها تذكي تحدّمهُ
ولذيلهِ في صفحتيهِ غدا ... قرعٌ يروّعُ من توسّمهُ
فيهبُّ منقضّاً ليهلكَ أو ... ليبيدَ من أبطالهمْ عددا

فَلِذاكَ آخيلُ تحرُّقُهُ ... لِلقاءِ أَنْياسٍ يُشَوِّقُهُ
حَتَّى إِذا ضاقَ ٱلمَجالُ أَتا ... هُ مُخاطِباً بالعُنْفِ يَرْمُقُهُ :
« أَنْياسُ جَيْشُكَ لِمْ أَراكَ كذا ... بَرَزْتَ عَنْهُ إِلَيَّ تَسْبِقُهُ
أَزَعَمْتَ فِرْياماً يُشاطِرُكَ ٱلْ ... أَحْكامَ في طَرْوادةٍ أَبَدا

كَلَّا فَلَنْ يَجْزِيكَ ذاكَ فَما ... هُوَ قاصِرٌ حُكْماً بِما حَكَما
كَلَّا وإِنْ ما بي ظَفِرْتَ هُنا ... فَلَدَيهِ أَبْناءٌ سَمَوا عِظَما
وَلَعَلَّهُ إِن بي فَتَكْتَ إِذا ... مِنْ أَرْضِهِ لَكَ يَجْزِلُ الكَرَما
بُقَعاً زَهَتْ كَرْماً وَمَزْرَعُها ... خَصِبٌ فَتَحْشُدُ كُلَّ ما حُصِدا

هَيهاتِ تُدْرِكُ ها هُنا الأَرَبا ... أَفَما لَوَاكَ مُثَقِّفِي هَرَبا
أَفَما اذَّكَرْتَ اليومَ يَومَ عَلَى ... إِيذا فَرَرْتَ لَدَيَّ مُضْطَرِبا
إِذْ عَنْ سَوامِكَ قَدْ فَصَلْتُكَ لَمْ ... تَنْفِتْ فَرُدْتُ وَرَاءَكَ الهِضَبا
فَلَجَأْتَ في لِرْنِيسَةٍ وَأَنا ... هَدَّمْتُ مِنْ لِرْنِيسَةَ العَمَدا

زَفْسٌ وآثينا بِعَونِهِما ... إِذْ واصَلاني عُذْتُ مُغْتَنِما
وَسَبَيْتُ مِنها الغِيدَ مُسْتَلِباً ... حُرِّيَّةً مُتْعَتْها قِدَما
لٰكِنَّ زَفْسَ وآلَهُ حَفِظُوا ... أَنْياسَ حَتَّى ناجِياً سَلِما
وَإِخالُهُمْ ذا الحِينَ ما حَبَوْا ... فِيهِ فَصانُوهُ كَما اعْتَقَدا

فَأَرْجِعْ نَصِحَتُكَ بينَ قومِكَ لا تَتَصَدَّ لي فتُسامَ شرَّ بَلا
فالفرُّ ليسَ بذاعنٍ أبدًا الاَّ إذا بهوانهِ اتَّصلا »
قالَ: «ابنَ فيلا لستُ أعجزُ عن فظِّ الكلامِ فذلكَ ابتُذِلا
أزعمتَ إرعابي بقولكَ ذا أو خلتَ تلقى ها هنا ولدا

إن غابَ عن أبصارِنا الأثرُ ما غابَ عنَّا العلمُ والخبرُ
فلقدْ روى الرَّاوونَ قبلُ لنا آثارَ أسلافٍ لنا اشتهروا
لِأَبيكَ إمَّا كنتَ متَّصلاً وكذا لِثيتيسٍ كما ذكروا
لِلزَّهرةِ الغرَّاءِ منتسبي والشَّهمُ أنخيسُ أبي عهدا

لا بدَّ إحدى الأسرتين ترى ذا اليومَ نادبةً فتىً قهرا
ما كانَ لغوُ القولِ فاصلَنا عن موقفِ الطَّعنِ الذي استعرا
ولئنْ ترُمْ تحقيقَ نسبتِنا وفقاً لما قد ذاعَ وانتشرا
فاعلمْ فدردانوسُ وهوَ فتى زفسٍ بنى دردانيا بلدا

إليونُ في ذيَّالكَ الزَّمنِ في عرضِ هذا السَّهلِ لم تكنِ
والنَّاسُ قد كانت منازلُهمْ في سفحِ إيذا الشَّامخِ القننِ
مِن ثمَّ دردانوسُ منهُ نشا الـ ـولُ إرختُونٌ فتى الفطنِ
أثرى الورى طرًّا مسارحهُ مرحتْ بهنَّ خيولهُ رغدا

ألفٌ وألفا حِجرةٍ سرحتْ مِن خلفِها أفلاؤها مرحتْ

بُرْياسُ هامَ بِبَعضها فَحَكَى مُهراً نَواصِيهِ لَقَدْ سَبَحَتْ[1]
فَعلقْنَ بِاثْني عَشْرَ ماسَحَقَتْ قِمَمَ السَّنابِلِ حيثُما رَمَحَتْ
وإذا هَبَبْنَ على البحارِ فَمِنْ فَوقِ المياهِ وَثَبْنَ مُطَّرِدا

هذا إرخْثُونٌ ومِنهُ نَما أَطْرُوسُ مَن طَرْوادَةً حَكَما
إيلُوسُ عَسَّارَاقُسٌ وكَذا غانِيمِذٌ أَبناؤُهُ العُظَما
غانِيمِذٌ لِجَمالِ طَلْعَتِهِ رَفَعَتْهُ أَبْناءُ العُلَى فَسَما
لِيَكُونَ ساقِيَ زَفسَ بَينَهُمُ فَلِذاكَ في أُولُمْبِهِمْ سُعِدا[2]

إيلوسُ كانَ لِلَوْمِذُونَ أَبا ولِلَومِذُونَ طِثُونٌ انْتَسَبا
وكَذاكَ فِرْيامٌ قِلِيطِيسٌ هِيقَيطَوُونُ ولَمْبُسُ النُّجَبا
وبِنَجلِ عَسَّاراقُسٍ . عَرَفُوا قافِيسَ جَدِّي مَن عَلا رُتَبا
فَأَبي أَنْخِيسُ ابْنُهُ كانَ كَما فِرْيامُ هَكْطُورٌ فَتاهُ غَدا

هذا فَخاري نِسبَتي وَدَمِي - وَلِزَفسُ ذلِكَ قَيِّمُ الأُمَمِ
إن شاءَ أَعْلى هِمَّةً وَإذا ما شاءَ أَوْهَنَ عالِيَ الهِمَمِ
فَهُنا مَجالُ الطَّعْنِ لَيسَ لَنا كَالوُلْدِ فيهِ ساقِطُ الكَلِمِ
فَلِسانُ كُلِّ فَتىً بِفِيهِ يُرى ذَلِقاً وَمَهْما يَبْتَغِي سَرَدا

(١) برياس او بوريس ريح الشمال وهو من جملة الآلهة وقد تقدم ذكره

(٢) مرّ ذكر غنيمذ ورسمه (ن ٥ : ص ٤٠٠)

مَيدانُ هذا اللَّغوِ متَّسِعُ — وسِبابُهُم مَنْ أَسمَعُوا سَمِعُوا
إنْ نبغِ يَشْحَنْ لَغْوُنا فُلُكاً — مِئَةً أُرادِمُهُ ولا يَسَعُ[1]
فعلامَ كامرأتينِ أُشربَتا — سَفهاً بموقعِ حِطَّةٍ نقعْ
شَتْماً تقاذَفَتا بقارعةٍ — كَذِباً على صِدْقٍ بغيرِ هُدَى

كَلّا فلستَ براعيِّ جزَعا — أقبِلْ نُجِلْ صُمَّ النِّصالِ مَعا »
مِن ثَمَّ أرسَلَ رُمحَهُ فَمضَى — وَعلى المِجَنِّ سِنانُهُ وَقَعا
فعليهِ صَلَّ وفوقَ هامتِهِ — آخيلُ صَلْدَ مِجنَّةٍ رَفَعا
قد خافَ أنَّ الرُّمحَ يخرِقُهُ — لكنَّما ذا الخوفُ كانَ سُدَى

هيهاتَ عَجزُ الإنسِ يَعمَلُ في — ما أَوْلَتِ الأَربابُ مِنْ تُحَفِ
وَقفَ السِّنانُ على النُّضارِ فلمْ — يَنفُذْ ولولا ذاكَ لمْ يَقِفِ
خَمسُ طِباقِ التُّرسِ طرَّقَها — هيفَستُ تدفعُ آفةَ التَّلَفِ
نَضَدَ اثنتَينِ مِنَ الفِلِزِّ على — ظَهرِ المِجَنِّ ونِعمَ ما نَضَدا

وَعليهِما لَوحٌ مِنَ الذَّهَبِ — ومِنَ النُّحاسِ صفيحَتا عَجَبِ
خَرَقَ النُّحاسَ النَّصلُ يَرجِعُ عَن — لَوحِ النُّضارِ رُجوعَ مُضطَرِبِ
فَرمى أخيلُ سِنانَهُ فَمضَى — في جَوبِ أَنياسٍ ولَمْ يَخِبِ
في صَفحةٍ حيثُ النُّحاسُ عليهِ — السِّبتُ رقَّ وطائراً صرَدا[2]

---

(١) الارادم الملاّحون

(٢) السبت جلد الترس وصرد نفذ

مُتَلَمْلِماً أَنْياسُ مُسْـتَتِرا　　مَدَّ المِجَنِّ أَمامَهُ حَذِرا
فَقَناةُ فِلْيُونٍ بِهِ قَذَفَتْ　　والجَوبُ مادَ بِصِلِّ مُنْكَسِرا[١]
وَالنَّصْلُ أَنْياسُ رَآهُ إِلى　　وَجْهِ الثَّرى عَن وَجْهِهِ صَدَرا
فَلَقَ الحَضِيضَ يَغُلُّ مُرْتَعِشاً　　فِيهِ وَكادَ يُفَلِّقُ الكَتَدا[٢]

فَنَجا وَلٰكِنْ صَدْرُهُ انْتَفَضا　　وَأَخِيلُ صاحَ وَدُونَهُ اعْتَرَضا
سَلَّ الحُسامَ وفي حَزازَتِهِ　　أَنْياسُ هائِلَ صَخْرَةٍ قَبَضا
بَطَلَينِ تَجْهَضُ في زَمانِكَ ذا　　فَبِها بِغَيرِ تَكَلُّفٍ نَهَضا
وَمُزَعْزِعُ الأَرَضِينَ بَأْسَهُما　　مِنْ حَيثُ قَرَّ مُراقِباً شَهِدا[٣]

لَولاهُ أَنْيـاسُ بِجِـدَّتِهِ　　لَرَمى أَخِيلَ بِصَلْدِ صَخْرَتِهِ
وَلَكانَ صانَ أَخِيلَ مِجْوَبُهُ　　أَو خُوذَةٌ لَمَعَتْ بِجَبْهَتِـهِ
وَلَكانَ سَيفُ أَخِيلَ في يَدِهِ　　أَنْياسَ أَدْنى مِنْ مَنِيَّتِهِ
لٰـكِنَّ فُوسِيذاً بِأُسْرَتِهِ　　في الحالِ صاحَ يُنِيلُهُ المَدَدا :

«أَنْياسُ آخِيـلُ سَيَقْتُلُهُ　　أَسَفاً وَنَحوَ أَذِيسَ يُرْسِلُهُ
فِيبُوسُ اغْواهُ فَدانَ لَهُ　　جَهْلاً وَذا فِيبُوسُ يُغْفِلُهُ
فَعَلامَ وَهْوَ البَرُّ تَدْهَمُهُ　　نُوَبُ الأَنامِ وَنَحْنُ نُهْمِلُهُ

(١) فليون هو الجبل الذي قطعت منه قناة اخيل على ما مرّ
(٢) الكتد مجتمع الكتفين أو الكاهل .
(٣) مزعزع الارض لقب من ألقاب فوسيذ إلاه الجحيم

ما قطُّ عن بثّ الفُرُوضِ لَها ... بَينَ العِبادِ لِكُلِّ مَنْ عَبدا

لاشكَّ زفسُ يُغاظُ إنْ سفكا ... دمَهُ أخيلُ فاتَّقُوا المَلَكا
يأبى القضاءُ لهُ الهلاكَ هنا ... وسَليلُ دَرْدانوسَ ما هلَكا
أَوَكيفَ دَرْدانُوسُ أُسْرَتُهُ ... طرًّا تَبيدُ وتألفُ الدَّرَكا
وَهُوَ الذي مِنْ نَسْلِ زَفْسَ لَهُ ... في الإنسِ عهدُ الوُدِّ قد عَقَدا

فَعَلى بَني فِرْيامَ قَد غَضِبا ... زَفْسُ وأَنْياسَ اُجتَبى وَحَبا
فَلِذاكَ سوفَ يَسُودُ مُحتكِماً ... بَينَ الطَّراوِدِ كَيفما رَغِبا
وَبَنُوهُ ثُمَّ بَنُوهُمُ وَكذا ... مَنْ بَعدَهُمْ مِنْ وُلْدِهِمْ نُجُبا»[1]

(١) هنا رواية تاريخية بحتة سبكها هوميروس بقالب نبوءة أنطق بها فوسيذ • ذلك ان اعقاب انياس كانوا لعهد هوميروس يحكمون قسماً عظيماً من بلاد طروادة اتصل اليهم الملك بانقراض سلالة فريام بعد ان دك الاغريق حصون اليون ودمروها • وكان من امر آنياس عند تبديد شمل القوم ان استقل أباه الهرم أنخيس على كاهله ولاذ بالهزيمة ثم جمع زمرة من شذاذ قومه وأبحر بهم يطلب أرضاً ينزل بها فساقته الاقدار الى قرطاجة ومنها الى ايطاليا فانزله الملك لاتينوس منزلاً رحباً وزوجه ابنته لافينيا في خبر طويل ثم استخلفه على الملك • وقد زعموا أن من عقبه رومولوس مؤسس رومة ولهذا كان يفخر قياصرة الرومان باعلاء نسبهم اليه

وكان اسم انياس في زمن هوميروس مرادفاً للبسالة والورع والبر بالوالدين ولهذا وسّط هوميروس فوسيذ في امره مع ان فوسيذ كان عدوًّا لدوداً للطرواد اشارةً الى ان العناية الالهية لاتهمل عبداً برًّا وبشراً اتّقى

ولا يخفى ان آنياس هذا هو بطل منظومة فرجيليوس الكبرى حذا فيها حذو هوميروس بوصف بسالة آنياس ونقل منها نبوءة هوميروس حرفاً حرفاً واطنب بتقوى آنياس إطناباً لم يبلغه أحد من الشعراء

قالَتْ لهُ هيرا: «برأيكَ رُمْ　　أوْ نجْوةً أوْ كشفةً وردى[1]

لكنّما فالاسُ أقسمتِ　　ولكمْ أنا أقسمتُ من جهتي
أنْ لانُعينَ بني الطّراودِ لوْ　　إليُونُ بالنّيرانِ أُلهبتِ»
فانقضّ فُوسيذٌ لمشتجرِ الْ　　أرماحِ حيثُ الصّمُّ صلْصلتِ
حيثُ ابنُ أنخيسٍ بصخرتهِ　　وحُسامهُ آخيلُ قد جرّدا

فلديْ أخيلَ غمامةً نشرا　　غشيتْ نواظرهُ فما نظرا
ومن المجنّ اجترّ زانتهُ　　وأمامهُ ألقى بها وجرى
وبوثبةٍ فوقَ الرّجالِ ومنْ　　فوقِ العجالِ بيدهِ عبرا
فإذا بهِ طرفَ الكتائبِ حيـ　　ـثُ معسكرُ القفقونةِ انتضدا

قال: «ابنَ أنخيسٍ وأيُّ سري　　أعماكَ فاستهدفتَ للخطرِ
آخيلُ آلُ الخُلدِ تؤثرهُ　　ولقد عداكَ فكُنْ على حذرِ
أولا فدارُ أذيسَ تبلغُها　　بالقسرِ عمّا خُطّ في القدرِ
وسواهُ في الإغريقِ لا بطلٌ　　تلقى إذا لاقيتهُ الشّددا

وإذا القضاءُ أبادهُ فجُلِ　　صدرَ الكتائبِ باطشاً وصُلِ»
من ثمَّ غادرهُ بموقفهِ　　وخلافَ هذا القولِ لم يقُلِ
وأنارَ حولَ أخيلَ فانقشعتْ　　تلكَ الغياهبُ عنهُ في العجَلِ

(١) الكشفة الفشل . تقول افعل ما شئت فلك ان تنجيه او تهلكه

فرأى وصعّد حرّ زفرته لهفاً يناجي النفس والخلدا :

« ربّاه أيّ عجيبة رمقا طرفي فذا رمحي الذي انطلقا
لا أبصر القرم الذي طعنت كفي أروم هلاكه حمقا
قد خلت أنياس انتمى خطأً لبني العلى فإذا به صدقا
إن ينج حيناً حسبه فرج أبداً فهذا الورد لن يردا [1]

ولأدفعن كتائبي وأنا لي عنه في بهم العداة غنى »
ومضى يجوب صفوف فيلقه علناً يمنيهم بنيل منى :
« هلاّ رأيت بني أخاي هنا كل امرىء منهم فتى طعنا
ما كان لي ما صلت منفرداً ازدي وأحطم جحفلاً أجدا [2]

لا آرس ذا الجمع إن هجموا او نفس فالاس تصدّهم
سأكرّ ما ثبتت قوى قدمي ويدي أصول بهم ولا أجم
وأخوض كلّ سرى كتائبهم في همة من دونها الهمم
ما خلت من يلقى ظبى أسلي هذا اللقاء هنيهة حمدا

فهنا أخيل يحثّ عصبته وهناك هكطور بطانته :
« نبلاء طروادٍ أخيل فلا تخشوا تبجّحه وصولته

---

(١) أي لن يعرض نفسه بعد للقائي
(٢) أجداً اي قوياً

وأَنا أُطيقُ كَذاكَ عن حُمُقٍ　　رَهطُ الخُلُودِ أُهينُ حُرْمتَهُ
لٰـكِنْ إِذا بَدَتِ القَنا عَلَنـاً　　باتَ الهُمَامُ أَمامَهمْ خَرِدا[1]

إِنْ قالَ بَعضَ القَولِ ثُمَّ وَفى　　فَبِسائِرِ الأَقوالِ قد هَرَفا
فَلأَبْرُزَنَّ لهُ لَوِ الْتَهبَتْ　　كالنَّارِ كَفَّاهُ كَمَا وَصَفَا
كالنَّارِ لَو كَفَّاهُ أُلْهِبَتـا　　أَو كالحَدِيدِ الصُّلْبِ لَو وَقَفا»
فَارْتَدَّتِ الطُّرَّوادُ مُسْبَلَةً　　سُمْرَ القَنا مُشْتَدَّةً جَلَدا

وتَكَثَّفُوا وَعَلا هَدِيدُهُمُ　　لٰـكِنْ جَرَى فِيبُوسُ بَيْنَهُمُ
قالَ: «ابْنَ فِرْيامٍ أَخِيلَ على　　حِدَةٍ هُنَا إِيَّاكَ تَقْتَحِمُ
قابِلْهُ في قَلْبِ السُّرى أَبَدا　　إِذْ غَصَّ بالدُّرَّاعِ حَشْدُهُمُ
أَو لا فَإِنْ فاتَتْكَ صِعْدَتُهُ　　ماعَنكَ حَدُّ حُسامِهِ شَرَدا»[2]

فَارْتاعَ هَكْطُورُ لِما سَمِعا　　وَانْصاعَ بَينَ جُنُودِهِ هَلِعا
وَأَخِيلُ صاحَ تَرُوعُ هَدَّتُهُ　　وَبِعَزْمِهِ بَينَ العِدى انْدَفَعا
بِسَلِيلِ أُطْرُنْتٍ إِفِيتِيُنٍ　　مِنْ خَيرِ صِيدِ جُنُودِهِمْ شَرَعا
في سَفْحِ إِعْوُلٍ بِهِيدَةَ ذا　　تِ الخِصْبِ مِنْ حُورِيَةٍ وُلِدا .

لاقاهُ آخِيـلُ بِكَـرَّتِهِ　　بالرُّمْحِ يَفْلِقُ صُلْبَ هامَتِهِ

---

(١) الخرد الحيان
(٢) الصعدة سنان الرمح

فَهَوَى يَصِلُّ سِلاحُهُ وعَدا　　آخيلُ مُفْتَخِرًا بِنَصْرَتِهِ :
« يا أَشجَعَ الأَبطالِ أَنتَ هُنا　　مَيْتٌ نَأَى عَن أَرضِ نَشأَتِهِ
عَن بَحْرِ غِيغِسَ حيثُ هيلُسُ وا　　ا هِدَّارُ هُرْمُسُ قدسقى الجُدَدا »[1]

غَشَّى ظَلامُ الموتِ مُقلَتَهُ　　والمَرْكَباتُ تَرُضُّ جُثَّتَهُ
وأَخيلُ ذِيمُولَ بنَ أَنْطِنْرٍ　　ذا البَاسِ أَوْرَدَهُ مَنِيَّتَهُ
في الصُّدْغِ واري رُمحَهُ فَمَضَى　　لِلعَظْمِ مُختَرِقًا تَرِيكَتَهُ
قَضَّ الدِّماغَ فَقَضَّهُ بَطَلاً　　واري العَزِيمَةِ باسِلاً نَجِدا

وهِفُودَماسَ رَماهُ مُذْ وَثَبا　　عَن خَيلِهِ مُتَمَلِّصاً هَرَبا
في ظَهْرِهِ فَأَكَبَّ يَزْأَرُ مِثْـ　　ـلَ الثَّورِ قِيدَ لِفُوسِذٍ قُرُبا
وَمُزَعْزِعُ الأَرَضِينَ يَجْذَلُ في　　هِيلِيقَةٍ لِعَجِيجِهِ طَرَبا[2]
وكَذاكَ عَجَّ هِفُودَماسُ إِلى　　أَنْ فارَقَتْ أَنفاسُهُ الجَسَدا

مِن ثَمَّ آخيلُ انثَنَى وَسَعَى　　وفُلِيذُرَ ابْنَ مَلِيكِهِمْ صَرَعا
مِن وُلْدِ فِرْيامٍ وأَحدَثُهُم　　سِنًّا وأَعداهُمْ إِذا طَلَعا

(١) الجدد جمع جدة وهي الساحل والشاطيء

(٢) هيليقة بلدة كانت في اخايا وكان فيها هيكل لفوسيذ يحتفلون فيه سنوياً بنحر ثور . فاذا عج الثور وهم يقودونه للذبح تفاءلوا خيراً وأيقنوا بنيل بغيتهم وان لم يعج تشاءموا وايقنوا بسخط معبودهم فاسترضوه بوسيلة أخرى

وأحبهم طرًّا إليه لذا منع الوغى عنه فما امتنعا
فجرى بصدر الجيش مفتخرا في عدوه حمقًا وما رشدا

آخيل وافاه بعدوته في الظهر ينفذ حدّ صعدته
حيث النجاد هناك يكتنفه حلق النضار ووصل لأمته
نفذ السنان إزاء سرّته فأكبّ يشهق فوق ركبته
امعاؤه اندلعت فأمسكها بأكفه للأرض مستندا

فرآه هكطور فهاج أسى فورًا وعينيه الظلام كسا
فانقضّ مثل النار يؤلمه أن ظلّ من آخيل محترسا
بشحيذ منصله انبرى ومضى يجري أخيل وباللقا أنسا
قال: «اطمئني نفس هناك بدا من قد أذاب حشاشتي كمدا

ذا قاتل الخلّ الحبيب دنا فعسى هنا فصل الخطاب لنا
مابعد هذا القرب من فرج بإيذنا بالجيش يفصلنا »
من ثمّ أحدق ثمّ صاح به: «هيّ ادن فالموت الزؤام هنا»
فأجابه من غير ما جزع: « افخلت تلقى ها هنا ولدا

لن تجزعني هاته الكلم لن يعجزني شتم من شتموا
لن أبخسنك طول باعك لا إذ فقتني والبهم كلهم

لٰكنَّما الأَرْبابُ عِصمَتُنا يُؤْتُونَ مَن شاءُوا وَلاءَهُمُ
ولَعلَّ ذا النَّصلَ الشَّحيذَ إِذا وافكَ في أَحشائكَ اُطَّردا»

وَرَمى القَناةَ وَفي الخفاوقفتْ فالاسُ تنفُخُ حينما حُذِفتْ
رَجِمَتْ لدى قَدَميهِ ساقِطَةً وعنِ ابْنِ فيلافي الهوى انحَرَفتْ
فَعدا أَخيلُ ثائرًا حَنِقًا في هدَّةٍ بينَ السُّرى قَصفتْ
لٰكنَّ فيبُوساً بِقُدْرَتهِ وولائهِ هكَظورًا افْتقَدا

بِغَمامةٍ دَهْماءَ حَجَّبَهُ وَأَخيلُ مُنْقَضًا تَعقَّبَهُ
فَعدا ثَلاثاً ضارِباً حَنِقاً بَطنَ الغَمامِ يُضيعُ مَضرَبَهُ
ثُمَّ انْبَرى كالرَّبِّ رابِعةً بِهديدِهِ يُوري تَلهُّبَهُ:
«ذي نَجْوةٌ اخرى وذاكَ جَدا فِيبُوسَ يا كَنباً وَأَيُّ جَدا[1]

ما خُضتَ نَقعَ الحَرْبَ مُزْدَلِفا إِلاَّ لَجأتَ لِعَوْنهِ سَلَفا
فَلَئِنْ أَنَلْ نَصرَ الأُولى نَصرُوا ما عُذتُ إِلاَّ مِنكَ مُنْتَصِفا
والآنَ لي بِسواكَ عَنكَ غِنى في كُلِّ مَن بَلغَتْ يَدي وكَفى»
وَبجيدِ دَرْيُوفٍ مُثَقَّفَهُ وارى فأَهْوى يَكدُمُ الثَّأْدا[2]

(١) الجدا الكرم . يقول فيبوس وقاك بكرمه وفضله

(٢) الثأد الثرى

وسَليلَ فِيلِيتُورِ البطَلا ذِيمُوخُساً وافى وقد قفَلا
في طَعْنَةٍ نَفَذَتْ برُكْبَتِهِ فرمَتْهُ ثُمَّ بسيفِهِ حمَلا
وعَلَيهِ أَجْهَزَ ثُمَّ كرَّ على ولدَيْ يِاسٍ عُمْدَةِ النُّبلا
أَلقَرْمِ دَرْدانُوسَ يَصْحَبُهُ لُوغُوسُ مِنْ لِوُفُودِهِ فُئِدا[1]

فكلاهما كانا بمَرْكَبَةٍ وكلاهما خرَّا بصلْصلَةِ
هذا براهُ بالحُسامِ وذا بمُثقَّفٍ لِلْمَوتِ مُنْصَلِتِ
وغدا فَلاحَ فتى أَلَسْطُرأُطْ روسُ لَدَيهِ بقَلْبٍ مُمَمْمَةٍ
فلِرُكْبَتَي آخيلَ مُرْتَمِياً أَحنى ومُنْهَدَّ القُوى سجَدا

قالَ: «اُعفُ وارْفُقْ بالصِّبا كَرَما مُذْ كُنْتُ تِرْبَكَ وَاحْقِنَنَّ دَما»
وا جَهْلَهُ قد فاتَهُ حُمُقاً أَنَّ ابْنَ فِيلا قَطُّ ما رَحِما
لِندائِهِ ما رَقَّ يَسْمَعُ بَلْ بحُسامِهِ ذاكَ النِّدا حَسَما
في طَعْنَةٍ فهقَتْ بسَيلِ دَمٍ وأَسْتَخْرَجَتْ مِن جوفِهِ الكَبِدا

مِن ثَمَّ مِن مُولِيُّسَ اقْتَرَبا وبصَعْدَةٍ ذاكَ الفتى ضَرَبا
خَرَقَتْهُ مِنْ أُذُنٍ الى أُذُنٍ فأَكَبَّ فوقَ الأَرضِ مُنْقَلِبا
وتَلاهُ إِيخِكْلُوسُ آغِنُرٍ بمُهَنَّدٍ في رَأْسِهِ نَشِبا
والسَّيفُ حَتَّى كَعْبِ مِقْبَضِهِ بدمِ القَتِيلِ بكَفِّهِ وَمِدا[2]

---

(١) فئد اضطرب فؤاده خوفاً

(٢) ومد حمي

وبِزَنْدِ ذُوقَلْيُونَ البَطَلِ وارى السِّنانَ بمجمع العَضَلِ
فأُمِيلَ ساعِدُهُ بِثِقْلَتِهِ فثوى يُراقِبُ وافِدَ الأَجَلِ
بِحُسامِهِ آخيلُ هامَتَهُ أَنْأَى بِخُوذَتِهِ ولم يَمِلِ
مُتَناثِراً طارَ الدِّماغُ وَمِنْـ ـهُ الجِسْمُ ظَلَّ هُناكَ مُنْجَرِدا

وتَلاهُ رِغْموسُ بْنُ فِيرُسَ مَن كانت لهُ إِثْراقُ خيرَ وَطَنْ
فَسِنانُهُ آخيلُ أَنْفَذَ في رِئَتَيْهِ لَمَّا بالسِّنانِ طَعَنْ
فَارْتاعَ آرِيثوسُ سائِقُهُ فَلَوى العِنانَ وللفرارِ رَكَنْ
في ظَهْرِهِ آخيلُ بادَرَهُ فَأَكَبَّ والخَيْلُ انْثَنَتْ زُؤُدا (١)

هذا أَخيلُ وتِلكَ سَطْوَتُهُ كالرَّبِّ صالَ تَرُوعُ صَوْلَتُهُ
حَيْثُ انْبَرَى أَجْرى سُيُولَ دَمٍ واجْتاحَتِ الأَعْداءَ كَرَّتُهُ
مِثْلَ اللَّهِيبِ بِقُنَّةٍ كُسِيَتْ أَجَماً بها تَشْتَدُّ هَبَّتُهُ
حَيْثُ الرِّياحُ جَرَتْ بِهِ الْتَهَمَ الـ أَشْجارَ يَحْطِمُ كَيْفَما وَقَدا

وَكَأَنَّما في بَيْدَرٍ طُرِقا ثَوْرانِ فَوقَ السُّنْبُلِ انْطَلَقا
بُسِطَ الشَّعِيرُ لَدَيْهِما فَغَدا بِخُطاهُما يَنْدَقُّ مُنْسَحِقا
داسا وَعَجَّا تَحْتَ نِيرِهِما وَمِنَ السَّنابِلِ حَبُّها انْدَفَقا (٢)

---

(١) زؤدا رعباً

(٢) لايزال الزراع في كثير من أرياف مصر وبلاد العراق وبعض أطراف سوريا وغيرهن من بلاد الشرق يدوسون الحبوب كما كانت تداس منذ ثلثة آلاف عام

وكذا بمَرْكَبَةٍ أخيلُ جرى فمضَتْ تدوسُ البُهْمَ والزَّرَدا

ومنَ المحالاتِ النَّجيعُ غدا ومنَ الحوافرِ طائرًا أمَدا
متفجّراً سيلاً يخضِّبُ ذا كَ الجذعَ تحتَ الخيلِ والعُدَدا[1]
وأخيلُ للشَّرفِ الرَّفيعِ ولِلْ عِزِّ المنيعِ بِهِ المرامُ حدا
وبراحتَيهِ وقد تخضَّبتا نقعُ العجاجِ على الدِّما جمَدا[2]

---

(١) قال أبو الطيب

تركنَ هامَ بني عوفٍ وثعلبةٍ على رؤوس بلا ناس مغافرهُ
وخاض بالسيف بحر الموت خلفهمُ وكان منه الى الكعبين زاخرهُ
حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت في الارض من جثث القتلى حوافرهُ

(٢) يشبه ختام هذا النشيد ما اختتم به الشاعر النشيد السابع عشر من حيث تزاحم التشابيه وتراصها بعض فوق بعض . وله امثال ذلك في بعض أثناء النظم اذا انتقل من باب الى آخر . كأنه اذا استتم بحثه بقيت قريحته ملئى بالتصورات فيفرغ منها ما شاء الى أن تطيب نفسه



النشيد الحادي والعشرون

وقائع اخيل وقتال الآلهة

مُجْمَلُهُ

انهزم الطرواد امام اخيل حتى بلغوا ضفة نهر زنثس وساد بينهم الرعب فاندفع بعضهم الى المدينة والتى الجم الغفير منهم بأنفسهم الى النهر وقبض اخيل على اثني عشر فتى غض الشباب ليقتلهم بدم فطرقل . ثم التقى بليقاوون بن فريام فقتله وطرحه في النهر . فحنق النهر وحث عسطروف على قتاله فظفر به اخيل وقتل كثيرين من صحبه . فسالت الدماء في النهر وارتفعت فيه الاشلاء ثم هاج وماج وطغى على اخيل ليغرقه . واستغاث اخيل زفس فبادرت ثينا وفوسيذ لاغاثته . فنجا من طغيان زنثس . فاستصرخ ذلك النهر نهر سيمويس المحاذي له وتألبا على اغراق أخيل . فكاد يهلك لولم تبادر هيرا الى انفاذ ابنها الاه النار أخذاً بيده . فانقض هيفست واشتعل والهب الضفتين وجفف المياه الطاغية في السهل فالتمس النهر رحمة هيرا صاغراً فتشفعت له . وهناك انحدر الآلهة الى حومة الوغى والتحم القتال بينهم فبرزت ثينا لالاه الحرب وصرعته وبادرت الزهرة فذهبت به . فتعقبتها اثينا ولطمتها . وبرز فوسيذ الى افلون . ثم انبرت هيرا للمت ارطميس واجترت من على كتفيها قوسها وكنانتها فشكت ارطميس امرها الى ابيها زفس فطيب خاطرها وسكن بلبالها . ثم دخل افلون الى اليون ورجعت الآلهة الى الاولمب . وظل أخيل متدفقاً كالسيل وفريام يراه من فوق البرج فأمر الحرس بفتح الابواب ليتسنى لشذاذ الجيش المنهزمين أن يدخلوا . وانهض أفلون البطل أغينور فتربص للقاء أخيل وكاد يهلك لولم يبادر أفلون لاغاثته فواراه ثم تمثل بهيئته وانهزم امامه فابعده عن الحصون حتى لجأ جميع الطرواد الى مدينتهم

« ولم ينج الاحثيث الخطا »

لا تزال وقائع هذا النشيد في اليوم الثلاثين

النشيد الحادي والعشرون [1]

لَدَى ثَغْرِ زَنْثَ الذي انْدَفَقا	زُلالاً وَمِنْ زَفْسٍ انْبَثَقا [2]
أُخيلُ جُيُوشَ العِدى بَدَّدا	فَشَطْرٌ تَدافَعَ مُرْتَعِدا
لإِليُونَ فوقَ السهُولِ التي	بها أمسِ أَرْغُوسَةٌ وَلَّتِ
وَهامَتْ بِقَلْبٍ قَدِ انْخَلَعا	وهَكْطُورُ مِنْ خَلْفِها انْدَفعا
وَفَوْقَ الطَّراوِدِ هيرا البُخارْ	أَثارَتْ لِتُثْقِلَهُمْ بالفِرارْ [3]

(١) ترى من مجمل هذا النشيد انه كله قراع وصراع فتخال انك مقبل على تلاوة وصف معارك كالتي سلفت فتتشاءم بالملل لكثرة الخوض بهذه المواقع . على انك لاتكاد تتلو بعض أبيات حتى ترى انك في روض من التصور بديع لم يحط البصر بشيء من مثله في سائر الانشاد ولهذا قيل ان قوة الابتداع الفكري والاختراع الشعري لم تتوفر لشاعر توفرها لهوميروس في هذا النشيد

يشتد هنا الكفاح ولا اشتداده في ما سلف : ابطال تحرق واشلاء تمزق وأنهار تتدفق ونار وماء وارض وسماء ومعمعة بين الثرى والسحاب تجاول فيها البشر وتتصاول الارباب . كأن كل ما في السماء والارض جذوة نار اتقدت اجلالاً لبطل الرواية . كل هذه أمور على غرابتها وبعدها عن مألوف الذوق العصري تشوق المطالع وتلذ السامع لما يرى فيها من التفنن في التبويب وتطبيق المقول على المعقول بعرف أبناء تلك القرون

(٢) زنث أو زنثس (Ξανθος) ومعناها الاشقر او الاصفر نهر في طروادة . قال هوميروس في موضع آخر ان الآلهة يسمونه بهذا الاسم ويدعوه البشر إسكمندر . واسمه الآن مندرصو وقرق كوزلر

قال انه انبثق من زفس لان زفس ممثل السماء ومنها تهمل الامطار فتملأ الانهار

(٣) تثير هيرا البخار لانها ممثلة الهواء

وَشَطٌّ بمَجْرى المياهِ العميقْ ترامى بصلصلةٍ وشهيقْ
يموجُ بفضيِّ موجٍ يمورْ له يقصفُ اليمُّ حتى الثغورْ
صراخٌ شديدٌ ورجعُ صدى وجندٌ تراموا بغير هدى
كأنهمُ بحثيثِ الفرَرْ جرادٌ من النار للنهر فرْ
يثورُ اللهيبُ على أثرهْ فيلجأُ للماء من شررهْ (١)
كذاك أخيلُ الطراودَ ساقْ إلى زنثَ فوقَ الجاري العماقْ
خليطاً بهم غصّ ذاك المجالْ كباشُ رجالٍ وجردٌ عجالْ (٢)
وألقى بعامله فاستندْ على أثلةٍ فوق تلك الجددْ
وكرَّ بصارمه المنتضى كربٌّ بذهم البؤوس قضى
وخاضَ العبابَ يبتُّ الرقابا ويقتلُ كلَّ كميٍّ أصابا (٣)
وما ثمَّ إلاّ زفيرُ كماهْ ونقعٌ يخضِّبُ وجهَ المياهْ
فمن وجههِ اندفعوا بالثبورِ إلى النهر والتجأوا للصخورِ

---

(١) كان من عادتهم اذا انتاب الجراد مزارعهم ان يوقدوا له نيراناً عظيمة فينهزم منها مندفعاً الى الماء . وقد دفعه هوميروس هنا الى النهر كما دُفع في التوراة الى البحر وكما زفاه في البر بجير بن بجرة بقوله :

كأنهم والخيل تتبع فلهم جرادٌ زفته الريح يوم ضبابِ
اذاما فرغنا من ضراب كتيبةٍ سمونا لاخرى غيرها بضرابِ

(٢) اي ابطال رجال وجياد مركبات

(٣) قال عنترة :

بحسامٍ كلما جردتهُ بيميني كيفما مال قطع

كأنَّهمُ سَمكٌ ذُعِرا لِدُلْفينِ هولٍ وراهُ جرى
فأمَّ الشُّقوقَ بثغرٍ أمينِ لِيَنجُوَ من شرِّ موتٍ مُبينِ
ولمَّا مِنَ الفَتْكِ كلَّتْ يداهْ ونالَ مُناهُ بكيدِ العُداهْ
مِنَ اللُّجةِ اُستخرَجَ اُثنَي عشرْ غُلاماً كخِشفِ الفَلاةِ اُقشعرْ
وكُلُّ فتىً بزهِيٍّ نِطاقهْ هُنالِكَ أحكمَ شدَّ وِثاقهْ
لِفطرُقلَ كفَّارةً تُدَّخرْ الى الفُلْكِ أرسلَهمْ ثمَّ كرّْ
إذا بِلِقاوُونَ قد خرَجا مِنَ النَّهرِ يحسَبُ أن قد نَجا
(هوَ ابنٌ لِفرْيامَ كانَ أسَرْ أخيلُ قديماً بِليلٍ عبَرْ
دَهاهُ الى تِينَةٍ قد عمَدْ بأرضِ أبيهِ بِنَصلٍ أحدْ
وغَضَّ الغُصُونِ لقد قطَعا لِأكنافِ مَرْكبَةٍ صنَعا
وأرْكبَهُ معَهُ السُّفْنا فَبِيعَ بِلِمْنُوسَ ممتَهَنا
هُنالِكَ ابنُ إيسونَ منهُ شَراهُ وإيتيُنُ الإمبَرُوسي افتَداهُ
وأرسلَهُ بعدَ بذلِ الكرَمْ لِأرضِ أريسبا فمنها انهزَمْ
وعاشَ قريراً لثاني عشرْ نهارٍ بأوطانِهِ حيثُ قرّْ
فسيقَ بحُكمِ إلاهٍ عظيمِ لِآخيلَ ينفذُهُ للجحيمِ)
وما عبرَ النَّهرَ حتَّى سحَقْ قُواهُ العياءُ وسحَّ العرقْ
فألقى على الجُرْفِ شِكَّتَهُ قَناً ومِجَنّاً وخُوذَتَهُ
وألفاهُ آخيلُ مُرتَعِشا فبادرَهُ صائحاً دَهِشا :

« لِعَيْنِيَ رَبَّاهُ لاحَ العُجَابْ　أَمِنْ أَرْضِ لِمْنُوسَ ذا القَرمُ آبْ

إِذَنْ مَنْ ابَدَتْ بِهِم الجُنُودْ　مِنَ اللُّجَجِ الدُّهْمِ سَوفَ يَعُودْ

نَعَمْ آبَ واليَمُّ ما عاقَـهُ　وَإِنْ عاقَ بالرَّغْمِ أَرْفاقَـهُ

إِذًا حَدَّ ذا النَّصْلِ فَلْيَجْرَعِنْ　لِنَعْلَمَ هَلْ بَعدَ ذا يَرْجِعَنْ

أَوِ الأَرْضُ هَدَّامَـةُ العَزَماتِ　تُبِيدَنَّهُ كَرَثِيثِ الرُّفاتِ »

فَهاجِسُ آخِيلَ ذا هَجَسا　وَذَيَّاكَ نَجْوَتَـهُ الْتَمَسا

دَنا يَرْتَمِي فَوقَ رُكْبَتِهِ　وَآخِيـلُ أَوما بِصَعْدَتِـهِ

فَأَهْوَى وعَنْ ظَهْرِهِ انْحَرَفَتْ　وَفِي الأَرْضِ غَرْثانَةً وقَفَتْ[1]

فَمَدَّ لِقاوُونُ كِلْتا يَدَيهِ　يَمَسُّ بِإِحْداهُما رُكْبَتَيْهِ

وَتِلْكَ بِها النَّصْلَ عَنْفاً قَبَضْ　وصاحَ: «آخِيلُ أَصِبْتَ الغَرَضْ

فَها أَنَذا لِإِثْمِ رُكْبَتَيْكا　فَرِقَّ لِمَرْءٍ ذَلِيلٍ لَدَيكا

عَلَيكَ لَهُ حَقٌّ حَقُّ الوَلاءْ　فَقَدْ ذاقَ زادَكَ قَبلَ الجَلاءْ[2]

قُبَيْلَ المَسِيرِ بِهذا الأَسِيرْ　يُباعُ بِلِمْنُوسَ عَبْداً كَسِيرْ

نَعَمْ بِي ظَفِرْتَ بِرَوضٍ أَغَنْ　وَأَنْأَيْتَنِي عَنْ أَبِي والوَطَنْ

---

(١) غرثانة اي جائعة للفتك . وهي استعارة من نظائرها (ن ٨ : ٥٢٣ ون ١٥ : ٧٩٠)

(٢) كان من مألوفهم حفظ كرامة النزيل كما كانت عادة العرب ولا تزال في البادية . فمن ذاق زادك فقد وجبت عليك رعايته وامتنع عليك الغدر به وأصبح متذمماً بك وجاراً لك . قال قائد بن سليم الاسدي :

فنعشت قومـك والذين تذمموا　بك غير مختشع ولا متضائلِ

وما نِلتَ مِن غُنَي المُستَفادِ سِوى مِئَـةٍ مِن عُجُولِ البِلادِ
فَإِنْ تَعْفُ عَنِّي فحَقٌّ الفِداء مِئاتٌ ثَلاثٌ وَصِدْقُ الوَلاء
نَهارِيَ ثانِيَ عَشَرَ نَهارْ بِهِ عُدْتُ بَعدَ العوادِي الكِبارْ
وَقد ساقَني لِيدَيكَ القَدَرْ فَكَمْ قد قَلانِيَ مَولى البَشَرْ
أَجَلْ آهِ أُمّيَ لِعَيشٍ قَصيرِ لَقدْ وَلَدَتْني بِوَيلٍ كَثيرِ
(لَوُثُوَةُ بِنتُ أَلتِيسَ مَنْ على ثَغرِ سَسْتِينُويْسَ قَطَنْ
وَشاخَ بِفِيداسَةٍ حَيثُ سادْ قُرُومُ اللِيـغِ رِجالُ الجِلادْ)
لِفِرْيامَ زَوْجاً غَدَتْ ولكِمْ لَهُ غَيرُها زَوْجَـةٌ مُذْ حَكَمْ
فَاوْلَدَها عِنْـدَهُ وَلَدَيْنِ وأَنْتَ سَتَثْـكِلُها البَطَلَينِ
فَلْيَذْرُ مَنْ كَإِلاهٍ صَدَرْ بِرَأْسِ المُشاةِ بِبَأْسِكَ خَرْ
وَبي قد رَمى بَعضُ آلِ العُلَى إِلَيكَ لِأَجْرَعَ كَأْسَ البَلا
أَلا ما رَحِمْتَ فَكُنْتُ العَتِيقا فَلَسْتُ لِهَكْطُورَ تَدْري شَقِيقا
وَما وَلَدَتْنِيَ أُمٌّ فَتى حَشاكَ لِفَطْرُقْلَ قَدْ فَتَّا »
كَذاكَ لِقاوُونُ أَلْقى الخِطابْ ذَلِيلاً فَأُسْمِعَ مُرَّ الجَوابْ:
« تَعِسْتَ فَلا تَذْكُرَنَّ الفِدا فَفَطْرُقْلُ قَبلَكَ قد فُقِدا

ومثله قول حسان بن نشبة
أبوا ان يبيحوا جارهم لعدوهم وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا
قال ابن الاعرابي : « والعرب تحلف بالملح والماء تعظيماً لهما ويقال بين الرجلين مِلحٌ و مِلحة أي حرمة وذمام ويقال مالحت فلاناً أي آكلته وهي الممالحة »

فَكَمْ بِكُمُ قَبلُ مِن بَطَلِ أَسَرْتُ وبِتُّ ولَم أَقْتُلِ
وَلكِنَّنِي اليومَ أَيًّا رَماهْ بِقَبْضَةِ كَفِّيَ أَيُّ إِلاهْ
يَبِيدُ ذَلِيلاً وَلا سِيَّما بَنُو المَلْكِ فِرْيامَ حامي الحِمى
فَمُتْ صاحِ مُتْ وَدَعِ الحَسراتْ فَفَطْرُقْلُ أَرْفَعُ شاناً وَماتْ
أَلَمْ تَرَ قَدِّي وهذا الجَمالْ وَفِيلاً أَبِي الشَّيخُ شَخصُ الكَمالْ
وأُمِّيْ مِنَ الخالِداتِ العِظامْ وما كُلُّ ذا لِيَقِيني الحِمامْ
ولا فَرقَ إِمَّا نَهارًا يُتاحْ وإِمَّا مَساءً وإِمَّا صَباحْ
فَلا بُدَّ قَرمٌ بِنَصلٍ يَطِيرْ يُجَنْدِلُني أَو بِسَهْمٍ طَرِيرْ» (١)
فَخَرَّ لِقاوُونُ مُنْتَقِعا وَمِن جَوْفِهِ لُبُّهُ انْخَلَعا
وعافَ القَناةَ ومَدَّ يَدَيهِ وآخِيلُ في الحالِ مالَ عَلَيهِ
بِسَيفٍ بِجَدَّيهِ غاصَ بِصَدْرِهْ بِتَرْقُوَةِ الجِيدِ مِن تَحتِ نَحْرِهْ
فَخَرَّ على وَجْهِهِ والْتَوى وَوَجْهُ الثَّرى مِن دِماهُ ارْتَوى
وآخِيلُ أَلْقاهُ مِن قَدَمِهْ إِلى النَّهرِ مُخْتَضِباً بِدَمِهْ
وصاحَ: «فَرُحْ مَطْعَماً لِلسَّمَكْ يَمُصُّ بِهامِي الجِراحِ دَمَكْ

(١) في كلام أخيل من الحماسة وحقر الموت ما يدل على ما وعى صدره من الهمة الشماء والنفس الابَّاء ٠ يقول انه لابد ان يفاجئه الموت فلا يبالي به ايان أتاه ٠ ثم يختم بقوله انه لابد ان يجندله بطل من الابطال بنصل يطير او بسهم طرير اشارة الى انه لايجسر أحد ان يقابله وجهاً لوجه بل جل ما تبلغ الفرسان من قتاله ان تحذف بالنصال عليه عن بعد خوفاً من بطشه

فَلا أُمَّ ثَمَّ عَلَيكَ تَصيحُ هُنا الإِسكَمَندَرُ فيكَ يَسيحُ
فَيُلقيكَ لِلبَحرِ حَيثُ يَدِبْ إِلَيكَ مِنَ اللُجِّ حُوتٌ يَثِبْ
ومِن شَحمِكَ الغَضِّ يُوتى الغِذا أَجَلْ فَلْتَبيدُنَّ طرًّا كَذا
تَفِرُّونَ دُوني وَسَيفي يَفُلُّ كَذاكَ بِإِلْيُونِكُمْ نَستَقِلُّ
فَلَيسَ بِواقِيكُمُ النَّهرُ ذا بِفِضِيِّ مَجْراهُ شَرَّ الاذى
وَلا ما ذَبَحتُمْ لَهُ مِن عُجُولِ ولاما طَرَحتُمْ بِهِ مِن خُيُولِ (١)
نَعَمْ سَتَبِيدُونَ طرًّا هُنَا فِداءً لِذي البَأْسِ فَطْرُقْلُنا
وجُنْدٍ بِسَيفِكُمُ قُتِلُوا وآخِيلُ إِذ ذاكَ مُعْتَزِلُ »
كَذا قالَ والنَّهرُ زادَ احتِداما . وفَكَّرَ كَيفَ يَنالُ المَراما
وَكَيفَ بِصَدِّ اخيلَ يُزِيلْ عَنِ القَومِ شَرَّ الهَلاكِ الوَبيلْ

---

(١) كانوا في بعض الاحوال يطرحون في الانهر جياداً حيةً وهي عبادةٌ ظلّت شائعة في كثير من بلادهم حتى زمن الرومان من بعد وكما كان المصريون من قبل يلقون في النيل بانواع الضحايا من الانسان والحيوان الى ان أبطلها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب اذ أنفذ عمرو بن العاص علم بن سارية بالخمس الى المدينة فلما اقضى مهمته قال «يا أمير المؤمنين ان عمراً يسلّم عليك ويقول لك ان القبط كانوا استنوا سنّة في نيلهم كل سنة وذلك انهم كانوا اذا أبطأ عليهم الوفاء في النيل يأخذون جارية من أحسن الجوار ويزينونها بأحسن زينة ويرمونها في البحر فيأتي الماء ويوفي النيل وقد قرب ميقات ذلك ولا يفعل عمرو شيئاً الا باذنك . فكتب عمر بن الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت مخلوقاً لا تملك ضرًّا ولا نفعاً وأنت تجري من قبل نفسك وبأمرك فانقطع ولا حاجة لنا بك وان كنت تجري بحول الله وقوته فاجرِ كما كنت والسلام .

ولكنَّ آخيلَ بالرُّمح زَفْ   على عَسطرُوفَ سليلِ الشَّرَفْ (١)
(هوَ ابنُ فِليغُونَ مَنْ نُسبا   لأكسِيُّسٍ وإلى فِيرِبا
فأكسيُّسُ النَّهرُ قد كانَ هامْ   بها فحَبَتْهُ بذاكَ الغلامْ (٢)
ألا وهيَ ذاتُ المكانِ المكينْ   وبكرُ بناتٍ لدى أكسمينْ)
لهُ عَسطرُوفُ بواري الزِّماعْ   تربَّصَ مُحتدماً لا يُراعْ
برُمحَيهِ قامَ يرُومُ لِقاهُ   وَزَنْتُ بِبأسٍ شَديدٍ حَباهُ
وكَمْ كادَ زَنْتَ أخيلُ بما   بهِ مِنْ خِيارِ الجُنودِ رَمى
ولمَّا تدانى بذاكَ البراحْ   كِلا البَطلَينِ فآخيلُ صاحْ :
« أيا ذا الذي لمْ يَرُعْهُ جِلادْ   أخيلَ فمَنْ أنتَ من أيِّ نادْ
فويلَ أبٍ لمْ يَهْنِي ابْنُهُ   فلا شكَّ يُنهِكُهُ حزنُهُ »
فقالَ : « وَما بانتسابي ترُومْ   فداري البَعيدةُ دارُ القرُومْ
فيُونا الخَصيبةُ مِنها الرِّجالْ   معي أقبَلُوا بِرِماحٍ طِوالْ
وَمُنذُ بَلغتُ لهذا المقرّْ   بيُهمِيَ ذا اليومُ حادِيَ عَشَرْ
وَجدِّيَ أكسِيُّسُ خيرُ نَهرٍ   بماءٍ زُلالٍ على الأرضِ يجرِي

وأمره ان يدفع الكتاب الى عمرو بن العاص يرميه فيه وقت الحاجة ٠٠٠٠ وتوقف النيل عن الوفاء وقد ايس الناس من الوفاء في تلك السنة فمضى عمرو الى النيل وخاطبه ورمى فيه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رماه فيه هاج البحر وزاد الى فوق الحد ببركة عمر رضي الله عنه » (واقدي)

(١) زف أسرع

(٢) أكسيس نهر في مكدونيا كانوا يعبدونه يدعى الآن وستريزا

وَأُنْبِئْتُ أَنِّي سَلِيلُ فَتاهْ ... فَلِيغُونَ ذِي البَأْسِ رَبِّ القَنَاهْ
فأَقْبِلْ إِلَيَّ » فأَوما أَخِيلْ ... عَلَيهِ بِعُودِ القَنَاةِ الطَّوِيلْ
فَزَجَّ هُنَا عَسطَرُوفُ إِلَيْهِ ... بِكِلْتا قَناتَيهِ مِن راحتَيْهِ
وقَدكانَ يُحْكِمُ زَجَّ النِّصالِ ... بِكَفٍّ يَمِينٍ وَكَفٍّ شِمالِ
فَنَصْلٌ بِظَهرِ المِجَنِّ وَقَعْ ... بِعَسْجَدِهِ فَسْتَ حَيثُ ارْتَدَعْ
ونَصلٌ ذِراعَ أَخِيلَ قَشَرْ ... فَمِنهُ يَسِيرُ النَّجِيعِ انْفَجَرْ
وغَلَّ يَغُوصُ بِفَرطِ ظَمَاهُ ... الى النَّقْعِ فَوقَ الحَضِيضِ إِزاهُ
فَآخِيلُ بالرُّمْحِ فوراً قَذَفْ ... فَطاشَ إِلى الجُرْفِ حَيثُ وَقَفْ
وغاص الى وَسْطِهِ باضْطِرابِ ... مِنَ العُنْفِ يَرْتَجُّ فوقَ التُّرابِ
فَسَلَّ أَخِيلُ حُساماً صَقِيلا ... على جَنْبِهِ الصُّلْبِ كانَ أُمِيلا
ورامَ الفِيُونِيُّ اقْتِلاعَ القَناهْ ... ثَلاثاً فَخابَتْ ثَلاثاً مُناهْ
ولَمَّا انْثَنى خاسِراً وبَدا ... عَياهُ إِلى كَسرِها عَمَدا
لَواها ولٰكِنْ أَخِيلُ وَثَبْ ... عَلَيهِ بِبَتَّارِهِ وضَرَبْ
فَخَرَّ وأَجفانُهُ انْطَبَقَتْ ... ولِلأَرضِ أَحْشاؤُهُ انْدَفَقَتْ
فَفِي صَدرِهِ داسَ يَدَّخِرُ ... صَفائِحَهُ وَهْوَ يَفْتَخِرُ :
«هُنا مُتْ فَلَيسَ يَهُونُ على ... بَنِي النَّهرِ حَربُ سَلِيلِ العُلَى
فَإِنْ كُنْتَ مِن نَسلِ نَهرٍ كَبِيرِ ... فَإِنِّي مِن آلِ زَفسَ القَدِيرِ
أَبِي فَيْلُ المِرْمِدُونِ الجَمِيدْ ... أَبُوهُ أَيَاكُ بْنُ زَفسَ المَجِيدْ

لِزَفسَ عنا كُلُّ رَبٍّ فَخُورِ وأَبْناؤُهُ فوقَ وُلْدِ النُّهُورِ
فَذا زَنْثُ دُونَكَ هيهاتِ أَنْ يَقِيكَ وَيدفَعَ عَنكَ المِحَنْ
وَمَنْ ذا الذي دُونَ زَفسَ يَقِفْ وَمِنْ أَخلُوسُ يَرْتَجِفْ (١)
وَتَفسُ المُحيطِ أَبي كُلِّ بَحرٍ وَنَهرٍ وَيَنْبُوعِ ماءٍ وَبِئْرِ
إِذا زَفسُ مِنْ جَوِّهِ رَعَدا تَراهُ بِلُجَّتِهِ أُرْتَعَدا »
وَجَرَّ مُثَقَّفَهُ وَهُنالِكْ ثَوى عَسطَرُوفُ بِغَيرِ حَراكْ
على الجُرْفِ مِنْ حَوْلِهِ تَندَفِقْ مِياهٌ بِنِينانِها تَصطَفِقْ (٢)
تَقاطَرُ مُنْدَفِعاتٍ لَدَيهِ لِكَي تَنْهَشَ الشَّحْمَ مِنْ رِئَتَيهِ
وَقَومُ الفِيُونَةِ مُذْ أَبْصَرُوا زَعِيمَهُمُ دَمُهُ يُهْدَرُ
وَزَنْدُ أَخيلَ رَماهُ قَتيلا لَدَيهِ على زَنْثَ وَلَّوا فُلُولا
وخَلْفَهُمُ ٱبْنُ أَبِاكَ ٱنْطَلَقْ يُبِيدُ القُرُومَ بِتِلكَ الفِرَقْ
كَثَرسِيلُخٍ مِيذُنٍ إِنيُوسا أَفِيلستَ عَسطِيفِلٍ ثَرسِيُوسا
كَذا إِمنِسُوسَ وَلَولا تَصَدَّى لَهُ النَّهرُ فَلَّ الجُمُوعَ وَأَردى
تَصَدَّى لَهُ حانِقاً وخَرَجْ بِزِيِّ فَتًى مِنْ عُبابِ اللُّجَجْ
وصاحَ بِصَوتٍ دَوى بِالنُّجُودِ: « آخِيلُ رَعتَكَ سَراةُ الخُلُودِ
لَقَدْ فُقتَ بِالبَأسِ بِهِمَ الزُّمَرْ كَما فُقتَهُمْ بِعُتُوٍّ وَشَرّْ

(١) اخلويس الانهر كانوا يعتقدون بقوته وجبروته

(٢) النينان الحيتان والاسماك

إذا زَفسُ أولاكَ قهرَ العدى أما لكَ في السَّهلِ كلُّ المَدى
فدعني فسيلي هذا الدُّفاقْ بأشلاء قتلى الطراودِ ضاقْ
فلا منفذٌ لغصيص زُعابَهْ إلى البحرِ ممتزجاً بعبابَهْ
كفاكَ صدقتُكَ فتكٌ ذريعُ فقد راعني منكَ هذا الصنيعُ»
فقال: «أمرتَ وأنتَ المطاعْ أيا إسكمندرُ في تي البقاعْ
على أنَّهُ ليسَ لي من مردْ إلى أن أردَّهمُ للبلدْ
وهكطورَ ألقى ببأسٍ شديدْ يبيدُ بهِ أو حياتي يبيدْ »
وهبَّ كربٍ وراهمْ يصولُ فصاحَ بفيبوسَ زَفسُ يقولُ:
«أيا ربَّ قوسِ اللجينِ الأغرْ أفاتكَ مطلبُ زفسَ الأبرْ
أما بكَ أرسلَ معتمدا الى قوم طروادةٍ عضُدا
تدافعُ حتَّى براحِ تغيبْ ويُسبلُ سترُ الظلام القريبْ »(١)
وأمَّا أخيلُ فما ارتدعا وللنهرِ من ثغرهِ اندفعا
هنالكَ زَنثُ احتداماً طغا وأزبدَ منتفخاً ورغا
وثارَ وعجَّ كثورٍ يخورُ بتيارهِ مستشيطاً يمورُ
وفاضَ على جثثٍ طرحا بمجراهُ آخيلُ مجترحا
فمَنْ ماتَ ألقاهُ في ثغرهِ ومَن عاشَ واراهُ في قعرهِ
وحولَ ابنِ فيلا جحافاً جرافا تدافعَ حتَّى على الجوبِ طافا(٢)

---

(١) براح علم للشمس
(٢) جحاف جراف أي سيل جارف أخاذ يذهب بكل شيء . يقول

بِهِ قَدماهُ تقلقلتا فما بهما بعدَ ذا ثبتا
تَشبّثَ بالمُهجةِ الزّاهقهْ بدَرْدارةٍ غضّةٍ باسقهْ
فمالتْ وآصلُها تفككَّتْ الى الأرضِ أهوت بهِ تتبَتّكْ
ويانعُ أغصانِها انتشرا ووجهُ الحضيضِ بها انقشرا
وظلّتْ كَجسرٍ عظيمٍ يحُولْ وصدّتْ مجاريَ تلكَ السيُولْ
فريعَ أخيلُ وفرَّ يطيرُ الى السهلِ فيهِ حثيثاً يسيرُ
ولكنْ تقفّاهُ ذاكَ الإلاهُ بتيّارهِ المُدلهمّ وراهُ
يرُومُ لهُ ذِلّةً وانخذالْ فيكفي الطّراودَ شرَّ الوبالْ
فخفّ أخيلُ كطيرٍ يدِفُّ على بُعدِ مرمى الرّماح يزِفُّ
كَحالكِ نسرٍ عتا بالطيُورِ وقصّرَ عنهُ هفيفُ الصقُورِ
وراحَ يفرُّ على ذُعرهِ يَصِلُّ السّلاحُ على صدْرِهِ
وفي إثرهِ النّهرُ حيثُ التوى تعقّبهُ طاغياً ودوى
كأنَّ امرءًا بنضيرِ الغياضْ سقى بدُفاقِ العيُونِ الرّياضْ
فطهّرَ قبلَ انصباباتهِ مجاريَ المياهِ بمسحاتهِ
فما خلتَ إلّا انبجاساً تدفّقْ تدافعَ فوقَ حصىً تترقرقْ
وخرَّ خريراً مُذِ انحدَرا يسيحُ ودافِعُهُ قصّرا

ان النهر طغا وتدافع وتدفق سيلاً جارفاً واكتنف أخيل حتى طاف على ترسه . ان في الاصل اليوناني لهذه الابيات من حكاية الصوت ما يدهش له السامع ولعل في التعريب شبهاً أو اثراً من تلك المشاكلة

كذا حيثُ دارَ أخيلُ يميلْ　　بآثارهِ زَنْثُ سدَّ السَّبيلْ
ولا بدعَ فالنَّاسُ لا قِبَلا　　لهم أبداً بموالي المَلا
فكم مرَّةٍ بخُطاهُ تربَّصْ　　لِزَنثَ يرى هَلْ إذاً يتخلَّصْ
وهل كلُّ آلِ العُلى اعتصبُوا　　عليهِ ليخذلَهُ الهرَبُ
فما كانَ مِنْ زَنثَ إلاَّ ارتفعْ　　إلى كتفيهِ بتلكَ التُّرَعْ
فهبَّ ومحتفزاً وثبا　　بأزمتهِ فعلا الهِضَبا
ولكنَّ زَنثَ التُّرابَ جرَفْ　　فموقفُ آخيلَ فيهِ انخسَفْ
هنالكَ التوتْ هلعاً رُكبتاهْ　　فأنَّ وصاحَ يرومُ النَّجاهْ :
« أيا زَفسُ هل لا إلاهٌ قديرُ　　يرقُّ لحالي بهِ أستجيرُ
فإنْ أنجُ مِن زَنثَ فلينزلِ　　عليَّ بلا النُّوَبِ الهُمَّلِ
فليسَ بآلِ العُلى جملةً　　كأُمّيَ مَن سامني ذِلَّةً
فكم خدعتني بقولِ الكذُوبِ　　وكم زعمتْ باشتدادِ الخُطوبِ
بأنّي قُبالةَ هذي الحُصونْ　　بسهمِ أفلُّونَ ألقى المَنُونْ
علامَ بعاملِ هكطورَ لا　　هلكتُ وأخبرُهُ البطَلا
لو اجتاحني وسلاحي سلَبْ　　لقيلَ هُمامٌ هُماماً ضرَبْ
على أنَّني اليومَ في ذا المكانْ　　أموتُ بذا النَّهرِ موتَ الهوانْ
كراعي خنانيصَ غرٍّ ولَجْ　　خليجاً فما مِنهُ قطُّ خرَجْ»[1]

---

(١) ان في هذا الدعاء مرآة ينعكس عنها ماتكنه صدور الابطال من الزماع

فلمّا انتهى فوسذ أسرعا لنجدته وأثينا معا
بهيئة إنس له اعترضا وبالأنس راحته قبضا
فخاطبه فوسذ أولا : «ألا يا ابن فيلا دع الوجلا
إلاهان رفدك راما هنا أثينا بحكمتها وأنا
بنا زفس أسرى إذا فاسمع وكل نصائحنا فاتبع
فزنث ستلفيه عاف اذا كا وما كان في الغيب فيه ردا كا
فلا تغمد السيف حتى ترى بإليون جيش العدى انحصرا
وهكطور تصمي وللسفن تعود بمجد رفيع سني »
هما انقلبا للعلى والبطل بجملته للكفاح اشتعل
ومن حوله السهل حيث لمح بما فاض من زنث طراً سبح
غثا بسلاح عليه يطوف وأشلاء قتلى ابترتها السيوف
فكر وما بعد ذا ناله خمول وزنث فما هاله
أثينا أنالته عزماً جديد فما راعه بعد منه الهديد
فبرح بالنهر ذاك الغرور فزاد اضطراباً وعج يفور

وطول الباع وهو يشبه دعاء اياس (ن ١٧) اذ اربدّ الجو وتكاثفت فيه الظلمات وضاق الاغريق ذرعاً فقال مخاطباً زفس :

من جوّك امحق حندس الديجور ثم امحهم ان شئت وسط النور

تلك أمنية اياس . وأخيل يتمنى هنا لو رماه افلون بسهم فأهلكه أو طعنه هكطور فجدله ذلك خيرٌ له من أن يموت غريقاً لا يقوى على صراع ولا دفاع .

وَصاحَ بِسِمُويْسَ مُسْتَنْجِدا : 　　«أُخَيَّ هَلُمَّ فَعجزي بَدا
هَلُمَّ كِلانا هُنَا نَعتَصِبْ 　　عَلى رَجُلٍ واحِدٍ وَثِبْ
وإِلاَّ فَمعقِلُ فِرْيامَ ذَلْ 　　لَهُ والطَّراودُ سِيمُوا الفَشَلْ
هَلُمَّ وَفِضْ بالعُيُونِ الكِبارْ 　　وأَجْرِ السُّيُولَ غِزارًا غِزارْ
وقُضَّ الصُّخُورَ على الشَّجَرِ 　　فَتُفْتَرُ عَزْمَةُ ذا المُفْتَري
عَتا مُسْتَبِدًّا كَرَبٍّ فَخُورْ 　　وعاثَ اعْتِسافًا يَهِيلُ الثُّبُورْ
فَلا نالَ في حُسْنِهِ وقُوَاهُ 　　وَلا بِصَفائِحِهِ مُبْتَغاهُ
سَيَلبَثُ ذاكَ السِّلاحُ المَتِينْ 　　بِقَعْرِ المِياهِ دَفِينَ الغَرِينْ (١)
وأَطْمِرُ بالرَّمْلِ ذاكَ الجَسَدْ 　　عَلَيهِ يُهالُ قَضِيضُ الزَّبَدْ
هُنَاكَ يقيمُ بِشَرِّ مُقامهْ 　　فَلا يَهْتَدي قَومُهُ لِعِظامهْ
وأَكْفيهِم عِبْءَ قَبرٍ يُشادْ 　　لَهُ يَومَ يَلتَزِمُونَ الحِدادْ»
ومِن ثَمَّ هاجَ عَلَيهِ وَماجْ 　　ودَمْدَمَ يَذوي بذاكَ العَجاجْ
رَغا زَبَدًا ودَماً وخَبَثْ 　　وتَيارُهُ احْمَرَّ تَحتَ الجُثَثْ (٢)
ومادَ بآخيلَ يَضطَرِبُ 　　وهِيرا بِسُدَّتِها تَرْقُبُ
فَصاحَتْ تُوَلْوِلُ مُذْ أَطْبَقا 　　عَلَيهِ فَأَوشَكَ أَنْ يَغْرَقا :

---

(١) الغرين الطين

(٢) قال جرير :

وما زالت القتلى تمجُّ دماءَها 　　بدجلة حتى ماءُ دجلة اشكلُ

« بُنَيَّ حَبِيبي الأُعيرجُ طِرْ فَقَرْنُكَ زَنْتُ فَقيهِ استَعِرْ (١)
هَلُمَّ أنجُدنَا بِنارٍ تَثُورْ وأُغْرِي الجَنُوبَ أَنا والدَّبُورْ
مِنَ اليَمِّ بالنَّوءِ تَصطَدِمانْ فَتلهمُ نارُكَ كُلَّ مَكانْ
تُذِيقُ الطَّراوِدَ دُهْمَ البُؤُوسْ وتُفْني صفائحَهُمْ والرُّؤُوسْ
فَلا تُبْقِ في ثَغْرِهِ شَجَرا وفي قَلْبِهِ انقَضَّ مُسْتَعِرا
وَلا يُغْرِيَنَّكَ لا بِفَدِيدِ ولا بالْتِماسٍ ولا بوَعِيدِ (٢)
ولا تُخْمِدَنَّ أُوارَ السَّعِيرِ الى أنْ أَصيحَ بِصَوتٍ جَهِيرِ »
فأَرَّثَ بالسَّهلِ نارًا ذكَتْ بِأَشْلائِهِمْ أَوَّلاً فَتَكَتْ
كُماةٌ رَماهُمْ أَخيلُ المَنِيدْ وما كانَ أَكْثَرَ ذاكَ العَديدْ
فَما خلتَ الاَّ الثَّرى يَبِسا وطُغْيانَ زَنْثَ بهِ انْحَبَسا
كَرَوضٍ سَقاهُ الحَياءُ تَهِفُّ شَمالُ خَرِيفٍ بهِ فَيَجِفُّ
فَيَجذَلُ زارِعُهُ طَرَبا : ومِنْ ثَمَّ هِيفَسْتُ مُلْتَهِبا
أدارَ على زَنثَ نارَ الشِّرارِ فَثارَ بِمَجْراهُ واري الأُوارِ
فَدَرداره بادَ مِنْ أَصلِهِ بِصَفْصافِهِ وكَذا أثلِهِ
كَذا السُّعْدُ والسِّدْرُ والخَيْزُرانْ بِأَصلِها والفُرُوعِ الحِسانْ
بِرُمَّتِها اتَّقَدَتْ شَرَرا فَلَمْ تُبْقِ عَيناً ولا أثَرا

---

(١) تريد بالاعيرج هيفست الاه النار وهو لقب له كما مر (ن ١٨: ٩١٠)

(٢) الفديد الصياح

وأَسماكُهُ كُلُّ حيتانها وحيَّاتها فوقَ نِينانها
تَغُوصُ فلولاً بضيقِ النَّفَسْ لِهَولِ اللَّهَبِ وحرّ القبَسْ
وفي قلبِ زَنثَ استطارَ يعيثُ حميمُ الصِّلا فدعا يستغيثُ :
« هِفسْتُ بنارِكَ مالي قِبَلْ فأيُّ إلاهٍ تطلّبتَ ذَلْ
كفى كُفَّ وليَفتُكِ ابنُ أيا كا بطرْوادةٍ فيُذيعُ الهلاكا
فما لي وهذا الوبالُ الأَلَدّ » كذا صاحَ لكنْ هِفسْتُ استبدّ
وأجّ بغُدْرانِ زَنثَ فَفارْ كقِدْرٍ تفورُ بنارٍ تُثارْ
يَسيحُ بها شَحْمُ رُتٍّ سَمِينْ على حافِها يُسْرَةً ويَمِينْ
ومِنْ تحتها يابسُ الحَطَبِ بمَوقِدِهِ فادِحُ اللَّهَبِ
كذا زَنْثُ لمَّا بهِ اشتعلا سَعيرُ هِفسْتَ علا وغَلا
ولَمْ يجْرِ بلْ فارَ متَّقِدا فَهيرا دعا يطلُبُ المَدَدا :
« علامَ بحقّكِ دونَ سِوايا سَليلُكِ هَبَّ يرومُ أذايا
أَمِنْ كُلِّ أنصارِ طرْوادَ هَلْ تخالينَ أنّي المُسيءُ الأَضَلْ
فإِنْ شئتِ لا جئتُهم بعدَ ذا كَفاهُ كفى فليكُفَّ الأذى
ولَنْ أبتغي بعدُ رِفدَهُمُ بذاكَ نَعَمْ علنًا أُقسِمُ
ولو كُلُّ طرْوادَةَ احترقتْ بنارِ الأَخاءةِ وامَّحقتْ »
فهيرا استجابتْ وصاحتْ: « كفى بُنيَّ فقفْ ذاكَ حدُّ الجَفا
فما فوقَ ذا جازَ أنْ نَشجُنا بني الخُلْدِ مِنْ أجلِ قومِ الفَنا »[١]

---

(١) ان في قتال أخيل وزنثس على غرابته شيئاً من الحقيقة صاغها الشاعر

فَأَخْمَدَ هِيفَسْتُ نِيرانَهُ ... وأَجْرى كذا زَنْثُ غُدْرانَهُ
وَهَـيرا بِغُلِّ مَرارَتِها ... إِلَيـهِ سَعَتْ بِوَساطَتِها
فَتَمَّ بِكَشْفَةِ زَنْثَ الوِفاقُ ... وثارَ بآلِ الخُلُودِ الشِّقاقُ
فَقامَتْ لَهُمْ ضَجَّةٌ وَعَجِيجْ ... مِنَ الأَرضِ لِلجَوِّ يُعْلي الضَّجِيجْ
وَزَفسُ لِفِتْنَتِهِمْ والصَّخَبْ ... لَقَد هَزَّهُ بِعُلاهُ الطَّرَبْ [1]
وما لَبِثَ الخَطْبُ أَنْ فَدَحا ... فَهَبُّوا يُثِيرُونَ تِلْكَ الوَحى
وَأَوَّلُهُمْ خارِقُ الجُـنَنِ ... أَرِيسُ تَصَدَّرَ لِلفِـتَنِ
أَثِينا أَتى بِشَحِيذِ الذُّبابِ وَصاحَ: «اخْسَئِي يا ذُبابَ الكِلابِ [2]
عَلامَ بِنا هِجْتِ هذا اللَّدَدْ ... بِشَرٍّ عُتُوٍّ عَدا كُلَّ حَدْ
أَأُنْسِيتِ يَومَ ذِيُومِيذُ صالْ ... عَلَيَّ وأَغْرَيْتِـهِ لِلنِّضالْ

(١) لقد يعجب المطالع لطرب زفس وارتياحه لفتنة الآلهة • ويتشوف لمعرفة سبب ذلك الارتياح — قال افستاثيوس ان زفس وهو سيد المخلوقات ورب الطبيعة وما حوت من أرض وسماء وماء وهواء يرتاح الى نزاع الآلهة لان توازن الاتفاق لا يحصل الا بهذا الشقاق فالارض في نزاع مع الماء والهواء مع الارض والماء مع كليهما • والخلاف لا بد منه ابداً بين الحر والبرد والرطوبة والجفاف فيحصل من هذا التنازع تعادل في قوى الطبيعة والنتيجة خصب الارض وارتداء السهول والجبال بثوب الجمال والاعتدال

(٢) ذُباب الكلاب (Κυνάμυια) لفظة تحقير كما لا يخفى • وقد تحاشى اكثر نقلة هوميروس ذكر ألفاظ كهذه كما اسلفنا غير مرة اما لعجز في لغاتهم واما لوقوعها موقعاً خشناً في الشعر • على اني رأيت ان لا أشوه الاصل بمثل هذا الخروج عن جادة الاستخراج

وَسَدَّدْتِ عاملهُ فاستطارْ	ومزَّق جلدي فثارَ بثارْ »[1]
وإذْ ذاكَ عاملهُ دفعا	فَفي ظهرِ مجوَبها دفعا
مِجنٌ وهيهاتِ تفعلُ بهْ	صواعقُ زفسَ على غضبهْ
فما كانَ إلاَّ أنِ التوتِ	وجلمودَ صخرٍ تناولتِ
هنالكَ ذا الصخرُ منذُ القديمْ	لتلكَ المعالمِ حدًّا أُقيمْ
ثوى هائلاً حالكاً خشنا	رمتهُ بهِ بيسيرِ العنا
فحلقومهُ دقَّ فانقلبا	وسبعةَ أفدنةٍ حجبا[2]
فعفَّرَ بالتربِ ذاكَ الشعَرْ	وصلَّ السلاحُ عليهِ وصرْ
فصاحتْ إذا ابتسمتْ جذلا:	«جهلتَ وما الحقُّ أنْ تجهلا
وفاتكَ حمقاً سموُّ قوايا	فأقبلتَ مستهدفاً لبلايا
فذُقْ من صلى أُمكَ اللعناتِ	لطى أزماتٍ على أزماتِ[3]
جزاءَ اطِّراحكَ رفدَ الأخاءْ	وعونِ الطرواد أُسِّ البلاءْ»

(١) يشير الى حادثه مع ذيوميذ في النشيد الخامس اذ طعنه ذيوميذ باغراء أثينا

(٢) اي ان جسمه امتد على مسافة سبعة افدنة • وهذا التعبير على ما فيه من الغلو ليس على شيءٍ من الغرابة بازاء ما في خرافات كتّابنا من وصف ملائكتنا بل وبشرنا ايضاً كالعمالقة وعوج بن عناق الذي كان يتناول السمك من البحر ويشويه في الشمس !!

(٣) الصلي النار وام آرس هيرا وهو كان منحازاً الى فئة اعدائها فكأن نكبته كانت عقاباً له على مخالفتها

وَعَنهُ بألحاظها أعرضت | هُنا عفرُذيتُ لهُ عرضت
وَقادَتهُ مِن يَدِهِ تَدَفَّقْ | دِماهُ بجسٍّ تَضعضعَ يَشهقْ
وهيرا على البُعْدِ تُبصرُها | فصاحت بفالاسَ تُوغرُها :
«ألا فانظري قِحةَ الزُّهَرَهْ | تَفاقمُ والحربُ مُستَعِرَهْ [(1)]
عَليكِ بها فلقدْ أَدبَرَتْ | بآريسَ هَولِ الملاوجرَتْ »
فَهمَّتْ أثينا وقد طَفَحا | لِذا لُبُّ مُهجَتِها فَرَحا
براحتِها صدرَها لطمتْ | فخارتْ قُوَى عزمِها وارتمتْ [(2)]
كَذا عفرُذيتُ وآريسُ ظلاَّ | طَريحَين فوقَ التُّرابِ وذلاَّ
هُما لَبثا بِعَنا وزَفيرِ | وفالاسُ صاحتْ بداوي النَّفيرِ:
«كَذا فليَبِدْ مَنْ لِطرْوادَ مالْ | وَسامَ الأغارقَ شرَّ النَّكالْ
فَلو أنَّ جُملَةَ أنصارِهمْ | الى الحَربِ ثارُوا بكُبّارِهِمْ
بعزمٍ كما عفرُذيتُ بدتْ | لِنَجدَةِ آريسَ مُذْ عرْبدتْ
لَكُفَّ القِتالُ العنيفُ الوَبيلْ | وإليُونُ دُكَّتْ لِعهدٍ طَويلْ» [(3)]
فَهيرا لِذا ابتَسمتْ واستطارْ | إلى سيِّدِ النُّورِ ربُّ البِحارْ : [(4)]
«أوارُ سَراةِ العُلى مُضطَرِمْ | لِماذا إذاً نحنُ لا نَصطَدِمْ

(١) الزهرة هي عفرذيت
(٢) اي ان اثينا لطمت براحتها صدر الزهرة
(٣) تريد ان تقول ان آرس والزهرة ضعيفا العزم واهيا العزيمة
(٤) اي الى فيبوس فوسيذ

أَنَرْضى الهَوْنَ وعارَ القُفُولِ · لِقُبَّةِ زَفسَ بهذا الخُمُولِ
الى الحَربِ فِيبُوسُ قُمْ وتَهَيَّا · فَإِنَّكَ أَحْدَثُ سِنّاً فَهَيَّا
تَقَدَّمْتُ عَهداً وزِدْتُ اختِبارْ · فَبادِرْ فَحقُّكَ بَدءُ البِدارْ (١)
فَهَلاَّ ادَّكَرْتَ أَأَحمَقُ كَمْ · بإِلْيُونَ بَرَّحَ فينا الأَلَمْ
بنا زَفسُ أَرْسَلَ دُونَ الجَميعْ · إلى لَوْمِدُونَ فَجئنا نُطِيعْ
لِنَعْمَلَ عاماً بِخِدْمَتِهِ · فَنَقْبِضَ مَعْلُومَ أُجْرَتِهِ
فَشِدْتُ الحُصُونَ الحِسانَ الفِساحْ · تَعِزُّ امتِناعاً ولا تُستَباحْ
وأَنتَ سَرَحْتَ بِتلكَ البَقَرْ · على شُمِّ إِيذا الكَثيفِ الشَّجَرْ
ولَمَّا عَنا جَهْدِنا اكتَمَلا · وحانَ لنا نَقْبِضُ البَدَلا
وأَقْبَلَتِ السَّاعُ بالفَرَجِ · أَبى لَوْمِدُونُ لِما نَرْتَجي (٢)
فَأَرْسَلَنا خاسِئينِ وأَقْسَمْ · وَهَمَّ بآذانِنا أَنْ تُصَلَّمْ
وهَمَّ بِغَلِّكَ رِجلاً وزَنْدا · وَبَيعِكَ في جُزُرِ البَحرِ عَبْدا

(١) اي ان الفتى الحدث اولى بالشروع في القتال لنزقه وحدته فلاياتأنى ويتروّى — فيبوس لقب افلون الاهالنور وله مزايا شتى ذكر هوميروس شيئاً منها كقوله « رب السهام » و « مطرب الآلهة » . كانوا يمثلونه دائماً بصورة فتى جميل الطلعة ذي شعر طويل مرسل وبيده قوسٌ وسهامٌ او قيثارٌ كما ترى في الرسم

(٢) الساع الساعات وقد مر ذكرها مؤلهة

فيبوس (افلون)

(ن ٥ : ٤٢٦)

تَعَمَّدَ شَرَّ خِيانَتِنا فَعُدْنا بِغُلِّ حَزَازَتِنا
أَمِنْ اجلِ هذا وَلِيتَ بَنِيهِ ولم تنتقمْ مِثْلَنا مِن ذَوِيهِ
لِتُفْنِيَ طُرْوادَةَ الكافِرَهْ وأَبناءها والنِّسا الطَّاهِرَهْ» (١)
فقالَ: «أَفُوسيذُ هلْ خِلْتَني قَصيرَ الحِجَى فاقدَ الفِطَنِ
فَمِنْ أَجلِ مَنْ أَنا أَبْرُزُ لَكْ أَمِنْ أَجلِ إِنْسٍ ثُواةِ الدَّرَكْ
وَما الإِنْسُ في الأَرْضِ إِلا وَرَقْ تَرَاهُ نَشا يانِعاً وَبَسَقْ
مَعيشَتُهُ مِنْ نِتاجِ الثَّرى ولٰكنَّهُ صاغِرًا دَثَرا (٢)
فَدَعْنا إِذًا مِنْ وَبِيلِ النِّضالِ وَدَعْهُمْ يَجُولُوا بِحَرْبٍ سِجالِ»
وَعنهُ تَقَهْقَرَ مُحْتَجِبا لِقاءَ أَخي زَفْسَ مُجْتَنِبا

(١) في اساطيرهم ان زفس غضب يوماً على افلون وفوسيذ فطردهما من السماء وانفذهما لخدمة لوميدون ابي فريام ملك طروادة بعد ان نزع منهما سلطان الارباب فبنيا له حصونها واقاما له سدودها • اي ان زفس سخر للوميدون الشمس والبحر فاعاناه بصفاء الجو وسكون البحر على اتمام العمل • وقد مرَّ ذكر هذه الخرافة في النشيد الخامس

(٢) بسق ارتفع — مر تشبيه الناس بورق الشجر في النشيد السادس ص٤٤٧ ولكنه اشار هناك الى التلاشي والتجدد معاً اذ قال :

وكلٌّ على إِثر كلٍّ مشى فجيلٌ تلاشى وجيلٌ نشا

واما هنا فاكثر مرماه الى الاضمحلال كقول يزيد بن الحكم :

ما عذر من هو للمنو نِ وريبها غرض رجيم
ويرى القرون أمامهُ همدوا كما همد الهشيم
ويجرب الدنيا فلا بؤس يدوم ولا نعيم

ومثله قول عدي بن زيد :

فَلاحَتْ هُناكَ لَهُ أُختُهُ قَنِيصُ الضَّواري تُبَكِّتُهُ : [١]
«أَراكَ انهزَمْتَ أَرامي السِّهامِ وَخَوَّلْتَ فُوسِيذَ كُلَّ المَرامِ
لِماذا بَرَزْتَ بِقَوسٍ طَحُورْ وأَبْرَزْتَ بَينَ الصُّدُورِ الغُرُورْ [٢]
فَهَلْ بَعدَ ذُلِّكَ ذا تَزْعَمُ بِبَاسِكَ فُوسِيذَ تَقْتَحِمُ »
فَصَدَّ ولم يَلْقِ بِنتَ شَفَهْ وَهِيرا اسْتَطارَتْ بِها الأَنَفَهْ
عَلى أَرْطَمِيسَ انْثَنَتْ بالخِطابِ تُعَنِّفُها بِشَدِيدِ السِّبابِ
وَصاحَتْ : «أَيا كَلْبَةً يا وَقاحْ أَفي ظِلِّ وَجْهِي هذا الصِّياحْ
سَتَصْلَينَ نِيرانَ غَيظي وإِنْ بَرَزْتِ بِقَوسٍ لِغَيري تَرِنْ
جُعِلْتِ نَعَمْ لَبْوَةً لِلنِّسا تُنِيلِينَ مَنْ شِئْتِ مُرَّ الأَسى [٣]
أَلا ما قَنِعْتِ بِوَحْشٍ رَبا بِشُمِّ الجِبالِ وغُرِّ الظِّبا
وَعِفْتِ البُرُوزَ بِحُمْقِ الشَّطَطْ لِمَنْ لا تُطِيقِينَ لُقْياهُ قَطْ
أَرُمْتِ إِذًا خُبْرَ هَوْلِ المَكَرّْ خُذِيها إِذًا عِبْرَةً تُعْتَبَرْ»

ثم انحوا كأنهم ورقٌ جـــفٌّ فالوت به الصبا والدبورُ
وقول ربيعة بن مقروم :
وانحت بتباء اجسادهم يشبهها من رآها الهشيا
ويجري مجراه قول لبيد :
وما المرءُ الا كالشهاب وضوءُهُ يحورُ رماداً بعد اذ هو ساطعُ

(١) اخت أفلون ارطميس ولقبت بقنيص الضواري اي صيادتها لانها كانت الاهة الصيد
(٢) القوس الطحور البعيدة المرمى • وقوله الصدور اي صدور الجيش
(٣) لقبت أرطميس (وهي ديانة الرومان على ما علمت) بلبوة النساء

هُنا قَبضَتْ مُذْ تَدَنَّتْ إِلَيها يُسْرى يَدَيها على مِعْصَمِيها

وَمالَتْ بِيُمنى على مَنْكِبَيها تُجَرِّدُ قَوساً تَوَّجُ عَلَيها

وباسِمَةً أُذْنَها ضَرَبَتْ بِتِلْكَ الكِنانَةِ فاضْطَرَبَتْ

وَدارَتْ بِجُمْلَتِها تَنْتَثِرْ وأَسْهُمُها دُونَها تَنْتَثِرْ

وغادَرَتِ القَوسَ وانْهَزَمَتْ بِذِلَّتِها والدُّمُوعُ هَمَتْ

كَوَرْقاءَ يَذْعَرُها وَجهُ صَقْرِ تَزِفُّ لِتَلْجَأَ في شَقِّ صَخْرِ

وما كانَ قَبلُ لَهُ قُدِّرا بِها قَطُّ أَنْ يَنْشِبُ المِنْسَرا

وَصاحَ بِلاطُونَةٍ هِرْمِسُ : « بِحَرِيكِ هَلْ خِلْتِنِي آنَسُ

فَمَنْ رامَ عِرْسَ أَبِي السُّحُبِ بِسُوءٍ فَقَد ضَلَّ في مَذْهَبِي

فَأُمِّي بَنِي الخُلْدِ وافْتَخِري عَلَيَّ بِبَأْسِكِ والظَّفَرِ » [١]

فَفَوراً لِجَمْعِ النِّبالِ انْبَرَتْ عَنِ الأَرْضِ مِنْ حَيثُ قَدْ نُثِرَتْ

وَسارَت عَلى أَثَرِ ابْنَتِها بِفارِجِها وَكِنانَتِها [٢]

وَإِذْ لِلأُلَمْبِ أَتَتْ أَرْطَمِيسُ بِقَصْرِ النُّحاسِ تَبَدَّتْ ثَمِيسُ

بِعَبْرَتِها أَقْبَلَتْ تَسْبَحُ عَلى رُكْبَتَي زَفْسَ تَنْطَرِحُ

لانهم كانوا ينسبون اليها كل موت فجائي يصيب النساء كما ينسبون الى افلون موت الرجال وهي فضلاً عن ذلك ممثلة القمر وزرقية المواليد لعلاقة القمر بالحمل والولادة

(١) قالوا ان هرمس (عطارد) لايقاتل لاطونة لانه كوكب وهي الاهة الظلام وليس للكواكب ان تقاتل ظلام الليل لانه لولا الليل لما سطع للكواكب نور

(٢) الفارج القوس

ومِن حَولِها البُرقُعُ العَنبَري تألَّقَ يَسطَعُ لِلنَّظَرِ
الى صَدرِهِ ضَمَّها وابتَدَرْ يَهَشُّ لها وَاستَقَصَّ الخَبَرْ :
«مِنَ الخُلدِ مَن ذا عَليكِ افترى كَما لو أتيتِ ابنَتي مُنكَرا»
فقالَتْ: «أبي تِلكَ زَوجُكَ مَنْ أثارَتْ بآلِ السَّماءِ الفِتَنْ»
كَذا بِحَديثِهِما اشتَغَلا وَفِيبُوسُ طُرْوادَةً دَخَلا
لِئَلاَّ يَدُكَّ العُداةُ الحِصارْ بِرَغمِ القَضاءِ بِذاكَ النَّهارْ
وَسائِرُ آلِ العُلَى رَجَعُوا لِأُولَمبِهِمْ حَيثُما اجتَمَعُوا
لَدَى زَفْسَ ذاكَ بِنُصْرَتِهِ طَرُوبٌ وذا بِحَزازَتِهِ
وظَلَّ أخِيلُ بِحَرِّ الجِلادْ يُبِيدُ كُماةَ العِدى والجِيادْ
وَحَيثُ بَدا لَهُمُ فَتَكا بِهِمْ وَدِماءَهُمُ سَفَكا
كَنارٍ بِغَيظِ بَنِي الخُلْدِ شَبَّتْ بِبَلْدَةِ قَومٍ عُصاةٍ فَهَبَّتْ
وَأعلَتْ دُخاناً رَقى لِلرَّقِيعْ فَسِيمَ الجَميعُ البَلاءَ الفَظِيعْ(١)

---

(١) كأني بهوميروس يشير بهذين البيتين الى ما روي له أثناء اقامته في مصر عن سدوم وعمورة على ما جاءَ في التوراة • او اتصلت اليه رواية هلاك عاد • قالوا انه لما رأى قوم عاد انه لاغالب لهم من الناس تجبروا واحتقروهم فبعث الله اليهم هوداً فأبوا ان يكفوا عن الظلم وكذبوا وتمادوا فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى هلكت مواشيهم واصابهم الضر الشديد ثم اهلكهم بنار كنار هوميروس انبعثت في الجو من غمامة سوداء • وكان اول من نظر ما في تلك السحابة امرأة منهم يقال لها مهد فصفقت بيديها ونادت باعلى صوتها ويلكم عليكم بهود فقد اتاكم العذاب وانشدت

وَفي البُرْجِ فِرْيامُ مُنْتَصِبا | على البُعدِ آخِيلَ قد رَقَبا
إذا بالطَّراودِ قد ذُعِرُوا | وكُلُّهُمُ شُرَّدًا أَدْبَرُوا
فَمِنْ ثَمَّ مُكْتَئِباً نَزَلا | يُحَذِّرُ حرَّاسَهُ وَجِلا :
« أَلا فَافْتَحوا كُلَّ أَبْوابِكُمْ | إلى أَنْ تَدُوسَ بأَعْتابِكُمْ
فُلولُ السُّرى . فأَخيلُ هَجَمْ | مُغيرًا وَواهَولَ هاتي النِّقَمْ
وَإِنْ لَجَأَ الجُنْدُ طرًّا إلى | مَعاقِلنا فَاقْفِلوا عَجِلا
لِئَلاَّ يَحُلَّ بِحَرِّ العِراكْ | أَخيلُ بها وهُناكَ الهَلاكْ »
فَفُتِّحَ في الحالِ كُلُّ رِتاجٍ | وَقد رَفَعُوامنهُ كُلَّ زِلاجِ [١]
وشُذَّاذُ طَرْوادَةٍ شُرَّدُ | قَضيضاً قِلاعَهُمُ وَرَدُوا
يُغَشِّيهِم نَقْعُهُمْ والصَّدى | يُحَرِّقُ مُهْجَتَهُمْ كَمَدا [٢]
وفيبُوسُ خَفَّ أَمامَهُمُ | يُسَهِّلُ ثَمَّ انْهِزامَهُمُ .

اني ارى وسط السحاب نارا | تنثر من ضرامها الشرارا
يسوقها قومٌ على خيولِ | تهتف بالاصواتِ والصهيلِ
وهي عذاب يالَ عاد فاعلموا | فوحدوا الله لكي ما تسلموا
ثم استجيروا بالنبيِّ هودِ | نبي رب واحد معبودِ
فقد اتاكم عن قريب داهيه | فليس تبقي منكمُ من باقيه

فلما اراد الله اهلاكهم امر خازن الريح العقيم ان يخرج منها مقدار ثقب الخاتم فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة فلم تدع من عاد احداً الا اهلكته .
وقد فصلنا هذه الرواية في دائرة المعارف (مجلد ١١ : ٤٢٨)

(١) الرتاج الباب والزلاج القفل
(٢) الصدى العطش والنقع الغبار .

وَراهمْ أَخيلُ حَديدُ الفُؤَادِ　　يُجيلُ حُدُودَ الحَديدِ الحِدادِ
وكادَ يُجُوزُ بعَسْكَرِهِ　　مَعاقِلَهمْ بتَسَعُّرِهِ
فَأَغرى أَفُلُّونُ آغنُرا　　أخا العزَماتِ ابْنَ أَنْطِنُرا
وَأَلْهَبَ بالبأسِ مُهْجَتَهُ　　وبالسُّحْبِ حَلَّ قُبالَتَهُ
الى زانهِ قُرْبَهُ اسْتَنَدا　　لِيَدْرَأَ عَنهُ ثَقيلَ الرَّدى
لآخيلَ آغنُرُ وقَفا　　ولٰكِنَّهُ مَعَ ذا ارْتَجَفا
وفي نَفْسِهِ قالَ: «إِنْ أَجِمِ　　لِآخيلَ آهِ وأَنْهَزِمِ
كَما جُنْدُنا هلَعاً هرَبَتْ　　لَدَيهِ فَمُنْقَيَ لا شَكَّ بَتْ
وَإِنْ أَعْتَزِلْهُمْ وشَأْنَهُمُ　　وآخيلُ مُكْتَسِحٌ لَهُمُ
واضْرِبْ بِذا السَّهْلِ مُجْتَهِدا　　حَثيثاً لِإِيذَةَ مُبْتَعِدا
وفي بَعضِ آجامهِ أَسْتَتِرْ　　نَهاري ومِنْ بَعدِ ذا أَنْحَدِرْ
وَفي النَّهرِ أَغْسِلْ رَشيحَ العَرَقْ　　وأَرْجِعْ لِإِلْيُونَ عندَ الغَسَقْ
أَفُزْ ناجياً - لا فَماذا الصَّوابْ　　ولا لا عَلامَ انا بِارْتِيابْ
أَليسَ يَراني طَلَبْتُ الخَلاصْ　　فَينْقَضُّ إِثْري وأَينَ المَناصْ
وَمَنْ اينَ لي عَدْوُهُ وقُوَى　　بها الخَلْقُ طرّاً لَدَيهِ سَوا
إِذاً فَلاَقِفْ دُونَ هذي القِلاعِ　　لِلُقْياهُ مُحْتَفِزاً لِلدِّفاعِ
فَلَيسَ لَهُ غَيرُ نَفْسٍ تُنالُ　　وجِسْمٍ يُشَقُّ بِحَدِّ النِّبالْ[1]

(١) من خرافات الميثولوجيين انه لما ولد أخيل امسكته والدته برجله وغمسته بنهر الستكس فبات السلاح لا يعمل في شيءٍ من جسده الا في عقبه حيث حالت بد

نَعَمْ زَفْسُ عَظَّمَهُ إِنَّمَا عَلِمْنَا لِقَومِ الفَنَاءِ أُنْثَى»(١)
وَمِنْ ثَمَّ تَحْتَ السِّلاحِ تَلَمْلَمْ بِقَلْبٍ لِحَرْبِ ٱبْنِ فِيلا تَضَرَّمْ
كَبَبْرٍ قَدِ ٱنْقَضَّ مِنْ أَجَمَةْ عَلَى قَانِصٍ وَارِيَ العَزْمَةْ
فَلا يَلْتَوِي لِشَدِيدِ النُّبَاحِ وَلا لِلصِّيَاحِ وَلا لِلسِّلاحِ
وَلَيْسَ يَذِلُّ وَلَو تَقَذَا بِعَاتِقِهِ مُنْصَلٌ شُحِذَا
فَإِمَّا البُلُوغُ لِمُنْيَتِهِ وَإِمَّا لِيَوْمِ مَنِيَّتِهِ
كَذَاكَ ٱبْنُ أَنْطِنُرِ لَبِثَا لِصَدِّ أَخِيلَ وَمَا ٱكْتَرَثَا
فَهَزَّ القَنَاةَ وَمَدَّ ٱلْمِجَنَّا وَصَاحَ: «ٱبْنَ فِيلا هُنَا أَقْبَلْنَا
فَهَلْ خِلْتَ ذَا اليَومَ إِلْيُونَنَا تَذِلُّ فَتَبْلُغَ مِنْهَا ٱلْمُنَى
تَعِسْتَ فَمِنْ دُونِ ذَا غَمَرَاتُ تُمَنَّى بِهَا وَكُمَاةٌ ثِقَاتُ
أُبَاةٌ حُمَاةٌ لِأَوْطَانِهِمْ وَأَوْلادِهِمْ وَلِنِسْوَانِهِمْ(٢).
إِذًا أَنْتَ أَنْتَ سَتَلْقَى رَدَاكَا هُنَا اليَومَ مَهْمَا ٱسْتَطَالَتْ قُوَاكَا»
وَآخِيلَ بِالرُّمْحِ فَوْرًا طَعَنْ فَفِي سَاقِهِ بِالصَّفَائِحِ رَنْ

والدته دون الماء — تلك خرافة قال المحققون انها لم تكن معروفة في زمن هوميروس والا لما كان به حاجة الى ذلك السلاح وتلك الصفاح ولما أثر له فضل مغوار الابطال في حومة القتال

(١) المراد بقوم الفناء البشر اي انه لا يستحيل قتله وهو انسان

(٢) قال الحطيئة وأجاد :

أولئك آباء الغريب وغاثة الـ صريخ ومأوى المرملين الدرادق
أحلوا حياض الموت فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابق

وَمُرْتَدِعاً بالفضاء انْطَلَقْ　　وكيفَ نُحاسُ هفستَ يُشَقْ
فَهَمَّ ابْنُ آيالكَ يسْتَعِرُ　　وكادَ بآغنُرٍ يَظْفَــرُ
ولـكنَّ فِيبُوسَ في الحالِ حالْ　　فَحَجَّبَهُ بِغُيومٍ ثِقالْ
وأَرْسَلَـهُ سالمـاً يَذْهَبُ　　أَميناً وما مَسَّهُ عَطَبُ
وجاءَ آخِيـلَ بحيلتِهِ　　كآغنُرٍ . تحتَ هيئتِهِ
لَدَيهِ على السهْلِ وَلَّى بِهِمْ　　لِيُثْنِيهِ عنْ فَلِّ جَيشٍ هزيمْ
وراوَغَهُ طَيَّ بَوْنٍ قَليلِ　　لِيُطْمِعَهُ بارْتواءِ الغَليلِ (١)
عَلى إسكمَنْدَرَ راحَ يَجِدْ　　وآخيلُ في إثْرِهِ مبْتَعِدْ
وَطُـرْوادةٌ بِمَنـاسِرِهـا　　وَهلَّع جُنْدِ عساكِرِها (٢)
لَهُمْ لاحَ في بُعْدِهِ الفَرَجُ　　بغيرِ هُدًى سُورَهُمْ وَلَجُوا (٣)
لَدى البابِ لا أَحَدٌ . أَحَدا　　تَرَبَّصَ يَرْقُبُ مفْتَقِـدا
لِيَعْلَمَ مَنْ بادَ مِمَّنْ سَلِمْ　　وكلُّهُمُ هالِـعٌ مُنْهَزِمْ
فَفَصَّتْ وماجَتْ بِهِمْ لَغَطا　　ولَمْ يَنْجُ إلاَّ حَثِيثُ الخُطَى

---

(١) أي طاوله ولم يكن يبعد عنه كثيراً

(٢) مناسر الجيش طلائعه

(٣) لو روى هذه الرواية مؤرخ لقال فرَّ اغينور من وجه أخيل فاختفى في غابة وشغل أخيل تعقبه عن صد الجيش فاتسع المجال للطرواد فلجأوا منهزمين الى معاقلهم ولكن قول الشاعر غير قول المؤرخ

النشيد الثاني والعشرون

مقتل هكطور

مُجْمَلُهُ

لم يبق من الطرواد خارج الاسوار الا هكطور فانقض أخيل عليه فشهد فريام ذلك واستحلف ابنه ان يتقي الخطر ويدخل السور فلم يصغ هكطور الى كلام أبيه فأخذت أمه هيقاب تتوسل اليه وتنذره بالخطر المحدق به فلبث مكانه لايتزعزع تتقاذفه الافكار. واذا بأخيل كاد يدركه فانهزم مرتاعاً فجرى أخيل في أثره حتى دار ثلاثاً حول اليون . فرقّ زفس لهكطور ومال الى انقاذه فعارضته أثينا وابت الا انفاذ القدر المحتوم. فأذعن زفس لها فاندفعت اثينا من السماء وحاول أفلون ان ينقذ هكطور . فأخذ زفس قسطاسه فوزن قدر الفريقين فاذا بأجل هكطور قد حل فتخلى عنه أفلون . وتمثلت أثينا بصورة ذيفوب اخي هكطور فحسنت له التربص لملاقاة أخيل. ولما التقى البطلان رام هكطور ان يتواثق وأخيل على ان القاتل منهما لا يدنس جثة القتيل . فأبى أخيل مواثقته على شيء. فتبارزا فأطلق هكطور رمحه فلم ينل من خصمه اربًا . فالتفت الى أخيه واذا به قد توارى فعرف الخدعة واستبسل وقاتل حتى خر صريعاً. وقبل ان تفيض روحه سأل أخيل ان يعيد جثته الى أهله فشتمه أخيل فتنبأ له هكطور ساعة الموت بالحمام القريب . فاجتمع الاغريق حول الجثة ومثّلوا بها ثم ربطها أخيل الى مركبته ودار بها حول البلد والطرواد ينظرون و يتوجعون والنساء يندبن و ينتحبن. وكانت أندروماخ امرأة هكطور غافلةً لاتعلم بما جرى فسمعت عويل حاتها فصعدت الى البرج تستطلع الخبر فرأت الجثة فأغمي عليها ورثت زوجها رثاء تنفطر له الاكباد

وكل نساء اليونِ   ذرفنَ لنوحها العبرا

لم تنته حتى الآن حوادث اليوم الثلاثين

النشيد الثاني والعشرون (١)

قَضِيضُ الجَيشِ مُذْعِرا　　هزيماً كالظِّبا تَفِرّا
إلى إلْيُونَ حيثُ هُنالكَ خَلْفَ حصارِهِ انْحَصَرا
يُجَفِّفُ في ظِلالِ قِلاعِهِ عَرَقاً بِهِ سَبَحَتْ
كتائبُهُ ويَرْوِي غُلَّةً فيها قَدِ اسْتَعَرا
وَرَاءَهُمُ الأَخاءَةُ والجَواشِنُ في عَواتِقِهِمْ (٢)

(١) لكل نشيد من اناشيد الالياذة مزية يمتاز بها عن سواه ولهذا النشيد مزيتان كبيرتان

الاولى انه بيت قصيد الالياذة يتضمن اهم حوادثها فكل ما تقدمه توطئة له وكل ماوليه ذيل • بنيت الرواية على غضب اخيل وكيده ويتلو ذلك في الخطورة مقتل هكطور • وكلا الامرين باديان فيه بأجلى بيان

والثانية انه جمع بين السهولة والبلاغة والشدة والرقة واحاط بكل مايتسنى للمخيلة ان تدركه في جميع الابواب التي طرقها الشاعر فبينا تراه يصعد الى قمم الهام المنتصبة على الهمم الشماء اذا به ينحدر الى اعماق القلب فيثير العواطف ويهيج البكاء • ولهذا قال كثيرون انه اجمل الانشاد

ولست أرى نشيداً يصلح مثله ان يكون منظومة مستقلة لاتفتقر في تلاوتها الى ما قبلها وما بعدها فاناشد المطالع اللبيب اذا وقع نظره على هذه الحاشية ان يتصفح هذا النشيد دفعة واحدة من اوله الى آخره فاذا صدق ظني به وظني انه يصدق فليقل لله در هوميروس على هذا الاستنباط البديع الغريب والا فليقل سامح الله الناقل فقد قصر في التعريب

(٢) الجواشن التروس

جَرَوا لـكنَّ هكطُوراً تربَّصَ يرْقُبُ القَدَرا
لدى أبوابِ إسْكيا قضاءُ الشؤم ثبَّطَهُ
وبابنِ أياكَ آفلونُ أحدَقَ يصدُقُ الخَبَرا : (١)

«علامَ وأنتَ مِن بَشَرٍ　　جريتَ تجدُّ في أثري
أتجهَلُ أنني رَبٌّ فثُرتَ بِلاهبِ الشَّرَرِ
تركْتَ هنُاكَ طُرْوادًا تفِرُّ إلى معاقِلِها
وجئتَ هنُا فلا لَنْ تفوزَ تعِسْتَ بالظَّفَرِ
فلسْتُ بمائتٍ أبدًا» فقالَ أخيلُ متَّقِدًا :
«أزجَّاجَ السّهامِ وشرَّ آلِ الخُلدِ والكِبَرِ
أرى أنأيتني عن سُورِهِمْ مَكرًا وإلَّا كَمْ
فتى عضَّ الحضيضَ قُبيلَ ما بحِصارِهِ أستترا

بِغَدْرِكَ لِلحمى دخَلُوا　　ومَجْدِي شابَهُ الخَلَلُ
ولَم تخْشَ العِقابَ فآهٍ لو بِكَ كانَ لي قِبَلُ»
ونحوَ السُّورِ راحَ بكِبْرِهِ يسعى كلَهميمٍ
مُجَلٍّ بالعجالِ طوى المجالَ وفاتَهُ المَلَلُ (٢)

(١) اياك جد اخيل كثيراً ما يعرّفه الشاعر به

(٢) اللهميم الجواد المبرّز في الرهان . والمجلي السابق . وسيأتي وصف سباقهم في النشيد التالي

وكانَ الشَّيخُ فِرْيامُ على الأَبراجِ يَرقُبُهُ
فَلاحَ لهُ بكَرَّتِهِ عَلَيهِ تَسطَعُ الحُلَلُ
كَكوكَبَةِ الخَريفِ إِذا بِدَيجُورِ الدُّجى ظَهَرَتْ
تخَالُ الزُّهرَ لا نُورٌ حَوالَيها لَها ظَهرا [1]

(دَعَوْها الكَلْبَ جَبَّارا لِما عَن شُؤْمِها دارا
تَوَّجُ وإِنَّما يَصلى الوَرى مِن حَرِّها نارا)
فَأَنَّ الشَّيخُ مُلتَطِماً ومَدَّ يَدَيْ ضَراعَتِهِ
وَهَكطُورَ الحَبيبَ دَعا ووَجداً قَلبُهُ فارا

(١) كثيراً مايشبه العرب السيد العظيم بين السادة الصغار بنور كبير بين انوار ضئيلة كما قال هوميروس في هذا الموضع

قالت مريم بنت جرير ترثي اخاها :

كنا كأنجم ليل بينها قمرٌ يجلو الدجى فهوى من بينها القمرُ

وقال جرير في رثاء الوليد بن عبد الملك :

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمرُ

وقال أبو تمام :

كأن بني تمام يوم وفاته نجوم سماء خرَّ من بينها البدرُ

على ان هوميروس يصف هنا الخيل حياً ويزيد تشبيهه بلاغةً ما استطرد اليه في البيت التالي بقوله

تؤج وانما يصلى الورى من حرها نارا

كأنه اراد ان يقول انه وان شاق منظرهُ وعظمت هيته ففيه النكال في الهيجاء والوبال على الاعداء

ولكن ظلّ هكطورٌ لدى الأبواب مُحْتَدِماً
لِحَربِ أخيلَ مُضطرماً لِيَدْرَأَ باللّقا العارا
فمدَّ أبوهُ كفيهِ إليهِ وصاحَ مُكْتَئِباً :
« حَبيبي لا تَقُمْ فَذّاً لآخيلٍ فَتَنْدَحِرا (١)

نَعَمْ هوَ فائقٌ عَزْماً فيُؤْتِيكَ الرَّدى رَغْما
نَعَمْ وَيلاهُ ما أعتاهُ في سفكِ الدِّما ظُلْما
فَلَو آلُ العلى وَدُّوهُ وُدِّي خلتَ جُثَّتَهُ (٢)
كِلابُ البَرِّ والعِقْبانُ تَنْهَشُ لَحْمَها حَتْما
وفارقَ مُهْجَتي ضَيمٌ يُبَرِّحُ بي لِوُلْدٍ في
أقاصي البَحْرِ وا لَهْفي عَبيداً باعَ أو أَصْمَى
وأينَ الآنَ لِيقاوُونُ أينَ فَلِيذُرٌ فَهُنَا
فُلولُ الجَيشِ لكنّي لِذينكَ لا أرى أثرا

أفي جَيشِ العُداةِ هُمَا لِتُجزَلَ في فِدائِهِما
نُحاساً أو نُضاراً في خزائنِ مَنْزِلي رُكِما
فَإِنَّ الشَّيخَ أَلْتِيساً حَبا مِنْ قَبلِ ابْنَتَهُ
لَوُوثا عَنَ أزواجي جَزِيلَ كُنُوزِهِ كَرَما

(١) فذّاً أي منفرداً
(٢) يقول ودوه ودي تهكماً أي ابغضوه بغضي

أَمِ انْحَدَرا بِمَوتِهِما إِلى ظُلُماتِ آذِيسٍ
وثَمَّ الْبَثُّ والحَسَراتُ تَدْهَمُني وأُمَّهُما
وَلكِنْ لِلعَزاءِ تَرى سَبِيلاً كُلُّ أُسْرَتِنا
إِذا لَمْ يَقْضِ آخِيلٌ بِمَوتِكَ ها هُنا الوَطَرا

فَلُذْ لِلسُّورِ لُذْ عَجِلا حَبِيبي وَاتَّقِ الفَشَلا
وذُدْ عَن جُنْدِ طُرْوادٍ وَنِسْوَةِ جُنْدِها النُّبَلا
وَلا تَتَعَرَّضَنَّ إلى الحِمامِ بِوَجْهِ آخِيلٍ
فَتَلْبَسَهُ حُلى المَجْدِ الأَثِيلِ ويَبْلُغُ الأَمَلا
وَرِقَّ لِوَالِدٍ هِمٍّ نَصُوحٍ زَفْسُ قَدَّرَ أَنْ
يَبِيدَ بُعَيدَ أَنْ يَدْهاهُ كُلُّ بَلا وَأَيُّ بَلا (١)
إِبادَةُ وُلْدِهِ طُرًّا وذُلُّ بَناتِهِ أَسْرًا
ونَهْبُ مَنازِلٍ فيها الْعَدُوُّ يَعِيثُ مُنْتَشِرا

(١) أحسّ فريام بالخطر المحدق به فتكلم كلام المتنبئ بما سيناله وبلاده من البلاء العميم بعد مقتل هكطور وفوز الاغريق فسرد الدواهي الدهم التي تنتاب الامة المغلوبة على بلادها . وقد سبق للشاعر مثل هذا المعنى في النشيد التاسع اذ قال :

للمباني حرقاً وللقوم ذبحاً والغواني والولد ذلاً وأسرا

ولكن الشاعر زاد هنا في التفصيل فأكثر بلسان فريام من ذكر الملمّات الشداد كبحاً لجماح هكطور

وكَنَّاتٌ بِذِلَّتِهَا . تُجَرُّ على مَرارَتِها
وأَطفالٌ بكَفِّ الظُّلْمِ تُرمى مِن أَسِرَّتِها
هُنالِكَ أَبُوكَ تُهْلِكُهُ الحُتُوفُ وسوفَ تُدْرِكُهُ
بِتَارِ الأَعادي أَو بِسَهْمٍ مِن كِنانَتِها
فَأُطْرَحُ دُونَ أَعتابِي تُمَزِّقُني كِلابٌ قد
غَذَوتُ بظِلِّ أَبوابِي حُمَاةً لي بِجُمْلَتِها
دَمِي تَمْتَصُّ ناهِشَةً فَتَرْوِي حَرَّ غِلَّتِها
وثَمَّ تنامُ مَلأَى دُونَ لَحْمٍ بَينَها انْتَثَرا

لَئِنْ ماتَ الفَتى الجَلْدُ وَفيهِ أُنْفِذَ الحَدُّ
صَرِيعاً ظَلَّ لكِنْ جَلَّ فيهِ الحُسْنُ والمَجْدُ
ولكِنْ حيثُ شيخُ العجزِ حُرْمَتُهُ قَدِ انْتَهَكَتْ
كِلابٌ دُسْنَ شَيْبَتَهُ وناصِعَ لِحْيَةٍ تَبْدُو
فَتِلْكَ النَّكْبَةُ الدَّهْماءُ لا رُزْءٌ يُشاكِلُها
بمَرْءِ البُؤْسِ ما اشْتَدَّتْ بِهِ أَرْزاؤُهُ الأُدُّ » (١)

---

(١) مهما قيل في استعطاف أب لابنه لايمكن ان يقال أبلغ من خطاب فريام لهكطور . ملك كبير وشيخ هرم ذو بسطة وجاه وسلطان برّحت به الايام فهدّت اركان همته وعزيمته وقوضت دعائم مجده وناطت بقية آماله بولد يراه على قاب قوسين او ادنى من الموت الزؤام ومن وراء ذلك دك البلاد والفتك بالعباد فتتوالى عليه الذكرى لما سلف ويأخذه الاشفاق من الخطب الفادح القريب فيجمع بقية حواسه وينهض لدرء الخطب

وظَلَّ يَنُوحُ مُصْطَلِماً بِكَفَّيْ عَجْزِهِ شَعَراً
وهَكْطُورٌ يَصُدُّ كَأَنَّهُ بِأَبِيهِ ما شَعَرا

هُنَالِكَ أُمُّهُ اندَفَعَتْ　　بِهاطِلِ عَبْرَةٍ هَمَعَتْ
لَدَيهِ صَدرَها كَشَفَتْ وثَديَيها لَهُ رَفَعَتْ
وَصاحت: « آهِ هَكْطُورٌ بُنَيَّ ارْفُقْ بِوالِدَةٍ
وهذا الصَّدرَ فارْعَ فَكَمْ بِعَهدِ صِباكَ قبلُ رَعَتْ
وهذا الثَّديَ فاذكُرْ كَمْ رَضِعتَ فَنُحْتَ مُبْتَهِجاً
تَعالَ تَعالَ فالأسْوارُ في وَجهِ العِدى امْتَنَعَتْ
إِلَيها لُذْ وقاتِلْ ذلكَ العاتي بِسُتْرَتِها

وقلبه يتلظى تلهفاً على ابنه وحط آماله ثم على آله وبلاده ونفسه فيشرع في تحذير هكطور من خصمه الباسل ولا يكاد يذكر اسم ذلك الخصم حتى تتوارد على خاطره سوابق فتكه فيتوجع ويتفجع ويتمنى لو راحت جثته مطعماً للطير والكلاب . وهو على كل ما ناله من المصاب يرى سبيلاً الى العزاء اذا نجا هكطور من ذلك المأذق الحرج. ولما كان فريام على يقين ان هكطور لا يرضى عار الاحتجاب ولو انتصب له الموت التمس له عذراً عظيماً بان في ليإذه الى السور شرفاً أرفع ومجالاً اوسع لابراز بأسه وقوة ساعده حيث يقيم مقاتلاً فيذود عن البلاد والجند ويحفظ الاهل والولد وشرح له بعد ذلك ما يكون من عقبى عناده لو بقي خارج السور وأتى بكلام يخرق اللب على وصف ما يأول اليه امر المنازل والمعاقل والبنين والبنات والاطفال والكنات ثم أخذ في رثاء نفسه ووصف مآل امره لما يعلم من حب هكطور له وبرّه به واختتم بتلك المقابلة الفريدة بين هلاك الفتى قتيلاً خالد الأثر رفيع المنار وهو يذود عن الاوطان وموت الشيخ ذليلاً مغلول الذراع باكناف الديار ميتة الضعة والهوان

ولا تَترَبَّصَنَّ لهُ وَحيدًا واتَّقِ الخطرا

فإنْ دَمكَ السخينَ سفكْ فلا نَعشٌ يُهيّأُ لكْ
نَنوحُ أنا وَعِرْسكَ حوَلهُ والحَتفُ قد صدَعَكْ
ولكنْ تَغتَدي عِندَ السفائنِ نائيًا عنَّا
طَعامًا للكلابِ بذِلّةٍ فيها الشقيُّ هلَكْ » [١]
كَذاكَ كِلاهُما أَنتَحبا ولكنْ صمَّ هكطورْ
وَظَلَّ بوَجهِ ذاكَ القَرمِ لا يخشى عَنا وَدَرَكْ
كأَفعى الشُّمِّ حولَ الوَكْرِ نَقعُ السمِّ في فَمِها
تُرى مُلتَفَّةً حَنقًا وتَقدَحُ عينُها شَررا

وتَلبثُ في أنتِظارِ فتى عليها بالسلاحِ أتى
كما هَكطورُ في وَجهِ العَدُوِّ بأَرْضهِ ثَبتا
فأَتكا جَوبَهُ للسُّورِ يخَبطُ في هَواجِسهِ :
« لَئنْ أَلجِ الحِصارَ فَفُوليداماسًا أَراهُ عَنَا [٢]

---

(١) لئن أتى فريام بابلغ اقوال الرجال والآباء فقد اتت زوجته بابلغ اقوال الامهات والنساء . وكفى بكشف صدرها خطاباً ناطقاً لا تعادله بلاغة في مقال . ثم هي الام الشفيقة لا تتفجع الا على ابنها وما تأول اليه حالها من بعده فلا تتخطى بكلامها هذا الحد فناحت نوح النساء وناح فريام نوح الرجال وحفظة الذمار والملوك الكبار

(٢) يقول ذلك اشارة الى الجدال العنيف الذي جرى بينه وبين فوليداماس في النشيد الثامن عشر حيث اشار عليه فوليداماس بالالياذ الى المعاقل فأبى هكطور واستكبر

يُعَنِّفُني عَلى مَنْعِي الطَّرَاوِدَ عَن مَعاَقِلِهِمْ
وسَيفُ أَخيلَ لاحَ لَنا بِذاكَ اللَّيلِ مُنْصَلِتا
فَلَمْ أَفْقَهْ نَصيحَتَهُ وإِنْ حَسُنَتْ وَسِرْتُ عَلى
مَرامِ النَّفْسِ فَامَّحَقَتْ سَرايا الجَيشِ وانْكَسَرا

ورُبَّ مُعارِضٍ جَحِدِ أَمامَ الغِيدِ والعُمَدِ[1]
يَقُولُ: « عُتُوُّ هَكطُورَ المُكابِرِ عِلَّةُ الشِّدَدِ »
فَكَلاَّ لَنْ أَعُودَ إِذًا فإِمَّا قَتْلُ آخِيلٍ
وإِمَّا مَصْرَعِي بالعِزِّ في ذَوْدِي عَنِ البَلَدِ...[2]

(١) الجحد قليل الخير والمراد بالعمد الرؤساء

(٢) هذه آخر مبارزة في الالياذة وبها تنتهي وقائعها . والمبارزات في ماسلف وان كانت تعد بالعشرات فليست بحصر المعنى من باب البراز البحت الا في ثلاثة مواضع اولها واجدرها بالذكر براز منيلاوس وفاريس في النشيد الثالث اذ كاد يترتب عليه حقن الدماء واخماد الفتنة لو برّ الطرواد بميثاقهم . وهو من وجه آخر براز معقول لوقوعه بين زوج سبية وسابيها . والثاني وان لم يكن اقلها خطورة فهو اقلها تأثيراً بمجرى الوقائع لانه من المبارزات التي تقع كل حين بين المتبارزين في الحروب لايترتب عليها عقد سلام وغمد حسام نعني به براز هكطور واياس في النشيد السابع . والثالث وهو اعظمها براز هكطور واخيل هذا لوقوعه بين بطلين كلٌّ منهما عماد جيشه على الاطلاق . وهو وان لم يكن من لوازمه كف الكفاح ووضع السلاح فقد كانت فيه الضربة القاضية على فريق من المتحاربين

وفي كتب العرب من مثل هذه المبارزات اشباه لاتحصى ببعض خلاف . ذكر صاحب الاغاني (١٠ : ٨٠) برازاً لجميل وتوبة من اجل بثينة نورده لغرابته . قال : « كان توبة قد خرج الى الشام فمر ببني عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه فشق ذلك

وما ظنّي إذا أُلقي التّريكة واُلِجنّ هنا
وَأُتـكِئُ عامِلي لِلسورِ مُنْبَعِثاً بلا عدَدِ
وَأُطْمِعهُ بِرَدّ هِلانَةٍ وجَميع ما ذَخَرَتْ
وَما فارِسُ قَبلُ أتى بهِ في الفُلْكِ وَادّخرا

فَتِلكَ العِلّةُ الكُبْرى　لِيَحْلُ بها بَنو أَتْرا
وَمِمّاً في خَزائِنِنا نُبيحُ لَهُمْ كَذا شَطْرا
وكُبَّارُ الشُّيوخِ يَمينَ صِدْقٍ يُغْلِظونَ لَهُمْ
بِأَنَّهُمُ عَلَيْها جُمْلَةً ما أَسْبَلُوا سِتْرا... (١)
شَطَطْتُ فَتِلْكِ أَضْغاثٌ بِها قَلْبي يُحَدِّثُني
فَعُذْري لَنْ يَرُوقَ لِعَينهِ إِنْ أَلْتَمِسْ عُذْرا

على جميل وذلك قبل ان يظهر حبه لها فقال له جميل من انت فقال له انا توبة بن الحمير قال هل لك في الصراع قال ذلك اليك فشدت عليه بثينة ملحفة مورسة فاتّزر بها ثم صارعه فصرعه جميل ثم قال هل لك في النضال (رمي السهام) قال نعم فناضله فنضله جميل ثم قال هل لك في السباق فقال نعم فسابقه فسبقه جميل . وقال له توبة يا هذا انما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا الوادي فلما هبطا صرعه توبة ونضلهُ وسبقه »

وفي وقعة بدر الكبرى جرت مبارزات كثيرة بما يدل على شيوع تلك العادة في الجاهلية ثم بقيت في الاسلام وكان لها فيه شأن عظيم

(١) أي نعطيه علاوة على اموال هيلانة وما أتى به فاريس يوم سباها نصف ما في خزائننا من اموالنا ويقسم الشيوخ انهم لم يخفوا شيئاً منها

فَيَبْطُشُ بي بِغَيرِ تَرَدُّدٍ فَابِيدُ كَامْرَأَةٍ
إِذا عُرِّيتُ مِنْ عُدَدٍ تَصُدُّ الخَطْبَ حَيثُ عَرا

فَما هذا المَجالُ هُنا مَجالٌ لِلْحَدِيثِ لَنا
فأَبْذُلَ في الخِطَابِ لَهُ عَمِيقَ السِّرِّ والعَلَنا
كَما شاقَ الحَدِيثُ فَتىً وغانِيَةً بلا حَرَجٍ
لَدى مَأْوِلَةٍ أَو صَخْرَةٍ في ظِلِّها أَمِنا
فَلَيسَ لَنا سِوى قَرْعِ النِّصالِ أَجَلْ بلا مَهَلٍ
فَيَظفَرُ مَنْ أَبُو الأُولِمْبِ زَفَّنْ دِماءُهُ حَقَنا »[1]
كَذلِكَ ثارَ هاجِسُهُ وآخِيلُ بِعامِلِهِ
كَرَبِّ الحَرْبِ هَيَّاجِ التَّرائِكِ لِلوَغى ابتَدَرا

بَرِيقُ الدِّرْعِ قد سَطَعا عَلَيهِ كَبارِقٍ لَمَعا
تَأَلَّقَ أَو كَنُورِ الشَّمْسِ في كَبِدِ السَّما طَلَعا
وهَكْطُورُ لِرُؤْيَتِهِ تَقَطَّعَ وَصْلُ عَزْمَتِهِ
فَفَرَّ وَخَلْفَهُ آخِيلُ طيَّارُ الخُطَى اندَفَعا [2]

---

(١) تلك مناجاة هكطور لنفسه يتردد تردد الشاعر بقرب الأجل ثم يؤثر الموت وهو يكافح العدو على النجاة بجوة الهزيمة والعار

(٢) قد كنت اود ان لا يشوه جمال هذا النشيد بفرار هكطور من وجه أخيل ولا اراها الا هفوة من استاذنا هوميروس مهما امكن ان يقال في الدفاع عنه

كَبازٍ يَطْلُبُ الوَرْقاءَ وَهْيَ تَزِفُّ هالِعَةً
وما جارى بُزاةَ الشُّمِّ طَيْرٌ في الفَلا ارْتَفَعا
تَعَقَّبَها . بِصَرْصَرَةٍ تُذِيبُ لُبابَ مُهْجَتِها
فَراغَتْ وَهْوَ مُنْقَضٌّ بِنافِذِ مِخْلَبٍ شَهِرا

كَذا الأَبوابَ هكطورُ تَجاوَزَ وَهْوَ مَذْعُورُ
تَطِيرُ بِهِ خُطاهُ وَهْوَ دُونَ أَخِيلَ مَدحُورُ
فَجازا مَرْقَبَ الأَرْصادِ حَتَّى التِّينَةِ العُظْمى
عَلى جَدَدِ العِجالِ حِيالَ خَطٍّ فَوقَهُ السُّورُ[1]
إِلى أَنْ بَلَغا الحَوضَيْنِ حَيْثُ الماءُ مُنْبَجِسٌ
يَنْبُوعَيْنِ مِنْ زَنْثٍ تَؤُمُّ رُباهُما الحُورُ
فَيَنْبُوعٌ سَخِينٌ والبُخارُ عَلَيهِ مُنْتَشِرٌ

وسبحان المعصوم . لان بطلاً كهكطور يتحرق نهاره وليله لقتال اخيل ثم يناجي نفسه تلك المناجاة ويعول على ورود كأس الحمام مؤثراً ذلك على الهزيمة ويتقدم لبراز خصمه ثم ما هو ان رآه حتى فر منهزماً لايجدر به ان يكون بمقام هكطور . ولقد التمس الشراح لهوميروس اعذاراً كثيرة منها قولهم انه لو لم يكن محل لهذا الفرار لما تحداه فرجيليوس وجعل طورنوس يفر من وجه آنياس . ومع كل ذلك فما قرأت قط هذه الفقرة الا وددت ان لاتكون

(١) جدد العجال طريق المركبات ومرقب الارصاد الموضع المشرف الذي كانوا يرقبون منه العدو

وينبوعٌ بماءٍ كالجليدِ تخالهُ انفجرا (١)

هناكَ مغاسلُ الصخرِ لِغسلِ ملابسٍ غُرِّ
لها قد كانتِ الغاداتُ مِنْ قبلِ الوغى تجري
تعدَّاها كِلا البطلينِ ذا عادٍ وذا تالِ
شجاعٌ فرَّ ممَّنْ كانَ أشجعَ منهُ بالكرِّ (٢)
وما انبريا بميدانِ الرهانِ لجلدِ ثورٍ أو
لِذبحٍ يحرزُ العدَّاء يومَ الفوزِ بالنصرِ (٣)
ولكنَّ السباقَ هنا على أنفاسِ هكطورِ
ثلاثاً حولَ إليونٍ إزاءَ حصارها عبرا

كسُباقِ القياديدِ تُغيرُ بمأتمِ الصيدِ (٤)
إلى غرضٍ على أمدٍ يقامُ لهنَّ محدودِ

---

(١) يظهر جلياً من كلام هوميروس انه كان يجري الى نهر زنتس ينبوع ماء حار وليس الامر كذلك الآن ولعل هذا الينبوع كان موجوداً في ايامه فغار في الارض بعد ذلك

(٢) هزبرٌ مشى يبغي هزبراً ومغلباً من القوم يغشى باسل القوم اغلبا
(البحتري)

(٣) اي لذبيحة يضحي بها

(٤) القياديد الطوال من الحيوان والمراد هنا الخيل . والصيد الزعماء — كان من عادتهم ان يتراهنوا ويتسابقوا في المآتم كما سترى في النشيد التالي بمأتم فطرقل

وجائزةُ المُجلّي تِلْكَ إمّا خَيرُ مِنضَدَةٍ
وإمّا غادَةٌ مَسْبِيَّةٌ مِن صفوَةِ الغِيدِ
وآلُ الخُلْدِ قاطِبَةً مِنَ الأُولِمْبِ راقِبَةٌ
فَصاحَ أبو سَراةِ الخُلْدِ والناسِ المَناكيدِ :
« أرى بَشَرًا أُحِبُّ تَعَقُّبُوهُ حَولَ إليُونٍ
لِهكْطُورَ الفَتى الوَرِعِ الفُؤَادَ أَراهُ مُنْفَطِرا

فَكَم في إيذَةٍ قِدْما وفي أَبْراجِها الشَّمّا
بِخَيرِ الثَّورِ لي ضَحَّى يُسيلُ اللَّحمَ والشَّحْما
وهاكُمْ خَلْفَهُ آخِيلَ مُنْقَضًّا بِخِفَّتِهِ
عَلَيهِ فأحْكُموا فيما عَسى أن نُصْدِرَ الحُكْما
أَنُرْجِعُهُ سَليماً أم بِبَأْسِ أَخيلَ نُهْلِكُهُ »
فَآثينا انْبرَتْ تَحْتَجُّ : « ذاكَ إذَنْ غَدا ظُلْما
أَتُنْقِذُ مِن زُؤَامِ المَوتِ مَن حُتِمَ القَضاءُ لَهُ
فإنْ تَفْعَلْ فَما في الخُلْدِ رَبٌّ خِلْتُهُ شَكَرا »

فَقالَ لَها أَبو السُّحُبِ : « بِغَيظِكِ لا قَضى أرَبي
فَما شِئتِ ابْتَغي عَجِلاً وَسيري وأْأَمَني غَضَبي»
فَثارَتْ فَوقَ ثَورَتِها وطارت عَن مَنَصَّتِها

وَهَكْطُورٌ وَراهُ أَخِيلُ ظَلَّ يَجِدُّ في الطَّلَبِ
كَأَغْضَفَ رامَ رِيماً في الكِناسِ فَهَبَّ مُنْبَعِثاً [1]
لَدَيهِ ضارِباً في الطَّودِ بَينَ مَشاعِبِ الهِضَبِ
فَـلا أَرْيافَ تَحْمِيـهِ ولا أَيْكٌ يُـوَارِيهِ
وحَيثُ جَرَى فَفِي أَعْقابِهِ داعِي المَنُونِ جَرَى

كَذا هَكْطُورُ ماوَجَدا سَبِيلاً لِلنَّجاةِ بَدا
فَآخِيلٌ على آثارِهِ مُسْتَظْهِرٌ ابدا
فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَبْوابَ إِلْيُونٍ وَمَعقلَها
بَغى لِتُهالَ أَسْهُمُها بِوَجْهِ عَدُوِّهِ بَرَدا [1]
وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ آخِيلُ قامَ بِوَجْهِهِ فَعَدا
هَزِيماً فَوْقَ ذاكَ السَّهلِ عَنْ إِلْيُونَ مُبْتَعِدا
كَمَا لَو في الكَرَى طَيفٌ بَغاكَ فَلَمْ تُطِقْ هَرَباً
وإِماً رُمتَهُ قَصَّرْتَ عَنهُ كَيْفَما صَدَرا [2]

(١) الاغضف الكلب وكناس الريم أو الظبي بيته

(٢) اي ان هكطور كان يحاول ان يدفع أخيل الى الحصون حيث يمكن ان تدركه نبال الطرواد واخيل يقف بوجهه فيصده عن الجري وجهة اليون

(٣) قال أبو النجم العجلي :

طيف سرى يخبط افنان السمر انى اهتدى مضجع حيران حسر .

فَلا هٰذا نَجا هَرَبا وَلا ذا مُدْرِكٌ أَرَبا
وإِنَّ بِعَدْوِ هكْطُورٍ بِذَيَّاكَ المَدى عَجَبا
وَلا بَدْعٌ فَآفُلُونُ أَفْرَغَ فِيهِ قُدْرَتَهُ
وَخِفَّتَهُ لِكَيْ لا يَلْتَوِي بِفِرارِهِ تَعَبا (١)
وَآخِيلٌ بِعِزَّتِهِ إِلى الأَجْنادِ أَوما أَنْ
قِفُوا كَيْ لا بِهكْطُورٍ يُرى نَصْلٌ لَهُمْ نَشِبا
لِئَلاَّ يُحْرِزَ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ بِقَتْلِهِ عَلَناً
سِواهُ فَلا يَنالَ فَخارَ ذاكَ اليَومِ والظَّفَرا (٢)

وإِذْ بَلَغا مُتابَعَةً إِلى العَيْنَيْنِ رابِعَةً
مَوازِينَ النُّضَارِ أَبُو العِبادِ أَقامَ ساطِعَةً
بِها قِدْحَيْ رَدىً أَلْقى لِذا سَهْمٌ وَذا سَهْمٌ

ولم يكن الا كما ارتد النظر كالكوكب انقضّ اوالبرق خطر
بقدر ما نفّر وجدي ونفر

(١) كان اخيل اعدى أهل زمانه فلم يكن من المعقول انه يعجز عن ادراك هكطور ولهذا قال الشاعر ان افلون افرغ في هكطور قدرته فبطل العجب ودُفع الاعتراض . قال هذا حتى لا يقول ان المنهزم بطلب النجاة اجد في السير من الساعي للانتقام

(٢) في المقطوعة السابقة يحاول هكطور ان يدفع اخيل الى مرمى النبال وهنا اخيل يومىء الى صحبه ان لا يرموه بنصل ولا بنبل فذاك سابق فارّ يطلب النجدة وهذا لاحق كارّ يأباها بل يخشاها لان لهُ ثأراً يود ان يأخذ به بيده لا بيد

وَلاحَتْ كَفَّهُ في وَسْطِها في الحَالِ رَافِعَةً
فَهكْطُورٌ أُمِيلَتْ لِلْجَحِيمِ هُنَاكَ كِفَّتُهُ
وَفِيبُسُ صَدَّ عَنْهُ وَبادَرَتْ فالاسُ هارِعَةً (١)
أَتَتْ آخِيلَ قالَتْ: « يا حَلِيفَ المَجْدِ حانَ لَنا
بِأَنْ نَحْبُو الخَمِيسَ بِنَصْرَةٍ ما مِثْلَها انْتَصَرا

فَهَكْطُوراً بِشِدَّتِهِ نُمِيتُ بِوَجهِ أُسْرَتِهِ
فَيَهْلِكُ دُونَ أُسْطُولِ الأَخاءَةِ في مَذَلَّتِهِ
وَلَنْ يَجِدَ المَنَاصَ وَلَوْ أَفُلُونُ ارْتَمى وَجَلاً
عَلى قَدَمَيْ حَفِيظِ الجَوبِ مُزْدَلِفاً لِنَجْدَتِهِ (٢)
هُنا قِفْ وَاسْتَرِحْ حَتَّى أُوَافِيَهُ وَأُغْرِيَهُ
بِحَرْبِكَ فَانْثَنى آخِيلُ مُبْتَهِجاً بِجُمْلَتِهِ
وَقامَ إِلى القَنَاةِ هُنَاكَ مُسْتَنِداً وَآتِينا
أَتَتْ هَكْطُورَ في زِيٍّ بِهِ ذِيفُوبُ قَدْ شُهِرا (٣)

قومه وطمعاً بفخار يضن به على غيره

(١) ابو العباد زفس • اي ان زفس القى قدحي موت في كفتي ميزانه الذهبي ليرى بموت اي البطلين يقضي • فهبطت كفة هكطور دلالة على افول نجمه وحلول اجله • راجع ما تقدم في حواشي النشيد الثامن (ص ٥٢٠)

(٢) حفيظ الجوب رب الترس وهو زفس • اي تقتل هكطور ولو توسط له افلون فترامى على قدمي زفس

(٣) ذيفوب من اخوة هكطور

وصاحت: «ياأُخَيَّ كفى أرى آخيلَ زادَ جفا
وَسامَكَ بالهزيمةِ والفرار أمامَهُ الضَّعَفا
فقفْ نتربَّصنْ لهُ فيرْجعَ خاسئاً عنّا »
فَسُكِّنَ رَوعُ هكطُورٍ وقالَ لها وقدْ وقفا :
قَدَرْتُكَ فوقَ سائرِ وُلْدِ فِرْيامٍ وإيقابٍ
فأنتَ شقيقُ هكطُورَ الشَّفيقُ وَمن بِهِ كَلِفا
وَكيفَ وقد شهدْتَ الخَطبَ والطُّرْوادُ طرًّا في
معاقلِهِمْ قدِ انْحصَرُوا أتيتَ إليَّ مُنْحدِرا »

فقالت: « ياأُخَيَّ أبي وأُمِّي قَبَّلا رُكَبي
وكُلُّ الصَّحْبِ حولَهما بِقَلْبٍ هَدَّ مُكْتئبِ
يَرُوعُهُمُ بُرُوزي خارجَ الأسْوارِ فالتَمَسوا
سُكوني في مَعاقِلِهِمْ بِدَمْعٍ سَحَّ مُنْسَكِبِ
أَبَتْ نفسي البَقاءَ وأنتَ مُنْفَرِدٌ لآخيلٍ
فأَقْبِلْ نَشْحَذَنَّ لهُ صَقيلَ النَّصْلِ والقُضُبِ
إِخالُ دِماءَهُ هُدِرَتْ بِرُمْحِكَ أَوْ لِأُسْرَتِهِ
مَضى في جُثَّتَيْنا ظافراً ودِماءُنا هَدَرا

وراحت تحتَ سُتْرَتِها لِتُعْمِلَ كُلَّ خُدْعَتِها

تَسيرُ امامهُ فخطا بجدٍّ وراءَ خطوتها
وحينَ تقابلَ البطلانِ صاحَ يقولُ هكطورُ :
« أخيلُ هاكَ نفسي الآنَ جاشتْ في حميّتها
أبتْ من بعدُ أن تنصاعَ هالعةً كما تقرّتْ
ثلاثاً حولَ إليونٍ أمامكَ في هزيمتها
وإنَّ الآنَ حدَّ الفصلِ لكنْ فلنقمْ علنا
ونعقدْ عقدَ ميثاقٍ ونقسمْ هاهنا جهرا

ونستشهدْ بني الخلدِ　على الأيمانِ والعهدِ
فهمْ خيرُ الشهودِ على الورى في القربِ والبعدِ
لئنْ أوتيتُ نصراً من لدى زفسٍ فحسبي أنْ
تموتَ وأن تجرّدَ من زهيِّ سلاحكَ الصلدِ
ولكنّي أردُّكَ للأخاءةِ لا هوانَ ولا
أذىً عندي إذاً في مثلِ هذا صادقَ الوعدِ »
فأحدقَ فيهِ شزراً يلتظي آخيلُ قالَ : « صهِ
ولا تذكرْ وفاقاً لا وفاقَ بيننا ذكرا

أبينَ الناسِ والأسدِ　وفاقٌ محكمُ العقدِ
وهل خلتَ العهودَ تصحُّ بينَ الذئبِ والنقدِ[1]

---

(١) النقد صغار الغنم ويراد بها الغنم على الاطلاق

فَكُلٌّ قَلبُـهُ بِضَغائِنِ الأَحقادِ متَّقِـدُ
كَقلبٍ بيننا في غُلَّةِ الأَضْغانِ متَّقدِ
ولا عَهدٌ لنا إلاَّ نِصالُ الصمِّ نُعمِلُها
فيجرَعُ آرسٌ دمَ مَن ثوى في هاتهِ الجُدَدِ
فأبرِزْ بالـبِرازِ لنا قُواكَ ولا مَناصَ هنَا
وقوِّمْ رُمحَكَ العالي وأشْمِلْ سيفَكَ الذَّكَرا (١)

أَثِينا الآنَ تَبتَـدِرُ　بِرُمحي منكَ تَثَّـئِرُ
لِبِهِم قد أَبَدْتَ وأَنتَ بالهيجاءِ تَستَعِرُ » (٢)
وأَطاقَ رُمحَهُ فَمضى وهكطُورُ انحنى حذَرًا
فجاوَزَ رأْسَـهُ لِلأَرضِ لا يَنتابُهُ ضَرَرُ
ولٰـكنْ بادرَتْ فالاسُ تَنزِعُهُ على عَجَـلٍ
وتُرجِعُـهُ لآخيـلٍ وعن هكطورَ تَستَتِرُ
فَصاحَ فتى الطَّراوِدِ : « قد شَطَطْتَ وتَدَّعي زُورًا

(١) قال بعضهم :

وردوا إليك الرسل والصلح ممكن　وقالوا على غـير القتال سـلامُ
فلا قول الا الضرب والطعن عندنا　ولا رسـل الا ذابل وحسامُ

(٢) لا غرو ان يكون هذا التباين بين كلام هكطور واخيل فهكطور الفتى الباسل الورع الغيور على حفظ مقامه حياً وميتاً وليست في صدره تلك الحزازة على اخيل بل قد روى غله بالفتك بفرسان الاغريق ٠ واخيل المغوار الغضوب الواثق بالفوز عليه فلا يعاقده ويواثقه ولا يبرد غله أن يظفر به حياً بل يسوقه الغيظ والاثار الى ان يكسوه رداء الحطة والشنار ميتاً

بِعِلْمٍ مِنْ لَدى زَفسٍ بما لي في القَضا سُطِرا

أَأَنتَ المَينَ والكَذِبا لِتَثْنِيَ هِمَّتي رُعُبا
فَلستَ بِطاعِنٍ ظَهري ولَستُ بِمُنْثَنٍ هَرَبا
ودُونَكَ لِلِّقَا صَدري إذا زَفْسٌ بِذاكَ قَضى
وذا رُمحي عَسى أُلْقاهُ في أَحشائِكَ مُنْتَصِبا
فَوا طَرَبَ الطَّراوِدِ إنْ تَمُتْ فَلأَنتَ آفَتُهُمْ
وبَعدَكَ حَرْبُهُمْ لا أَزْمَةً فيها ولا حَرَبا »
وزَجَّ فَطارَ عامِلُهُ لِقَلبِ مِجَنِّ آخِيلٍ
وَعنهُ ارْتَدَّ لا يَلقى العَدُوُّ بِنَصلِهِ الضَّررا

فَهكطُورُ انْتَظَى قَهْرا لِنَصلٍ زاهِقاً طَرَّا
فَصاحَ يَرُومُ ذِيفُوبا ويَطلُبُ صِعْدَةً أُخرى (١)
ولا أَثَرٌ لِذِيفُوبٍ يَلُوحُ لَدَيهِ فَاضْطَرَبَتْ
جَوارِحُهُ وأَدرَكَ كُنهَ ذاكَ النُّكْرِ والمَكْرا
وصاحَ يَقُولُ : « وا لَهَفا أَرى الأَرْبابَ قاضِيَةً
عَلَيَّ . فَخِلتُ ذِيفُوباً إليَّ مُسارِعاً جَهْرا
فَلَم يَتَعَدَّ أَسوارَ الحِصارِ وتِلكَ فَالاسُ

---

(١) الصعدة النصل

على عيـنيَّ غشَّتْ والحِمامَ أراهُ مُنتَظِرا

فَلاتجوى وزفسُ قضى　　　وآفلُونُ ما اعترَضا

وَكم قد أَوْلَياني قَبلُ ظِلَّ حِمايةٍ وَرِضا

ولكنَّ القَضاءَ أتى فَأَهلاً بالقَضاءِ فلا

مَرَدَّ وَخلتُهُ ما حطَّ مِنْ هِممي ولا خفضا (١)

أَموتُ بعزَّةٍ تُترى لِأَجْيالٍ فَأَجْيالِ

وَمجدٍ باذخٍ بي فَوْقَ أَبراجِ العُلى نَهضا » (٢)

وَسلَّ حُسامَهُ من غِمْدِهِ بِلَباقَةٍ وَمضى

بِقَلبٍ لا تُغيِّرُهُ الخُطُوبُ ولا يَرى الغِيَرا

كَنَسرٍ مِن عُلى السُّحُبِ　　　يَزِفُّ الى رُبى كَثَبِ

عَلى حَملٍ يرى أَوْ أَرْنَبٍ في مَشْعَبِ الهِضَبِ

وَآخِيلُ انْبَرى مُتضَرِّماً غَيظاً بِعزمَتِهِ

بِجُنَّتِهِ التي في الكَونِ أَضْحَتْ آيةَ العَجَبِ

وخُوذَتُهُ التي مِنْ صُنْعِ هِيفَستٍ بِهامَتِهِ

---

(١) قال شبيب بن البرصاء :

دعيني اماجد في الحيوة فانني　　　اذا ما دعا داعي الوفاة مجيبُ

(٢) لا كلام اشد تأثيراً من كلام هكطور هذا . تخلت عنه جميع القوى العلوية فغادره افلون وصرف زفس وجهه عنه وأيقن بدنو اجله وهو لا يفكر ساعة موته الا

تَهِيجُ مُنيرَةً وَيَهِيجُ فيها قَونَسُ الذهَبِ
وَصَعدَتُهُ تَوَجُّجُ كما بليلٍ حالكٍ سَطَعَتْ
تَفُوقُ الزُّهرَ كَوْكَبَةُ المَساءِ وَتَبهَجُ النَّظَرا [1]

فَسَرَّحَ طَرْفَ مُقْلَتِهِ بِهَكْطُورٍ وَشِكَّتِهِ
لِيُبْصِرَ مَنْفَذًا فِيهِ يُوارِي حَدَّ صَعدَتِهِ [2]
وهَلْ تَمضي النِّصالُ بِعُدَّةٍ فَطرُقلُ كَرَّ بِها
وَما هِيَ قَطُّ غَيرُ سِلاحِ آخيلٍ ولأُمَتِهِ
فَأَبصَرَ بَعدَ حِينٍ نَحرَهُ بَرَزَتْ مَفاصِلُهُ
فَبينَ الجِيدِ والكَتِفَينِ بادَرَهُ بِطَعنَتِهِ
فَغاصَ سِنانُهُ في مَخرَجِ الأَرْواحِ مُنتَصِباً
ولٰكِنْ في مَجارِي الصَّوتِ والأَنفاسِ ما صَدَرا

فَخَرَّ ولِلثَّرى ضُرِجا وصاحَ أَخيلُ مُبتَهِجا :
« أَخِلْتَ تَعِستَ فَطرُقلاً يَبِيدُ هُنا وَلا حَرَجا

ان يموت ميتة البطل الباسل عظيم الاجر خالد الذكر

(١) يريد بكوكبة المساء الزهرة ويدعوها أيضاً كوكبة الصباح وكوكبة الراعي

(٢) كانت على هكطور شكة اخيل التي ألبسها فطرقل فلم يكن من سبيل لاختراقها بضرب وطعن ولهذا تشوف اخيل واحدق ليرى له منفذاً بجسم هكطور يطعنه به

أَغرَّكَ أَنَّني قد كُنتُ يا هَكطُورُ مُعتَزِلاً
وَلَمْ تَعلَمْ لِفَطْرُقلٍ ظَهِيراً يَقْحَمُ اللُّجَجا
فَتىً وافاكَ مُحْتَدِماً مِنَ الأَشْراعِ مُنْتَقِماً
فَبِذْتَ وَلَمْ تُزَعْزِعْهُ قُواكَ وَلا لَها اخْتَلَجا
فَرُحْ طُعْمَ النَّواهِسِ والصُّقُورِ وَثَمَّ فَطْرُقْلُ
بِمأْتَمِهِ لَفِيفُ الْجَيشِ سارَ بِحُرْمَةٍ وَسَرى »

فَقالَ بِغُصَّةِ الْحَتْفِ: «بِرُوحِكَ مَصْرَعي يَكْفي
بِحُرْمَةِ والِدَيكَ وَرُكْبَتَيكَ عَلَيكَ بِاللُّطْفِ
وَخُذْ ما شِئْتَ مِنْ أَبَوَيَّ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ صُفْرِ
فَلا تَخْلُو الكِلابُ بِجُثَّتِي في ذٰلِكَ الْجُرْفِ
وَجُدْ لَهُما بِجِسْمي يَذْهَبانِ بِهِ لِصَرْحِهِما
فَتُحْرَقُ أَعظُمي وَعَليَّ يَهْمُرُ وابِلُ الطَّرْفِ »
فَصاحَ أَخِيلُ: « وَيْلَكَ لا بِحُرْمَةِ والِدَيَّ وَلا
بِقُبْلَةِ رُكْبَتَيَّ تُجابُ يا ذا الكَلْبُ مُعْتَذِرا

وَدِدْتُ لَوَ انَّني غَضَبا بِلَحْمِكَ أَقْتُلُ السَّغَبا
لِما جَرَّعْتَني غُصَصاً وَما أَوْرَثْتَني كُرَبا [1]

---

(١) السغب الجوع • قال عمر بن أبي ربيعة عن لسان عائشة بنت طلحة :

فَلا غيرُ الكلابِ تَشُقُّ رأسَكَ لو همُ بَذلُوا
فِداءَكَ عَشرَ أو عِشرينَ فِديَةَ ميّتٍ ذَهَبا
ولوْ فِريامُ أدّى ثِقلَ جِسمِكَ عسجَدًا صِرْفاً
فَأُمُّكَ حولَ نَعشكَ لَنْ تَفيضَ شَجىً وَتَنتَحِبا »
فَقالَ بزاهِقِ الأنفاس : « آهِ أَجلْ بَلوتُكَ ذا
جَنانٍ كالحديدِ فلَنْ يَلينَ أَسىً وينكسِرا

أَلَسْتَ الآنَ تَخشى أنْ يُهالَ عليكَ غيثُ مِحَنْ
وتَنقَمَ لي سَراةُ الخُلدِ منكَ ولَو عَقيبَ زَمَنْ
وتُنكَبَ يومَ فاريسٌ وفيبوسٌ بإسكيا
بقتلكَ يَخمِدانِ صِلى احتدامٍ بالفؤادِ كمَنْ » (١)

حتى لو استطيع مما قد فعلت بنا اكلت لحمك من غيظ وما نضجا
ويقرب منه قول ذو الاصبع العدواني :
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم ولا دماؤكم جمعاً ترويني
(١) يتنبأ هنا هكطور ساعة موته بدنو أجل اخيل كما تنبأ فطرقل وهو يحتضر بدنو اجل هكطور وفي هذا دليل آخر على انهم كانوا يعتقدون ان نفس المحتضر تنطق بالمغيبات — وكأن هكطور يقول لاخيل قول الحارثة بن بدر :
يا أيها الشامت المبدي عداوته ما بالمنايا التي عيرت من عار
تراك تنجو سليماً من غوائلها هيهات لا بد ان يسرى بك الساري
أو قول الفرزدق :
اذا ما الدهر جرّ على اناسٍ كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وأسبَلَ فوقَ مُقْلتِهِ ظَلامُ المَوتِ سُتْرَتَهُ
وأمَّتْ رُوحُهُ سقَراً تَطيرُ على اسىً وشَجَنْ
وتَنْدُبُ بَأسَهُ وشَبابَهُ ومَصيرَهُ فَثَوى
هُنَاكَ وصاحَ آخِيلٌ بذاكَ الفوزِ مُفتَخِرا :

« ألا مُتْ صاغِراً وأنا أمُوتُ إذا الحِمامُ دَنا
ورُوحي حينَ يَقْضي أمرُ زَفْسَ تُفارِقُ البَدَنا »
وجَرَّ سِنانَهُ مِن نَحرِهِ يُلْقيهِ في طَرَفٍ
وجَرَّدَهُ السِّلاحَ فنالَ أبعَدَ بُغيةٍ ومُنى
وأقبَلَتِ الأخاءةُ حَولَ ذلكَ القَرمِ مُكْبِرَةً
جَمالاً زانَ طَلْعَتَهُ وكُلٌّ طَعْنَةً طَعَنا (١)
يَقولُ :« الا اعْجَبُوا ما كانَ أرْوعَهُ وقد أورى

(١) يستفاد من هذه العبارة وما اشبهها انهم كانوا يمثلون بالقتلى كسائر الامم في العصور الخالية — كانت المثلة كثيرة في جاهلية العرب حتى لربما خرج النساء الى ميدان القتال ومثلن بقتلى الاعداء اشنع مثلة . قال ابن الاثير : « ووقعت هند وصويحباتها (في غزوة أُحد) على القتلى يمثلن بهم وقد اتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خزماً وقلائد » ولكن الاسلام بعد تلك الغزوة نهى على المثلة . ذلك أنه لما قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ووقف عليه النبي وقد مثل به كان منظرهُ موجعاً لقلبه فقال له : « رحمك الله اي عم فقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات فلئن ظفرني الله بالقوم لامثلن بثلاثين رجلاً منهم » قال مؤرخو العرب فنزلت الآية « وان عاقبتم . . . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » فصبر النبي ونهى عن المثلة

سَفائِنَنا فما هُوَ لا يَرُوعُ ولا صِلاهُ يُرى »

وآخيلٌ مُذِ انتزعا جميعَ سلاحهِ هرعا
يَصيحُ بِذُرْوَةٍ مِن حَيثُ سائرُ جيشهِ سَمِعا :
« ألا يا صحبِ يا أقيالُ فالأربابُ قد دفعتْ
لَكُمْ مَنْ زادَ هولاً عن جميعِ الجيشِ مُجتمعا
ألا ما رُمْتُمُ إليُونَ بالبتَّارِ ندهمُها
لِنَعلَمَ ما عليهِ أهلُها والخطبُ قد صدعا
أينصاعُونَ مُنحازينَ عَنْ أبراجِ معقلِهِمْ
أمِ ارتأَوُا البقاءَ وثابرُوا في عزمِهِمْ كبرا

علامَ العزمُ قد هجسا بِصدري الكرَّ ملتمسا
وفطرُقْلٌ صريعٌ لا يَفيضُ عليهِ دمعُ أسى
ولا قبرٌ يُوارِيهِ ولا أحبابَ تبكيهِ
فنفسي آهِ لَنْ تنساهُ ما بي رَدَّدتْ نَفَسا
سأذكرُهُ ولو في منتهى أعماقِ آذيسِ
ولو كلٌّ سَلا كلَّ الأنامِ هُناكَ إن حُبِسا (١)

---

(١) اي لن انساه حتى ولو مت وانحدرت الى اعماق الجحيم حيث ينزل كل ميت وحيث ينسى كل انسان جميع الناس — هذا أخيل ثمل بخمرة الانتصار يفتك بألد خصومه وتذل له اعداؤه وتبتهج به احباؤه فلم يبق من ثمة مانع يمنعه

بنا يا فتيةَ الإغريقِ سيرُوا لِلسَّفينِ إذًا
بِهَكطورٍ على نَغَمِ النَّشيدِ نُمرِّجُ الكَدرا :

« قتلْنا القرْمَ هكطُورا وعادَ الجيشُ منصُورا
فأينَ فتى الطَّراودِ مَن كَرْبٍ كانَ مقدُورا » (١)

من ذلك معاقل الطرواد وكلهم هالع رعباً فيهم بالاندفاع الى اليون مع جيشه المتعش واذا بذكرى فطرقل تهيجه اسى فيرجيء ذلك الى ان يتم الاحتفال بمأتم حبيبه فيؤثر واجب الولاء على ابادة الاعداء • وهو تصرف من الشاعر بديع اذ اسلف ان تدمير اليون لايتم على يد أخيل فلم يكن يصح ان يخالف ماضي قوله فالتمس لاخيل بالعودة عذراً هو اجمل الاعذار

(١) انسير الجماعات على نغم الانشاد عادة متبعة منذالقدم في جميع الامم ولا سيا اذا كانوا سائرين في مهمة لامر جلل • يشبه غناء الاغريق هنا وهم راجعون الى سفائنهم تغني بنات اسرائيل عند رجوع داود من مقتل جاياد الجبار الفاسطيني اذ هتفن وقلن « قتل شاول الوفه وداود ربواته » (١ مل ١٨ : ٧) والغالب في هذه الاغاني ان تكون عبارات مختصرة تكرر وتردد مراراً كما هي العادة اليوم في بادية العرب يقول واحد او أكثر من المنشدين قسماً منها ويردد الباقون ما بقي وعلى هذا فلا اخال الا اخيل منشداً وحده قوله

قتلنا القرم هكطورا وعاد الجيش منصورا

والباقون يرددون قوله :

فأين فتى الطراود من كرب كان مقدورا

وتعرف هذه الاناشيد عند عرب البادية لعهدنا باسم « الهوسة » يدعونها بهذا الاسم لانهم يتهوسون به لامر خطير • ولكل عشيرة منهم هوسة خاصة بها • فهوسة عنزه « القلايع ياسْبَقة • خيال العشوة مطرفي » يتحمسون بذلك على اخذ قلائع الفرسان • وهوسة شمر « صبيان زوبع ياهلي » يقولون ذلك من باب المنافرة والحماسة • ولهم فضلاً عن ذلك هوسات ينظمونها عند مسيس الحاجة كقول عشائر الهندية

وبالغَ في الهَوانِ فَشقَّ كَعبيهِ يَشدُّهما
بسَيرٍ للعِجالِ وظَلَّ رأسُ المَيتِ مجرُورا [(١)]

وحَلَّ بعرشهِ وسلاحُ هكطُور براحتِهِ
وساقَ الجُردَ فاندفعَتْ تُثيرُ النقعَ ديجُورا

وحالِكُ فرعِ تِلكَ الهامةِ الحسناء منتشِرٌ
عليها وَهيَ سائلةٌ دِماها تَلطمُ الحجَرا

كَذلِكَ زَفسُ أَلقاهُ هُناكَ لِهُونِ أعداهُ
يُدنِّسُ حُسنُ طَلعَتِهِ بِعشيرِ أرضِ مَنشاهُ

وإيقابُ ببرقُعِها رَمتْ تَبكي مُولوِلَةً
تُقطِّعُ شَعرَها وتَصيحُ نائحةً لِمرآهُ

وفِريامُ لِجانبِها يَئنُّ بغُلِّ حسرتِهِ

وهي تحارب مدحت باشا والي بغداد بقيادة شيخها وادي « قم وادي وبغداد ارتجت »
وهي عبارة يرددونها مئات والوفاً من المرات

(١) شق اخيل كعبي هكطور ليربطه الى المركبة فتجره كما كان يروى في جاهلية العرب عن ربط الاسرى والقتلى باذناب الخيل وهي مبالغة في الهوان وغير جديرة بمخلوق يدعي انه انسان ولكنه لم يكن بد من ذكر ذلك استكمالاً لعتو اخيل وجريه على مألوف ذلك العصر . ولربما تنبه القارىء مما رأى قبل هذا انه حيث اضطر الشاعر الى ذكر شيء من الفظائع ذكرها استتماماً للفائدة ولكنه لايلبث ان يستهجنها ويشمئز لها كقوله في هذا الموضع « وبالغ في الهوان » كأنه يريد ان يقول ان الفظيع من الاعمال انما يذكر تنفيراً للناس منه وليس ارتياحاً لحفظ الرواية عنه

وحولَهما عَلا وبكلِّ تِلكَ الارض مَنعاهُ
وضجَّ الجيشُ منتحباً كما لو كُلُّ إليُون
سَعيرُ النارِ ألهبها وكلُّ رُبوعها دَمرا

وكادَ الشيخُ يَنهزِمُ مِنَ الأبوابِ رَغمهمُ
فَصدُّوهُ وما كَذَبوا وفي أحشائهِ ضَرَمُ
فخرَّ على السَّمادِ تَمرُّغاً مُستحلِفاً هذا
وذلكَ مُستغيثاً ثمَّ قامَ يَصيحُ بينهمُ :[1]
« بحقِّكمُ دعوني أبرحِ الأبراجَ منفرداً
الى فُلكِ العُداةِ ولو بعادي الآنَ ساءكمُ
لَدى ذيالكَ العاتي بشَيبي وانحنا ظَهري
أذِلُّ فرُبَّما لهما بعَينِ عِنايةٍ نَظرا

فإنَّ لهُ أباً هِمّاً نَظيري يُدرِكُ الهمّا
ويا لِلخَليقةِ أهمَتْ عَلينا الأبؤسَ الدُّهما
ومهما نالكُم مِنْ شَرِّهِ فَبليَّتي أدهى

(١) كانت عادة الاقدمين اذا اصيبوا بمصيبة ان يذرّوا التراب على رؤوسهم ويجلسوا على الرماد والسماد فان ايوب لما ابتلي جلس على الرماد . ولما عاده اصحابه « رفعوا اصواتهم وبكوا وشق كلٌّ منهم رداءهُ وذروا تراباً فوق أرؤسهم نحو السماء وجلسوا معه على الارض (أيوب ٢ : ١٢ — ١٣)

فَكَم لي في الشَّبابِ الغَضِّ أَفنى فِتيةً بهِما
بَكيتُهمُ وأَبكِيهِمْ ولكِنْ كُلُّ حَسْرَتِهِمْ
جميعاً لا تُوازي حُزْنَ هكطُورٍ فوا غمَّا
أَيا هكطُورُ حُزْنُكَ سوفَ يَنزِلُ بي الى قَبْري[1]
أَلا ما بينَ أَذْرُعِنا صرَمْتَ بِموتِكَ العُمُرا

لَكانَ هُنا العزا دارا فأَشبَعَ لاعِجاً ثارا
بِقَلبِ أَبٍ وأُمٍّ يَذرِفانِ الدَّمعَ مِدرارا »
وغَصَّ بِفائضِ العَبَراتِ والحَسَراتِ مُنْتَحِباً
وَمن حَولَيهِ دمعُ القومِ بَحراً فاضَ ذَخَّارا
وبينَ نساءِ طُرْوادٍ بَدَتْ إيقابُ نادِبةً :
« بُنَيَّ علامَ أَشقى بالحَياةِ وأَلتَظي نارا
وأَنتَ بُنَيَّ مُتَّ وكُنتَ في يَومي وفي لَيلي
فَخاري وابْتِهاجي وابْتِهاجُ جَميعِ مَن حضَرا

وكُنتَ ظَهيرَنا البَرَّا تَشيدُ لِقومِكَ الفَخْرا
تَكادُ تَكُونُ بالإجلالِ مَعبُودَ السُّرى طرًّا
ودَفَّاعَ البَلا عَنْ بِهِمْ طُرواد ونِسْوَتِها

---

(١) كثيراً ما يقال هذا الكلام عند اشتداد الحزن على فقيد . قالت الخنساء :
فلا والله لا انساك حتى افارق مهجتي ويشق رمسي

فها قد غالَكَ الحَتْفُ المُرِيعُ بحُكْمِهِ قَسْرا» [1]
وأَمَّا أَنْدَرُوماخُ فَمَا إِنْ جاءَها نَبَأٌ
بأَنَّ القَرمَ هَكْطُوراً وَراءَ حِصارِهِ خرَّا
وكانَتْ في أَعالي القصرِ تَنْسُجُ ثوبَ بِرْفيرٍ
تُبَطِّنُهُ وتَنْقُشُ فَوقَهُ مِن وَشْيِها غُرَرا

وقد قامت جَوارِيها لَدى النِّيرانِ تُذْكِيها
وتَحْمي الماءَ في قِدْرٍ لِيَسْبَحَ زَوجُها فيها
فَيا لِمُصابِها لم تَدْرِ آتِينا بهِ فَتَسكَتْ
بِكَفِّ أَخيلَ لا غُسْلٌ لِبَعلٍ لَن يُوافيها
فَقامَتْ ضَجَّةٌ في البُرْجِ بَينَ بُكًى وَوَلْوَلَةٍ

---

(١) ما اشبه رثاء ايقاب برثاء ام بسطام بن قيس لابنها بسطام المقتول يوم الشقيقة بين بني شيبان وبني ضبة بن ادّ . قالت :

لِيبكِ ابن ذي الجدين قيس بن وائلٍ فقد بان منها زينها وجمالها
اذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم نجوم سماءٍ بينهن هلالها
عزيز المكرّ لايهدّ جناحه وليث اذا الفتيان زلت نعالها
وحمال أثقال وعائذ محجرٍ تحل اليه كل ذاك رحالها
سيبكيك عانٍ لم يجد من يفكه ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكي اسرى طالما قد فككتهم وارملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك الـ حروب اذا صالت وعزّ صيالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة وتلك لعمري عثرة لاتقالها

فَخارَتْ بَينَ بَلْبَلَةٍ وأَشْجانٍ تُلَظِّيها
وكَفَّاها الوَشيعةُ مِنهما سَقَطَتْ بِدَهْشَتِها (١)
وصاحت بالحِسانِ وشَعْرُهُنَّ جَدائلاً ضُفِرا :

« أَلا مِنْكُنَّ ثِنْتانِ　مَعي فَورًا تَسيرانِ
لِتَنْظُرَ ما جَرى فَبُكى حَماتي هاجَ أَشْجاني
فَقَلْبي خافِقٌ حتَّى يَكادَ يَطيرُ فَوقَ فَمي (٢)
وثِقْلَةُ رُكْبَتيَّ تَكادُ تَطْرَحُ جِسْمِيَ العاني
أَرى خَطْباً فَظيعاً داهِياً أَبْناءَ فِرْيامٍ
فَلا طَرَقَتْ نَواعي الخَطْبِ آهِ وآهِ آذاني
كَأَنِّي بِأَبنِ فِيلا حالَ دُونَ قُفُولِ هَكْطُورٍ
وفي آثارِهِ في السَّهلِ صالَ عَلَيهِ مُنْتَصِرا

نَعَمْ هَكْطُورُ آهٍ لا　يَذِلُّ لِمِحْنَةٍ أَصلا
وَيَقْتَحِمُ المَعامِعَ في الصُّدُورِ ولا يَرَى ذُلاًّ »

---

(١) الوشيعة خشبة النسج

(٢) راجع ما تقدم لنا بهذا المعنى (ن : ٩ ص : ٥٥٠) . قال الشماخ :

وبات فؤادي مستخفاً كأنه　خوافي عقاب بالجناح خفوقِ

ومن هذا القبيل قول عنترة :

كأن فؤادي يوم قمت مودعاً　عبيلة مني هاربٌ يتفجَجُ

وَمِنْ ثَمَّ أُنْبِرَتْ تَعدُو بِغَيرِ هُدًى وِنِسوَتُها
جَرَينَ وَراءَها حَتَّى عَلَونَ المَعْقِلَ الاعلى
فَسَرَّحَتِ النَّواظِرَ في السُّهُولِ فَلاحَ هَكْطُورٌ
بِهِ خَيلُ ابنِ فِيلا قد طَوَتْ وَاوِيلَهُ السَّهْلا
رَأَتْ وجُفُونُها انْطَبَقَتْ وَفي أَنْفاسِها شَهِقَتْ
وَاهْوَتْ فَوقَ وَجهِ الأَرْضِ لاحِساً وَلا بَصَرا

وَمِنْ فَوْقِ الثَّرى انْتَثَرَتْ حُلِيُّ الفَرْعِ وَانْتَشَرَتْ[1]
جَدائِلُ طُرَّةٍ وَضَفائِرٌ في وَفْرَةٍ وَفَرَتْ
وَهُدَّابُ الذَّوائِبِ والشِّباكُ وَخيرُ مِقْنَعَةٍ
لَها مِنْ قَبلُ عَفْرُوذِيتُ يَومَ زِفافِها ادَّخَرَتْ[2]
وَخَفَّتْ وانْبَرَتْ مِنْ حَولِها أَخواتُ هَكْطُور
وَكُلُّ نِساءِ إِخْوَتِهِ تُجِلُّ الخَطْبَ مُذْ نَظَرَتْ
على راحاتِهِنَّ رَفَعْنَها وَالنَّفْسُ زاهِقَةٌ
وما لَبِثَتْ أَنِ انْتَعَشَتْ وغَيثُ دُمُوعِها انْهَمَرا

---

(١) الفرع الشعر

(٢) يظهر من وصف هوميروس لحلي شعر النساء انهن كنَّ يجدلن شعرهن ويضفرن الوفرة التي في مقدمة الراس وحول الصدغين وباقيها مضفورة على قمة الراس ويجمعن اليها الذوائب ويسبلن على كل ذلك شبكة تجمعه ثم يضعن البرقع او القناع على الوجه وفي ذلك من حسن الذوق ما لا يفوقه تفنن بنات عصرنا

وَصاحت تَقطُرُ المُهَجا : « أيا هكطورُ واوَهجا
أَطالِعُكَ الشقِيُّ بِطالِعي من يَومِهِ امْتَزَجا
وُلِدْنا أنتَ في طرواد بينَ قصورِ فِرْيامٍ
وفي ثِيبا أنا في صَرحِ إِيتيُنٍ لِعَيشٍ شجي
نَشَأتُ وليتَني ما إِنْ نَشَأتُ بِنِعمَةٍ لأَبي
فَيا لِشقا ابْنَةٍ وَشقا أَبٍ بِنشوئِها ابْتَهجا
فَأَنتَ الآنَ يا هكطورُ منْحَدِرٌ الى سقَرٍ
وزوجُكَ أَيِّماً تبقى بِصَرْحِكَ تلتَظي سقَرا [(١)]

وهذا الطِفلُ في المَهْدِ يَتاجُ الغَمِّ والجَهْدِ
فلنْ تُجْدِيهِ نَفعاً أَنتَ وَهوَ النَفعَ لَنْ يُجْدي
فَإِنْ هوَ مِن خُطُوبِ الحَربِ يَنْجُو كَمْ بَلا وبَلا
يُحيقُ بِهِ وَكَم عاتٍ تَجاوَزَ خُطَّةَ الحَدِّ
تَعيثُ بِهِ مَطامِعُهُ فَيَسْلُبُهُ مَزارِعَهُ
وما إِنْ لِليَتيمِ يُرى صَديقٌ صادِقُ الوُدِّ

---

(١) من رثاء عاتكة بنت عمرو بن نفيل لزوجها عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق :

فآليت لاتنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فتى طول عمري ما ارى مثله فتى اكرّ واحمى في الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها الى القرن حتى يترك الرمح احمرا

فَيُطْرِقُ ذِلَّةً وتَسِيلُ أَدْمُعُهُ ويَذْهَبُ في
طِلابِ رِفاقِ والِدِهِ إذا ما ذَلَّ وافْتَقَرا

يَجُرُّ رِداءَ ذا خَجَلا ويَسْحَبُ بُرْدَ ذا وَجَلا
وإن ما نالَ مِنْهُمْ نالَ كأْساً ما رَوَتْ نَهَلا
يَبُلُّ بِمائِها شَفَتَيهِ ظَمْآناً عَلى ظَماءِ
وهَيهاتِ اللَّهاةُ على صَداها تَرْتَوي بالَلا
ورُبَّ فَتًى فَخُورٍ في أَبيهِ وأُمِّهِ قِحَةً
على الأَدُباتِ يَلْطِمُهُ ويَصْرُخُ فيهِ : « قُمْ عَجِلا
لُعِنْتَ فما هُنا لِأَبِيكَ حَظٌّ في وَلائِمِنا »[1]

---

(١) تتلهف اندروماخ على ماسينال ابنها اليتيم من الذل في الولائم وذلك مصداق قول العرب « اضيع من الايتام في موائد اللئام » ــ الظاهر من مواضع كثيرة في الالياذة ان مآدب القوم كانت كثيرة الاشكال مختلفة الاحوال يعنون بها ويفخرون ولكنه لم يفصل انواعها كما جاء اكثرها مفصلاً في كتب العرب وقد جمعها صاحب مجمع البحرين بقوله :

للنفساء الخُرس والعقيقه للطفل عند عارف الحقيقه
كذلك الإعذارُ للختانِ وذو الحِذاق حافظ القرآنِ
للخطبة الملاك والوليمه للعرس والميت له الوضيمه
وللبناء جعلوا الوكيرة وللهلال رجب العقيره
وقيل تحفة لزائر يرد وشندخٌ لما يضلُّ اذ وُجد
كذا نقيعة القدوم من سفر ثم القرى للضيف عند ما حضر

فَسَيَرْجِعُ أَسْتِياناسٌ إِلَى يَنُوحُ مُنْتَهِرا

بِجِرابٍ وأيِّ أبٍ　يُغَذِّيهِ على الرُّكَبِ
على مُخٍّ وشَحمٍ مِن سَمِينِ الضَّأْنِ قَبلُ رُبي
وإِنْ أَجفانُهُ انْطَبَقَتْ نُعاساً وارْتَوى لَعِباً
على راحاتِ مُرْضِعِهِ يَنامُ بِفُرْشِهِ القُشُبِ
فَأَضحى الآنَ واوَيلاهُ إِذ يَتَّمْتَهُ طِفْلاً
أَيا هَكْطُورُ إِلْفَ عَنا عَقِيبَ اللَّهْوِ والطَّرَبِ
دَعَوهُ أَسْتِياناساً لِذَودِكَ عن مَعاقِلِهِمْ
وبِتَّ الآنَ طُعْمَ الغُضْفِ والدِّيدانِ مُحْتَقَرا (١)

وَعُرْياناً لَدى السُّفُنِ　غَدَوتَ بِزِيِّ مُمْتَهَنِ
وَكَمْ من حُلَّةٍ لَكَ في الدِّيارِ تَجِلُّ عن ثَمَنِ
سَأَطْرَحُها جَمِيعاً لِلَّهِيبِ وَلَيسَ لي أَرَبٌ
بِها مِن بَعدِ أَن حُرِمَتْ على ذَيّالِكَ البَدَنِ

وحينها لم يك من ذاك سبب　فانها مأدبة عنـد العرب
وان تعم دعوة فالجفـلى　تدعى وان خصت فتلك النقرى

(١) الغضف الكلاب . ومعنى استياناس ملك المدينة وهو الاسم الذي يسمي به الطرواد ابن هكطور . اما الاسم الذي كان يعرفه به أبواه فهو اسكمندريوس (راجع ن ٦ ص٤٧١)

لِتَذهبْ حُرْمَةً لكَ مِنْ لدى الطُّرْوادِ مُحْرَقةً
لِذَوْدِكَ طُولَ عُمْرِكَ عَن ذِمارِ الأَهْلِ والوَطَنِ »
كذلكَ أَنْدَرُوْماخُ بِلاهِبِ لُبِّها ناحتْ
وكُلُّ نِساءِ إِلْيونٍ ذَرَفْنَ لِنَوْحِها العِبَرا (١)

---

(١) لا أحاول وصف بدائع المعاني بل معجزاتها في مناح أبي هكطور وأمه وامرأته فقد تستحيل عليَّ توفيتها حقها • واني مجتزئ باستلفات نظر المطالع الى تصرف الشاعر الذي لايفوته جزئي ولا يغفل عن كلي فيضع كل شيء موضعه كأن الشعر بين يديه طينة يجبل منها ما شاء لما شاء

أبرز لنا بادئ بدء فريام الشيخ يستطلع طلع الاخبار شأن الملك الساهر على رعيته فكان أول شاهد لمقتل ابنه فأخذه الجزع واليأس وما بعد ذلك الا ان يتمرغ على الارض ويلتطم وينوح ويهم بالالقاء بنفسه الى خارج الاسوار بغير هدى فراراً الى قاتل ابنه يستوهبه اياه ميتاً ليحتفل بمأتمه قياماً بواجب الملك القاضي باجلال ذكر الابطال وواجب الابوة القاضي باعلاء ذكر البنين — ثم بدت لنا ايقاب تندب ابنها ندب الامهات اللائي علمن بعجز رجالهن ورمين بكل أبصارهن الى أبنائهن البارّين بهن المشفقين عليهن — واذ انتهى من ذلك مثل لنا اندروماخ فكان بمرآها ومبكاها صورة ناطقة للمرأة الايم وبين يديها طفل يتيم لايعي شيئاً من ذلك المصاب الاليم وانما ستكون حياته كلها ألماً ومصاباً فكان حزنها فوق حزن الامهات والاباء وبلاؤها فوق كل بلاء • ولم يوقفها مع من وقف على السور اذ اراد ان يبين انها اشغل بزوجها منه بسواه حياً وميتاً فهي تنسج له (او لابنه) ثوباً من البرفير وبين يديها الجواري يعدون له الماء ليغتسل من غبار المعارك • وله بذلك مأرب آخر وهو ان يوطئ تلك التوطئة ليبلغها الخبر فجأة فيكون له في نفسها ذلك الوقع ليرسم الحزن باشق حالاته • وما هي ان بصرت بزوجها صريعاً حتى شهقت « واهوت فوق وجه الارض لاحساً ولا بصرا » وما انفتح جفناها حتى أخذت تنوح تلك المناحة التي تتفتت لها الاكباد ويتفطر الجماد بعبارة ترى على سذاجتها صاعدة من لب الفؤاد

النشيد الثالث والعشرون

مأتم فطرقل

مُجْمَلُهُ

شرع اخيل في التأهب لمأتم حبيبه فطرقل فأمر باعداد الطعام . فـأبى اصحابه ان يغتسل من الدماء التي تخضب بها فأبى الا ان يبقى على حاله الى ان يدفنه . وبعد اللتيا والتي تناول شيئاً من الطعام في مضربه ولكنه لم يغتسل وأرفض الجمع كلٌّ الى مرقده . فظهر فطرقل في الرؤيا لاخيل وطلب اليه ان يعجل بدفنه فمدّ اخيل يده ليقبله فاستيقظ واذا به حلمٌ . ولما بزغ الفجر اسرع الجند الى جبل ايذة للاحتطاب فجمعوا الوقود والقوا عليه الجثة فقص اخيل شعره ليحرق مع القتيل وذبح خيلاً واثني عشر فتى من الطرواد ليحرقوا فوق جاحمه . واما هكطور فحفظته الزهرة وافلون من الفساد . واضرموا النار فلم تضطرم الا قليلاً فتضرّع اخيل الى الرياح فبادرت واضرمت اللهيب ولما احترقت الجثة جمعت العظام ودُفنت ثم تهيأوا للالعاب المعتادة وأعد اخيل الجوائز فتسابقوا بالعجال ثم برزوا للكلام والصراع والسباق عدواً والبراز بالسلاح والتخاطر بقذف الكرة والمناضلة وزج الرماح وهكذا انتهت الحفلة

ينتهي اليوم الثلاثون في اول هذا النشيد وفي الليلة التالية يظهر فطرقل لاخيل . واليوم الحادي والثلاثون للاحتطاب . والثاني والثلاثون لاحراق الجثة . والثالث والثلاثون للالعاب . ويجري ذلك على شاطىء البحر

النشيد الثالث والعشرون (١)

إِلْيُونُ بالنَّحيبِ والحِدادِ وفَيْلَقُ الإِغريقِ بارْتِدادِ

(١) يرى الجم الغفير من شراح هوميروس وقرّائه ان هذا النشيد والذي يليه لم يكونا في الاصل من الالياذة وانما أضيفا اليها بعد حين • وحجتهم في ذلك ان وقائع الالياذة انتهت بمقتل هكطور وليس في هذين النشيدين شيءٌ من مواقع الطعان ومواقف الجيشين حول اليون وهي محصورة • ولهذا خطأ بعضهم هوميروس على اضافة هذين النشيدين • وقال آخرون بل هما من نظم شاعر آخر الصقهما بالالياذة • وكلا القولين فيما أرى خطأ فاحش • اما القول بكونهما لشاعر متأخر فغير معقول واي قريحة تنتج من مثل هذه اللآلئ ولا تحرص على احراز فخر ابتداعها فتنسبها الى غيرها وانّ قيل انه ربما ذهب اسم الناظم ضياعاً بتقادم العهد فهوميروس اقدم عهداً على ما يعلمون • وفضلاً عن ذلك فسلسلة الالياذة حلقات آخذ بعضها برقاب بعض فحيثما بدا تراخٍ ولو طفيف في تلاحمها ظهر ذلك ظهور الشمس كما ابنا الامر في مواضعه • واسلوب نظم هذين النشيدين ولغتهما والتصرف بمعانيهما وارتباط حوادثهما بما سلف كل ذلك يؤيد القول انه لايمكن ان يكون ناظمهما الا ناظم ما تقدمهما من الانشاد كما اسلفنا في المقدمة

اما تخطئة هوميروس على الحاقهما بالالياذة فخطأ اعظم لانه لم يفت القارىء اللبيب ان موضوع المنظومة غضب أخيل وليس مقتل هكطور وذلك بيِّن من أول بيت في اول نشيد • فلو اقتطع الشاعر منظومته عند مقتل هكطور لكان في وقوفه نقصٌ يلام عليه اذ لم يبدِ بعد من اوجه الغضب الا اوجه العنف والانتقام • فلو وقف بنا الشاعر هنا لمثّل لنا أخيل وعليه بنيت كل المنظومة وحشاً ضارياً لا بطلاً أنوفاً ابياً تزينه على خشونة الابطال مزايا أكرم الرجال — كان آخر عهدنا به يشق عقبي هكطور فيشده الى مركبته فيجرره على الثرى جر الهوان بعد ان شفى غلته بقتله وهي فعلة لامه عليها نفس الشاعر • ولم نر بعد شيئاً من حلمه وسكينته وعفوه ورفقه بوالد هكطور الشيخ اليفن ودفعه اليه جثة ابنه لتدفن دفن الرفعة والاجلال • افيكون النشيدان دخيلين لا اصيلين وفيهما هذه الحلية الرفيعة والحلة البديعة

لِلثَّغرِ والسُّفْنِ حيثُ انْتَشَرُوا كُلٌّ الى أُسطُولِهِ يَبتَدِرُ
لَكِنْ أَبى آخِيلُ أَنْ يَنْحَلاَّ خَمِيسُهُ بَلْ في سُرَاهُ ظَلاَّ (١)

ثم لايفوتن اولي الادب ان هوميروس لم يكن راوية قصّاصاً يحوم بالمطالع حول ضالته وهي دفينة في ثنايا مخيلته ويظل يراوغه الى آخر الرواية حتى اذا استنزف صبره ابرزها له في الختام على احد صورها وغادره وشأنه يطلق لفكرته عنان التصور بقياس ما سيكون على ما كان • بل هو شاعر مؤرخ يفرغ التاريخ بقالب شعري ويدون روايات كان معظمها معروفاً في عصره فوشاها ورصعها وما ابتدعها وانما ابتدع فيها ابكار المعاني • وشاعرٌ مهذِّب حكيم يأتيك بالحكمة من حيث لاتدري ويمثلها لك تمثيلاً فلا تمّحي من ذاكرتك فينطق لك الحي والجماد وما هو منطق غير الخلّاق العظيم • وشاعرٌ عالم يحيطك علماً بما بلغه عصره من معرفة وما ادخره من علم ضاع لولاه • وشاعرٌ مطرب مجيد اجتمعت فيه علاوة على ما تقدم كل مزايا الشعراء فلم يكن من شأنه ان يبتر منظومته في آخر النشيد السابق ويلقى علينا عبء التكهن بما سيكون من مأتم فطرقل ومناحة هكطور وما يتبع ذلك من فوائد لم يستبقها لهذا الموضع الا لعلمه انه مدّخر لها موضعها

ولا بدّ من التنبيه الى فائدة اخرى لاتحصل الا بتلاوة النشيدين الاخيرين • فلطالما رأينا الشاعر اثناء تدوين مواقعه يضع نفسه موضع سامعه فاذا انس منه مللاً من اطالة شرح فكهه بقصة تعترض في الحديث او نكتة تلهيه هنيهة او حكمة تصرف عنه العناء فينتقل مع جليسه من باب الى آخر وهذا دابه أبداً حتى لا تأخذ السامع السآمة فيظل متشوفاً الى ما يلي متشوقاً الى استتباع البحث — فاذا كان هذا شأنه في كل نشيد من انشاده فما الظن بمجمل منظومته • لقد كان هوميروس اعظم من ان يجهل ان من اتى على تلاوة آلاف من الابيات ورأى ما رأى فيها من طراد وجلاد واسنة حداد وازمات شداد لابد ان يتوق الى الابتعاد عن مواقف الحرب ويغادر الطعن والضرب ليأنس بمشهد جديد يخفف به عن نفسه ويسكن ثائر حسه وان لم يكن من محسنات هذين النشيدين الا هذا لكفى

(١) الخميس الجيش والسرى رؤساء الكتائب • رأينا في النشيد السابق ان

قامت على انتظامها الصفوف ‏ فصاح وهو بينهم يطوف :
« مرميد يا فرسان يا رجالي ‏ لا تفصلوا الخيل عن المجال[1]
بل قربوهن بذا المجال ‏ نبكي ونرثي غرة الأبطال
فطرقل فالندب بلا محال ‏ فرض على ميت صريع خال
فإن روينا غلة النكال ‏ حلت وهيأنا بلا بلبال
وضيمة نعدها في الحال »[2]

فهطلت دموعهم جميعا ‏ وخف أخيل بهم سريعا
وحول فطرقل ثلاثاً داروا ‏ بخيلهم ودمعهم مدرار
تزيدهم ثيتيس حزناً عيلا ‏ فولولوا وأكثروا العويلا
حتى جرى ما سح من تلك العبر ‏ غيثاً على السلاح والسهل انهمر

اخيل قتل هكطور وهم بالهجوم على اليون ثم فكر بفطرقل فارتد بالجيش ليقيم له مأتماً ويدفنه فانحل عقد الاغريق ورجع كل الى سفينته واما هو فحفظ نظام جنده اجلالاً لرفيقه وهذا ما يدعونه اليوم بتأدية واجب الشرف العسكري (Honneurs Militaires)

(١) نظمنا هذا النشيد من بحر الرجز واتبعنا فيه اسلوباً جديداً فجعلنا قوافيه في الخبر كسائر الاراجيز المزدوجة اي مصرعة شطرين شطرين واما في الانشاء فاراجيزه مقفاة اذ تتوالى القوافي الى ان يتم الخطاب كما ترى في تعريب كلام اخيل هنا

(٢) الوضيمة طعام المأتم وهي في اليونانية (Τάφον) ومعناها المدفن ويراد بها طعام المأتم على الاطلاق سواء كان قبل الدفن كما ترى هنا او بعده كما سيأتي في النشيد الاخير بمأتم هكطور — ان اقامة الولائم في المآتم عادة قديمة جداً اخذها الرومان عن اليونان ووصفها شاعرهم فرجيليوس ولا تزال متبعة في كثير من بلاد الشرق وافريقية وكان لها شأن في جاهلية العرب . راجع مآدب العرب (ن ٢٢ : ١٠٤٩)

أَمامَهُمْ أَخيـلُ بالنَّحيبِ يَشْهَقُ قُرْبَ خِلِّهِ الحَبيبِ
عَلَيهِ أَلْقى يُكْـبِرُ المَقالَهْ بَينَهُمُ أَكُفَّهُ القَتَّالَهْ :
« أُقْرِيكَ يافَطْرُقْلُ السَّلاما وإِنْ تَهِمْ في سَقَرٍ هِياما
فَها أَنا والجَيشُ حَولي قاما أَبَرُّ بالوَعدِ هُنَا تَمـاما
فَساعِدي هَكْطُورَ ذُلاً ساما وسَوفَ أُلْقيهِ هُنا طَعاما
لِلْـكَلْبِ يَفْري اللَّحْمَ والعِظاما والنارُ إِذْ تَذْكُو لَكَ اضْطِراما
اذْبَحُ مِن طُرْوادَةَ انْتِقاما من حَولِها اثْني عَشَراً كِراما » (١)
وزادَ وَهْوَ لاهِبٌ سَعِيرا على هَوانِ المُجْتَبى هَكْطُورا

(١٠) مما قال المهلهل بعد قتل اخيه كليب :
ولأوردن الخيل بطن اراكةٍ ولاقضين بفـعل ذاك ديوني
ولا قتلن حجاحجاً من بكركم ولابكين بها جفون عيوني
حتى تظلّ الحاملات مخافـةً من وقعنا يقـذفن كل جنين
وما ابلغ ما قاله الامام عليّ عند دفن امرأته فاطمة :
« السلام عليك يارسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك . قلّ يارسول الله عن صفيتك صبري ورقّ عنها تجلدي الا ان لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزٍّ . فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك . انا لله وانا اليه راجعون . فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة . اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم . وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال . هذا ولم يطل العهد . ولم يخلُ منك الذكر . والسلام عليكما سلام مودع لاقالٍ ولا سئم . فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين »

فَكَبَّهُ لِوَجْهِهِ مُعَفَّرا حِيالَ نَعْشِ المَيتِ في وَجْهِ الثَّرى
مِنْ ثَمَّ حَلُّوا صاهِلاتِ الجُرْدِ ونَزَعُوا زاهِيَ السِّلاحِ الصَّلْدِ
وحَوْلَ فُلْكِ ابْنِ أَياكَ الْتَأَمُوا وذلِكَ الزادَ الشَّهِيَّ اقْتَسَمُوا
فَمِنْ خِرافٍ وثِيارٍ غُرِّ هالِعةٍ تَخْفُقُ عِنْدَ النَّحرِ
ومِن عُنُوزٍ ثاغِياتٍ تَرْتَجِفْ أَمامَها الجَزَّارُ بالنَّصْلِ يَقِفْ
وَمِن رُتُوتٍ صَلْدَةِ الأَنْيابِ تَسِيلُ شَحْماً باللَّظى اللَّهَّابِ (١)
دِماؤُها كَذا جَرَتْ سُيُولا وأَقْبَلَ الصِّيدُ إلى ابْنِ فِيلا
وَذَهَبُوا بِهِ وما كادُوا لِما عَلى حَبِيبِهِ تَلَظَّى أَلَما
وإِذْ أَتَوا خَيْمَ أَغامَمْنُونا صاحُوا على القُيُوجِ أَجْمَعِينا
أَنْ يَرْفَعُوا المِرْجَلَ فَوقَ النَّارِ ويُوسِعُوا الجاحِمَ بالأُوارِ (٢)
لِغَسْلِ ما لَطَّخَهُ مِنَ الدَّمِ لكِنْ أَبى يَغْلِظُ بَرَّ القَسَمِ : (٣)

(١) الرتوت الخنازير

(٢) الجاحم الوقود .

(٣) كان القدماء يتفننون بمظاهر الحزن والحداد على الميت فقد جاء في التوراة أمثال ذلك كلبس المسوح والامساك عن الاكل والتمرغ في التراب والامتناع عن الغسل . وفي أخبار عرب الجاهلية شيء كثير من هذا القبيل قالوا ان المهلهل اذ بلغه خبر قتل أخيه كليب جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب الى ان يأخذ بثأر اخيه . وكان العرب يحرمون الخمر على انفسهم الى ان يدركوا ثأرهم وفي مثل ذلك يقول امرؤ القيس وقد ظفر ببني اسد ثائراً بابيه :

لا تسقيني الخمر ان لم يروا قتلى فئاماً بأبي الفاضل
حتى أبير الحي من مالك قتلاً ومن يشرف من كاهل

« بحقّ زفس السائد المخلّد . أقسم لا قطرة مسّت جسدي
ما لم اشدّ ضريح خلّي الأوحد من بعد أن أحرقه في كمدي
حيث له أقص شعري العسجدي مهما أعش فلن تلظى كبدي[1]
أسى كهذا اللاعج المتّقد فأرضخ الآن على توقّدي
الى اقتسام الزاد في ذا المشهد لكن إذا طرّ الصباح من غد
على ابن أتراس المليك الأمجد ان ينفذ القوم بلا تردّد
في طلب الوقود ثمّ نبتدي بمأتم حقّ لميت يغتدي
حتّى إذا جثّته ذاك السيّد من فوره الى الظلام الأبدي
ذابت وفزنا بجميل المقصد للحرب عدنا بزهيّ العدد»
لبّوا وكلّ هبّ يبغي الزادا فنال منه سهمه المعتادا
حتّى إذا ظماه ولّى والسغب لخيمه في طلب النوم ذهب
وفي فجاج قرب جرف البحر لدى دويّ الموج فوق الثغر

ومن بني غنم بن ذودان اذ نقذف اعلاهم على الاسافل
نعلوهم بالبيض مسنونة حتى يروا كالخشب الشائل
حلت لي الخمر وكنت امرءًا عن شربها في شغل شاغل

(١) أي لن تتلظى بحذف التاء وهو كثير في كلام العرب سواء كانت التاء الاولى للتأنيث كما في قول الفرزدق :

الا قطع الرحمن ظهر مطية أتتنا تمطى من دمشق بخالد

أي تتمطى . أو للخطاب كما جاء في سورة النساء « واتقوا الله الذي تساءلون به أي تتساءلون » .

أَخيلُ والعيُّ بهِ قد بَرَّحا ... ما بينَ جيشِ المِرْمِدُون انْطَرَحا
أَنْهَكَهُ العدْوُ ورا هَكطُورا ... فنامَ في ظِلِّ الكرى قَريرا
فَرُوحُ فطرُقلَ بطيفِ الحُلُمْ ... قامتْ على هامتهِ كالجسمْ
بقدِّهِ والحُلَلِ المسدُولهْ ... وصوتهِ والمُقَلِ الجميلهْ (١)
قالت: «أآخيلُ لهُ طابَ الكرى ... حتَّى عنِ الحبيبِ غضَّ النَّظَرا
أَهمَلتني ميتاً فهلاَّ ذَكَرا ... ودادَهُ لي وأنا حيٌّ أُرى
بادِرْ إلى دفنِيَ حتَّى أَعْبُرا ... أَبوابَ آذِيسَ ولا أُحقَّرا
صدَّتنيَ الأَرْواحُ عنْ أنْ أَصدُرا ... ما بينهنَّ فأَخوضَ الأَنْهُرا
فَرُحْتُ هائماً بلجَّاتِ الثَّرى ... وجئتُكَ الآنَ ودمعي أَنْهَرا
فانهضْ وأعدِدْ لي صِلىً تسعَّرا ... فبعدَ ذا لنْ أَبْرَحنَّ سقَرا (٢)

(١) ان في ظهور روح فطرقل لاخيل لمشهداً جديداً من أجمل مشاهد الالياذة ٠ والاعتقاد بظهور أرواح الاموات للاحياء نشأ مع نشوء الانسان ولا يزال في أكثر الملل والنحل ٠ وقد أراد الشاعر هنا ان يبلغ بالسامع الى منتهى درجات التواد والتواثق بين الخليلين فلم يقف عند ذكر ما تقدم من تفاني فطرقل حياً بخدمة أخيل ووفاء أخيل وتفجعه على فطرقل وتمنيه لو فدّاه بنفسه واقتحامه غمرات الموت انتقاماً له واشتغاله مع كل الجيش بمأتمه ٠ بل أراد أن يظهر ان ذلك الود الصميم لبث مستقرًّا في روح فطرقل بعد انفصالها عن جسمه على حد قول بعضهم

ولو وقفت ليلى بقبري وقد عفت ... معالمه واستفتحت بسلام
لحنت اليها بالتحية رمتي ... ورنت بترجيع السلام عظامي

(٢) يتضح من هذه الابيات انهم كانوا يعتقدون ان لورع الاحياء دخلاً بسعادة الاموات وهو ما لا يزال يعتقده فريق عظيم منا ٠ الا انهم كانوا يزعمون ان اقامة

آهِ فقد فاتَ زمانٌ غبَرا حيَّنٍ فيهِ نعقدُ المؤتمرا
في عزلةٍ فيها تحاشينا السُّرى منذُ نشأتُ كانَ هذا القدَرا
فغالني وفيهِ قِدماً سُطِرا حتفُكَ في أكنافِ سورٍ حُصِرا[1]

المأتم تعجل بتخفيف وطأة العذاب عن الميت وقد تقدم انه لابد لكل نفس من ان تنحدر بعد الموت الى الظلمات ومن ثم فاما ان تبقى هناك واما ان تعبر نهر الستكس الى مقام الصلاح • وتظل الروح هائمة الى ان يحرق الجسد او يدفن • واذا بلي الجسد في العراء فان الروح تبقى مائة عام هائمة على وجهها

ومن هذا القبيل ماكان يعتقد العرب من انه اذا قتل الرجل ولم يؤخذ بثاره خرج من راسه طائر يسمى الصدى ويسميه بعضهم الهامة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني حتى يؤخذ بثأره • ومنهم من كان يزعم ان ذلك الطائر هو نفس الانسان تنشط من جسمه اذا مات او قتل • قال المجنون :

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ومن دون رمسينا من الارض منكبُ
لظل صدى رمسي وان كنت رمةً لصوت صدى ليلى يهش ويطربُ

وقال آخر :

فيارب ان اهلك ولم ترو هامتي بليلى امت لا قبر اعطش من قبري

ومن مزاعم العرب ايضاً ان الميت يبعث بجسده من قبره فكان عندهم من لوازم رعايته ان يعقلوا ناقته عند قبره ويتركوها حتى تموت يزعمون انه يركبها اذا بعث من القبر • وفي مثل ذلك قال المجنون يرثي اباه وقد مات قبل اختلاط المجنون وتشوشه :

عقلت على قبر الملوح ناقتي بذي السرح لما ان جفته أقاربه

ويسمون الناقة المعقولة هكذا البلية

(١) كانوا يعتقدون ايضاً ان روح الميت لا تظهر للاحياء وتخاطبهم الا اثناء هيامها في لجج الارض اي قبل ان تنخرط بين الارواح في سقر • واذا خاطبتهم فقد تنجلي لها الغوامض فتنطق بما هو مكنون في الغيب كإنباء فطرقل اخيل هنا بانه قد سطر في القدر ان يقتل في اكناف سور اليون

أَجِبْ إذا ملتمسي مهما جرى　　فمثلما معاً قضينا العمرا

من يوم مينتيوس بي غراً سرى　　لصرح فيلا من أفنط مدبرا

من وجه رهط رامني مثأرا　　لما قتلت (وصلى الجهل عرا

وقد لعبنا بالكعاب عسكرا)　　فرعاً لأمفيدامس مستكبرا[1]

ومثلما قبلاً أبوك استبشرا　　بي فنشأت ناعماً موقرا

في حجره كما نشات الأصغرا　　دع هكذا رفاتنا أن تقبرا

معاً فلا تنحل هاتيك العرى　　ولتلق في حق لديك ادخرا

من لدن ثيتيس نضاراً بهرا »[2]

فقال آخيل : « علام يا منى　　نفسي أتيتني بذا البحث هنا

فكلما رمت سيجرى علنا　　فادن وعانقني فلاعج العنا

(١) أي صففنا الكعاب عسكراً نلعب بها ولعب الكعاب ان لم يكن اقدم لعب الصبيان فهو بلا ريب من اقدمها

(٢) يرمي فطرقل بل روحه في هذا الكلام المؤثر الى غايتين : ان يسارع اخيل الى اقامة مأتمه وان يدفن رماد الخليلين في حق واحد حتى يظلا مجتمعين حيين وميتين . وهذا الامر الاخير كان ولا يزال مطمع جميع المتحابين في كل ملة ودين . قال مجنون ليلى :

ألا ليتنا نحيا جميعاً وان نمت　　نصير اذا متنا ضجيعين في قبر

ومثله قوله :

ولو شهدتني حين تأتي منيتي　　جلا سكرات الموت عني كلامها

فياليتنا نحيا جميعاً وان نمت　　تجاور في الملكى عظامي عظامها

راجع (ن ١٦ : ٨٤٨)

نُوري ونَزْوي بالعِناقِ الشَّجنا »

ومدَّ كفَّهُ الى العِناقِ لٰكنَّهُ فَطْرُقْلَ لم يُلاقِ
فَرُوحهُ مِثلَ الدُّخانِ طارتْ صافِرةً وفي الثَّرى توارتْ
فقامَ آخيلُ وكَفَّيهِ صفقْ بدَهشةٍ ثمَّ لِسانُهُ انطلقْ :
« نعمْ نعمْ ربَّاهُ حتَّى لِسقرْ يَسْري مِثالُنا وأَرْواحُ البَشرْ
لٰكنَّما الحَياةُ في ذاكَ المَقرْ ليسَ لَها بعدَ المَماتِ مِنْ أَثرْ
فإنَّ فطرُقْلَ مدى اللَّيلِ ظَهرْ برُوحهِ لي بشقاءٍ وكَدرْ
حَكتْهُ حتَّى قلتُ بالنَّفسِ ابتَدرْ مُقترِحاً يأْمُرُني بما أَمرْ »
وما انتَهى حتَّى جَهيرُ النَّدْبِ مِن حَولِهِ عَمَّ جَميعَ الصَّحْبِ
ولَبثَ الدَّمعُ سخيناً يَجْري حتَّى بَدا وَردُ بَنانِ الفَجرِ
هُنا أَغامَمْنُونُ هبَّ حالا وأَنفذَ الرِّجالَ والبِغالا
فبادَرُوا فوراً إِلى الذَّهابِ بأَمرِ مِرْيُونَ لِلاِحْتِطابِ
ساقُوا يجِدُّونَ الى الجِبالِ بقاطعِ الأَفْؤُسِ والحِبالِ
أَمامَهمْ تِلكَ البِغالُ مُسْرِعهْ مُتْهِمةً مُنْجِدةً مُنْدَفِعهْ
ضارِبةً في وَعْرِ تِلكَ الهِضبِ وعقَباتٍ مَشْعَبٍ فمَشْعبِ
حتَّى عَلتْ إِيذةَ في الصَّعيدِ فأَعمَلُوا مَناصِلَ الحَديدِ
بِشامِخِ اللُّولِ فالفُرُوعُ خرَّتْ تُشقُّ تَحتَها الجُذُوعُ
وقَطَعُوهُ قِطَعاً وشَدُّوا أَحمالَهمْ مِنْ فورِهمْ وارتَدُّوا

وأشتاقتِ البغالُ للسهولِ فأنحدرتْ في الوعرِ بالقفولِ
وراءها كلُّ فتىً جذعاً حملْ أمرٌ لمريونَ لهُ الكلُّ أمتثلْ
والثغرُ فيهِ كدَّسوا الوقودا وأنتظموا من حولهِ قعودا
حيثُ أخيلُ رامَ أن يعيِّنا مدفنَ فطرقلَ وفيهِ يدفنا
وصاحَ بالمرميدِ أن يجدّوا وللعجالِ خيلهمْ يشدّوا
وأن يشكَّ الكلُّ في السلاحِ كأنَّهمْ في حومةِ الكفاحِ
فسارتِ العجالُ في الميدانِ بساسةٍ وسادةٍ فرسانِ
خلفهمُ المشاةُ كالسحابِ وصحبُ ذاكَ الميتِ باكتئابِ
ساروا بهِ تسترُهُ النواصي قصَّتْ لهُ دلالةَ الإخلاصِ[1]

---

(١) أسبل الجند على جثة فطرقل نواصي الشعور كما نسبل على النعش في ايامنا اكاليل الزهور • ولقد علمت مما مر ان عادة اطلاق الشعر كانت شائعة عندهم كما كانت شائعة بين اكثر امم المشرق كالعبرانيين ومن وليهم من العمونيين والموابيين والادوميين والعرب وكما هي شائعة لعهدنا عند الصينيين وبعض قبائل البادية • وفي الاثر ان الاسكندر قص شعره حزناً على صديقه هفستيون كما فعل اخيل حزناً على فطرقل • ومن الروايات المشهورة في كتب العرب ان المهلهل قص ناصيته حين بلغه خبر قتل كليب اخيه كما تقدم • وكانت النساء أيضاً يحلقن شعورهن حزناً على الميت ومعنى قولهم دعاء على الرجل « امك حالق » انهم يدعون عليه بالموت • الا ان قص الشعر لم يكن دائماً اشعاراً بالحزن بل ربما كان لحادث آخر من نحو دهشة وفرح ووفاء بنذر وما اشبه • ويقص العرب ايضاً ناصية الاسير وفي مثل ذلك قول الخنساء:

جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنون ان لا تجزّا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا

ومثله قول زهير في هرم بن سنان :

وِمِن ورائِهِمْ أَخيلُ رَفَعا		هامةَ فَطَرُقَل بِلُبٍّ خَلَعا
وأَنزَلوهُ المَنْزِلَ المَعْهُودا		وبادَرُوا فَهيَّأُوا الوَقُودا
وعَنْهُمُ آخِيلُ مُنْحازًا عَدا		لِغَرَضٍ في نَفْسِهِ مُبْتَعِدا
وقَصَّ فَرْعاً زاهِياً جَميلا		للنَّهرِ إِسفَرْخِيُسٍ أُطيلا (١)
وصاحَ مُحْدِقاً بِلُجِّ اليَمِّ		مُضْطَرِماً يَصْلى أُوارَ الغَمِّ :
« يا نَهرَ إِسفَرْخِيُسَ الكَبِيرِ		واخَيبَةَ القُرْبانِ والنُّذُورِ
نَذْراً لكَ انتَوى أَبي شُعُوري		ومِئَةً مِن نُخْبَةِ الأَبْقُورِ (٢)
ومِن ضَحايا الغَنَمِ الذُّكُورِ		خَمْسينَ عِندَ هَيكَلِ البَخُورِ
في مَرجِكَ المُقَدَّسِ المَبْرُورِ		في القُربِ مِن مَنْبَعِكَ المأْثُورِ
بِكُلِّ ذا آلى لَدى مَسيرِي		لِأَوطِني بالبِشْرِ والسُّرُورِ
فَما استَجَبْتَ سُؤْلَ مُستَجيرِ		ولَمْ تَكُنْ مِنَ الرَّدى مُجِيرِي

حدب على المولى الضريك اذا		نابت عليه نوائب الدهرِ
عظمت دسيعته وفضاله		جز النواصي في بني بدرِ

ويقال عكس ذلك في الملل التي لم تكن تطلق شعر الراس فانها انما كانت تطلقه لامر جلل وهذا من قبيل الامساك عن التزين مدة من الزمن في هذه الايام لحلول مصاب — اما الطرواد فيظهر انهم كانوا يقصون شعر الراس ولكن بعضهم كان يتزين به اخذاً عن الاغريق ولقد رأينا هكطور في النشيد الثالث يعير أخاه فاريس على اطالة شعر رأسه حلية

(١) أسفرخيوس نهر في تساليا (اسمه الآن هلاّذا) كانوا يعبدونه عبادة المصريين للنيل وقد كان فيلا نذر له شعر اخيل كما نذر ممنون المصري شعره للنيل

(٢) الابقور البقر

وَلَنْ ادُوسَ بابَ تِلكَ الدُّورِ لِذا على فَطْرُقْلَ والسَّعيرِ
اطْرَحُ فَرْعَ وَفْرَتي المَوْفُورِ »

وبينَ كَفَّيْ خِلِّهِ أَلْقاهُ وجَيشُهُ طرًّا علا بُكاهُ
وأَوشَكُوا حتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ أَنْ يَنْدُبوا بكُرْبَةٍ وبُؤْسِ
لٰكِنَّ آخِيلَ لأَتْرِيذَ دَنا وصاحَ ما بَينَ الجُمُوعِ عَلَنا :
«أَتْرِيذُ قد حَقَّ لكَ الخضُوعُ فَمُرْ إِذًا تُكَفْكَفِ الدُّمُوعُ
ومِن هُنا تَنْصَرِفِ الجُمُوعُ يُهَيِّئُوا الزادَ فلا يجُوعُوا
فَإِنْ مَضَوا فَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ وصِيدُنا الأُصُولُ والفُرُوعُ[1]
نُحْرِقُ مَيتاً وَدَّهُ الجَميعُ »

فَقَضَّ أَتْرِيذُ الجُمُوعَ فَمَضَتْ الى سَفِينِها وعَنْهُمْ أَعْرَضَتْ
وحَولَهُ ظَلَّتْ سَراةُ المَوكِبِ تَرْكُمُ لِلْمَيتِ وَقُودَ الحَطَبِ
حتَّى لَهُ شادُوا على السَّهْلِ هَرَمْ قِياسُهُ عَشْرٌ وتِسْعُونَ قَدَمْ
ورَفَعُوا لِقِمَّةِ الإِبالَهْ فَطرُقْلَهُمْ بأَدْمُعٍ مُنْهالَهْ[2]
وسلَخُوا الثِّيارَ والخِرْفانا لِيُحْرِقُوها مَعَهُ قُرْبانا
وخفَّ آخِيلُ لِقَطعِ الشَّحْمِ يُسْبِلُهُ مِن فَوقِ ذاكَ الجِسْمِ
وحَولَهُ أَلْقى بِلا إِبْطاءِ لُحُومَها وسائرَ الأَعْضاءِ

(١) أي انه أراد صرف الجموع ليتفرغ زعماء الجيش لاقامة مأتم فطرقل
(٢) الابالة حطب الوقود

مِنْ بَعدِ ذا صبَّ قَوارِيرَ العَسَلْ　　والزَّيتَ فَوقَ نعشِ ذَيَّاكَ البَطَلْ
وزادَ وَهوَ لاهِبُ الفُؤَادِ　　أَرْبَعَةً من ضُمَّرِ الجِيادِ
وفي كِلابهِ التي في نِعمَتِهْ　　قد نَشأَتْ أَعمَلَ حدَّ شفرَتِهْ
مِنْ تِسعَةٍ مِنْ فَورِهِ اثنَينِ ذَبَحْ　　ولِلوَقُودِ جُثَّتَيهِما طَرَحْ
وهامَ الاثْنَي عشَرَ بالسَّيفِ قَطَعْ　　مِن بَنِي إِليُونَ وَبِئسَ ما صنَعْ(١)
وأَرَّثَ النيرانَ حتَّى تَلتَهِمْ　　وصاحَ والدَّمعُ سخيناً ينسَجِمْ :
« أَقرِيكَ يا فَطرُقلاً السَّلاما　　وإِن تَهِمْ في سَقَرٍ هِياما
فها أَنا والجيشُ حَولي قاما　　أَبَرُّ بالوَعدِ هُنا تَماما
وها هُنا تَلتَهِمُ التِهاما　　نِيرانُكَ اثنَيْ عشَراً كِراما

(١) ذكر هوميروس قطع رؤوس الاثني عشر فتى من اسرى الطرواد تدويناً لجريهم على خطة ذبح الاسرى ولكنه لم يفته ان اعلن استهجانه تلك العادة القبيحة ولهذا استدرك بقوله « وبئس ما صنع » — كان العرب في جاهليتهم يقتلون الاسرى الا من كان بينه وبين آسره مواكلة وممالحة فانه يؤمن . وربما أخذوا عقال الاسير أي فكاكه وأطلقوه بعد جز ناصيته . وكانت في مكة سوق لبيع السبايا والاسرى . اما السبايا فكن يستبقين اماء وزوجات واما الاسرى فكانوا الا فيما ندر يباعون لذوي الثأرات عليهم أو على عشائرهم فيقتلون بمن قتلوا . أو يفتديهم ذووهم وأصحابهم بمال يدفعونه الى آسريهم . وكان افتكاك الاسرى من اعظم مفاخرهم . قال الحارث بن حلزة اليشكري :

وفككنا غل امرأ القيس عنه　　بعد ما طال حبسه والعناء

ولما جاء الاسلام بطل الاسر والسبي من الاسلام وفي الحديث « لا سبأ على عربي ولا سبأ في الاسلام ولا رق على عربي في الاسلام » ولكن الاسر والسبي ظلا مباحين للمسلم من غير المسلمين

لٰكِنَّ هَكْطُورَ فلا ضِراما يُذْكِي لَهُ بل يَفتَدي طَعاما
لِلْكَلْبِ يَفْرِي اللَّحْمَ والعِظاما » (١)

لٰكنَّما الكِلابُ لَمْ تَدْنُ إلى جُثَّةِ هَكْطُورَ بِهاتِيكَ الفَلا
فَإِنَّما الزُّهْرَةُ بالمِرْصادِ تَدْفَعُ كُلَّ صادِرٍ وغادِ
وأَفْرَغَتْ قُدسِيَّ عِطْرِ الوَرْدِ فيهِ فَلا يُعْطَبُ خَلْفَ الجُرْدِ
وفِيبُسٌ مِنْ قُبَّةِ السَّماءِ جَلَّلَهُ بِغَيمَةٍ سَوداءِ
حتَّى يَظَلَّ تَرِفَ الجَسِّ ولا يَجِفَّ بِشُعاعِ الشَّمْسِ (٢)
وَالنارُ في الوَقُودِ لَمْ تَذْكُ وَلا أُوارُها مِن حَولِ فَطْرُقْلَ عَلا
فَلِوَسِيلَةٍ أَخيلُ عَمَدا وانْحازَ عَن جُمْهُورِهِ مُبْتَعِدا
واسْتَنْجَدَ الدَّبُورَ والشَّمالا لِتُلْهِبَا الإِبالَةَ اشْتِعالا
وتَلْهَمَ الأَجْسادَ ثُمَّ نَذَرا غُرَّ الضَّحايا لَهُما وابْتَدَرا
يُرِيقُ فَوقَ الأَرضِ صِرْفَ الخَمْرِ بِكَأْسِ عَسْجَدٍ تَمامُ البِرِّ

(١) كرر أخيل هنا نفس الخطاب الذي خاطب به فطرقل ولكنه زاد عليه تشفّيه من هكطور توطئة للابيات التالية

(٢) المراد من هذه الابيات الخمسة ان جثة هكطور بقيت سليمة • فلو كان هوميروس مؤرخاً لقال ان الهواء كان جافاً بارداً فلم يعترها الفساد وكانت محاطة بالجند فلم تدنُ اليها الكلاب • ولكنه الشاعر المتصرف بالمعاني المتلاعب بالافكار الموشي شعره برموز عصره فادخل فيبس والزهرة وجعلهما العانيين بحفظ الجثة اما الاول فلانه يمثل الشمس وهي التي تتصاعد بحرارتها الغيوم فاظلته بسحابة حفظته من الحر واما الثانية فلانها ربة الجمال فكانها هي التي اولته تلك المحاسن وهكطور مشهور بحسن طلعته وطلق محياه

وَصوتَهُ إيريسُ لمَّا سمِعَتْ　　　لِمُنتَدى الرِّياحِ حالاً أسْرَعَتْ
إذا بِهِمْ في مَجْلِسِ السُّرُورِ　　　على وَليمةٍ لَدى الدَّبُورِ (١)
فَنَهَضُوا طرًّا لَها إجْلالا　　　وانْتَدَبُوها لِلقِرى احْتِفالا
فَوَقَفَتْ في عَتَباتِ الصَّخْرِ　　　تأبى وقالت بِجَميلِ العُذْرِ:
«مالي الى الجُلوسِ مِنْ سَبيلِ　　　فإنَّني بِنيَّةِ الرَّحيلِ
لِشَعْبِ إثْيُوبيَةَ النَّبيلِ　　　فَهْوَ على المُحيطِ بالتَّبْجيلِ
بِمِئَةٍ ضَحَّى مِنَ العُجُولِ　　　لَنا فَلا نُدحةَ مِن قُفُولي
ولِلشَّمالِ مِنْ لَدى أخيلِ　　　ولِلدَّبُورِ جِئْتُ كالرَّسُولِ
لِتَعْصِفا بالقَبَسِ المَشْعُولِ　　　تَحتَ شَلا فَطَرُقْلَ القَتيلِ
حَيثُ بَنو الإغْريقِ بالعَويلِ　　　ولَهُما جَزاءَ ذا الجَميلِ
آلى بِنَذْرٍ شائقٍ جَزيلِ»
ثُمَّ تَوارَتْ عَنهُما فَقَصَفا　　　وبَدَّدا الغُيُومَ حيثُ عَصَفا
وزَمْزَما في لُجَّةِ العُبابِ　　　فَهاجَ وَجهُ اليَمِّ باضْطِرابِ
واندَفَعا في السَّهْلِ يقْصِفانِ　　　فارْتَفَعَتْ زَهزَمَةُ النِّيرانِ

---

(١) الدبور الريح الغربية . والرياح كانت كسائر ممثلات الشاعر اشخاصاً ناطقة بل آلهة فائقة وهي كالشمس ذكور لا اناث ولهذا استعملنا لها هنا وفيما يأتي ضمير العاقل المذكر فقلنا «اذا بهم» ولم نقل بها او بهنَّ

يؤخذ من هذا الموضع وامثاله من الالياذة ان الآلهة كانوا يكثرون من المآدب والمآكل وهو دليل على انها كانت في تلك الاعصر الخوالي من اعظم اسباب المسرات والملاهي

فالنَّوءُ كُلَّ الليلِ فيها قد قَصَفْ　　ولَيلَهُ آخِيلُ سَهرانًا وَقَفْ
خمرًا بكوبٍ عَسْجَدٍ مُزْدَوِج　　يَسقِي الثَّرى من حُبِّ تِبْرٍ بَهِج [1]

(١) الحب الخابية وهي الزير بعرف اهل مصر



حرق جثة فطرقل

وَهوَ يُناجي رُوحَ فَطْرُقْلَ وَمِنْ　　حَولِ ضِرامِ النارِ بالبَثِّ يَئِنْ
فَهْيَ عَلى أَعْظُمِهِ تَثُورُ　　وَهوَ لَدَيْها لاهِباً يَدُورُ
كَوالِدٍ يُحْرِقُ أَعظُمَ ابْنِهِ　　بِكَفِّهِ مُخْتَنِقاً بِحُزْنِهِ
عَلى فِراشِ العُرْسِ قد ماتَ الفَتى　　وقَلْبَ والِدَيهِ حُزْناً فَتَّتا
وإِذْ بَدَتْ بالنُّورِ في أَوجِ العُلى　　كَوكَبَةُ الصُّبحِ تُبَشِّرُ المَلا
وخَلْفَها امْتَدَّ سَناءُ الفَجْرِ　　بِحُلَّةِ الجِسادِ فَوقَ البَحْرِ (١)
أُخْمِدَتِ النِّيرانُ والنَّوآنِ　　كَفَّهُما أَما يُدَمْدِمانِ
بِبَحرِ إِثْراقَةَ مَرّاً فَاخْتَلَجْ　　مُلْتَطِماً في يَمِّهِ المَوجُ وَعَجْ (٢)

(١) الجساد الزعفران — من غريب ما استلفت نظري مراراً في شعر هوميروس تنبهه الى الكلي والجزئي مما يعلق بمعاني شعره . فاذا كرر قولاً او معنى فلا بد ان يلصق به ما يلائمه ولو باشارة خفية . فقد ألبس الفجر ثوب الجساد في النشيد الثامن فقال:

كسا الفجر وجه الارض ثوباً مزعفرا　　وزفس أبو الارباب في ارفع الذرى

فكان المكسو وجه الارض لانه كان يصف الارباب وهم في معتصمهم العالي ينظرون الى البر والبحر

وقال في النشيد التاسع عشر :

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد　　من يمه يبرز فوق البلاد
حتى انبرت فوق الخلايا الخ　　. . . . .

فابرز الفجر صاعداً من اليم بتلك الحلة لانه كان يصف ثيتيس بنت البحر وهي صاعدة من اليم فجر يومها وهوهنا يقول:

بحلة الجساد فوق البحر

لان الموقف في ساحل بحر وبين السفن

(٢) لو جردنا هذا الكلام من حلته الشعرية لقلنا ان الرياح كانت ساكنة

فَأَرْتاحَ آخِيلُ إِلى الهُجُوعِ — في عُزْلَةٍ عَن لَغَطِ الجُمُوعِ
أَنْهَكَهُ العِيُّ فَبِالنَّومِ اسْتَكَنْ — ولَم يَكَدْ يَذُوقُ لَذَّاتِ الوَسَنْ
حَتَّى أسْتَفاقَ لِعَجِيجِ الجُنْدِ — مِن حَولِ أَتْرِيذَ الزَّعِيمِ الجَلْدِ
فَهَبَّ ثُمَّ قامَ ثُمَّ أرْتَجَلا : — «أَتْرِيذُ يا صِيدَ السَّراةِ النُّبَلا
خَمْرَكُمُ السَّوداءَ صُبُّوا عَجَلا — تُخْمِدْ وَقُوداً بِاللَّهِيبِ اشْتَعَلا
ثُمَّ اجْمَعُوا أَعْظُمَ فَطْرُقْلَ الأُولى — تَبْرُزُ إِذْ في الوَسْطِ كانَ اعْتَزَلا
(والنَّاسُ والخَيْلُ خَلِيطاً جُمِلا — في الحافِ فيهِ لَهَبُ النَّارِ عَلا)
نُودِعُها حُقّاً مِنَ التِّبْرِ غَلا — والشَّحْمُ سِتْرانِ عَلَيها أُسْبِلا
تَبْقَى بِذاكَ الحُقِّ حَتَّى أَنْزِلا — لِلظُّلُماتِ يَومَ أَلْقَى الأَجَلا
ولا تَشِيدُوا القَبْرَ قَبْراً أَمْثَلا — بَلْ فَاعْتَنُوا بِهِ اعْتِناءً مُجْمَلا

فلم تلتهب النيران ثم ما لبثت الرياح ان عصفت فاضرمت الوقود وعلا اللهيب حتى التهمت النار جثة فطرقل • ولكن الشاعر حام حول هذا المعنى على جاري خطته • واليك حل رموزه حسبما شرحها افستاثيوس قال : ان ايريس ممثلة قوس قزح تدل على الامطار والرياح ولهذا كانت هي الداعية للرياح فلُبي نداؤها وقضيت حاجتها « ونهضوا طراً لهـا اجلالاً » اي انه اذا ظهر قوس قزح تحرك الرياح

فوقفت في عتبات الصخرِ — تأبى وقالت بجميل العذرِ
ما لي الى الجلوس من سبيلِ — فانني بنية الرحيلِ

اي ان قوس قزح لا يقيم طويلاً ولكنه سريع الظهور سريع الزوال • وولجت المحيط او الاوقيانوس • اي ان مادة قوس قزح من المـاء فلم يكن يصلح لهـا ان تمثل والجة في اليبس • وقوله:

ومَنْ يَعِشْ بَعْدِيَ مِن هذا المَلا يَشِدْ ضَرِيحاً شائِقاً مُكَمَّلا »[1]
لَبَّوهُ طرًّا وأَراقُوا الخمْرا حَيثُ ذَكَتْ نارُ الوَقودِ جَمْرا
فَجَرَفَتْ تَلا مِن الرَّمادِ وابْتَدَرُوا بِغُلَّةِ الفُؤادِ
أَعْظُمَهُ البَيضاءَ يَجْمَعُونا وعَبَراتِ الحُزْنِ يَذْرِفُونا
فَأُودِعَتْ حقًّا مِنَ التِّبرِ غَلا والشَّحمُ سِتْرَينِ عَليهِ أُسْبِلا
أَلْقَوهُ في الخِيامِ تَحتَ أُزْرِ مِنَ النَّسِيجِ الشائِقِ الأَغَرِّ
وَرَسَمُوا في مَوضِعِ اللَّهِيبِ دائِرَةَ الضَّرِيحِ بالنَّحِيبِ
وَوَضَعُوا الأَساسَ ثُمَّ رَفَعُوا تَلاً مِنَ التُّرابِ ثُمَّ رَجَعُوا

اذا بهم (اي الرياح) في مجلس السرور على وليمة لدى الدبور اشارة الى ان طبيعة الرياح واحدة او ان الغالب في تلك البلاد هبوب الريح الغربية . واما وقوف ايريس في عتبات الصخر وامتناعها عن ولوج كهفهم فاشارة لطيفة الى ان قوس قزح يظل سابحاً على سطح الارض فلا يتخلل الاعماق

(١) اراد اخيل بقوله هذا ان ينفذ وصية فطرقل فيودع رماده في حق من الذهب ويدفنه ثم لا يشاد الضريح على ما يجب الا اذا مات اخيل وضم رفات اعظمه الى رماد اعظم فطرقل فيقام لهما ضريح واحد . وهكذا فانهم على ما ترى كانوا يجمعون بين حرق الجثث ودفن رفاتها وقد تقدم لنا بحث في منشأ تلك العادة (ن ٧ : ٥٠٥)

ومن بدائع فلسفة ابي العلاء المعري قوله مستحسناً حرق الجثث :

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم وذاك اروح من طول التباريح
أن حرقوه فما يخشون من ضبع تسري اليه ولا خفي وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا غباً واذهب للنكراء والريح

الألعاب

فَاسْتَوْقَفَ الجمعَ أخيلُ وعَمَدْ　لِرَسْمِ مَجْلِسٍ بِهِ الكُلُّ قَعَدْ [١]

واستحضرَ الجوائزَ السَّنِيَّةْ　آنيةً مناضدًا بَهِيَّةْ

والخيلَ والبغالَ والعجولا　والغيدَ شدَّتْ مَنْطِقًا جميلا

وناصعَ الحديدِ مِنْ ثَمَّ انْطَلَقْ　يُلْقِي لَدَيْهِمْ أوَّلًا كُلَّ السَّبَقْ [٢]

السباق

فَلِلْمُجَلِّي غادةٌ حسناءُ　تفاخرتْ بِوَشْيِها النِّساءُ

ومعها دسيعةٌ ذاتُ عُرى　قِياسُها اثنانِ وعشرونَ جرى

وَلِلْمُصَلِّي حِجْرَةٌ ما ذُلِّلَتْ　في عامِها السادسِ بَغْلًا حَمَلَتْ

وَلِلْمُسَلِّي مِرْجَلٌ قَشِيبُ　ما تَحْتَهُ بَعْدُ عَلا اللَّهِيبُ

اربعةً يَمْلَا بالمِكْيالِ　وشاقلانِ ذهبًا لِلتَّالي

وصِلَةُ المُرْتاحِ كوبٌ مُزْدَوِجْ　مِن ذَهَبٍ في النارِ قطُّ لم يَلِجْ [٣]

---

(١) امامنا الآن بحثٌ جديد ووصف شائق للالعاب التي كانت تقام في المآتم . وقد اشار اليها في ما مر وهو الآن يفصلها ويبوّبها . فشرع في السباق واسهب فيه ولا بدع فقد كان له المقام الاول في جاهلية معظم الاقوام

(٢) السبق جائزة السباق . نرى ان أخيل هو الذي يرئس هذه الحفلة مع ان الزعامة لاغاممنون ولكن الشاعر خص اخيل بتولي هذه المهمة لان المأتم يكاد يكون مأتمه وله خلا ذلك فخر النصر في ذلك اليوم وقتل البطل المغوار هكطور الذي كانت ترتعد لهيبته فرائص الاغريق .

(٣) المجلي هو السابق الاول من الخيل والثاني المصلي والثالث المسلي والرابع

وصاحَ يُغْري طالبي الرِّهانِ: 　«أتَرِيذُ يا أرْغوسُ آلَ الشأنِ
هذي تَرَونَ تُحفُ الفُرْسانِ 　فلو تخاطَرْنا لِمَيْتٍ ثاني
أحرَزْتُ حتماً خطَرَ الرِّهانِ 　فما جِيادي مِن نِتاجٍ فاني
ولا لَها كُفوٌ بذا المَكانِ 　بها حَبا في غابِرِ الزَّمانِ
فُوسيذُ فيلا فَبِها حَباني 　لِذاكَ لا حاجةَ لِلبُرْهانِ
حتَّى بِها هذا العَنا أُعاني 　قَدْ نَدَّ آهٍ قابضُ العِنانِ
ذاكَ الذي قد كانَ بالإحْسانِ 　يَغسِلُ بالماءِ بلا تَواني
أعرافَها وأكثَرَ الأَحْيانِ 　بالزَّيتِ يَطْليها بجَهْدِ العاني
فَهيَ هُنا بِدَمْعِها الهَتّانِ 　قد أسبَلَتْ بِفائضِ الأَحزانِ
فَوقَ الثَرى نَواصِيَ التِّيجانِ 　فَأَنتُمُ يا نُخبَةَ الفِتْيانِ
فمَنْ يَثِقْ مِنكُمْ بِهذا الآنِ 　بِعَجَلٍ مُحْكَمَةِ المَباني

وخَيلِهِ يَبْرُزْ الى المَيدانِ»

وَما انْتَهى حتَّى انبَرى السُّوَّاقُ 　إفمِيلُ أَذْمِيتَ الفَتى السَّبَّاقُ
رَوَّاضُ جُرْدِ الخَيلِ هَبَّ الأَوَّلا 　ثُمَّ ذِيُومِيذُ أخُو البَاسِ تَلا

المرتاح وفي قول التالي وهكذا الى العاشر فان لكل منها اسماً خاصاً به . واما في الاصل اليوناني فقد عبر عن المجلي بالاول ثم بالثاني والثالث والرابع ولم أر هذا التخصيص باسماء خيل السباق في لغة غير لغتنا . وقد جمعها الشيخ ناصيف اليازجي بقوله

أول سابقٍ هو المجلي 　ثم المصلي بعدهُ المسلي
تالٍ ومرتاح عليه يقبلُ 　والعاطف الحظيُّ والمؤملُ
كذلك اللطيم والسكيتُ 　فاحفظ فما أُعطيتُ قد أُعطيتُ

بخيلِ طُرْوادَ التي كانَ اغتَنَمْ في الحَربِ من أنياسَ بالنَّصلِ الأَصَمّ
لمَّا أفلون وقى الطرْوادي يُنْجيهِ عَن مَواقِفِ الجِلادِ [1]
ثُمَّ ابْنُ أتراسَ مَنيلا الأَشقَرُ بفرسيْ رهانهِ يَبْتَدِرُ
فُوذَرْغُسٍ حِصانهِ الثَّمينِ وإيثيا حِجْرِ أغامَمْنُونِ
تِلكَ التي بِمِضْمَدِ العِجالِ تشتاقُ خَوضَ شاسِعِ المَجالِ
كانَ ابْنُ أنخيسَ إخيفولُ حَبا بها أغامَمْنُونَ لمَّا انْتُدِبا
للحَربِ تحتَ مَعْقِلِ الطُّرْوادِ قَبلاً ليُعفَى مِن عَنا الجِهادِ
وفي رُبى سِكيُونَةٍ قَريرا يَظَلُّ مُعْتَدًّا غنىً وَفيرا [2]
وأنطِلوخُ رابِعاً هَبَّ إلى جِيادهِ القُبِّ وَشَدَّ واعْتَلى [3]
خيلٌ عِتاقٌ جَمَّةُ الأَعرافِ مِن فيلُسٍ كَريمةُ الأَوصافِ
إزاءهُ والدُهُ الجَليلُ نَسطورُ قامَ نحوَهُ يَميلُ
يُرشِدُهُ ويُحْسِنُ التَّعليما وإن يكُنْ بنفسِهِ حَكيما : [4]

---

(١) مر بيان ذلك في النشيد الخامس

(٢) هنا اشارة الى عادة كانت متبعة عند اليونان ولها امثلة بعدهم في تاريخ الرومان ذلك انه كان يقضى على كل رجل صحيح البدن ان يزحف في من زحف للحرب واذا بدا له ان يتخلف فعليه ان يقدم بدلاً عنه فرساً أو فارساً أو اكثر وهو ما نعرفه الآن بالبدل العسكري ويؤخذ في بعض البلاد نقوداً . وكان البدل مألوفاً في جاهلية العرب فان ابا لهب بن عبد المطلب لم يحضر غزوة أُحد بل ارسل من ينوب عنه فيها .

(٣) الجياد القب الضامرة الرقيقة الخصر وفي الاصل السريعة

(٤) علم القراء مما مر ما لنسطور الحكيم في نفس الشاعر من التجلة

«بُنَيَّ قد ودَّكَ زفسُ وارْتَضى وفوسِذٌ وثقَّفا منْذُ الصِبا
وعلَّماكَ الجَريَ بالجُردِ فلا حاجةَ أن أزيدَكَ العِلمَ أنا
نبَغتَ في أستقبالِ نصبٍ يُبتَغى لكنَّما خيلُكَ يعْرُوها البطا[1]
أخشى بها ينالُكَ اليومَ البَلا وسائرُ الجيادِ أعدى في المَدى
لكنَّكَ السابِقُ في سُبُلِ الهُدى أقدِمْ إذاً بحزمٍ ميقادِ الحِجى
وَلا تقِفْ بُنيَّ عن نَيلِ الجزا فإنَّما الحطَّابُ نالَ المُرتجى

والاعظام فهو دائماً دائب على ان يجعل له في كل مقام مقالاً وفي كل ميدان مجالاً اظهاراً لفوائد فضله واستدراراً لفرائد عقله ونبله فلم يعدم وسيلة ينظمه بها بين فتية الفرسان في ميدان الرهان فانطقه بهذا الخطاب الذي لم يكن يصح لغيره . فأوضح حالة الشيخ الذي اذا ضعفت ذراعه قويت حجته وبهرت حكمته فيسد قوله المسند الى مدخر دربته على توالي الايام مسد بأس ساعده الواهن بتقادم العهد وتتابع الاعوام . ومثل حالة الاب الحريص على تثقيف ولده المشفق عليه من الفشل اكثر من اشفاقه على نفسه من دنو الاجل . فلا تلوح له لائحة خيراو شرالا ونبهه اليها فمال به عنها او اقبل به عليها . حتى تكاد تخال ان البارز الى ميدان السباق هو الاب دون الابن وانه هو المتطي صهوة المركبة يميل بها يميناً ويسرى ويجاول ويصاول ويسارع ويصارع ويهب ولا هبوب ابنه انطلوخ . ورسم صورة الحكيم الذي يفرغ قصارى جهده بافاضة روح حكمته على ولده من بعده فيعلمهم ان الرأي قبل شجاعة الشجعان والفوز للعقل والجنان دون اليد والبنان . خطة يختطها لهم بحياته يود ان يسيروا عليها بعد مماته . وهو غرس سيرينا الشاعر ثمره عما قليل فان جوادي انطلوخ وان لم يكونا من خيار الجياد فقد برزا بالطراد وفازا بالسبق فكانما السابق حكمة نسطور دون همة انطلوخ وفرسيه

تلك هي الحيلة التي تذرع بها الشاعر لخرط نسطور بين هاته الفتية وما اجملها حيلة

(١) النصب العلم المنصوب في منتهى الميدان

بالحذقِ والصنعةِ ليسَ بالقُوى ... كذلكَ الربّانُ بالحذقِ سَرى
بفُلْكِهِ في البحرِ في وَجهِ الهوى ... والفارسُ الفارسَ بالحذقِ رَمى
فَمَنْ يَثِقْ بخيلِهِ ضَلَّ وَما ... تراهُ للسبيلِ في الجَرْي اهتدى
وراحَ في البَراحِ يجري وغدا ... لا يَستطيعُ كَبْحَها ولو بَغى
لكنّما الحاذقُ حتّى لو على ... خيلٍ تَراءتْ دُونَ سُبّاقِ السُّرى
فالنَّصْبُ نُصْبَ عينِهِ دوماً يُرى ... حتّى لديهِ ينثني إلى الوَرا
لا يُغفِلُ العِنانَ كيفما انثنى ... يُديرُهُ بثَبْتِ كفٍّ وكذا
يرقُبُ مَن أمامَهُ قَسْراً غدا ... وها أنا أُريكَ حَدَّ المنتهى
فالنَّصْبُ هالكَ ليسَ في طيِّ الخفا ... باعاً عنِ الحضيضِ فانظرْهُ نَتا
جِذْعٌ ولم يَعبَثْ بهِ دهرٌ خلا ... من شامخِ الدَّلولِ أو أرْزِ الفلا
يَعضُدُهُ صخرانِ أبيضا الصفا ... حيثُ طريقُ السهلِ ضاقَ والتوى
وحولَهُ المِضمارُ بالعدلِ استوى ... لعلّهُ قبرٌ بهِ قَيلٌ ثوى
أو عَلَماً كانَ قديماً مِثلَما ... قدرامَهُ الخيلُ ذا اليومَ لَنا
فإنْ تَدَنَّيتَ فسُطْ وانحزْ الى ... يُسراكَ في الكرسي وصِحْ صوتاً دَوى
والفرسَ اليمينَ سُقْ فإنْ جرى ... أطلِقْ عِنانَهُ بذيّاكَ الفضا
وباليسارِ مِلْ إلى النَّصْبِ هُنا ... حتّى تخالَ القُطْبَ والنَّصْبَ سَوى (١)
وحاذِرِ الصَّدْمَةَ بالصخرِ إذا ... دَنوتَ كيلا يعتري الخيلَ الأذى

---

(١) المراد بالقطب دولاب المركبة

أَو يُسْحَقُ النِّيرُ فَيَشْمَتُ العِدى وأَنتَ بينَ القومِ يَغْشاكَ الحَيا
بُنَيَّ كُنْ ثَبْتاً فإِنْ نِلْتَ المُنى وجُزْتَهُ ولم يُضَعْضِعْكَ العَيا
لا سائِقٌ جارَكَ حتَّى لو عَدا وَراكَ أَرْيُونُ الجَوادُ المُجْتَبى
جَوادُ أَدْرَسْتَ ومِنْ نَسْلِ العُلى أَو خَيلُ لَوْمِذُونٍ التي حَوى
بهذِهِ الأَصقاعِ تَنْهَبُ الثَّرى »
كَذاكَ نَسْطُورُ ابْنَهُ مُذْ أَرْشَدا عادَ إِلى مَجْلِسِهِ وَقَعَدا
وَهَبَّ خامِساً الى السِّباقِ مِرْيُونُ في جِيادِهِ العِتاقِ
ثُمَّ اعْتَلَوا وطَرَحُوا الأَزْلاما يُجيلُها أَخِيلُ اسْتِقْساما
فَسَهْمُ أَنْطِيلُوخَ أَوَّلاً ظَهَرْ فَسَهْمُ إِفْمِيلَ فَأَتْرِيذَ الأَغَرْ
وبَعْدَهُ مِرْيُونُ والأَخيرُ أَبسَلُهُمْ ذِيُومِذُ الشَّهِيرُ
فانْتَظَمُوا صَفّاً وأَخِيلُ اعْتَرَضْ يُرِيهِمِ في السَّهْلِ بارِزَ الغَرَضْ (١)
وأَنْفَذَ المُحَنَّكَ النَّبِيلا فِينِكْسَ رَوَّاضَ خُيُولِ فِيلا
لِيَرْقُبَ الفُرْسانَ في المِضْمارِ ويَنْثَني بِصادِقِ الأَخْبارِ
فَرَفَعُوا سِياطَهُمْ وحَثْحَثُوا جِيادَهُمْ طُرًّا مَعاً وانْبَعَثُوا

(١) قوله انتظموا صفاً فيه نظر • ذهب الاقدمون من رواة هوميروس الى ان المتسابقين وقفوا صفاً يتقدم فيه احدهم على الآخر والالما كانت بهم حاجة الى الاستقسام لوكانت مواقف الجميع متساوية • وقالت مدام داسيه بل وقفوا صفاً متساوياً جنباً لجنب والفائدة من الوقوف أولاً ان للمتقدم مزية في قصر المسافة اذ ان المضمار كان على شبه دائرة وكلما بعد الراكب عن قطبها كان شوطه في الجري أبعد

فأندفعتْ تضربُ في السهولِ نائيةً عن موقفِ الأسطولِ
تحتَ الصدورِ ثائرُ الغبارِ كالغيمِ أو عجاجةِ الإعصارِ
أعرافُها تطيرُ في الهواءِ وخلفها العجالُ كالأنواءِ
حيناً ترى بالأرضِ راجحاتِ وتارةً في الجوّ سابحاتِ
وراءها الفرسانُ فوقَ السُّددِ تخفقُ قلباً لبلوغِ الامدِ
صاحوا فراحتْ بهم تُغيرُ بشِّيرٍ .فوقهمُ يطيرُ
وَعندما انتهتْ وعادتْ تجري منقلباتٍ نحوَ ثغرِ البحرِ
هُناكَ ثارتْ همّةُ الفتيانِ فأطلقوا أزمّةَ العنانِ
فبرزتْ خيلُ ابنِ فيريسَ ولَمْ تكدْ فإثرها ذيوميذُ هجمْ[1]
بجُردِ طُرْوادَ فزفّتْ عقبهْ كأنّها راقيةٌ للمَركبهْ
تنفخُ في عاتقِ إفميلَ النفَسْ حرًّا كأنّهُ بظهرِهِ قبسْ
طارتْ وهامها على هامتِهِ ألفتْ تُباريهِ على غارتِهِ
حتّى بها أوشكَ أن يجتازا ذيومذٌ أو مثلَهُ يمتازا
لكنَّ فيبوساً بسُخطِهِ سطا والسوطَ من يديهِ حالاً أسقطا[2]
فخيلُهُ ونتْ وتلكَ انطلقتْ وملءَ عينيهِ الدموعُ اندفقتْ
ولمْ تمتْ فالاسَ تلكَ الحيلهْ فابتدرتْ تدرأُ شرَّ الغيلهْ

(١) ابن فيريس افميل
(٢) لا يبرح من الذهن ان افلون لا يزال ساخطاً على ذيوميذ لوقوفه في

أَعادَتِ السَّوطَ لَهُ وجَدَّدَتْ　　عَزماً بِهِ جِيادُهُ تَشَدَّدَتْ [1]
ثُمَّ أُنبَرَتْ حانِقَةً وَسَحَقَتْ　　مِضْمَدَ إِفْمِيلَ وَعَنْهُ انْطَلَقَتْ
فَسَقَطَ المِضْمَدُ والخَيلُ جَرَتْ　　جامِحَةً وَفي البَراحِ نَفَرَتْ
وَنَفسُ إِفْمِيلَ على التُّرابِ　　أَهوى مِنَ الكُرسِيِّ لِلدُّولابِ
يَسِيلُ مِن فِيهِ ومِنْخَرَيهِ　　نَجِيعُهُ كَذاكَ مِنْ يَدَيهِ
وَانْفَضَخَتْ جَبهَتُهُ حِينَ وَقَعْ　　وفاضَتِ العَبْرَةُ والصَّوتُ انْقَطَعْ
ومِنْ امامِهِ ذِيُومِيذُ انْدَفَقْ　　وسائِرَ الخَيلِ مُبَرِّزًا سَبَقْ
تُفْرِغُ آثِينا القُوَى بالجُرْدِ　　حَتَّى تُنِيلَهُ أَعالِي المَجْدِ
تَلا مَنِيلا فَفَتَى نَسْطُورا　　مُطَهِّمَيْهِ سائِقاً مُغِيرا
يَصِيحُ: «هَلّاَ تُفْرِغانِ كُلَّما　　عَدْوًا لِمِثْلِ الحِينِ ذا أُعْطِيتُما
سَبقَ ذِيُومِيذَ نَعَمْ لَنْ أَزْعَما　　فَفَرَساهُ اليَومَ طارَتْ بِهِما
فالاسُ تُعلي مَجدَهُ لَكِنَّما　　وراءَ اتْرِيذَ اسْتَفِزّا الهِمَما
فَأَدْرِكاهُ أَفَلا أُخْجِلتُما　　وإِيثِيا حِجْرٌ جَرَتْ دُونَكُما [2]

وجهه في النشيد الخامس.

(١) اي انه اوقف الجياد وتناول السوط من على الارض ٠ وانما وسط الشاعر فالاس الاهة الحكمة ليصح سبق ذيوميذ لافميل في ما يلي

(٢) يقول عرب باديتنا «راعي الفرس سابق وراعي الحصان مسبوق» يريدون بذلك ان الحصان وان كان أحياناً أعدى من الحجر فانه يجد في جريه حتى يبلغها فاذا ادركها بقي وراءها ولم يتعدها ولهذا يؤثرون في الغزو والسباق اناث الخيل على ذكورها

شأنُكما السبقُ فلمْ أبطأتُما ... لأُقسمنَّ وأبرَّنْ قسما
عنْ سابقاتِ الخيلِ إنْ قصَّرتُما ... وغيرَ أطرافِ الجزا لمْ تغنما
لا خلتُما نسطورَ يعنى بكُما ... بلْ بظُبى أنصلِهِ أُهلكتُما
إيهِ إذاً فانبعثا وعندما ... نبلُغُ ذيَّاكَ المضيقَ المُظلما
نُعملُ فيهِ حيلةً فنقحما ... لمَّا أُضلُّهُ السبيلَ الأقوما»[1]
فجزعا لهولِ ذاكَ الزجرِ ... واندفعا حيناً ببطنِ البرِّ
فأنطلوخُ أبصرَ المضيقا ... حيثُ السيولُ هدَّتِ الطريقا
وانحدرتْ جوارفُ الأمطارِ ... بهُوَّةٍ تُنذرُ بالأخطارِ

ويستدل من كلام انطيلوخ هنا ان الامر كان بعكس ذلك عند اليونان اذ انه يعيب على جواديه سبق حجر منيلاوس وهي انثى

(١) لقد انكر بعض الشراح على هوميروس انطاق انطيلوخ جياده بهذا الخطاب . وما هذا الانكار الا لجهل هؤلاء المنكرين مزايا الذوق الشعري . والذي يخاطب الاطلال والاثار هو أولى بمخاطبة الجياد في حلبة المضمار . واليك مثالاً من الحريري يخاطب به أبو زيد السروجي مطيته بنفس خطاب انطيلوخ ونفسه فيحث حثه ويقسم قسمه قال :

سروجُ يا ناقُ فسيري وخدي ... وأدلجي وأوّبي واسئدي
حتى تطا خفّاك مرعاها الندي ... فتنعمي حينئذٍ وتسعدي
وتأمني ان تهمي وتنجدي ... ايه فدتك النوق جدّي واجهدي
وافري اديم فدفد ففدفدِ ... واقتني بالنشح عند الموردِ
ولا تحطي دون ذاك المقصدِ ... فقد حلفت حلفة المجتهدِ
بحرمة البيت الرفيع العمدِ ... انك ان أحللتني في بلدي
حللت مني بمحل الولدِ

بِنَفْسِهِ مِن ثَمَّ أَتْرِيذُ انْحَدَرْ مُنْفَرِدًا يَخْشَى لِقا الخَيلِ الأُخَرْ
فأَنْطِلُوخُ مِن عَلى الكُرْسِي انْحَرَفْ وغادَرَ المَنْهَجَ يَبْغِيهِ وَخَفْ
فَصاحَ أَتْرِيذُ بِمِلْءِ الجَزَعِ : « أَأَنْطِلُوخُ لِمْ أَرَاكَ لاتَعي
جِيادَكَ اكْبَحْ لِلطَّرِيقِ الأَوسَعِ فَسَوفَ تَجْتازُ بِذاكَ المَهْيَعِ (١)
فَإِنْ تُزَاحِمْني كِلانا نَقَعِ »
فَلَمْ يُصِخْ وساطَ ثُمَّ انْدَفَعا بِخَيلِهِ كَأَنَّهُ ما سَمِعا
فاجْتازَ مَرْمى كُرَةٍ قد قَذَفا بِها فَتى بَأْسٍ عَلَيها أُتْلِفا
فارْتَدَعَتْ خَيلُ مَنِيلا القَهْقَرى ولَمْ يَسُقْ خَشْيَةَ خَطْبٍ اكْبَرا
خَشْيَةَ أَنْ تَصْطَدِمَ العِجالُ فَتَسْقُطَ العِجالُ والرِّجالُ
وهكَذا في طَلَبِ الفَخارِ تُعَفَّرُ الأَوجُهُ بالغُبارِ
وصاحَ أَتْرِيذُ بِغُلِّ الكَدَرِ : « أَأَنْطِلُوخُ بَينَ كُلِّ البَشَرِ
ما قَطُّ حاكاكَ شَقِيٌّ مُفْتَرِي نَدَّ عَنِ الإِغْرِيقِ صِدْقُ المَخْبَرِ
وَهُمْ يَخالُونَكَ بالعَقْلِ حَرِي فَلَنْ تَفُوزَنَّ مَهٍ بالظَّفَرِ
أَو تُقْسِمَ الآنَ أَمامَ الزُّمَرِ »
وَفَرَسَيهِ ساطَ ثُمَّ صاحَ : « لا يُورِثْكُما الغَمُّ حَذارِ المَلَلا
دونَكُما مُذَكِّيانِ أُثْقِلا سِنًّا وسَوفَ يُجْهَدانِ عَجَلا » (٢)
فَجَزِعا لِصَوتِهِ وثارا وأَنْطِلُوخَ أَدْرَكا تَكْرارا

(١) المهيع الطريق المتسع
(٢) المذكي الفرس المسن

وظَلّتِ الصيّدُ بتِلكَ الحَلَقَهْ ترْقُبُ تِلكَ الضُّمَّرَ المُندفِقَهْ
تنْهَبُ قَلبَ السَّهلِ والعَجاجُ لِلجَوّ منْ وَقعِ الخُطى وهَّاجُ
وكانَ عَنهُمْ لِليَفاعِ انْعطَفا قَيلُ إِكْريتَ ومِنهُ أَشْرَفا
فَأَبْصرَ الخيلَ وَهُمْ لمْ يُبصرُوا وسَمِعَ الصوّتَ الذي يَزْدَجِرُ
فَعرَفَ الفارسَ عَن بُعدِ الأَمَدْ والأَشْقَرَ السابِقَ في تِلكَ الجُدَدْ
في وَجْهِهِ الغُرَّةُ لاحَتْ كالقَمَرْ فقامَ ثُمَّ صاحَ يَصْدُقُ الخَبَرْ :
« يا صَحْبِ يا عِصابةُ الأَقْيالِ أَلَكُمُ بَدا الذي بَدا لي
أَرى جِيادًا بَرَزَتْ حِيالي وفارِساً غَيرَ الذي في البالِ
فالسابِقاتُ أَصْبحَتْ تَوالي لا شكَّ أَلْفَتْ قدَرًا ذا بالِ
رَأَيتُها والنَّصبُ بادٍ عالِ جازَتْهُ والآنَ بِلا انْفِصالِ
أُسرِّحُ الطرْفَ على الأَطْلالِ كأَنَّني أَسعى الى المُحالِ
لا شكَّ عِندَ العَودِ والإِقبالِ طارَ العِنانُ مِن يَدِ الخَيّالِ
أَو جَمَحَتْ فيهِ ولَمْ تُبالِ وقَضَّتِ النِّيرَ وبالإِجْفالِ
وَلَّتْ فأَلْقَتْهُ على الرِّمالِ قُومُوا اجْتَلُوا حَقائِقَ الأَحوالِ
فلَمْ أَكُنْ ظَنِّيَ بالمُغالي وخِلتُني أُبصِرُ في الأَوالي
قَيلَ الإِتُولِ الشائعَ الأَفْضالِ رَوّاضَ مَتْنِ الجُرْدِ ذا الأَهوالِ
ذِيُومذَ القَرْمَ أَخا المَعالي »
هُنا ٱبْنُ ويلُوسَ لهُ تَصدّى وصاحَ فيهِ حانقاً مُحْتَدًا :

«أَإِيذُمِينُ لَمْ تَكُنْ بِالمُنصِفِ　　هَرَفْتَ أُلْفِيكَ بِمَا لَمْ تَعْرِفِ
فَتِلْكَ تِلْكَ الخَيلُ شُمُّ المَعْطَفِ　　تَنْتَهِبُ السَّهلَ وما الأَمْرُ خَفِي
ما كُنتَ بالغَضِّ الشَّبابِ التَّرِفِ　　بَلْ شابَ أَنْظارَكَ عَيْبُ الضَّعْفِ
والهَذَرَ عُوِّدْتَ بِقَوْلِ المُرْجِفِ　　أَفْقَتَ أَهْلَ الحُكْمِ في ذا المَوْقِفِ
حَتَّى تَشَدَّقْتَ بِهٰذا الصَّلَفِ　　فَخَيلُ إِفْمِيلَ نَعَمْ لَمْ تَخْتَفِ
بَلْ لَمْ تَزَلْ في الصَّدْرِ لَمْ تَنْحَرِفِ　　يُدِيرُ صِرْعَهَا بِلا تَكَلُّفِ»
فَقالَ إِيذُومِينُ يَصْلَى حَنَقا :　　«أَياسُ تَسْمُو قِحَةً وحُمُقا
ومَنْطِقاً بِكُلِّ خُبْثٍ ذَلِقا　　وفي سِوَى ذاكَ عَجِزْتَ مُطْلَقا
فَقُمْ وخاطِرْني فَأَيٌّ صَدَقا　　يُحْرِزْ قِدْرًا أَو إِناءً نُمِّقا
حَتَّى إِذا أَتْرِيذُ عَدْلاً نَطَقا　　هُناكَ تَدْرِي خاسِرًا ومُنْفِقا
أَيَّ جَوادٍ في الرِّهانِ سَبَقا»
فَهَبَّ آياسُ على الأَقْدامِ　　يَثُورُ لِلْجَوابِ بِاحْتِدامِ
وكادَتِ الفِتْنَةُ تَذْكُو ضَرَما　　لٰكِنَّ آخِيلَ تَصَدَّى لَهُما
فَقالَ: «إِيذُومِينُ آياسُ كَفَى　　لا كانَ مِنْ مِثْلِكُما هٰذا الجَفا
سِواكُما لَوْ حَلَّ هٰذا المَوْقِفا　　عَنَّفْتُماهُ فَاجْلِسا وانْعَطِفا
أَقْبَلَتِ الخَيلُ انْظُراها تَعْرِفا　　سابِقَها مِنَ الذي تَخَلَّفا»[1]

(١) هذا مشهد آخر من مشاهد السباق لا بد منه في كل مضمار فقد أبان الشاعر فيه حالة الواقف موقف الشاهد اذ لا بد له من ان يتمنى الغلبة لفريق دون آخر اما لضلع له

ثمَّ ذِيُوميذُ هنُاكَ لاحا		مُنتهِباً بخيلهِ البطاحا
تَسبحُ في الهواءِ والسَّوطُ على		أَكتافِها والنقعُ للجوِّ علا
وَراءها مَرْكَبةُ المَغارِ		تَسطعُ بالنُّحاسِ والنُّضارِ
طارَتْ فأَضحى أَثرُ الدُّولابِ		يُوشِكُ أَن يخفى على التُّرابِ
حتَّى إِذا بينَهمُ حلَّ انتصبْ		ثمَّ عن الكرسيِّ للأَرضِ وثبْ
وَمن صُدُورِها الى الأَرضِ اندفقْ		كذاكَ من أَعرافِها رَشحُ العرقْ
والسَّوطَ للمضمَدِ أَلقى وابتدرْ		من فورِهِ إِستِينلُ الى الخطرْ
فالبِكرَ والدَّسيعةَ المُكتَسبَهْ		أَلقى لِصحبِهِ وحلَّ المَرْكبَهْ [١]
إِذا بأَنطِلوخَ لِلقومِ بَدا		قَبلَ مَنيلا خُدعةً لا مطَّرِدا
لكنَّهُ ما ندَّ عنهُ وسبقْ		إِلاَّ كما الجوادُ بالنِّيرِ التصقْ
(إِذا لدى مَرْكبةِ القَيلِ اندفعْ		وذَيلهُ حولَ المحالاتِ ارتفعْ) [٢]

معه او لغرض آخر او لميل تدفعه اليه نفسه وهو لايعلم مصدرهُ • فلا غرابة اذاً في مثل هذه الاحوال ان تتباين الاميال فيحصل الجدال وقد يشتد فيعقبه القتال وهذا ما اراد الشاعر اثباته • ولكنه جعله سليم العقبى بوساطة اخيل • ولو كان بين عبس وفزارة حكم كاخيل لما ثارت بينهم الحرب على اثر سباق داحس والغبراء

(١) استينيل رفيق ذيوميذ وحوذيه والخطر جائزة الرهان • أي ان ذيوميذ وصل الاول ولم يكن له معارض فبادر رفيقه الى استلام الخطر المعد للمجلي وهو الغادة البكر والدسيعة

(٢) أي ان انطلوخ كان بمزاحمته منيلاوس قد ابتعد عنه مسافة مرمى كرة (أو قرص) أي سبقه شوطاً غير يسير ولكن منيلاوس جد وراءه فادركه ولصق

قَد كانَ مَرمى كُرَةٍ عنهُ ابتَعدْ ... لٰـكِنْ مَضى بإِيثيا يجري وَجَدْ
وَلو مَجالُهُمْ يَسيرًا طالا ... لأَحرَزَ السَّبْقَ وفخرًا نالا
ثُمَّ على مَرمى مُثقَّفٍ أَتَى ... حُوذِيُّ إِيذومينَ مِريونُ الفتى
فَلَيسَ ذا سَلاهِبٍ كِرامِ ... وَلَيسَ بالمِضمارِ ذا إِلمامِ
وَآخِرَ الحَلْبةِ مَقطُوعَ الصِّلَهْ ... لاحَ ابْنُ أَذْميتَ يجُرُّ العَجلَهْ
وَخَيلَهُ يَسُوقُ في مِحنَتِهِ ... فَرَقَّ آخِيلُ لَدى رُؤيَتِهِ
وصاحَ ناهضاً: « أرى الجَديرا ... بالسَّبْقِ أَضحى هاهُنا الأَخيرا
فَلا نُضِعْ إِقدامهُ المَبرُورا ... ذٰلكَ نالَ الخَطَرَ الخَطيرا [1]

فَلْنَجعَلِ الثانيَ ذا الأَميرا » [2]

فَاستَصوَبُوا وكادَ يُعطي الحِجْرا ... لَولَمْ يُعارِضْ أَنطِلوخُ جَهْرا
وصاحَ: « يا أَخيلُ إِنّي أَنقِمُ ... مِنكَ اذا اعتَدَيتَ فيما تحكُمُ
تَحرِمُني حقّي وانتَ تَزعَمُ ... إِفميلُ فيهِ الخَيلُ وَهوَ الأَيهَمُ
قَدأَصبحتْ عَنِ السِّباقِ تحجِمُ ... فَلو سَراةَ الخُلدِ عوناً منهُمُ
رامَ لَما كانَ أَخيرًا يَقدَمُ ... فَإِنْ بِهِ تُعنى وأَنتَ الأَكرَمُ

به كما يلصق الجواد بمضمد المركبة ويرتفع ذيله فوق دواليها

(١) قوله ذلك اي ذيوميذ

(٢) لقد راعى اخيل بقوله هذا جانب الوجدان والرفق دون الحظ والعرف لان افميل وهو من اشهر فرسانهم كانت خيله اجود خيلهم جميعاً • وكان السابق في الشوط الاول وانما تأخر عرضاً لحادث طرأ له

فَفِي خيامكَ المَنالُ الأَقْوَمُ من ذَهَبٍ ومِن نُحاسٍ يُرْكَمُ
والغِيدُ والخَيلُ بها والنَّعَمُ أَما لَهُ إِنْ شِئْتَ فيها مَغْنَمُ
مِن صِلَتي أَوفى نَعَمْ وأَعظَمُ عاجِلُهُ بالبِرِّ إِذاً فَتَعلَمُ
كُلُّ السُّرى أَنَّكَ أَنتَ المُنعِمُ لٰكِنَّني في مَغْنَمي لا أُرْغَمُ
ومَن يُعارِضْني بهِ فالحَكَمُ ما بيننا الصمُّ بها نَستَعصِمُ »
فهَشَّ آخِيلُ لهُ مُنتَصِبا إِذ كانَ إِلْفَ وُدِّهِ مُذْ الصِّبا
وقالَ : « مُذْ قد رُمتَ أَن أُنيلا من مَنزِلي جائزَةً إِفميلا
فالآنَ يُعطى الجَوشَنَ الثَّقيلا جَوشَنَ عَسْطَرُوفٍ الصَّقيلا(١)
ذاكَ الذي طَرَحتُهُ قَتيلا حَلْقَهُ صُفْرٌ زَها جَميلا

وَهوَ جَزاءٌ خِلتُهُ جَليلا »

ثُمَّ الى أَفطُوْمِذٍ أَشارا فَهَبَّ مِن ساعَتِهِ وسارا
وأَحضَرَ الدِّرْعَ وإِفميلُ حَبا بها فَفاضَ جَذَلاً وطَرَبا
لٰكِنْ منيلا قامَ وارِيَ اللَّهَبْ على أَبْنِ نَسطُورَ وبادِيَ الغَضَبْ
من كَفِّ فَيْجٍ صَولَجاناً قَبَضا يأْمُرُ بالصَّمْتِ السُّرى مُذْ نَهَضا(٢)
وَصاحَ : « أَنطِلُوخُ يا ذا العَقْلِ لِمَ اجْتَرَحتَ اليومَ شَرَّ الفِعلِ

---

(١) الجوشن الدرع فارسية معربة بلفظها

(٢) كانوا اذا اراد احدهم ان يخطب فيهم قبض على صولج واشار به فيصمتوا والغالب ان يتكلموا وبايديهم صوالج الفيوج (وهم الرسل والمنادون) وقد مرت امثال ذاك (راجع ن ٢ : ٢٥٧ و ٢٦٢)

وسُمْتَ شأني الخذلَ شرَّ الخذْلِ | أحرجْتَ خيلي وبخيلٍ خطْلِ
جُزْتَ سراحيبي الكرامَ الأصْلِ | فيا سراةَ القومِ آلَ الفضْلِ
هيُّوا افصلوا ما بيننا بالعدْلِ | كي لا يُقالَ بعدَ هذا الفصْلِ:
« غدْرًا منيلا قد غدا يستعْلي | وأحرزَ الحجرَ بفضْلِ النُّبْلِ
« والبأسِ لا بالجرْيِ فوقَ السهْلِ» | وها كُمُ حكمي بذا المحلِّ (١)
ولا إخالُني رهينَ العذْلِ | إذ إنّني بالحقّ حكمي أُملي
قُمْ أنطلوخُ وفقَ عرْفِ الأهلِ | وقفْ هنا قربَ الجيادِ مثْلي
والسوطَ ذا السوطَ الذي من قبلِ | سُقْتَ به اقبضْ بيدٍ وخلِّ
يدًا على الخيلِ أمامَ الكلِّ | واحلفْ بهدّامِ الورى الاجلِّ

أنّكَ لم تغدِرْ ولمْ تحتَلْ لي »

فقالَ: « صبْرًا يا منيلا صبْرا | جاوزتَني سِناً وفُقْتَ قدْرا
فنزقُ الشبابِ تدري خبْرا | يدفعُ فورًا ويُضلُّ الفكرا
جهلُ الصِّبا هذا وأنتَ أدرى | فالطيشُ فيهِ علّةٌ لا تبْرا
أنتَ إذًا بالعفوِ كُنتَ الأحرى | فدونَكَ الحجرَ فخذْها جهْرا
وإنْ تشأْ زدتُ صلاتٍ أُخرى | فذاكَ خيرٌ لي يا ابنَ أتْرا
مِنْ أنْ تسومَني قِلًى وهجْرا | وعندَ آلِ الخلْدِ أجني وِزْرا» (٢)

(١) يقول اذا حكمتم لي فاحكموا لي بالعدل ولا تحرفوا معي فتنيلوني الجزاء لعلمكم اني اشد بأساً من انطيلوخ او ارفع قدراً منه فنحن في حلبة رهان فيجب ان نحسب متساويين

(٢) يمثل لنا الشاعر انطيلوخ بن نسطور الحكيم فتى طابت فطرته وأحسنت

وَقادَها بيَدِهِ يُلقيها إِلَيـهِ فَاْعتزَّ بها بَدِيها
ومِثلما السُّنْبُلُ (والطَّلُّ فَرَشْ حُبابَهُ في مائدِ الزَّرعِ) انتعَشْ[1]
كَذاكَ يا أَتْرِيذُ لُبُّكَ انْشَرَحْ وَغلَّةَ الغَمِّ على الفَورِ اطَّرَحْ
وقالَ: «أَنطِلُوخُ عُفْتُ الغَضَبا والآنَ لي الإِذعانُ والغَيظُ خَبا
قد كُنتَ دوماً ذا حِجىً مُهَذَّبا لـكِنَّما بالعَقْلِ قد عاثَ الصِّبا
لا تَخدَعَنَّ بعدُ قيلاً أَنجَبا منكَ فلا سِواكَ فَوراً أَذْهَبا
غِلِّي وَقد شاهدْتُ فيما ذَهَبا كَمْ نَصَباً عانَيْتُمُ وَنَصَبا
أَنتَ وثْرَسيمِيذُ ذاكَ المُجْتَبى والشَّيخُ نَسطُورُ وكُنْتُ السَّبَبا[2]
عُذْرُكَ قد قَبِلْتُهُ مُسْتَصْوِبا والجِبْرُ لي خُذْها حَلالاً طَيِّبا
لِيَشْهَدَ الإِغريقُ في هذي الرُّبى أَنْ جَنانيَ العَسفَ والكِبْرَ أَبى»
ثُمَّ إِلى رَفيقهِ نُومُونا أَلْقى بها فَاْقتادَها مَأْمُونا
لِذاكَ بالمِرْجَلِ أَتْرِيذُ ذَهَبْ وخَصَّ مِرْيُونُ بِشاقِلَي ذَهَبْ
إِذْ كانَ تالياً أَتى على أَمَدْ وصِلَةَ المُرْتاحِ لَمْ يَنَلْ أَحَدْ[3]

تربيته ولكن نزق الصبا وحب الفخار يدفعانه الى الاسترسال في الغلواء على انه لايكاد ينبه الى خطأه حتى يرعوي بكرم عنصره ويرى ان تلافي الوصمة اقرب الى العصمة وان الاقرار خيراً من الاصرار وأبقى

(١) اي ان منيلاوس انتعش انتعاش السنبل اذا فرش الطل حبابه على سنبله القائم في الزرع المائد

(٢) يريد ان يقول اعرف لكم صنيعكم بجهادكم معي في هذه الحرب التي اضطرمت بسببي على هيلانة

(٣) لم ينل احد صلة المرتاح وهو الرابع لان جياد افيل اتت رابعة وحكم

لِذاكَ بالكُوبِ أَخيلُ راحا　　يُهْدي الى نَسْطورَ ثُمَّ صاحا :

« خُذْ أَيُّها الشَّيخُ فَهذا الذُّخْرُ لَكْ　　ذِكْراً لِفَطْرُقْلَ الذي آهِ هَلَكْ

ولَن تَراهُ بَعدُ في هذي الدَّرَكْ　　إِليكَ قد أَهدَيتُهُ إِذْ أَثقَلَكْ

عَجْزٌ فَلَنْ تَكُونَ مِمَّنِ اشْتَرَكْ　　لا بِلِكامٍ أَو صِراعٍ أَو سَلَكْ

في العَدْوِ والطعْنِ بهذا المُعْتَرَكْ » (١)

والكُوبَ أَلْقاهُ لَهُ فَطابا　　نَفْساً وَمِنْ ساعَتِهِ أَجابا :

« بُنَيَّ قد نَطَقتَ بالحَقِّ نَعَمْ　　قَد وَهَتِ الكَفُّ وخارَتِ القَدَمْ

آهِ فَيا لَيتَ شَبابي ما انْصَرَمْ　　ودامَ لي إِقْدامُ غابِرِ القِدَمْ

له اخيل بالسبق كما رايت ثم حباه بصلة من عنده فبقي الكوب المعد للرابع بلا صاحب ولم يكن اجدر به من نسطور فاهداه اخيل اليه وان لم يكن له دخل في المباهم وهي مراعاة لا اوقع منها في محلها .

(١) هذا سباق اليونان لا يكاد يختلف عن سباق العرب بشيء من كلياته الا ان هذا على صهوات الخيل وذاك على سدد العجال . والسباقان في ما سوى ذلك متشابهان فالحلبة والخطر والمضمار والخدع والشهود كلها تتشابه في الفريقين حتى لقد يتشابه ما يحتاله المتخاطرون لاحراز قصب السبق على غير السبيل المشروع فان انطيلوخ احتال بما رأيت على منيلاوس . وقد حصل ما يشبه ذلك في سباق داحس والغبراء اذ عقد قرواش بن هانىء العبسي وحمل بن بدر الفزاري رهناً على سباق هذين الفرسين وكان احدهما لقيس بن زهير العبسي والآخر لحذيفة بن بدر الفزاري ثم ارسلوهما في المضمار . وكان حمل الفزاري قد أقام كميناً في الطريق حتى اذا سبق داحس ينفره لتسبق الغبراء . فكان كذلك ووقع الخلاف بين الحيين فشبت على أثره حربٌ قتل فيها خلق كثير في حديث طويل ليس هذا موضعه . وهم يتشابهون ايضاً بارسال الخيل وحثها ومخاطبتها وتسميتها باسمائها الى غير ذلك مما يكاد يستوي به اكثر الناس مهما تباعدوا

لَمَّا الإِفيُونَ بِفُرَاسِ النَّعَمْ　سَعَوا الى دَفْنِ عمارِنقَا الحَكَمْ

وَوُلْدُهُ قدأجزَلُوا والحَشْدُ تَمّْ　جوائزَ الأَلعابِ حتَّى تُقتَسَمْ

فلم يَكُنْ في كُلِّ هاتِيكَ الأُمَمْ　مِنهُمْ ومن فيلوسَ أربابِ الشِّيَمْ

كَذامِنَ الإِيتُولِ مَنْ مَعي انْتَظَمْ　فإِقْلُطُوْ ميذُبْنُ إِينُفُسَ اصطَدَمْ

مَعي لِكاماً فانْثنى واري الأَلَمْ　ثُمَّ الفلوْرُونِيُّ أَنقاصُ هَجَمْ

نَحْوِي صِراعاًفانْثنى باديالنَّدَمْ　ثُمَّ إِفِكْلُوسُ الفَتى مَنِ اتَّسَمْ

بِعَدْوِهِ قَصَّرَ عَنّي وَاعْتَصَمْ　ثُمَّ بِزَجِّ الرُّمْحِ فِيلاسَ الأَشَمْ

وفُولِذُورا جُزْتُ مَا أُثُورَ العِظَمْ　لكِنَّني بِسَبْقِ العجالِ لَمْ

أَفُزْ وإِنْ كانَ لهُ القَدْرُ الاهَمْ　فوَلَدا أَكْتُورَ أَدْرَكا العَلَمْ

قَبلِيَ يَغنمانِ خيرَ مُغْتَنَمْ　والفوزُ لِلكَثْرَةِ بالفضلِ حَكَمْ

والتَّوأَمانِ انْبَرَيا فذا اقْتَحَمْ　بِسَوطِهِ وذا الأَزِمَّةَ استَلَمْ [1]

---

(١) هذا نسطور كجاري عادته بل كجاري عادة الشيوخ يذكّر القوم ويفاخرهم بماضيه حيث لايسعه ان يتفوق عليهم بحاضره . اشار بحديثه الى خطار سابق كان الراجح في كل ابوابه ما خلا السباق واعتذر عن ذلك بغلبة الكثرة على القلة وفي هذا القول ابهام لايتضح للقارىء الا اذا رجع الى اصل هذه الحكاية في اساطيرهم . قالوا ان مخاطر نسطور في ذلك الرهان كان فتى بل فتيان لاصق احدهما بالآخر منذ خلقا فلما برزا لسباق نسطور طلب ان يبرز معه فارس فذٌّ مثله فالفارس له يدان ولهذين التوأمين اربع ايدٍ فلهما مزية على الفارس الفرد فلم يعبأ القوم باعتراض نسطور فجرى معهما وقصر وهذا تفسير قوله

. . . .　والفوز للكثرة بالفضل حكم

والتوأمان انبريا فذا اقتحم　بسوطه وذا الازمة استلم

ذلكَ شاني كانَ من قبلِ الهرَمْ　　والآنَ للفتيانِ إبرازُ الهمَمْ
أتمِمْ إذًا ماتَمَّ إلفكَ الأحَمْ　　وها أنا أقبلُ بالبشرِ الأتَمْ
ذُخرَكَ إذ أكرمتَ يانِمَ الكرَمْ　　حرمةَ شيخٍ كانَ منْ أهلِ الحرَمْ
فلتجزِكَ الأربابُ موفورَ النِعَمْ »

الملاكمة

فبعدَ أنْ اصغى إلى نسطورا　　أخيلُ راحَ يخرقُ الجمهورا
مستحضرًا جائزةَ اللِكامِ　　بغلاً عتا في سادسِ الأعوامِ
ماريضَ بلْ يوشِكُ أنْ لا يقربا　　وقدحًا لِمَنْ عِيانًا غلبا [(١)]
وصاحَ: «أيُّ اثنينِ فاقا الجُندا　　وفي أساليبِ اللِكامِ اشتدّا
فليبرُزا فذا الجزا أعِدّا　　فمَنْ بنصرٍ فيبُسٍ أُمِدّا
وشهِدَ الجمعُ لهُ فيُهدى　　إليهِ ذا البغلُ القويُّ جِدّا
والكأسُ للمغلوبِ حقًّا يُسدى »
فقامَ قرمٌ باسلٌ كبيرُ　　إفيوسُ فانوفَ الفتى الخبيرُ
ألقى على البغلِ يدًا وقالا :　　«يامَنْ يرومُ القدحَ ابرُزْ حالا

قال الراعي : فلست بالاكثر منهم حصىً　　وانما العـزة للكاثرِ

(١) ترى ان الجوائز في جميع الالعاب كانت توزع على الغالب والمغلوب حتى اذا احرز الظافر فخر الغلبة وعاد بصلة نفيسة لايحرم المغلوب صلة دونها تجبر كسرهُ وتثبت انه من ذوي الخطارة لانه لايتبارى الا الاكفاء او الذين يكادون يكونون كذلك

فَلاسِوايَ البَغلَ مِنكُمْ نالا فَتىً ومِثلي خاضَ ذا المَجالا[1]
حَسْبِيَ أَنْ لا أُحسِنَ القِتالا مَن ذا الذي كُلَّ مَجالٍ جالا
قُلْتُ وإِنّي صادِقٌ مَقالا مَن قامَ لي قَطَّعْتُهُ أَوْصالا
ولْيَعْدِدِ الصَّحْبُ لَهُ الرِّجالا تَحْمِلُهُ مُثْقَلاً نَكالا »
فَصَمَتُوا طُرّاً سِوى فُرْيالِ عِدُّ بَني الخُلْدِ أَبي الأَهْوالِ
فَرْعِ مِكِسْتَ بْنِ طَلاوُوسَ وَمَن قَدْ كانَ مِن أَعْظَمِ لُكّامِ الزَّمَنْ
قَدْ كانَ في مَأْتَمِ أُوذِيبَ ظَهَرْ في ثِيبَةٍ وآلَ قَدْمُسٍ قَهَرْ
وَنَحْوَهُ ذِيُومِذٌ مُسْتَنْهِضا بادَرَ يَبْغي فَوْزَهُ مُحَرِّضا
شَدَّ لَهُ النِّطاقَ حَوْلَ الخَصْرِ والجُمْعَ غَشّى جِلْدَ ثَوْرٍ بَرِّي[2]
فَنَزَلا السّاحَةَ يَرْفَعانِ كَفَّيْهِما مَعاً ويَلْكُمانِ
حَتّى هُناكَ الجُمْعُ بِالجُمْعِ اشْتَبَكْ وَرَشَحَ الأَعْضاءُ واصْطَكَّ الحَنَكْ
فَانْقَضَّ إِفْيُوسُ وَفُرْيالَ لَطَمْ بِوَجْهِهِ لَطْمَةَ صِنْدِيدٍ غَشَمْ
فَلَمْ يُطِقْ لِهَوْلِها احْتِمالا وارْتَجَفَتْ أَعْضاؤُهُ ومالا

(١) لا يصلح ان يكون الراجح في هذا المجال الا بغلاً يجاز بغلاً وكأن هوميروس فطن لذلك فاختار للكام عتلاً ضخم الجثة قوي الهامة لم يكن له شيء من الشأن في مضارب الفرسان واجاز هذا البغل بغلاً نظيره

(٢) الجُمع الكف حين تقبض . كان ذيوميذ صديق افريال ولهذا بادر اليه يحرضه وينشطه ويلبسه لباس اللكام فشد له النطاق على حقويه واعطاه قفاز الجلد ليغشي به كفه كما يفعل المتلاكمون في هذه الايام

كالحوتِ والنوءِ بشمألٍ عصفْ في الجُرْفِ بين زَبَدِ البحر اُنتجفْ
لكنَّ إفيُوسَ انحنى عليهِ يرفعهُ ما بينَ ساعديهِ
وصحبُهُ خفُّوا بهِ والتوَتِ ساقاهُ والهامةُ أيضاً أهوَتِ
يسيلُ وَهوَ لا يَعي شمُورا نجيعهُ مِنْ فَمِهِ غزيرا
كذا بهِ سارُوا بملءِ اليأسِ ولم يفتهم أخذُ تلك الكاسِ[1]

الصراع

ثمَّ انبرى أخيلُ للخطابِ منتدباً لثالثِ الألعابِ
يُري القرُومَ تحفَ الصِّراعِ محتثاً لهولهِ الروّاعِ
للصارعِ الفائزِ مرجلٌ أغرّْ قيمتهُ اثنا عشرٌ منَ البقرْ
وللصريعِ غادةٌ مروّعهْ قيمتها لا تتعدّى الأربعهْ
وصاحَ: «يا أبطالُ من منكم رَغِبْ بخوضِ ذا الميدانِ ألا ينتصبْ»
فقامَ أوَّلاً أياسُ الأكبرُ ثمَّ أُذيسُ السائسُ المدبِّرُ
تمنطقا وبرزا بلا عددْ والتقيا واشتبكا يداً بيدْ
تلاصقا تلاصقَ الجسرَينِ في السقفِ بالبناءِ قائمينِ
قد رُسِّخا بحكمةِ البنَّاءِ لصدِّ فعلِ الغيثِ والأنواءِ
حتَّى عُرى الأضلعِ كادتْ تنكسرْ والرشحُ سيَّالٌ كغيثٍ منهمرْ

---

(١) هذا بلا ريب اقبح انواع الرياضة ولا اعلم وجه الحكمة في بقائه حياً في بلاد تعد في مقدمة البلاد الحية واكثرها تفنناً في الالعاب الرياضية . ولا ارى له اثراً

وكلَّفُ الدِّماءِ حُمْرًا تجري على الصِّفاحِ وفِقارِ الظَّهرِ [١]
والـكلُّ وارٍ بأُوارِ الأَمَلِ لِلْفَوزِ بالنَّصْرِ وذاكَ المِرْجَلِ
فَـلا أُذِيسٌ بأَياسٍ ظَفِرا ولا أَياسُ نالَ مِنـهُ وَطَرا
فَضَجِرَ الحُضَّارُ أَجْمَعُونا فَعِندَ ذاصاحَ أَبْنُ تِيلامُونا :
«أُذِيسُ طالَ الأَمْرُ فارْفَعْني هُنا وإِنْ تَشأْ رَفَعْتُكَ الآنَ أَنا
وزَفسُ مَوكُولٌ لهُ باقي العَنا »
ثَمَّ على الفَورِ أَياسُ رَفَعَهْ ولم يَكُنْ ذاكَ لِيَنْسى خُدَعَهْ
عَنْفاً على السَّاقِ أَياساً ضَرَبا فَالْتَوَتِ الرُّكْبَةُ ثُمَّ أنْقَلَبا [٢]
وفَوقَ صَدرِهِ أُذِيسُ وَقَعا والجَمْعُ يَسْتَعْجِبُ مِمَّا صَنَعا
ثُمَّ أُذِيسُ رامَ أَنْ يَحْتَمِلَهْ لٰـكِنَّهُ لم يَقْوَ أَن يُقَلْقِلَهْ
حتَّى لَوى الرُّكْبَةَ والقِرمانِ كِلاهُما خرَّا يُعفَّرانِ
ثالِثَةً هَمَّا بأَنْ يَصْطَدِما لٰـكِنَّما الأَمْرَ أَخِيلُ حَسَما :
«كَفى صِراعاً وكَـفى أَذِيَّهْ كِلاكُما قد أَبْرَزَ الحَمِيَّهْ

في مخاطرات العرب في جاهليتهم

(١) يظهر من رؤية كاف الدماء على جسدى المتصارعين انه لم يكن عليهما من اللباس الا السترة المعتادة في مثل هذه الاحوال وهو ما لا يزال جارياً في بلاد العجم بين مصارعيهم (او بهلوانيهم)

(٢) هذه خدعة كثيرة الاستعمال بين المتصارعين وهي حيلة يلجأ اليها الافل قوة الاخف حركة والعرب يقولون ضربه الشغزبية او الشعربية اذا لف ساقه على ساق خصمه وتقول عامة اهل الشام « فركشه » ويقولون في مصر « شكلُ مقلبْ »

فَلَكُما الجزاءُ بالسَّوِيهْ كُفأً إذا لِتَبْرُزَ البَقِيَّهْ»
فَسَمِعا وَأَمْرَهُ أَطاعا وانْفَصَلا وغادَرا الصِّراعا
وَنَفَضا الغُبارَ ثُمَّ لَبِسا كُلٌّ رِداهُ وَمَضَى فَجَلَسا[1]

الحُضْر

وَخطرَ الحُضْرِ أَخيلُ أَبْرَزا حقًّا مِنَ اللُّجَيْنِ كانَ أَحْرَزا[2]
مُنَمْنَمٌ مَكيلُهُ سِتًّا وَزَنْ ما مِثْلُهُ حُقٌّ بِذَيَّاكَ الزَّمَنْ
زَخْرَفَهُ أَبْناءُ صَيدا وخَرَجْ قَومُ فِنيقيا بِهِ على اللُّجَجْ
حَتَّى إذا لِمَنُوسَ جاؤا وَقَفُوا حَيثُ بِهِ القَيلَ ثُواسَ أَتحَفُوا
وإِفْنِسُ بْنُ إِيْسُنٍ بَيْنَ العِدى بِهِ ابْنَ فِرْيامَ لِقاوُونَ افْتَدَى

---

(١) حكم اخيل للمتصارعين بالجزاء على السواء ولم يقل الشاعر كيف تساوت القسمة اذ كان الجزاء مرجلاً قيمته اثني عشر ثوراً وسبية قيمتها اربعة من الثيران . ولقد استاءت عقيلة داسيه لهذا البخس في قدر بنات جنسها . ولكن فاتها ان المراد هنا سبية رقيقة والارقاء من الذكور كانوا يباعون بتلك الاثمان وابخس منها . وفاتها ايضاً ان هوميروس وان ذكر للنساء حطة كما قال في هذا الموضع فقد بوّأ المرأة اعلى مراقي الرفعة في مواضع اخرى أوليس هو القائل عن هيلانة

ليس بدعاً ان كان هذا سناها وعليها تلاحمت امتان

ـــ لا شك ان الصراع اقدم ما مر وما سيجيء من الالعاب لانه الاصل في اسباب الهجوم والدفاع . كان له شأن عظيم عند العرب كغيرهم وذكروا كثيرين ممن اشتهروا بقوة ذراعهم وخفة بدنهم ومن اشهرهم هلال بن الاشعر المازني ذكر له صاحب الاغاني وغيره اخباراً من قبيل الخوارق بغرابتها

(٢) الحضر العدو او الركض

لِذَاكَ فَطْرُقْلُ عَفَا عَنْ دَمِهِ ... وَالآنَ قد أُبْرِزَ في مَأْتَمِهِ
أَعَدَّهُ خليلُهُ للسَّابِقِ ... وَخَيْرُ ثَورٍ قارحٍ لِلاَّحِقِ
وَللأَخيرِ نِصفُ شاقِلٍ ذَهَبْ ... مِنْ ثَمَّ بَيْنَ القومِ ناهِضاً خَطَبْ
وصاحَ: «يا سَراةُ مَنْ مِنكُمْ رَغِبْ ... بِخَوضِ ذا المَيدانِ حالاً يَنْتَصِبْ»
فَانْتَصَبَ ابْنُ وِيلُسٍ أَياسُ ... ثُمَّ أُذِيسُ اللَّبِقُ النِّبْراسُ
فَأَنْطِلُوخُ سابِقُ الأَتْرابِ ... وَانْتَظَمُوا صَفًّا على اقْتِرابِ
وَلَهُمُ أَخيلُ أَعْلَنَ الغَرَضْ ... فَانْبَعَثُوا انْبِعاثَ عَدَّاءٍ رَكَضْ
إِذا بأَياسَ سَريعاً سَبَقا ... لكِنْ وَراءَهُ أُذِيسُ طَبَقا
يَدْنُو كَما النَّسَّاجَةُ البَدِيعَهْ ... لِصَدْرِها قد دَنَتِ الوَشِيعَهْ[1]
(إِذا بِها بِنَوْلِها أَمَرَّتِ ... سِلْكاً بِهِ تَحُوكُ ثُمَّ اجْتَرَّتِ)
خُطاهُ في خُطى ابْنِ وِيلُسٍ تَقَعْ ... مِن قَبلِما العِثْيَرُ عَنْهُنَّ ارْتَفَعْ
يَجْرِي على أَعْقابِهِ وَنَفَسُهْ ... بِرَأْسِ آياسَ يَثُورُ قَبَسُهْ
وَالقَومُ طُرًّا يَرْتَجُونَ الغَلَبَهْ ... لَهُ وَضَجُّوا وَهُوَ عادٍ عَقَبَهْ

---

(١) الوشيعة خشبة الحائك . أي ان أوذيس كان مطبقاً وراء أياس يكاد يلصق به كما تكاد تلصق الوشيعة بصدر النساجة وهي تحوك . قال ذلك اطراء لسرعة المتسابقين . ولا يخفى ان صناعة النسج والحياكة كانت من خصائص النساء عند الاقدمين ولهذا قال هوميروس الحائكة ولم يقل الحائك . ومثل ذلك قول المسيب بن علس اذ شبه سرعة مطيته بسرعة يدي المرأة التي تحوك ثوباً وقد همت قبل المساء باكمال جدّاده اي باقي خيوطه :

مثل السريعة بادرت جدّادها ... قبل المساء تهم بالاسراع

حتى إذا على الختام أشرفا … أذيسُ فالاسَ دعا وهتفا :

«عونك يا ربة قوّي قدمي» … وذلك الدعاء في الحال نُمي

فشددت بالعزم معصميه … وخففت بجريه رجليه

وحين هما أن يصيبا الخطرا … أياسَ فالاسُ رمت فعثرا

أكبَّ في خثي ثيار ذبحا … أخيلُ في مأتم فطرقل ضحى

به امتلا فوه وأنفه وخنف … أذيسُ أولاً الى أولى التحف

وأسرع ابن ويلس يليه … والخثيُ حشو أنفه وفيه

لقرن ذاك الثور حالاً مالا … وصاح وهو يتفل الدمالا:(١)

« واخيبة الهمة والإقدام … فربة تلك لوت اقدامي

وعن أذيس أبداً تحامي … كالأم منذ غابر الأيام »

فارتفعت قهقهة الجمهور … وأنطلوخ صاح بالحضور

قال لهم مبتسماً مسرورا … وإن غدا مغنمه الأخيرا:

«هلاً يا صحب خبرتم خبري … آلُ العلى تجلُّ قدر العمر

أياسُ فاتني نعم بنزر … لكن أذيس إلف ذاك العصر

شيخ ولكن ذو جنان نضر … ما معه قطُّ بهذا الدهر

خلا أخيل من مجار يجري »(٢)

---

(١) الدمال الخثي او روث الحيوان

(٢) لم يكن أنطيلوخ بالفتى المكابر كما علمت من محاورته مع منيلاوس ولكنه

أجابَ آخيلُ لِذا الإطْراء : «ما كُنتَ مَدَّاحي بلاجزاءِ[1]
لِذاكَ قد زِدْتُكَ مِن حِبائي نُضارَ نِصفِ شاقِلٍ وضَّاءْ»
وعاجلاً تَفَحَهُ بالذَّهَبِ فَراحَ مُعْتَزًّا بِملءِ الطَّرَبِ[2]

الطِّعان

ثُمَّ أَتى بِعامِلٍ طَويلِ وخُوذَةٍ وَمِجْوَبٍ ثَقيلِ
سِلاحِ سَرْفِدُونِ الذي أُستُلِبْ فَطَرُقِلُ لمَّا ذلك القَرْمَ غلبْ
بَينَ الجُمُوعِ طَرَحَ الجَميعا وصاحَ يَستَنْهِضُهُمْ سَريعا :
«أَبسَلُ مَن في القَومِ قَرْماً صدِّ فَليَبْرُزا بكُلِّ ماضي الحَدِّ
الى الطِّعانِ بَينَ كُلِّ الجُندِ وَمَن هُنا سالَتْ دِماءُ النِّدِّ
بِطَعْنِهِ فَوقَ الحَديدِ الصَّلْدِ نُعطِيهِ سيفَ عَسْطَرُوفَ الجَلْدِ
ذاكَ الذي اكتَسَبْتُهُ بِجَدِّي قَتيرُهُ الفِضِّيُّ زاهي الوَقْدِ

غالباً ومغلوباً فتىً لبقٌ متجمل بحكمة أبيه نسطور والتمس لنفسه عذراً حسناً بتقصيره عن ندّيه وختمه بمدح أخيل مدحاً استماله فيه اليه

(١) انه وان كانت الالياذة خلواً من البحث في مدائح الشعراء وجوائز الملوك فانه يظهر من قوله « ماكنت مدّاحي بلاجزاء » وأمثالها انهم كانوا يجيزون المدح بالمال الوافر نظير العرب ولكنهم لم يغالوا فيه مغالاة أصحابنا سامحهم الله

(٢) الحضر أيضاً مما كان يتنافس به العرب ولهم عدّاؤون مشهورون كالشنفرى وشيبوب العبسي أخو عنترة وتأبط شرّاً ولكن اعداهم الحارث بن عمرو التميمي الملقب بسليك السلكة قيل له ذلك لان أمه كانت تلقب بالسلكة وهي أنثى الحجل. وكانت العرب تسميه سليك المقانب وهي جماعات الخيل لانه كان أعدى العرب على رجله لاتلحقه الخيل الجياد وله بهذا المعنى أخبار عجيبة لامحل لايرادها

لكِنْ سِلاحَ سَرْفِدُوْنَ نُهْدي　　الى كِلَيْهما شِعارَ مَجْدِ

وَلَهُما مِنّي جَميلُ الوَعْـدِ　　في الخِيَمِ أُدْبَةٌ بضافي الرَّغْدِ»

فَقامَ آياسُ التِّـلامُونيُّ　　ثُمَّ ذِيُوميذُ الفتى السَّريُّ

تَسلَّحا في طَرَفِ الكَتائبِ　　وبَرَزا بُرُوزَ لَيثٍ واثِبِ

يَحْتَدِمانِ لِلِّقـا أُوارا　　بأَعيُنٍ قادِحَةٍ شِرارا

تَدانَيا وَوَقْعُ ذاكَ المَنْظَرِ　　لِهَولِهِ ارْتاعَ جَميعُ العَسْكَرِ

كَرَّا ثَلاثاً وثَلاثاً أَعلَنـا　　ظُبى القَنا ثُمَّ أَياسُ طَعَنا

فَخَرَقَ المِجْوَبَ لكِنْ ما وَلَجْ في الجِسمِ بل في اللَّأْمَةِ الرُّمحُ اخْتَلَجْ

ثُمَّ ذِيُوميذُ أَجالَ العامِلا　　بهِ أَياسَ طالِباً مُقابِلا

يَرْقُبُ فُرصَةً لِشَقِّ الجِيدِ　　من تحتِ تُرْسِ ذلكَ الصِّنْديدِ

فاشْفَقَ القَوْمُ على أَياسِ　　وأَمَرُوا بالكَفِّ خَوفَ الْبَاسِ

وقِسْمَةِ الجَـزاءِ بالسَّواءِ　　لكِنَّ آخيلَ بِلا إِبْطاءِ

أَلْقى إِلى ذِيُوميذَ الحُسَاما　　والغِمْدَ والنِّجادَ ثُمَّ قاما [1]

---

(١) يستفاد من ثلاثة مواضع بباب الطعان انه لم يكن المقصود منه ان يقتل أحد المتطاعنين الآخر بل ان يجرحه فقط اذ قال أولاً « ان الذي يسيل دم مباريه ينفح بالجزاء الاول » ولم يقل ان الجزاء للقاتل • ثم جعل جزاءً للطاعن والمطعون دلالة على انهما يبقيان حيين وأرانا الشاعر بعد ذلك انهم كانوا يراقبون المتطاعنين حتى اذا خيف البطش باحدها فصلوهما كما يُفعل بلعبة السيف والترس في بعض البلاد الشرقية وبالمتبارزين بالسيوف في بعض بلاد الغرب – ومهما كان من خشونة هـذا البراز فهو اقل حماقة واكثر معنى ولباقة من اللكام

الكرة

يُلْقِي على مرأى جميع الصَّيدِ هائلَ أُكْرَةٍ منَ الحديدِ[١]

كانَ بها يقذفُ إِيتيُونُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدرِكَهُ المَنُونُ

بهِ أَخُو البأْسِ أَخِيلُ مُذْ فَتَكْ بِفُلْكِهِ استقلَّ كلَّ ما مَلَكْ

فصاحَ: «مَنْ بِذا الجزاءِ طَمِعا منكُمُ أَلا ما الآنَ فوراً أَسْرِعا

فهوَ لِمَنْ أَبْعَدَ مَرْمَى رَفَعا مَهْما نَما مَزْرَعُهُ واتَّسَعا

ما بعدَ ذا خمسةَ أَعوامٍ سعى لِبَلَدٍ يبغي الحديدَ المُودَعا

لحارثِ الأَرضِ وللذي رَعى بل فيهِ ما يكفيهِ هذا المَطْمَعا»[٢]

فهبَّ فُولِيفِيتُ الجبَّارُ ثمَّ لِيُنْطُ الباسلُ القهَّارُ

ثمَّ أَياسُ الأَكبرُ المِغْوارُ والقرْمُ إِفْيُوسُ وصفًّا دارُوا

أَوَّلُهُمْ إِفْيُوسُ أَلقى بالكُرَهْ فاندفعتْ دائرةً منتثرَهْ

فقهقهَ الجمعُ وبعدَهُ قذفْ بها لِيُنْطُ ثمَّ أَياسُ وقفْ

وإِذْ بعزمِ زَنْدِهِ مشتدًّا رمى بها مَرْماهُما تعدَّى

---

(١) ان لفظه (Σολος) باليونانية لاتعني الاكرة او الكرة كما عربناها ولا تفيد القرص كما فسرها الاكثرون ولكن معناها قطعة حديد على الاطلاق . فعربناها بكرة لقرب اللفظة الى مفهومنا وعرفنا وفسروها بالقرص لقربها الى لفظه (Διςκος) ومعناها القرص

(٢) يقول ان من ربح هذا الجزاء لحديده يكفيه خمسة اعوام مؤونة السعي الى المدن في طلب الحديد لمحراث او سكين وما اشبه

لٰكنَّ فُوْلِيفِيتَ لمَّا أَلْقى بِها على الجَميعِ حازَ السَّبْقا
فَانْبعَثَتْ بِمَشْهَدِ الحُضُورِ مُبْعَدَةً عَن مَجْلِسِ الجُمهُورِ
كَبُعدِ مَرْمَى مِحْجَنِ البَقَّارِ يَغُلُّ فَوقَ راتِعِ الثِّيارِ
والجَمْعُ ضجَّ وَبِتلكَ الصِلَةِ لِمُلْكِهِ أَصحابُهُ بادَرتِ

النّضال [1]

ثُمَّ أَخيلُ صاحَ بالنُّبَّالِ يُطْمِعُهُمْ بالأَقْؤُسِ الغَوالي
عِشْرِينَ مِن صَلْدِ الحَديدِ قد أَعَدْ عَشْرًا بِحَدَّينِ كَذا عَشْرًا بِحَدْ
ثُمَّ على مَسافَةٍ في السَّهلِ سارِيَةً أَرْكَزَ فَوقَ الرَّمْلِ
بِمَسَدٍ دَقَّ عليها عَلَقا حَمامةً بِرِجْلِها قد أَوْثَقا [2]
حتَّى تَكُونَ الغَرَضَ المَقْصُودا ثُمَّ دَعا يَستَنْهِضُ الجُنُودا :
«أَلأَقْؤُسُ الأُولى لِمَنْ أُنِيلا بِأَنْ يُصيبَ الطَّائِرَ الذَّلِيلا
وَذي لِمَن يُخطِئُهُ قَليلا ثُمَّ يُصيبُ المَسَدَ المَفتُولا »
فَهَبَّ طِفقِيرُ الاميرُ ونَهَضْ مِرِيُونُ تِبْعُ إِيذُمِينَ واعتَرَضْ
فَاستَقْسَما بِخُوذَةٍ مِن صُفْرِ فَلاحَ طِفقيرُ بِبَدْءِ الأَمْرِ
بالعَزْمِ والزِّماعِ سَهمًا أَرْسَلا لكِنْ عَنِ النُّذُورِ عَفْوًا غَفَلا
لِفِيبُسٍ لم يَنْوِ عِندَ ما عَزَمْ مِن غُرَرِ القُرْبانِ أَبْكارَ الغَنَمْ

(١) النضال المباراة في رمي السهام
(٢) المسد الحبل

فلم يُصبْ بسهمهِ الحمامهْ إذ إنَّ فيبساً بَغى إرغامهْ
لكنْ إزاءَ الرجلِ في الحبلِ وقعْ مريشهُ والحبلُ في الحالِ انقطعْ (١)
ومالَ والطائرُ مذْ نالَ الفرجْ حلَّقَ في الجوّ وكلُّ الجمعِ ضجْ
فانتاش منهُ القوسَ مريونُ وفي يديهِ سهمهُ بلا توقُّفِ
ومئةَ الخرافِ أبكاراً نذرْ ضحيةً لذي السهامِ تُدَّخرْ (٢)
ورشقَ النبلَ بلا اضطرابِ مسدّداً والطيرُ في السحابِ
فمن جناحِ الطائرِ السهمُ برزْ ثمَّ لدى مريونَ في التربِ ارتكزْ
والطيرُ فوقَ الدقلِ المَوتودِ أهوى هديلَ الجنحِ لاوي الجيدِ (٣)
فخمدتْ أنفاسهُ وهبطا وللثرى عنهمْ بعيداً سقطا
وأعينُ الجميعِ بانصبابِ عليهِ راقبتهُ باستعجابِ
لذاكَ مريونُ القوسَ الأُولى نالَ وباقيها لطفقيرَ خلا (٤)

(١) مريشه اي سهمه المريش .

(٢) ذو السهام افلون

(٣) الدقل السارية

(٤) قد رأينا ان طفقير كان ارمى رماة الاغريق ومع هذا فقد قصر في نضال مريون وذلك لانه اتكل على براعته ومعرفته ولم يتوسل الى مولاه فكان الفائز مريون وانما فاز بتقواه دون قواه • وهي حكمة ينبه اليها الشاعر كلما سنحت له سانحة • ولقد رأينا قبل بضعة أبيات ان أوذيس الكهل كان أعدى من فتيين اطرأ الشاعر خفة اقدامهما مراراً ولكن أوذيس لم يتكل على خفة قدمه بل دعا فاستجيب دعاؤه — كان النضال من اسمى اسباب المنافسات في جاهلية العرب • وقد تقدم لنا ذكر نضال جميل وعتبة عشيقي بثينة (ن ٢٢ : ١٠٢٢)

المراشقة

ثُمَّ أَخيلُ عاملاً مُثقَّفا ألقى وألقى مِرجَلاً مُزَخرَفا
مُزَيَّناً بصوَرِ الأزهارِ لم يَعلُ قطُّ بعدُ فوقَ النَّارِ
جائزةً لِلرَّامحِ المُجيدِ بالرَّشقِ بالصَّعادِ من بَعيدِ [1]
فقامَ ذو الطَّولِ أغاممنونُ كذا انبرى منتصباً مِريونُ
فصاحَ آخيلُ: «وهل منّا أحدْ يجهلُ يا أتريذُ كم فقتَ العمَدْ
وكم برَجٍّ وقوًى كنتَ الأشدْ اذاً لكَ الجزاءُ بالحقِّ مُعَدْ
خُذهُ الى فُلكِكَ من غيرِ مَرَدْ وإن تشأ ماشئتُ في هذا الصَّدَدْ
فلنحبُ مِريونَ بذا الرُّمحِ وقدْ »
بذاكَ أتريذُ لهُ أبدى الرِّضا والرُّمحَ مِريونَ حباهُ فمضى
ثُمَّ استقلَّ الخطَرَ النَّفيسا يُلقي بهِ لِلفَيجِ تَلثيبوسا [2]

---

(١) الصعاد الحراب

(٢) احسن الشاعر ايما احسان باستبقاء اغاممنون الى آخر الحفلة واستنهاضه للخطار بامر يتبارى به الملوك والزعماء فأدى الشاعر مفاداً كثيراً بهذا الكلام الوجيز اذ اثبت انه لم يكن يليق باغاممنون واليه منتهى الرئاسة ان يبقى بمعزل عن القوم فلا بد ان يمتاز بامر خطير . ولم يكن يجدر به ايضاً الا ان يهتم لمأتم فطرقل رعاية لاخيل . ولم يكن يصح ان تختم الحفلة على غير يده ففعل وكان الفائز . ثم وجب على اخيل بعد هذا ان يرعى حرمة اغاممنون فأجله وحكم له بالجزاء فوراً وهي مجاملة لم يبدها لاحد غير اغاممنون . فثبت من كل تقدم ان التصافي قد احكم بين الخصمين وزالت كل اسباب الخلاف

النشيد الرابع والعشرون

اعادة جثة هكطور الى اهله

مُجْمَلُهُ

ارفض جيش الاغريق الى سفنهم يستطيبون الزاد والرقاد
وظل اخيل والكرى قاتل الاسى بذكراه فطرقلاً يؤرقه السهدُ

ولما لاح الصباح دار ثلاثاً حول قبر فطرقل بجثة هكطور فعطفت الآلهة على هكطور وسعت في انفاذ هرمس لرفع الجثة فمارضتهم هيرا واثينا فاستدعى زفس ثيتيس فحاسنها وانبأها بانه يود ان يعيد اخيل جثة هكطور الى والده الشيخ. فذهبت ثيتيس بالامر فاستمع اخيل مطيعاً . ثم انفذ زفس ايريس الى فريام يأمره بافتداء ابنه . فأخبر فريام امرأته بذلك فمارضته ولم تدعن حتى اطمأنت برؤية نسر أرسله زفس . فركب فريام مركبته واستصحب أذيوس فأدركه هرمس في السهل ورافقه حتى أدخله الى خيمة أخيل ولم يشعر به أحد . فقبل أخيل الفداء وسلّم فريام الجثة وادعه أحد عشر يوماً ليتسنى له القيام بمأتمه. ولما أظلم الليل ايقظ هرمس فريام وسار به قافلاً الى اليون . ولما قارب البلد أبصرت كسندرة ابنته جثة أخيها يعود بها أبوها فصاحت وناحت واندفع الناس أفواجاً لملاقاة ملكهم. فدخل فريام واستقبله الجمهور ورثت هكطور امرأته اندروماخ وأمه ايقاب وامرأة أخيه هيلانة. ثم بادر الجمع الى الاحتطاب واضرموا النار وقضوا بالمأتم عشرة أيام ثم جمعوا عظامه ودفنوها في قبر اعدوه له

ولهم قدم المليك طعاما . كان في مأتم الفقيد ختاما

يستغرق هذا النشيد ثلاثة وعشرين يوماً منها اثناعشر يوماً أثناء اقامة جثة هكطور خيمة اخيل واحد عشر يوماً مدة الهدنة ومجرى الحوادث في خيمة اخيل واليون

النشيد الرابع والعشرون (١)

إلى الفلك لما ارفضّ ذيالك الحشدُ ... تفرّق يبغي الزاد والوسن الجُندُ
وظلّ أخيلٌ والكرى قاتلُ الأسى ... بذكراه فطرُقلاً يؤرّقهُ السهْدُ
ينوحُ على إقدامه وزماعهِ ... وكلُّ سجاياهُ لخاطرهِ تبدُو
ويذكُرُ كم حرباً بها جُهدا معاً ... وكم بعُبابِ البحرِ نالهما الجُهدُ
يُكبُّ فيستلقي يسيراً فينثني ... على صفحتيهِ والهواجسُ تشتدُّ
فينهضُ ملتاعاً تسحُّ دموعهُ ... وفي الجُرفِ يجري جريَ من فاتهُ الرُّشدُ
فهامَ إلى أن أبلجَ الفجرُ ساطعاً ... بهِ يستضيءُ البحرُ والغورُ والنَّجدُ
لمركبهِ شدَّ الجيادَ وخلفهُ ... لقد شدَّ هكطورٌ على التُّربِ يمتدُّ
على قبرِ فطرُقلٍ ثلاثاً بهِ جرى ... وعادَ ابتغاءَ النوم للخيم يرتدُّ
وغادرَ هكطوراً مُكباً على الثرى ... ولكنّ فيبوساً بهِ هاجهُ الوجدُ
فمدَّ عليهِ عسجديَّ مجنّهِ ... فلا مسّهُ ضرٌّ ولا مُزِّقَ الجلدُ (٢)

---

(١) يتضمن القسم الاول من هذا النشيد وصف حالة اخيل بعد اداء ما عليه من واجب الاخاء وقضاء حق الوفاء بمأتم فطرقل وانثناءهُ الى جثة قاتله هكطور يسومها الذل والهوان. وقيام الآلهة للبحث في هذا الامر — وقد جعلنا قوافيه مختلفة باختلاف السياق والموضوع

(٢) مضى على مقتل هكطور اثنا عشر يوماً وهي مدة تنحل فيها اعضاء الجثث وتفسد . ولم يكن هوميروس ليجهل انه يعترض عليه بمثل هذا فاستدرك بقوله ان افلون حفظه «ومد عليه عسجدي مجنه فلا مسه ضرٌّ ولا مُزّق الجلدُ»

فَساءتْ بَني العَلْيا مَهانَتُهُ لِذا ... لَدى هِرْمِسٍ طرًّا بإِنْقاذِهِ جَدُّوا [١]
عَلى أنَّ آثينا وهيرا وفوسذَا ... تَصدَّوا ولكنْ لَيسَ يُجْدِيهم الصدُّ
(عَلى قُدْسِ إِلْيُونٍ وَفِرْيامَ لُبِّهِمْ ... وَأَقْوامِهِ ما زالَ يُلْهِبُهُ الحِقْدُ
فَفارِيسُ سامَ الرَّبَّتَينِ مَهانَةً ... بِمَرْعاهُ وَ. .مًا وَهوَ غَضٌّ الصِّبا وَغْدُ
غَدا قاضِياً بالفَضْلِ لِلرَّبَّةِ التي ... أَباحَتْ لَهُ بُؤْسَ المُنى وَمَضَتْ تَعْدُو) [٢]
وَمُذْ لاحَ ثاني عَشْرَ فَجْرٍ مَقالَهُ ... أَفُلُونُ أَلْقَى يَسْتَشِيطُ وَيَحْتَدُّ :
«بَني الخُلْدِ آلَ الجَوْرِ كَمْ ساقَ سَخْلَةٍ ... وَثَورٍ لَكُمْ هَكْطُورُ مِنْ قَبْلُ أَحْرَقا
فَها هُوَ مَيْتٌ لَيسَ مَنْ تَسْتَفِزُّهُ ... لإِنْقاذِهِ نَفْسٌ تَجِيشُ تَرَفُّقا

وهو قول اذا أُخذ على ظاهره يستفاد منه ان فيبوس وهو ربٌّ قدير حفظ الجثة من الفساد . واذا لجأنا الى التأويل قلنا ان فيبوس (او افلون) يمثل الشمس ومن جملة مزاياه انه وليّ الطب والاطباء وأخيل مريد خيرون رأس الاطباء فاما ان يكون اخيل عالج الجثة بدواء يقيها الفساد ربما يروي غلته بزيادتها هواناً وتحقيراً . واما ان يكون بعض عبدة أفلون فعل ذلك . وعلى كل حال بطلت الغرابة ببقاء الجثة سالمة طول هذه المدة وهي غاية الشاعر

(١) هرمس رسول الآلهة

(٢) ازاد بقوله « الربة التي اباحت له بئس المنى » الزهرة وان لم يسمها . وفي هذه الابيات الثلاثة اشارة الى خرافة قديمة . قالوا انه لما حملت ايقاب بفاريس رأت في الحلم أن في احشائها جذوة نار تلتهب فتضطرم بها اسيا وأوربا فقصت رؤياها على زوجها فريام فلما ولد الولد هم فريام باهلاكه فوارته ايقاب عنه وائتمنت عليه رعاةً في جبل ايذا فشب بينهم يرعى الانعام . وفي تلك الاثناء حدث الخلاف المشهور في اساطيرهم بين أثينا وهيرا والزهرة فتقاضين الى فاريس ورغبن اليه ان يحكم في جمالهنّ فاستمالته الزهرة ربة الهيام فقضى لها

فتَرمقُهُ زَوجٌ وأُمٌّ وَوالِدٌ   وَطِفلٌ وَشَعبٌ هامَ وَجداً لِيَرمُقا
يقُومُونَ بالفَرضِ الاخيرِ وَحولَهُ   تأَلّقُ نيرانُ الوَقُودِ تالقا
فآخيلَ آثرْتمْ وَآخيلُ ما أرى   بهِ أثرًا للدِّينِ والعَدلِ مُطلَقا
كَلَيثٍ غَشُومٍ فاتِكٍ مُتغشمِرٍ   دَهى السِّربَ مُنقضاً وعاثَ وَمزَّقا
فما هوَ ذُو رِفقٍ وَقدْ غادرَ التقى   نعَمْ وَالحيا أُسَّ السَّعادةِ والشَّقا
فقدْ يَفقدُ المرءُ ٱبنَهُ وَشقيقَهُ   وَخِلاًّ فيَبكي ناحِباً مُتحرِّقا
فيَسلُو وَلِلأَقدارِ حُكمٌ إِذا مَضى   رَأَيناهُ قلبَ ٱلخَلقِ لِلصبرِ شوَّقا[1]
وهذا أَخيلٌ مُنذُ قتلِ عدُوِّهِ   يُجرِّرُهُ حولَ الضَّريحِ مُعلَّقا
فما ذا لِيُجديهِ وَمهما عتا فهلْ   بأمنٍ غدا منْ أنْ نغاظَ ونُحنَقا
وَنستاءَ منْ إِفراطِهِ بإِساءَةٍ   لِجسمٍ فقيدِ الحِسِّ بالتُّربِ أُلحِقا»
فصاحتْ بهِ هِيرا: «ولو كُفُؤاً غدا   لِآخيلَ هكطورٌ مقالُكَ صُدِّقا
فذاكَ غذتْ إِنسيَّةٌ بلبانِها   وَذا رَبَّةٌ رَبَّتْ وَفي المجدِ أَعرَقا
بِحِجرِيَ قد أَنشأتُها وَأَبحتُها   لِفيلا الذي بِرفاةٍ وُدِّكُمُ رَقى
حضَرتُم جَميعاً لِلزِّفافِ وَليمةً   بها كُلُّكُمْ حولَ الطَّعامِ تأنَّقا
وَقدْ كُنتَ بالقِيثارِ في العُرسِ عازِفاً أَرَبَّ الخَنى إِلفَ الأُولى نَبذُوا التُّقى»[2]

---

(١) يجمع معنى هذين البيتين قول الشاعر العربي :

بليت وفقدان الحبيب بليةٌ   وكم من كريم يبتلى ثم يصبرُ

(٢) تقول هيرا ان هكطور ليس كفوءًا لاخيل فلا يجب ان تحفل به وتنزله منزلة اخيل لان ذلك انسيٌّ ابن انسية وهذا وان كان انسياً فامه من بنات الخلود ثم

فعارضها زفسُ وقال لها: «قفي · أهيرا وأبناء العلى لا تعنّفي
فهكطور لن نرعى كآخيل إنّما · بإليون لا مرءٌ كهكطور نصطفي
مدى عمره لم يسهُ عن قرباته · لنا وعن التبجيل لم يتوقّفِ [1]
ولم يخلُ يوماً مذبحي من مدامةٍ · وشحمٍ وإيلامٍ بحسن تصرّفِ
وما أنا باغٍ ان نواريه خفيةً · فما الأمرُ عن آخيل قطُّ ليختفي
فثيتيسُ بالمرصاد في كلّ ساعةٍ · عليَّ بها أسترضها بتلطّفِ
فيقبل من فريام آخيلُ فديةً · ويدفع هكطوراً إليه ويكتفي»
فإيريسُ هبّت كالرياح تغوص في · خضمّ عباب البحر يدوي لها الجدُّ
وما بين ساموس وإمبرس مضت · إلى القعر حيث اليمُّ في اللجّ مزبدُّ
كما دون قرن الثور غاصت رصاصةٌ · لأسماكه فيها المنيّةُ تعتدُّ [2]

ايدت قولها بذكر الحفلة التي اقيمت لزفاف ثيتيس الى فيلا · ولا بأس من ايراد هذه القصة — كانت ثيتيس اجمل بنات الماء فهام بها الارباب وفي مقدمتهم زفس وأخواه افلون وفوسيذ وكادوا يختصمون عليها لو لم يروا في علم الغيب انها ستلد ابناً يفوق اباه سطوةً وجاهاً · فأحجم الارباب عنها وقضوا بزفها الى انسيّ فتولت هيرا الامر واختارت لها فيلا بعلاً فأبت ثيتيس بادئ بدءٍ ان تكون عرسه ثم اضطرت الى القبول في حديث طويل · واقيمت للزفاف حفلة شائقة حضرها جميع الارباب الا «الفتنة» لان زفس كان قد اجلاها من السماء واقصاها عن محافلهم فنقمت عليهم واضمرت السوء · ثم انتهزت فرصة غفلة منهم وطرحت بينهم تفاحة ذهبية نقش عليها: «هذه لأجمل الربات» فادعتها هيرا وأثينا والزهرة وتخاصمن الى فاريس فقضى للزهرة كما تقدم

(١) القربات جمع قربة ما يتقرّب به الى المعبود من برٍّ وطاعة

(٢) اي ان ايريس غاصت في اليم كما تغوص الرصاصة المعلقة بالشص اذا طرح

فثيتِيسَ ألْقتْ في غَيابَةِ كَهْفِها ... وَحَشْدُ بناتِ الماءِ مِنْ حولها عِقْدُ[1]
تَنُوحُ على ابْنٍ في بَعِيدِ اغْترابِهِ ... مِنَ الموتِ في طَرْوادَ ليسَ لَهُ بُدُّ
فَصاحَتْ: «أثِيتِيسُ انهضي زَفْسُ ذوالنُّهى ... لِقاءَكِ يَبْغي فَاسْتَطِيري الى اللِّقا»
فقالَتْ: «وماذا رامَ ذوالطَّوْلِ إنَّني ... أنا أتَحاشى مَجْلِسَ الخُلْدِ والبَقا
ولٰكِنْ بنا سيري فَمَهْما يَهِجْ أسىً ... فُؤادي فَفِي زَفْسَ الجَلالُ تَحَقَّقا
وَمَهْما يَكُنْ مِنْ نُطْقِهِ وَمَقالِهِ ... بِغَيرِ صَوابٍ لَنْ يَفُوهَ وَيَنْطِقا»
وَإِيرِيسُ سارَتْ وَهْيَ طارَتْ وَراءَها ... عَلَيها نِقابٌ حالِكُ اللَّونِ مُسْوَدُّ
أمامَهُما انْشَقَّ العُبابُ فَهَبَّتا ... مِنَ الجُرْفِ لِلْعَلْياءِ حَيثُ ثَوَى الخُلْدُ
وَحَيثُ مَيامِينُ العُلَى مُنْتَداهُمُ ... بِهِ زَفْسُ رَبُّ المَجْدِ كَلَّلَهُ المَجْدُ
لَدى زَفْسَ فَوراً أجْلَسَتْها بِعَرْشِها ... أثينا وَهيرا أقْبَلَتْ نَحْوَها تَعْدُو
وَهَشَّتْ تُعَزِّيها وَألْقَتْ بِكَفِّها ... لَها قَدَحاً يَزْهو بِعَسْجَدِهِ الوَقْدُ
وَلَمَّا قَضَتْ مِنهُ ارْتِشافاً وَأرْجَعَتْ ... لِهِيرا فَزَفْسٌ صاحَ يُبْلِغُ ما القَصْدُ:
«أثِيتِيسُ إنِّي بِأَتْياعِكِ عالِمٌ ... وَقد جِئْتِني طَوعاً فَبُغْيَتِيَ أعْرِفي

الشص في البحر لصيد السمك وقرن الثور طافٍ على وجه الماء

كان صيادوهم كصيادي هذا الزمان يربطون رصاصة فوق الشص لتغوص به في الماء ولكنهم كانوا يتخذون قطعة من قرن او نحوه بدلاً من قطعة الفلين وما اشبهها مما يعلق الآن على مسافة من الشص ليبقى طافياً على وجه الماء ويستدل باضطرابه على نشوب الشص بالسمكة

(١) الغيابة القعر

سُرَاةُ العُلى شقّ الشقاقُ لفيفها لتسعةِ أيامٍ ولم تتألّفِ
وَهِرْمِسَ حثّتْ أن يَسيرَ بخلسةٍ بجثّةِ هكطورَ الصريعِ فتشتفي
ومُذْ رُمْتُ أَستصفيكِ وُدّاً وحرمةً لآخيلَ أبغي فضلَ هذا التعطّفِ
فطيري إليهِ بلّغي غيظَ قومنا ومن فوقهِ غيظي وفرطَ تأسّفي
فهكطورَ استبقى لدى الفُلْكِ حانقاً ليُرجعَهُ خوفَ السخطِ إنْ يتخوّفِ
وها أنا إيريساً لِفِرْيامَ منفذٌ ليمضي إلى الأسطولِ حتى الفدا يفي
فيُتحفَ آخيلاً بما طابَ قلبُهُ بهِ من عتادٍ شائقٍ ومزخرفِ »
فلبّتْ وهبّتْ من ذرى الطودِ تنثني لخيمِ ابنِها ألفتْهُ أكمدهُ الكمدُ
وقدْ ذبحَ الانصارُ إذْ ذاكَ نعجةً ودارُوا حواليهِ وزادهمُ مدّوا
فحفّتْ تحاذيهِ ومنها تزلّفاً تدورُ على أعطافهِ الكفُّ والزندُ
وقالتْ: «إلى مَ القلبَ تقضمُ كآبةً ولا زادَ تبغي أو فراشاً منمّقا [1]
ولا بأسَ أنْ تلهو أخيلُ بغادةٍ فسهمُ المنايا موشكٌ أن يفوّقا [2]

---

(١) القضم الاكل والكسر باطراف الاسنان وقضم القلب كآبة وحزناً استعارة غريبة ولكنها ذات وقع . ولم أر لها مثلاً في العربية مع ورود قضم الجمر وعض الاصابع غيظاً او حزناً كقول ابي الطيب :

تقضم الجمر والحديد الاعادي دونه قضم سكر الاهواز

او كقول الوأواء الدمشقي :

واسترجعت سألت عني فقيل لها ما فيه من رمق دقت يداً بيدِ
وامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

(٢) زعم البعض ان هذه العبارة دخيلة في الالياذة لان هوميروس احرص

بُنَيَّ وَزَفْسُ اخْتَصَّنِي بِرِسالَةِ ... فَحِقْدُكَ أَرْبابَ السِّيادَةِ أَقْلَقا
فَغِيظوا وَزَفْسُ اشْتَدَّ يَلْهَبُ غَيْظُهُ ... لِحِفْظِكَ هكْطورًا لَدى الفُلْكِ مُوثَقا
بِهِ ادْفَعْ وَخُذْ عَنْهُ الفَكاكَ بَديلَهُ» ... فَقالَ: «قَضى زَفْسُ ولا رَيْبَ مُشْفِقا
لِيَاتِ إِذًا مَنْ يَبْذُلُ المالَ فِدْيَةً ... فَيَرْجِعَ فيهِ شائِقًا وَمُشَوَّقا»[1]
فَهذا حَديثُ الأُمِّ في الفُلْكِ وَابْنِها ... وَزَفْسُ دَعا إيرِيسَ قالَ لَها: «ادْلِفي[2]
بَلاغِيَ مِنْ ثَمَّ الأُولِمْبِ بِهِ اذْهَبي ... وَفِرْيامَ في إِلْيُونَ بِالأَمْرِ كَلِّفي
لِيَذْهَبْ إِلى الأُسْطُولِ هكْطورَ يَفْتَدي ... وَآخيلَ يَسْتَرْضي وَبِالغُرِّ يَتْحَفِ
وَلا يَمْضِ مَعْهُ غَيْرُ فَيْجٍ مُعَمَّرٍ ... لِسَوْقِ بِغالِ المَرْكَبِ الآنَ مُسْعِفِ
وَيَرْجِعُ فيها قافِلاً بِابْنِهِ الَّذي ... قَدِ اجْتاحَ آخيلٌ بِحَدِّ المُثَقَّفِ

الشعراء على ادب الاخلاق فلم يكن من شأنه ان ينطق والدة اخيل بهذه العبارة الدسمة . ولكن من تأمل في ما جريات ذلك العصر عصر الزهرة لايعجب لورود عبارة كهذه بل يعجب لاسباله الستار على الكثير مما هو اعظم وادسم . ويعلم ان هوميروس كان ارقى اهل زمانه عفة وادباً . فثيتيس قد قالت قولاً مرت عليه وانتقلت منه مسرعة الى بحث آخر وليس الامر كذلك عند رواة الاقدمين من الكلدان الى المصريين الى العبرانيين الى اليونان الى الرومان الى العرب فهوميروس بهذا المعنى اسبلهم ستراً واحرصهم

(١) هذا جواب مقتضب من اخيل يذعن فيه حالاً لاشارة امه اذعاناً لمطلب زفس فلا يطاول ولا يحاول بل يبادر الى الرضوخ بلا ممانعة فكأن نفسه طابت وروى معظم غلته بتدنيس جثة هكطور . والآمر زفس ولا مرد لامره فاجاب صاغراً لعلمه ان المكابرة لاتجدي . وقد احسن الشاعر بجعل هذا الحكم صادراً من زفس والا فلم يكن ثمة سبيل لحمل اخيل على اخماد سورة غضبه واجابة فريام الى طلبه

(٢) ادلفي اسرعي

وَلا يَضطَرِبْ خوفاً ولا يَرْهَبِ الرَّدى	فَقاتِلَ أَرْغُوسٍ نُسيرُ فَيقتَفي
فذاكَ دَليلٌ معَهُ يَذهَبُ آمِناً	لِمَنْزِلِ آخِيلٍ بِآمَنِ مَوقِفِ (١)
وَآخِيلُ لَنْ يَغْتالَهُ مُتَعَسِّفاً	وَيَحْمِيهِ مِمَّنْ رامَهُ بِتَعَسُّفِ
فَلا هُوَ ذُو جَهْلٍ وَلا ذو حَمَاقَةٍ	وَلا نابِذُ التَّقْوى بِشَرِّ التَّعَجْرُفِ (٢)
وَلٰكِنَّهُ يَرْعى ولا رَيْبَ حُرْمَةً	لِمَنْ جاءَهُ في ذِلَّةِ المُتَزَلِّفِ »
فَإِيرِيسُ مِثْلَ الرِّيحِ فِرْيامَ يَمَّمَتْ	فَأَلْفَتْهُ وَسْطَ الدَّارِ مِنْ حَولِهِ الوُلْدُ

(١) قاتل ارغوص هو هرمس سفير الآلهة كما قدمنا • كان علاوة على اختصاصه بالسفارة رب المنطق والفصاحة وكانوا يمثلونه تارةً بصورة رجل تنبعث من فيه سلاسل تعلق باذان السامعين وطوراً بصورة فتى جميل الطلعة على رأسه قبّعة وله جناحان على كاهليه وجناحان بعقبيه وفي يده صولجان الفيوج يلتف عليه افعوانان — رأينا الشاعر في كل مامر يرمي الى إكبار اخيل واعظام شأن اليونان وهنا قد كادت الالياذة تبلغ حد الختام فأراد ان يبقي الامران في ذهن السامع فاستنبط هذه القصة فبلغ بها مراميه • اما اخيل فلا اسمى لاكباره من جمع الآلهة للبحث في امره واشتغال سكان السماء والارض في استمالته وتسكين غيظه • واما الاغريق فقد ابدى الشاعر ضمناً ما كانوا عليه من اليقظة والانتظام حتى لم يكن مخلوق دون الآلهة يصلح ان يخترق صفوفهم ويبلغ اخيل سالماً وان كانوا في زمن موادعة ومأتم عظيم


هرمس (عطارد) سفير الآلهة ورب المنطق والفصاحة

(٢) كانوا يقولون ان اسباباً ثلاثة تحمل الانسان على إتيان الخطيئة وهي الجهل والحماقة والكفر او قلة الورع ولم يكن اخيل على شيء من ذلك فلا بد اذاً من ان يرضخ لامر زفس

وَلَمْ تُلفِ غيرَ النَّوحِ بَلَّتْ ثِيابَهُمْ دُمُوعُهُمُ وَالعزْمُ بالحُزْنِ مُتْهَدُّ
وَفِرْيامُ مِمَّا قد حَثا مُتَمَرِّغاً يُدَنِّسُهُ خِثْيٌ وَيَكْنُفُهُ بُرْدُ (١)
وَفي صَرْحِهِ كَنَّاتُهُ وَبَنَاتُهُ يَنُحْنَ لِبُهْمٍ بَعْدَهُم عَظُمَ البُعْدُ (٢)
تَدَنَّتْ إِلَيهِ وَهْوَ مُنْتَفِضٌ أَسىً بِرِعْدَتِهِ مِمَّا بِهِ بَرَّحَ الفَقْدُ
وَقالَتْ بِرِفْقٍ: «يا ابْنَ دَرْدانُسٍ فَلا تَخَفْ فَبِأَنْباءِ الأَسى لَمْ أُكَلَّفِ
وَلٰكِنْ بِخَيْرِ العِلْمِ زَفْسُ أَسارَني نَعَمْ وَهْوَ أَسْمى مُشْفِقٍ لَكَ مُنْصِفِ
يَقُولُ امْضِ لِلأُسْطُولِ هَكْطُورَ افْتَدِي وَآخِيلَ فَاسْتَرْضِي وَبِالغُرِّ أَتْحِفْ (٣)
وَلا مَعَكَ يَمْضي غَيْرُ فَيْجٍ مُعَمَّرٍ لِسَوْقِ بِغالِ المَرْكَبِ الآنَ مُسْعِفِ (٤)
فَيَرْجِعُ فيها قافِلاً بِابْنِكَ الذي قَدِ اجْتاحَ آخِيلُ بِحَدِّ المُثَقَّفِ
وَلا تَضْطَرِبْ خَوْفاً وَلا تَرْهَبِ الرَّدى فَقاتِلُ أَرْغُوصٍ يُسيرُ فَتَقْتَفي
فَذاكَ دَليلٌ مَعَهُ تَذْهَبُ آمِناً لِمَنْزِلِ آخِيلٍ بِآمَنِ مَوْقِفِ
فَآخِيلُ لَنْ يُؤْذِيكَ مِنهُ تَعَسُّفٌ وَيَمْنَعُ حَتْماً عَنْكَ كُلَّ تَعَسُّفِ
فَلا هُوَ ذُو جَهْلٍ وَلا ذُو حَمَاقَةٍ وَلا نابِذُ التَّقْوى بِشَرِّ التَّعَجْرُفِ
وَلٰكِنَّهُ يَرْعى وَلا رَيْبَ حُرْمَةً لِمَنْ جاءَهُ في ذِلَّةِ المُتَزَلِّفِ»

---

(١) اي انه كان متمرغاً بالدمال ولابساً مسحاً — راجع ما قلنا بهذا الصدد (ن٢٢ : ١٠٤٣)

(٢) البهم الابطال

(٣) أي أتحفه بالهدايا الغر فكاكاً لهكطور

(٤) اي لايذهب معك غير فيج أي رسول مسن يعينك على سوق بغال المركبة

طارَتْ وَفِرْيامُ لِساعَتِهِ أَمَرْ أَبْناءهُ لِتُعِدَّ مَرْكَبَةَ السَّفَرْ
وَلَها تَشُدَّ بِغالَها وَتُعلِّقَ الـ ـزَّنْبِيلَ ثُمَّ لِحُجْرَةِ النَّوْمِ انْحَدَرْ
هِيَ غُرْفَةٌ عُطْرِيَّةٌ جُدْرانُهـا شَمَّاءُ بالأَرْزِ ازْدَهى بُنْيانُها
قَدْ كانَ ثَمَّ أَعَدَّ كُلَّ نَفِيسَةٍ وَثَمِينَةٍ يَشْتاقُ رُؤْيَتَها البَصَرْ
إِيقابَ نادى قالَ: «مِنْ شُمِّ العُلَى زَفْسُ الَّيَّ الإلاهَةَ قَدْ أَرْسَلا
لِأَسيرَ لِلأُسْطُولِ وأَبْنِيَ أَفْتَدي وَأُخِيلَ أُتْحِفَ ما يَشاءُ مِنَ الغُرَرْ
فإِذا بِفِكْرِكِ لي سَرِيعاً صَرِّحي أَمَّا أَنا فَلِذاكَ غايَةُ مَطْمَحي
وَالقَلْبُ يَدْفَعُني إِلى فُلْكِ العِدى وَجُيُوشِهِمْ» قالت ومَدْمَعُها انْهَمَرْ:
«وَيْلاهُ أَينَ حِجىً عُرِفْتَ بِهِ لَدى طُرْوادةٍ حتَّى وفي قومِ العِدى
أَتَسِيرُ وَحْدَكَ لِلسَّفِينِ الى فَتىً لَكَ كَمْ فَتىً بِآلٍ هُمامٍ قَدْ قَهَرْ
لا شَكَّ قَلْبُكَ كالحَدِيدِ أَلا تَرى آخِيلَ غَدَّاراً عَتَا وَتَجَبَّرا
فَلَئِنْ رآكَ أَتَيْتَ لا رِفْقٌ ولا عَطْفٌ لَدَيهِ وَخِلْتَهُ فوراً غَدَرْ
فَلْنَنْدُبَنَّ بِصَرْحِنا في مَعْزِلِ فَسِوى الهَوانِ لَهُ القَضا لَمْ يَغْزِلِ [1]
وَلَهُ الهَلاكُ أُتِيحَ مُنْذُ وَلَدْتُهُ في البُعْدِ عنَّا لا تُبَلِّلُهُ العِبَرْ
وَفَرِيسَةً لِلغُضْفِ وَيْلا يَغْتَدي بِحِما عَتِيٍّ ظالِمٍ مُتَمَرِّدِ
مَنْ لي بِذا السَّفَّاكِ أَقْضَمُ كَبْدَهُ قَضْماً فَلا أُبْقي عَلَيهِ وَلا أَذَرْ [2]

(١) تقدم (ن ٢٠ : ٩٦٦) ذكر غزل العمر . وغزل الهوان هنا من ذاك القبيل

(٢) تقدم لنا ذكر شواهد بهذا المعنى (ن ٢٢:١٠٣٨) — تمنت امهكطور ان

إنْ يَقْضِ هَكْطُورٌ فَلا نِكْساً قضى لكِنْ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ مُتَعَرِّضا
في الذَّوْدِ عَن طُرْوادةٍ ونِسائِها ما أَتْنابَهُ جَزَعٌ ولاعَرَفَ المَفَرْ »[1]
فأَجابَها بِجَلالِ رَبِّ عُظِّما : « خَلِّي المَلامَ فَقَدْ نَوَيْتُ مُصَمِّما
لَنْ تَصْرِفي عَزْمي فلا تَقَفي إِذاً كَوُقُوفِ طَيرِ الشُّؤْمِ في هذا المَقَرْ

تأكل كبد آخيل وقد فعلت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان تلك الفعلة بعد ايقاب بنحو الفي عام وكان ذلك في غزوة أُحد التي تقدم ذكرها اذ بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب وتناولت كبده فلاكتها ومضغتها فلم تقدر ان تسيغها فلفظتها • ومن قبيل تحرُّق ايقاب تحدّم سلافة بنت سعد بن سهيل اذ نذرت حين قتل عاصم بن ثابت ابنها يوم احد المذكور لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر • قال عنترة :

واني قد شربت دم الاعادي باقحاف الرؤوس وما رويتُ

(١) رسم الشاعر بحديث فريام وايقاب صورة الزوجين اضعفهما كرور الاعوام وانتابهما الرزايا العظام فيتشاكيان ويتشاوران فالرجل قانطٌ من حياته لايرى الا ان يموت ببقيةٍ من سالف مجده قرير العين ببلوغ أمنية يتمناها • والمرأة وقد عدمت العون والنصير ترى حياتها بحياة ذلك الزوج • فبرزت ايقاب هنا بصورة المرأه الظنون والام الحنون والزوجة الشفيقة على زوجها المشفقة على نفسها • علمت انه متكل على زفس بذهابه الى العدو فلم تعبأ بهذا الاتكال بل ربما توهمت انها حيلة اختلقها فريام ليخفف عنها فشكت وبكت ولامت وقامت تحول بينه وبين امنيته • واعظمت عليه الامر حتى اذا اتت على ذكر اخيل قاتل ابنها ثار بها ثائر الغيظ فنددت وعددت فاذا به كله قبائح • ولما اتت على وصف ابنها اسبل الحنو ستره على بصرها فلم تر فيه الا الجلال والكمال وانساها الحب الوالدي فراره من وجه اخيل فوصفته وصف الخنساء بقولها:

ياصخر انت فتى مجدٍ ومكرمةٍ تغشى الطعان اذا ما احجم البطلُ
كالليث يحمي عريناً دون اشبلهِ ثبت الجنان اذا ما زعزع الاسلُ
خطّاب اندية شهّاد انجيةٍ لا واهن حين تلقاه ولا وهلُ
ضخمُ الدسيعة سهلٌ حين تطرقهُ لافاحش برم نِكسٌ ولا خطلُ

لَو جاءَني بالأمرِ عَرّافٌ هُنا ... أَو كاهِنٌ أَو عائِفٌ مُتَكَهِّنا
لَرَغِبْتُ عَنهُ وَقُلْتُ ذٰلِكَ كاذِبٌ ... وَصَرَفْتُ فَوراً عن مَقالَتِهِ النَّظَرْ
لٰكِنَّ تِلكَ الإِلاهَةَ أَبْصَرْتُها ... وَسَمِعْتُها وَبِذا اليَقينِ أَطَعْتُها
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِأَنْ يُوافِيَني الرَّدى ... بَينَ العِدى إِنْ كانَ ذا حُكْمَ القَدَرْ
فَلَئِنْ أَضُمَّ ابني الحَبيبَ وَغُلَّتي ... أَشْفي لِيَفْتُكْ بي أَخيلُ بِذِلَّتي »
ثُمَّ الخَزائِنَ قامَ يَفْتَحُ مُخْرِجاً ... مِن كُلِّ مَنْضُودٍ بِهِنَّ اثْني عَشَرْ
مِن بُرْدِها وَنِقابِها وشِعارِها ... وَكَذاكَ مِن زُرْبِيِّها وَدِثارِها
وأَعَدَّ مِنْ ذَهَبٍ شَواقِلَ عَشْرَةً ... وكَذا جِفاناً أَرْبَعاً كانَ ادَّخَرْ
وَمَنَصَّتَيْنِ كَذٰلِكَ الكَأْسَ الَّتي ... إِثْراقَةٌ قِدْماً إِلَيهِ أَهْدَتِ
وَبِها حَبَتْهُ وافِداً بِرِسالَةٍ ... فَأَضافَها لِفَكاكِ هَكْطُورَ الأَبَرْ
وَتَكَأْكَأَ الطُّرّادُ في أَبْوابِهِ ... فَمَضى يُعَنِّفُهُمْ بِمُرِّ خِطابِهِ :
«عَنّي أَيا قَوْمَ الهَوانِ افْرَنْقِعُوا ... أَفَلَمْ يُبَرِّحْ في مَقامِكُمُ الكَدَرْ
أَوَما لَكُمْ مَنْ تَنْدُبُونَ بِدُورِكُمْ ... حَتّى تَزيدُوني أَسىً بِزَفيرِكُمْ
أَوَلَيسَ حَسْبي أَنْ يَلَظِّيَني أَسىً ... زَفْسُ وَأَنْسَلُ فِتْيَتي هَكْطُورُ خَرْ
وَلَسَوْفَ تَلْقَوْنَ الأَذى كُلَّ الأَذى ... إِذْ بِتُّمُ مُذْ ماتَ أَسْهَلَ مأْخَذا
لا أَبْصَرَتْ عَيْنايَ ذاكَ مَعاقِلي ... مَنْ لي بِزَجِّي قَبْلَ ذٰلِكَ في سَقَرْ»
وَاسْتاقَهُمْ بِالصَّوْلَجانِ فَأَدْبَرُوا ... مِنْ وَجْهِهِ وَبَنِيهِ أَقْبَلَ يَزْجُرُ (١)

(١) علمت ان فريام كان ملكاً رفيع الشأن عظيم السلطان كثير الولد قوي

هِيلِيْنُساً فارِيسَ هِيفُوثُوساً فَمُونَ ذِيفُوباً أَغاثُونَ الأَغَرْ
أَنْطِيفُناً فُولِيتَ سَفَّاكَ الدِّما وكَذاكَ تاسِعَهُمْ ذِيُوسَ الأَيْهَما[1]
أَلقى أَوامِرَهُ عَلَيْهِمْ ساخِطاً حَنَقاً وَكُلُّهُمُ بجِدِّهِ أُنْتُهِرْ :
«عَجِلاً أُولْدَ السُّوءِ يارَهْطَ الفَشَلْ يالَيْتَكُمْ طرّاً فِدا ذاكَ البَطَلْ
وَيلاهُ واعُظْمَ الشَّقاءِ فَكَمْ فَتىً لِيَ كانَ في إِلْيُونَ قَرْمٍ ذِي خَطَرْ
لَمْ يَبْقَ لي أَحَدٌ فَلا لَهْفاهُ لا مِسْطُورُ ذاكَ القَرْنُ قِرْنُ بَنِي العُلى[2]
وأَبُو الفَوارِسِ إِطْرُويلُ وَمُنْيَتي هَكْطُورُ مَنْ رَبّاً غَدا بَينَ البَشَرْ
قد كانَ أَشْبَهَ بِأَبْنِ رَبٍّ مُعْرِقٍ مِنْهُ بمَوْلُودٍ لإِنْسِيٍّ شَقِي
طرّاً أَبادَهُمُ الوَغى مُسْتَبْقِياً لي زُمْرَةً واقْبَحَها بَينَ الزُّمَرْ
رَنّامَةً رَقّاصَةً كَذّابَةً وَبَنِي البِلادِ سِوَاهَا سَلّابَةً[3]
أَفَلاَ شَدَدْتُمْ مَرْكَبِي وَنَضَدْتُمُ هذا المَتاعَ لِكَيْ أَسِيرَ عَلى الأَثَرْ »

الجَد اخنى عليه الدهر فزعزع اركان مملكته وضعضع احوال دولته وعاث العدو ببلاده وبطش بأولاده واواهُ هكطور وهو مطمح ابصاره وحامي ذماره قتيلاً يسام شر الهوان فلا بدع بعد ذلك ان يرى النور ظلاماً ويفقد الرشد وتنهال شتائمه على القريب والبعيد كأن الارض في عينه بقعة سوداء لاتحمل اليه الا الاعداء وهذا منتهى الجزع

(١) عربنا كلمتي (Διον αγαυον) بذيوس الايهم او الباسل على ما جرى عليه الاكثرون ولكن بعض النقلة جعلوا العلم الكلمة الثانية فقالوا اغابون الالهي او العظيم وهكذا قال مونتي (Agavo di divina sembianza)

(٢) القرن السيد والقِرن المقارن الكفوء

(٣) الرنام المترنم

جَزِعَ البَنُونَ لِزَجْرِهِ وَتَأَلَّبُوا   وَلِشَدِّ مَرْكَبَةِ البِغَالِ تَأَهَّبُوا
طَيَّارَةٌ صُنِعَتْ حَدِيثاً وَازْدَهَتْ   فَبِسَطْحِهَا الزِّنْبِيلُ فِي الحَالِ اسْتَقَرّْ
وَالنِّيرُ نِيرُ البَقْسِ كَانَ عَلَى الوَتَدْ   مُحْقَوْقِفٌ فِي ظَهْرِهِ حَلَقُ العَدَدْ
فَأَتَوا بِهِ وَكَذَاكَ بِالسَّيْرِ الذِي   فِيهِ وَتِسْعَةَ أَذْرُعٍ طُولاً قَدَرْ
بِالنِّيرِ رَأْسَ الجِذْعِ حَالاً أَدْخَلُوا   وَالسَّيْرَ حَوْلَيْهِ ثَلَاثاً حَوَّلُوا
مِنْ تَحْتِ ذَاكَ الجِذْعِ أُحْكِمَ عَقْدُهُ   مِنْ ثَمَّ كُلُّهُمُ إِلَى الصَّرْحِ ابْتَدَرْ (١)
مِنْهُ اسْتَقَلُّوا يَشْحَنُونَ المَرْكَبَهْ   بِفِكَاكِ هَكْطُورٍ لِآخِيلٍ هِبَهْ
قَرَنُوا لَهَا بَغْلَيْنِ مِنْ مِيسِيَّةٍ   فِرْيَامُ نَالَ هَدِيَّةً وَبِهَا افْتَخَرْ
مِنْ بَعْدِ ذَا عَمَدُوا إِلَى فَرَسَيْنِ فِي   أَكْنَافِ عِنَّتِهِ غَذَا بِتَلَطُّفِ (٢)
فَبِنَفْسِهِ مَعْ فَيْجِهِ فِي صَرْحِهِ   فِي الحَالِ شَدَّهُمَا وَلَمْ يَرْعَ الكِبَرْ (٣)
وَأَتَتْهُ إِيقَابُ يُحَرِّقُهَا النَّصَبْ   بِشَهِيِّ صِرْفِ الرَّاحِ فِي كَأْسِ الذَّهَبْ
وَقَفَتْ أَمَامَ الخَيْلِ تَنْدُبُهُ إِلَى   صَبِّ المُدَامَةِ قَبْلَ أَنْ يَلِجَ الخَطَرْ
قَالَتْ: «إِلَيْكَ الكَأْسَ خُذْهَا وَاسْكُبِ   زُلْفَى وَحُسْنَ العَوْدِ مِنْ زَفْسَ اطْلُبِ

(١) يصف الشاعر هنا اجزاء المركبة وكيفية اعدادها . فالمراد بالزنبيل صندوق من القصب وما اشبهه يلقى على المركبة اما مجلساً للركاب واما محلاً للمتاع . والنير كنير الحراثة وفي أعلاه حلق تمر به الاعنة منفصلة الى فكي الحيوانين والسير الذي يناط بالنير كان يبلغ طوله تسعة اذرع لانه كان يلف ثلاث مرار حول الجسر او الجذع (العريش) وهكذا فكانت الحيوانات تجر المركبة بالجذع وليس بالسيور

(٢) العنة الحظيرة

(٣) لابد من التنبيه هنا الى ان فريام ذهب بمركبتين احداهما تحمل الرياش والمتاع المعد لفكاك هكطور وتجرها البغال والاخرى لركوبه وتجرها الجياد

مِن زَفْسَ مِنْ إِلْيُونَ يَرْمُقُ طَرْفُهُ　　　مِنْ طَوْدِ إِيذا حَيْثُ فِي عَلْيَاهُ قَرّ
تَمْضِي على رَغْمِي فَسَلْهُ يُرْسِلِ　　　لَكَ طَيْرَهُ الْمَيْمُونَ ذَا الطَّوْلِ العَلِي
فَإِذَا أَتَاكَ الى يَمِينِكَ سانحاً　　　وَرَأَيْتَهُ جِئْتَ العُدَاةَ بِلا حَذَرْ (١)
لٰكِنَّمَا إِنْ ظَلَّ زَفْسُ مُعْرِضًا　　　وَبِذِي الرِّسَالَةِ مِنْهُ لَمْ يُبْدِ الرِّضَا
لا أُغْرِيَنَّكَ انْ تَسِيرَ لِفُلْكِهِمْ　　　مَهْمَا رَغِبْتَ وَلُبُّ مُهْجَتِكَ اُسْتُعِرْ»
فَأَجَابَهَا : « لَنْ أَعْصِيَنَّكِ يا اُمْرَأَهْ　　　بَسْطُ الأَكُفِّ لِزَفْسَ نِعْمَ التَّوْطِئَهْ
فَلَعَلَّهُ عَطْفاً يَرِقُّ » وَأَمْرُهُ　　　فَوْرًا لِجَارِيَةٍ بِخِدْمَتِهِ صَدَرْ
فَدَنَتْ بِإِبْرِيقٍ وَطَسٍّ تُذْهَبُ　　　مَاءَ الطَّهُورِ على يَدَيْهِ تَسْكُبُ
وَالكَأْسَ مِنْ بَعْدِ الوُضُوءِ أَرَاقَهَا　　　فَوْقَ الحَضِيضِ لِزَفْسَ دَفَّاعِ الضَّرَرْ
وَإِلَى السَّمَاءِ أَقَامَ يَنْظُرُ واقِفًا　　　فِي وَسْطِ تِلْكَ الدَّارِ يَصْرُخُ هَاتِفًا :
« أَأَبَا العَوَالِمِ زَفْسَ مِنْ إِيذا عَلا　　　يَا مَنْ لِأَمْرِ جَلالِهِ الكُلُّ أْتَمَرْ
سَكِّنْ أَخِيلَ فَلِي يَرِقُّ وَأَرْسِلِ　　　لِي طَيْرَكَ الْمَيْمُونَ ذَا الطَّوْلِ العَلِي
فَإِذَا أَتَانِي عَنْ يَمِينِي سَانِحًا　　　وَرَأَيْتُهُ جِئْتُ العُدَاةَ بِلا حَذَرْ »
فَدُعَاءَهُ زَفْسُ اُسْتَجَابَ وَأَرْسَلا　　　فِي الحَالِ أَصْدَقَ كُلِّ أَطْيَارِ الفَلا
نَسْرًا زَفِيفًا كاسِرًا ذَا قُتْمَةٍ　　　بِالأَسْمَرِ الفَتَّاكِ فِي العُرْفِ اُشْتَهَرْ
جُنْحَاهُ قَدْ نُشِرَا كَصِفْقَي حُجْرَةٍ　　　شَمَّاءَ فِي صَرْحِ الغِنَا مَبْنِيَّةٍ
فَتَنَسَّمَ الطُّرْوَادُ خَيْرَ ظُهُورِهِ　　　لَمَّا يَمِينًا فَوْقَ إِلْيُونٍ ظَهَرْ

(١) تقدم لنا ذكر السانح والبارح (ن ١٢ : ٦٧٩)

فَهُنالكَ فِرْيامُ لِساعَتِهِ على كُرْسيِّهِ بِجَميلِ بُشراهُ اُعتَلى
وَاَستاقَها فمضَتَ تُغيرُ بِدارِهِ وَرِتاجِهامنْ وَقعِ ذالكَ الجَرْيِ صَرْ[1]
وَأَمامَهُ خَبَّ البِغالَ وأَسرَعا إِيذُوسُ مُعْتَلِياً مَحالاً أَرْبَعا[2]
جَرَيا بِإِلْيُونٍ وكُلُّ ذَويهِ في الـ آثارِ تَنْدُبُ نَدْبَ مَنْ مَيْتاً قَبرْ
حَتَّى إِذا اُجْتازا بِأَسْواقِ البَلَدْ لِلسَّهْلِ جِدًّا لا يَحُوطُهُما أَحَدْ
وَإِلى دِيارِهِمِ اُنْثَنى الأَبْناءُ والـ أَصْهارُ مَعْ كُلِّ الجَماهِيرِ الأُخَرْ

لَمَّا رَأَى زَفْسُ وَالشَّيْخانِ قد وَلَجا فِي السَّهْلِ رَقَّ لِفِرْيامٍ وهاجَ شَجا
نادى اُبْنَهُ هِرْمِسَ المَحْبُوبَ قالَ: «لَكَمْ أَحْبَبْتَ بَيْنَ بَنِي الإِنْسانِ أَنْ تَلِجا
وإِنْ تَشأْ تَسْتَجِبْهُمْ فاُصْحَبَنَّ إِذًا فِرْيامَ فَهْوَ إِلى الأُسْطُولِ قد خَرَجا
لا يَعْلَمَنَّ بِهِ بَيْنَ المَلا أَحَدٌ حَتَّى اذا جاءَ آخيلاً فلا حَرَجا»
لَبَّاهُ قاتِلُ أَرْغُوصٍ وفي عَجَلٍ بِخُفَّيْهِ أَوْثَقَ فِي رِجْلَيْهِ مُبْتَهِجا
(خُفَّانِ مِنْ عَنْبَرٍ صِيغا وَمِنْ ذَهَبٍ فِي البَحْرِ والبَرِّ مِثْلَ الرِّيحِ قد دَرَجا)[3]

---

(١) الرتاج الباب الكبير

(٢) المحال الدواليب او العجل . كانت مركبات الحمل على اربعة دواليب ومركبات الركوب والحرب على دولابين

(٣) العنبر هو تلك المادة السماوية التي تقدم الكلام عليها (ن ١٤ :٧٤٧) والظاهر انه يكاد يستعمل لكل غرض من اغراض الآلهة فهو طعامهم كما ذكر في غير موضع وطعام خيلهم كما مر في النشيد الخامس وطيبهم الذي يتطيبون به اذ تطيبت به هيرا (ن ١٤) ودواؤهم اذ استعملته ثيتيس (ن ١٩) مضادًّا للفساد فأفرغته في منخري فطرقل وهو قتيل وهو هنا داخل في ملبسهم . ولا يسهل علينا تأويل كل

والصَّولجانُ الذي يُلقي السُّباتَ على ... مَنْ شاءَ أو يُوقظُ الوَسْنانَ إن خلجا[١]
بهِ مضى مثلَ لمحِ الطَّرْفِ ينزلُ في ... تلكَ السُّهولِ بجُرُفِ البحرِ مُدَّلجا
وراحَ يحكي أميرًا جدَّ نحوَهما ... عذارُهُ خطَّ في شرْخِ الصِّبا بَلِجا[٢]
وقبرَ إيلُوسَ لمَّا جاوزا وقفا ... وقد اغارَ على الغبراءِ جيشُ دُجى
همَّا بأنْ يُوردا للنَّهرِ خيلَهما ... معَ البغالِ فهبَّ الشيخُ مُنزعجا
رأى الإلاهَ فنادى: «يا ابنَ دردنُسٍ ... تروَّ وانظرْ وقفنا موقفًا حرِجا
أرى امرءًا جاءنا بالحتفِ هلْ هربًا ... نلوي الجيادَ وفورًا نطلبُ الفرَجا
أو فوقَ رُكبتهِ نحني ومرحمةً ... نرجو عساهُ لنا انْ يستجيبَ رجا»
فارتاعَ فِرْيامُ خوفًا واقشعرَّ أسىً ... وقد غدا مُزْبئرَّ الشعْرِ ملتعجا
لكنْ دناهرمسٌ يهوي على يدهِ ... يُلقي السُّؤالَ بلينِ القولِ مُمتزجا:
«علامَ يا أبتا والنَّاسُ قدْ وسنتْ ... بذي البغالِ وهذي الخيلِ ترتحلُ[٣]
هُنا الأخاءةُ هلاَّ خفتَ شرَّهمُ ... وكلُّهم لكَ بالعدوانِ مشتعلُ

تلك المزاعم على اختلافها الا اذا رجعنا الى معنى اللفظة في الاصل وعرفنا انها تفيد الخلود

(١) خلج حرك — اشباه هذا الصولجان كثيرة في روايات القصاص حتى وبعض المؤرخين وليس هذا الصولجان الذي يتصرف باليقظة والوسن باعجب من خاتم المارد الذي يعمل كل نوع من المعجزات • أو القضيب الذي يحرك بساط الريح ويطيره وهلمَّ جرًّا

(٢) البلج الطلق المحيا

(٣) لايزال شبان الترك وغيرهم من ابناء الشرق اذا خاطبوا شيخاً قالوا له يا أبتاه كما قال هرمس فيقال لهم يابنيَّ كما أجاب فريام فيما يلي

ما بالُكَ الآنَ لو وافاكَ أَيُّهُمُ بذا الرِّياشِ وَسِتْرُ اللَّيلِ مُنْسَدِلُ

ما كُنْتَ غضَّ شبابٍ والرَّفيقَ أرى شَيخاً فما لكَ في دفعِ الأذى قِبَلُ

فلا تخفْ ضَرَري بلْ فالْقَ بي عضُداً لكَ أنبرى وأباهُ فيكَ يمتثلُ»(١)

فقالَ فِريامُ يعلوهُ الجلالُ: «أجلْ بُنيَّ قد قلتَ مقالَ الحقِّ لم تَقُلِ

لكنْ أرى بعضَ آلِ الخُلْدِ قد بسطوا عليَّ كفَّهُمُ في الموقفِ الجَلَلِ

إليَّ أسرَوْا بسيَّارٍ نظيرِكَ ذي قدٍّ وحُسْنٍ وعقلٍ نادرِ المَثَلِ

أهلاً وطوبى لِأهلٍ أنتَ فرعُهُمُ» فقالَ: «ياشيخُ خيرَ القولِ ترتجلُ

فأطلِعنِّيَ طِلْعَ الأمرِ أينَ ترى يُساقُ في الليلِ هذا الحليُ والحُلَلُ

أتطلبنَّ بقاصي الدارِ مؤتمَناً لهنَّ أم كُلَّ إليونٍ عرا الوَجَلُ

فرُمتُمُ هجرَها لمّا نأى وقضى هولَ الأخاءةِ هكطورُ ابنُكَ البطلُ»

فقالَ: «مَنْ أنتَ مِن أيِّ الأرومةِ يا مَنْ ذِكْرُ حَتْفِ ابني المُنتابِ يبتسطُ لي»

أجابَ: «ياشيخُ هلْ ذاكَ امتحانُكَ لي إذْ جئتُ خُبْريَ عَنْ هكطورَ أمتثلُ»(٢)

فكمْ بَصرتُ به للفُلْكِ مُكتسِحاً جيشَ الأخاءِ وسيفُ الحتفِ يمتشلُ(٣)

وكمْ رأينا وأكبرنا ومانعَنا آخيلُ غيظاً على أتريذَ نقتتلُ

في قومِ أعوانهِ وافيتُ منتظماً بفُلْكهِ وإلى المِرميدِ أتّصلُ

أبي فلقطورُ مِنْ أهلِ اليسارِ غدا شيخاً حكاكَ بنوهُ سبعةً كَمُلوا

(١) يمتثل يتصور

(٢) امتثل ابيّن

(٣) امتشل السيف استلّه

فَعِنْدَهُ سِتَّةٌ ظَلُّوا وسائِرُهُمْ ... أَنا حَمَلْتُ مَعَ الإِغْرِيقِ مُذْ حَمَلُوا

لَمَّا اقْتَرَعْنا فَسَهْمي دُونَ أَسْهُمِهِمْ ... بَدا فَأَمْرَ أَخِيلٍ جِئْتُ أَمْتَثِلُ

والآنَ أَنْفَذَني لِلسَّهْلِ مُرْتَقِباً ... فَقَدْ عَرا القَومَ مِنْ كَفِّ الوَغَى المَلَلُ

سَيَحْمِلُونَ على إِلْيُونَ مِنْ غَدِهِمْ ... وَالصِّيدُ عَنْ رَدْعِهِمْ ضاقَتْ بِها الحِيَلُ»

فَقالَ فِرْيامُ: «إِمَّا كُنْتَ مُنْتَسِباً ... إِلى ابْنِ آياكَ فَاصْدُقْني بِلا مَهَلِ

أَجِسْمَ هَكْطُورَ آخيلٌ رَمَى قِطَعاً ... لِلغُضْفِ أَمْ قُرْبَ تِلْكَ الفُلْكِ لَمْ يَزَلِ»(١)

فَقالَ: «لا مِنْسَرٌ لا نابَ عاثَ بِهِ ... لٰكِنَّ جُثَّتَهُ لِلخَيْمِ قَدْ حَمَلُوا

فِي القُرْبِ مِنْ فُلْكِ آخيلٍ لَقَدْ بَزَغَ اثْ ... نا عَشَرَ فَجْرًا عَلَيهِ وَهْوَ مُعْتَقَلُ

فَلا عَراهُ فَسادٌ او تَخَلَّلَهُ ... دُودٌ تَخَلَّلَ بُهْماً في الوَغَى قُتِلُوا

وَكُلَّما طَرَّ فَجْرٌ حَولَ صاحِبِهِ ... أَخيلُ طافَ بِهِ بِالعُنْفِ يَجْتَذِلُ(٢)

لَتَعْجَبَنَّ إِذا أَبْصَرْتَهُ تَرِفاً ... لا نَقْعَ دَنَّسَهُ وَالجُرْحُ مُنْدَمِلُ

كَمْ طَعْنَةٍ فَهَقَتْ فيهِ قَدِ انْدَمَلَتْ ... كَأَنَّ آلَ العُلَى تِلْكَ الدِّما غَسَلُوا

لا شَكَّ وُدُّوهُ حَتَّى بَعْدَ مَصْرَعِهِ ... عَنْ ذٰلِكَ البَطَلِ القَهَّارِ ما غَفَلُوا »

فَطابَ قَلْباً وصاحَ الشَّيخُ: «واوَلَدا ... يا حَبَّذا البِرُّ لِلأَرْبابِ مِنْ عَمَلِ

---

(١) لاغرو ان يشفق فريام من طرح جثة ابنه هكطور للغضف أي الكلاب لما كان يعلم من تحدم اخيل غيظاً عليه — في تواريخ العرب ان سليمان بن علي عم السفاح العباسي قتل بالبصرة جماعة من بني أمية وأمر بهم فجروا بأرجلهم وألقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب

(٢) يجتذل يطرب

لم ينسَ ما عاشَ أرباب الألبِ ولا هم أغفلوه ولو بَعداً انقضا الأجلِ
فهذه الكأس خذ مني وكن عضدي بعون آل العلى في هذه السُّبُلِ
حتى لخيمة آخيل تُبلغني » فقال هرمس: « ليست شيمتي النحَلُ
مهما أكن حدثاً ما أنت تطمعني بنائلٍ عن أخيلٍ خفيةً تصلُ
أخشاهُ والنفسُ تأبى أن تمدَّ يدي لسلبه إنَّ عقبى ذلك الفشلُ[1]
لأصحبنَّكَ حتى لو بغيتَ الى بلادِ أرغوسَ ذاتِ الشأنِ تنتقلُ
وليس برًّا وبحرًا ما ظللتَ على عهدي تمسُّك من كفِّ العدى الأسلُ»
وهبَّ هرمسُ للكرسيِّ واستلمَ الـ عنانَ والسوطَ ثمَّ اشتاقَ منتهجا
وهمَّة الخيلِ أورى والبغالِ وبا حفيرِ حالاً لأسوار الحمى أتلجا[2]
ألفى العيونَ أعدَّتْ زادها فعلى أجفانهم صبَّ تهجاعاً بها أندمجا[3]
وراحَ يفتحُ أرتاجَ الحصارِ بلا عنا ويدفعُ أزلاجاً بها زُلجا[4]

(١) كأني بهوميروس وهو ينظم هذين البيتين قد القى بروح النبوءة امثولة على الجم الغفير من عمال حكومات هذا الزمان ينبئهم بها كيف كانت اداب المأمور في زمانه وعظة يفيدهم بها ان كل صلة يُنفح بها التابع فتمد اليها يده خفية عن المتبوع تعد رشوة وسرقة . وكل رشوة تؤخذ انما تعد اختلاساً من بيت المال لانها توجب نقصاً في دخله اذ لو قبل هرمس هدية فريام واخذ منه الكأس لنقصت من التحف المهداة الى أخيل

(٢) اتلج ولج

(٣) أي الفى الارصاد متأهبة لتناول الطعام فصب الهجوع على اجفانها وهذا التعبير الاخير من التعبيرات الهوميرية المألوفة

(٤) الارتاج الابواب والازلاج الاقفال وزلج الباب اغلقه بالازلاج . والمراد بالحصار السور الذي بناه الاغريق وراء السفن

وَبالهَـدايا وَفِرْيامٍ وَمَرْكَبِـهِ أَمَّ الخِيامَ وفي بَطْنِ الحِمى زَلَجا[1]
حتَّى إلى الخَيمَةِ الشمَّا التي رَفَعَ الـ مِرْميدُ لِابْنِ أَياكٍ مَلْكِهِمْ عَرَجا
من أَسْوُقِ السَّرْوِ شِيدَتْ تحْتَ أَغْمِيَةٍ منَ المُروجِ بها البَرْدِيُّ قَدْ مُرِجا
وحولَها الدَّارُ شِيدَتْ تحْتَ أَعْمِدَةٍ وَالبابَ مِزْلاجُ سَرْوٍ واحدٌ رَتَجا[2]
ثَلاثةٌ مِنهُمُ بالعُنْفِ تَدْفَعُـهُ لٰـكِنَّما دَفْعُـهُ آخيـلَ ما زَعَجا
بوَجْهِ فِرْيامَ خَفَّ الرَّبُّ يَفْتَحُهُ وَبالهَدايا إلى ذاكَ الفِنا وَلَجا
وَصاحَ مِنْ بَعدِ ذا لمَّا تَرَجَّلَ: «يا ذا الشَّيخُ هِرْمِسُ مِنْ والاكَ لا رَجُلُ
أَبي نَصيرًا إليكَ اليومَ أَنْقَذَني وَها أَنا الآنَ ماضٍ عَنْكَ أَنْفَصِلُ
أَنْ أُظْهِرَنَّ لِآخيلٍ فما لِبَني الأُ لى جِهارًا وَلاءَ الإِنْسِ تَبْتَذِلُ
وأَنتَ رُحْ وانْطَرِحْ مِنْ فَوقِ رُكْبَتِهِ وَسَلْهُ رِفْقًا عَسى يُصْغِي لِما تَسَلُ

(١) زلج خف واسرع

(٢) الاغمية السقوف • والمزلاج المغلاق ورتج اقفل ـ يصف لنا الشاعر خيمة اخيل او صرقته اذ لم تكن مصنوعة من القماش بل كانت مبنية من سوق شجر السرو ومسقوفة بالبردي (وفي الاصل القصب ذي الزغب) المقطوع من تلك المروج تحيط بها دار متسعة قائمة على اعمدة • ويستفاد من هذا الوصف ومما تقدمه في النشيد التاسع انها كانت مقسمة عدة أقسام ففيها الحرم وفيها المضيف وفيها غرف اخرى • فلما أوفد أوذيس وجماعته لاسترضاء اخيل وبات فينكس عنده أفرزت له غرفة وبات فطرقل وحظيته بغرفة وأخيل بغرفة اخرى هذا خلا منازل السبايا والمضيف الاكبر وهي اشبه شيء بصرائف شيوخ العرب النازلين في البقاع الزراعية كبر العراق لايامنا هذه الا ان الغالب في هذه الصرائف ان يكون المضيف فيها منزلاً متسعاً منفصلاً عن الحرم

ولا شك ان امثال هذه الصرائف لم يكن يقام الالزعماء في أزمنة الحصار الطوال

وَبِاسْمِ فِيلا وثِيتِيسٍ ونَفْطَلِمٍ ناشِدْهُ يَرِنُ لِدَمْعٍ مِنْكَ يَنْهَمِلُ[١]

هٰكَذاهِرْمِسُ أَتَمَّ الْخِطابا وتَوارَى إِلى الأُلِمْبِ وَآبا[٢]

(١) أي ناشده باسم أبيه وامه وابنه

(٢) قضى هرمس رسالته وابلغ فريام سالماً الى منزل اخيل ثم توارى وقفل عنه راجعاً

يرى حفظة التوراة لأول وهلة شبهاً غريباً بين رسالة هرمس ورسالة الملاك الذي رافق طوبيا وقد أرسله ابوه الى غابيلوس بمدينة راجيس بأرض المادين وهو يجهل الطريق « فبينما خرج طوبيا اذا بفتى بهيّ قد وقف مشمراً كأنه متأهب للمسير فسلم عليه وهو يجهل انه ملاك الله وقال من اين اقبلت يافتى الخير قال انا من بني اسرائيل فقال له طوبيا وهل تعرف الطريق الآخذة الى بلاد المادين . قال اعرفها وقد سلكت جميع طرقها مراراً كثيرة وكنت نازلاً باخينا غابيلوس المقيم براجيس مدينة المادين » فدخل طوبيا بالملاك على أبيه فسأله ان يذهب بابنه دليلاً الى راجيس على أن يؤدى له اجرته « فقال له الملاك آخذه واعود به اليك فقال له اخبرني من أي عشيرة ومن اي سبط انت فقال له رافائيل الملاك أفي نسب الاجير حاجتك ام في الاجير الذي يذهب مع ابنك ولكن لكي لا اقلق بالك انا عزرا يا بن حننيا العظيم » . فرافق طوبيا وجرت المعجزات على يده ورجع به سالماً الى والديه ولما سئل ان يأخذ اجرته قال « اني رافائيل الملاك . . . والآن قد حان لي ان ارجع الى من ارسلني . . . وبعد ان قال هذا ارتفع عن ابصارهم فلم يعودوا يعاينونه بعد ذلك » (سفر طوبيا فصل ٥ — ١٢) . وامثال ظهور الملائكة للبشر كثيرة في التوراة والإنجيل والقرآن كقوله « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » ولهذا قال بعض الشراح ان هوميروس اخذ هذه الرواية عن التوراة اذ كان عالماً بما تلقنه من اليهود أثناء اقامته بمصر ان الباري عز وجل قد ينفذ ملائكته رسلاً الى البشر

ولا اخال هذا الزعم صادقاً في كلياته وان امكن صدقه في هذه الرواية لان الاعتقاد بالصلة بين الخالق والمخلوق عامٌّ لجميع الاديان منزلة كانت او غير منزلة .

فَعَدا الشَّيخُ راجلاً وأنابا

إِيذيُوساً فَظَلَّ عندَ العِجالِ عانياً في جيادِها والبغالِ

وَمَضى يقصدُ ابنَ فيلا فألفا هُ تنحَّى وَعنهُ أنأى الصحابا

ما لَديهِ غيرُ الفتى أَفطُميذِ وكذا فرعِ آرسٍ ألقميذِ

كانَ عن زادِهِ ورَشفِ النَّبيذِ

قامَ والزادُ لا يَزالُ لَديهِ وهُما قائمانِ بينَ يديهِ

كلُّهم ما رأوهُ فانسلَّ وانصَبَّ على رُكبَتي أخيلَ انصبابا

ويَديهِ اللتَينِ كَم مِن فتًى جلْ مِن بَنيهِ أبادَتا قبلُ قبَّلْ

دُهِشُوا عندَ ما على الفورِ أقبلْ

دَهشَةَ القومِ من وُفودِ غريبِ ساقَهُ فادِحُ القضاءِ المُريبِ

قاتلاً من بلادِهِ فرَّ يَلْجا لِديارِ أمرئٍ تعلَّى جنابا (١)

فانشاد هوميروس لا يكاد يخلو منها نشيد من مخاطبة او رسالة بين الآلهة والبشر وجميع الآثار الباقية من كتّاب اليونان الذين احاطوا علماً بمعتقدات اليهود او لم يحيطوا ملأى بمثل هـذه الروايات فضلاً عن روايات من هم اقدم منهم من المصريين والكلدان والاشوريين

(١) اي ان اخيل واصحابه دهشوا لرؤية فريام قادماً عليهم وليس بحسبانهم انه قادم كما يدهش القوم في دار رجل ذي عزوة وشأن اذا دخل عليهم فجأة رجل جانٍ يطلب اللياذ . فهم على ما ترى كابناء البادية اذ كانوا ولا يزالون يحمون الصريخ وينزلونه منزلة الجار والنزيل وان عظمت جنايته وضعفت عزوته . قال الكميت :

فأَجالُوا الأَبصارَ باستعجابِ ‏ ‏ وَهوَ أَلقى خطابَهُ باكتئابِ:

« يا ابنَ فِيلا مقرَّبَ الاربابِ

أُذكُرِ اذكُرْ بشيبتي والدَّالكْ ‏ ‏ دركَ العجزِ آهِ مثلِيَ أَدرَكْ

رُبَّ جارٍ أَصابهُ ببلاءٍ ‏ ‏ وَهوَ لا عونَ صدَّ عنهُ المُصابا

إِنَّما للسُّرورِ يَلقى سبيلا ‏ ‏ ذاكَ إِن أَبلغوهُ حيًّا أَخيلا

فيُرجِّي لهُ مَعاداً جميلا

ليَراهُ من بَعدِ طُولِ اغترابِ ‏ ‏ وأَنا آهِ أَلتظي بالتهابِ

كَم فتىً باسلٍ بإِليُونَ لي كا ‏ ‏ نَ فَطرًّا بادُوا وأَضحَوا تُرابا

عِندَ ما جاءَتِ الأَخاءَةُ بَحرا ‏ ‏ حُسِبُوا لي خمسينَ عدًّا وحَصرا

من نِساءٍ شتَّى وتِسعةَ عشرا

عُصبةً إِخوةً أَشقَّاءَ كانُوا ‏ ‏ جلُّهُمْ بالجِهادِ لِلحَتفِ دانُوا

واحدٌ ظلَّ مِنهُمُ بذِيادٍ ‏ ‏ عَن سُرانا يَقي البِلادَ الخَرابا

وجيش نصير جاءنا عن جناية ‏ ‏ فكان علينا واجباً ان يزوّرا

أي ان يكرم ويؤخذ بيده . ومثله قول سليم بن محرر :

ويمنع سرب الجار ان رامه العدى ‏ ‏ جهاراً بخطيّ تهز سلاهبه

وقول عنترة :

واني لاحمي الجار في كل زلة ‏ ‏ وافرح بالضيف المقيم وابهجُ

ذاكَ هكطورُ مَن قتلتَ أخيرا ... وَهوَ يحمي ذِمارَهُ والعشيرا
ذاكَ ما ساقني هنا مستجيرا
فأمتُ الأسطولَ في ذا السَّبيلِ ... ولقد جئتُ بالفكاكِ الجزيلِ
فسراةَ العلى أخيلُ اتَّقي وارْ ... فُق بحالي واذكرْ أباكَ أهتيابا

لا جديرٌ في الخلقِ بالرِّفقِ مثلي ... لا ولا في الورى امرؤٌ ذلَّ ذُلِّي
هذهِ الكفُّ أسُّ بُؤسي وخذلي
وبها ابني أضحى قتيلاً جديلا ... وأنا قد قبَّلتُها تقبيلا»[1]
فبذا الشيخُ هاجَ مدمعَ آخيـ ... لَ لذكرى أبيهِ فيلاً اكتئابا

فبرفقٍ أناهُ عنهُ وأجرى ... عبراتٍ سحَّتْ على الفورِ حرَّى
فكلا القيِّمَينِ ناحَ لذكرى
ذا لهكطورَ ساجدًا لأخيلا ... وأخيلٌ فطرْقَلٍ يبكي وفيلا
لبثا ينحبانِ ثمَّةَ حتَّى ... لهما اهتزَّتِ السقوفُ انتحابا

وأخيلٌ لمَّا روى بنحيبهْ ... غلَّهُ قامَ منغضيًا عن كروبهْ
أنهضَ الشيخَ رافقًا بمشيبهْ
ولهُ وجَّهَ الخطابَ فقالا : «إي نعمْ سامكَ القضاءُ وبالا
كيفَ قُل لم تخفْ فجئتَ الى الفلْـ ... ـكِ وحيدًا لمَنْ بنيكَ أتابا

---

(١) مهما رسم الرسامون من مثال لمنتهى الشقاء والذل فما هم بآتين بمثل

لكَ قلبٌ مثلُ الحديدِ الصليبِ   فانهض اجلسْ ولْنُبقِ طيَّ القلوبِ
غُصَصَ النفسِ لاشتدادِ الخطوبِ
ليسَ يُجدي بكاؤنا والنحيبُ   فالرزايا لكلِّ مرءٍ نصيبُ
ليسَ يخلو سوى بني الخلدِ منهـ   ـمٍّ ولكنْ لنا أعدّوا العذابا

فبأعتابِ زفسَ قارورتانِ   ذي لخيرٍ وذي لشرِّ الهوانِ
فيهما كلُّ قسمةِ الإنسانِ
فالذي منهما مزيجاً أنالا   زفسُ يلقى خيراً ويلقى وبالا

هذا المشهد المهيب : ملكٌ نبيل وشيخٌ جليل يجرر شيبه على قدمي فتى فتاك ويقبّل اليد التي سلبته نعيم الدنيا وبطشت بولدٍ هم صفوة ابطال زمانهم — ومهما شحذت القرائح فما هي بمنتجة ابلغ من خطاب فريام لاخيل واوقع منه في النفس حتى هاج مدمع ذلك القلب الصلب . فاجأ فريام اخيل وقومه وما احسوا الا ان هو بينهم فبهتوا فانسل واهوى على ركبتي أخيل وأخذ يقبل يديه . وقبل ان يبسط مرامه افتتح كلامه بقول يلين الجلمود اذ أمرَّ على مخيلته بعبارة وجيزة ذكرى أبيه فيلا وهو كما علمت اعز الناس على اخيل وقد أدركهُ العجز وكساه الشيب حلة الجلال ثم قابل بين حالته وحالة ذلك الشيخ النائي فاذا هو اجدر بالرفق بما لا يقاس . ثم مر عجلاً على ذكر مقتل ابنائه حتى اذا أنس من اخيل ارتياحاً أتى على ذكر هكطور ومقتله ولم يذكر من مناقبه الا انه كان يحمي ذماره وعشيرته وليست سواها منقبة تعلي قدره لدى اخيل وتعطفه عليه وان كان عدوه الالد ووطأ للختام بتكرار ذكر فيلا واختتم بعبارة أخذت بجميع اطراف المذلة والتعاسة وهي قوله

هذه الكف أسُّ بؤسي وذلي   وبها ابني اضحى قتيلاً جديلا   وانا قد قبلتها تقبيلا

فلا بدع بعد ذلك أن ينتحب أخيل على عزة نفسه وقد نصبت لعينيه كل هاتيك الرسوم

والذي لا يَنالُ إلاَّ مِنَ الشَّـ ـرِّ فَتَنْتابُهُ الخُطُوبُ انْتِيابا

بِطَواهُ يَطْوي البِلادَ كَلِيلا تائِهاً في عُرْضِ الفَلاةِ ذَلِيلا
مِن بَني الخُلْدِ والوَرى مَخْذُولا (١)

فَلَقِيلا الأَرْبابُ خَيرَ الهِباتِ أَجزَلُوا مُذْ بَدا لِهذي الحَياةِ
فاقَ جاهاً وثَروَةً وعلى المِرْ ميدِ أَضحى قَيْلاً مُطاعاً مُجابا

ولَئِنْ كانَ فانِياً وابْنَ فانِ أَنْكَحُوهُ إلاهةً ذاتَ شانِ

---

(١) يقول ان في اعتاب زفس قارورتين (او دنّين) قارورة جعل فيها شراب الخير وقارورة شراب الشر فيسقي الناس اما من احداها واما من كلتيهما فالذي يُسقى مزيجاً من الخير والشر يلقى خيراً ويلقى شرًّا والذي يسقى من الشر لا يلقى الا الشر والشقاء

وفي هذا التوزيع حكمة صادقة قل من ينتبه اليها وهي انه لم يقل بوجود بشر يسقى من قارورة الخير وحدها اشارة الى انه لا راحة تامة لاحد من بني الانسان

هذه خرافة من خرافات القوم ولكنها تتضمن حقيقة راسخة وفيها استعارة لطيفة ورد امثالها في التوراة اذ ذكر صاحب المزامير كأساً بيد الحق جلّ جلاله . ونكاد نجد في كلام شعرائنا كأساً لكل محمود ومكروه . قال عنترة :

لا تسقني كأس الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ

وقال ابن الفارض :

سقتني حُميا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من عن الحسن جلّتِ

ومن مرويات الزمخشري :

ما ارجي بالعيش بعد أُناسٍ قد اراهم سقوا بكأس حلاقِ

والمراد بكأس حلاق الموت

وعلى ذا مَنَّوهُ بالأَشجانِ

بجِماهُ لم يُعطَ قطُّ بَنينا | بَعدَهُ في بلادِهِ يحكُمُونا
فَرعُهُ واحدٌ سيَقضي قريباً | غيرَ مُجدٍ مَشيبهُ حينَ شابا

كيفَ أُجدي وقد شَطَطتُ دِيارا | وبإليُونَ قُمتُ والهَولُ دارا
لكَ أُهمي وآلكَ الأَكدارا

وكذا أنتَ قد رَوى الرَّاوُونا | لكَ يا شيخُ طالِعاً ميمُونا
كُنتَ ذا دَولةٍ ومالٍ وأبنا | ءِ بشَرخِ الصِّبا سَمَوا أنجابا

مِن ذُرى لِسبُسٍ مقرِّ مقَارِ | لفريجا لِجُرفِ هذي البِحارِ (١)
سُدتَ جَمَّ القُوى رَفيعَ المَنارِ

إنَّما مُنذُ ذا القِتالِ الوَبيـلِ | لا تَرى غيرَ قاتلٍ وقَتيلِ
فاعتَصِمْ بالعَزاءِ لاتحمِلِ الضَّيـ | مَ أسىً فيهِ تَقطعُ الأحقابا

لَيسَ يُجديكَ حزنُ هكَطورَ نَفعا | لَنْ تُقيمَنَّهُ بذَرفِكَ دَمعا (٢)

---

(١) كانت مملكة فريام ممتدة من سواحل بحر هيلا (الدردنيل) شمالاً الى لسبوس جنوباً الى فريجيا شرقاً . وذكر اسطرابون انها كانت تسع ممالك منضمة جميعاً تحت لواء فريام فقول هوميروس هنا قول عالم بجغرافية زمانه محقق

(٢) قال اراكة :

لعمري لئن أتبعت عينك ما مضى | به الدهر او ساق الحمام الى القبرِ
لتنتفدنْ ماء الشؤون باسرهِ | وان كنت تمريهنَّ من ثبج البحرِ
تأمل فان كان البكا رد هالكاً | على احدٍ فاجهد بكاك على عمروِ

رُبَّ خَطْبٍ إِلَيكَ مِن بَعدُ يَسعى» (١)

قالَ يَحكي فِريامُ آلَ الخُلودِ: «يا ابنَ فيلا لا تَدعُني لِلقُعودِ
إِنَّ هكطُورَ في خِيامِكَ لا قبـ ـرَ يُواريهِ في التُرابِ احتِجابا

أَعطِنيهِ حتّى بِعَيني أَراهُ وجَزيلَ النَفائِسِ اقبَلْ فِداهُ
فَبِها قد أَتيتُ أَبغي شَلاهُ
مِنكَ يا مَن حَيًّا قَدِ استَبقاني أَنظُرُ النُورَ ساطِعاً بِالأَمانِ
فَبِها اهنَأْ عَساكَ تَرجِعُ لِلأَو طانِ مِن بَعدِ ما نَأَيتَ اغتِرابا»

عِندَ هذا أَخيلُ أَحدَقَ شَزرا قالَ: «يا شَيخُ لا تَغِظنِيَ قَسرا
لَكَ هكطورُ سَوفَ يُعطى فَصَبرا
بِنتُ شَيخِ البِحارِ أُمّي أَتَتني مِن لَدى زَفسَ أَمرَهُ بَلَّغَتني
وأَنا عالِمٌ بِأَنَّ إِلاهاً بِكَ حَتّى الأُسطُولِ جاءَ فَغابا

أَيُّ مَرءٍ ولَو بِشَرخِ الشَّبابِ يَخرُقُ الجَيشَ قاصِداً أَبوابي

---

(١) لقد اكبر الشاعر بطله اخيل بهذا العطف على فريام فوق اكباره اياه بسائر ما قال اذ ابرزه هنا ذا عاطفة وحكمة وحنان فبات المستعطَفُ المستعطِف وهي براعة من الشاعر نادرة المثال اذ اضاف الى مناقبه منقبة هي اعظمهن وابعدهن عن ذهن المطالع فلا يأتي على ختام الالياذة الا وقد رسخ في تصوره ان اخيل من اعاظم الخلق بأساً وكرامة وعزة وشهامة وهو وان كان صعب المقاد صلب الجنان فلا يخلو عنصره من اصفى جواهر الكرم والورع والاحسان

عن عيونِ العيونِ طيَّ الحجابِ

أَوَ أَزلاجنا لهُ يَتهيّا دفعُها أُصمتْ إِن شئتَ تلبثْ حيًّا
لا تهِجني فرَفسَ أَعصي ولا أَرْعى ذليلاً هماً وشيخاً مُصابا» (١)

جزِعَ الشيخُ للوعيدِ مطيعا وأَخيلُ كالليثِ هبَّ سريعا
غادرَ الخيمَ آمراً متبوعا
معهُ من رفاقهِ تبعانِ بعدَ فطرُقل أَقربُ الفتيانِ
أَفطُميذُ وأَلقِميذُ أَخو العزمِ جميعاً عدَوا وجازُوا البابا

ذلكَ الفيجَ أَدخلوا وأَحلُّوا مجلساً والبغالَ والخيلَ حلُّوا
ومنَ المركبِ الرياشَ استقلُّوا
غيرَ بُردَينِ شائقينِ جمالا وشعارٍ مُزخرفٍ يتلالا
رامَ آخيلُ أَنْ يكفِّنَ هكطو رُ بها عندَ ما يُتيحُ المآبا

والجواري لِغسلِ هكطورَ نادى ولتطييبهِ هناكَ بِمادا
خشيةً أَنْ يرى الأَبُ ابناً أُبادا
فيثورُ الأُوارُ ضمنَ فؤادهْ وأَخيلُ يشتدُّ داعي اشتدادهْ

(٣) عيون العيون نواظر الارصاد — هذه آخر شرارة قذفها اخيل عن زناد غضبه الذي بنيت عليه الرواية . وهنا خبت ناره فبات دعة وكرماً بعد ذلك الاحتدام الوهاج

وَبِهِ يُعْمِلُ الظُّبى لا يُبالي أَنهى زَفْسُ أَمْ أُنيلَ العِقابا

غَسَلَتْهُ وَطَيَّبَتْهُ الجَواري وَبِبُرْدٍ كَفَنَّهُ وَشِعارِ[1]
وَأَخيلٌ أَلْقاهُ خَلْفَ الدّارِ
فَوْقَ نَعْشٍ وَدانِ بِاسْتِعْجالِ رَفَعاهُ لِظَهْرِ كُبْرى العِجالِ
عِنْدَ هذا بَكى أَخيلُ وَفَطْرُو لَ دَعا قالَ:«لا تَسُمْني عِتابا

لا تَغِظْ إِنْ بَلَجَّ آذِيسَ يُنْمى لَكَ أَنّي أَعَدْتُ هَكْطُورَ رَغْما
فَأَبوهُ أَدّى الفَكاكَ الأَتَمّا
وأَنا مِنْهُ سَهْمَكَ المُعْتادا سَوْفَ أُبْقي» وَلِلصَّريفَةِ عادا[2]

(١) قد علمت مما مر من التمثيل بجثة هكطور ووعيد اخيل وهديده انه كان ينوي لها شر النيات • اما الآن وقد انطفأت جذوة غيظه وارعوى الى الصواب فقد رجع الى اجراء الواجب بعرفهم من رعاية جثث الموتى فأمر بتكفينه وتطييبه على ما يليق بمقامه — تلك كانت حالة العرب في جاهليتهم فقد كانوا اذا اشتد بهم الكيد يمثلون بالقتلى مثلة قبيحة ولكنهم كانوا فيما سوى ذلك يحترمون جثث القتلى ولو من اعدائهم • وقد جاء في الاثر ان جساساً لما قتل كليباً وضع على جثته حجاراً لئلا تأكلها السباع • والتمثيل بالقتلى مما نهى عنه الاسلام كما تقدم • وفي الحديث عن عائشة: «كسر عظم الميت ككسره حياً» اي انه لايهان كما لايهان الحي • ومن مرويات الحديث ايضاً : «لأن يجلس احدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خيرٌ له من ان يجلس على قبر» ومن هذا القبيل قول المعري :

خفف الوطء ما اظن اديم الـ أرض الا من هذه الاجسادِ
وقبيحٌ بنا وان قدم العهـ دُ هوان الاباء والاجدادِ

(٢) حبذا لو ذكر الشاعر في جملة خطاب اخيل لفطرقل امر زفس بالتخلي

حلَّ في عرشهِ البهيّ لدى الحا ئطِ يلقي ألفاظَ نُطقٍ عِذابا :

« لكَ يا شيخُ قد أُعيدَ فتاكا وهوَ في نعشهِ فنلْ مُبتغاكا
فإذا الفجرُ بكرةً وافاكا
فمليًّا تراهُ عِندَ المَعادِ إنَّما الآنَ حانَ وقتُ الزّادِ
فنيوبا لم تَسْهُ عن زادِها في صرْحِها مُذْ أصابَها ما أصابا[1]

وُلْدُها اثنا عشرٌ بربيعِ الحياةِ فِتيةٌ ستّةٌ وستُّ بناتِ
فتكتْ أرطميسُ بالفاداتِ

عن هكطور لأن ذلك يجمّل عذره لديه فهو اقرب الى اظهار الاضطرار من قبول الفكاك واستبقاء سهم فطرقل منه

(١) أشار اخيل الى قصة مشهورة في خرافاتهم مؤاساةً لفريام وحثاً له على تناول الزاد . ذلك ان نيوبا ابنة الطنطال وامرأة امفيون ملك ثيبة كانت تعتز بكثرة اولادها وهم ستة بنين وست بنات ففاخرت بهم لاطونة عشيقة زفس ولم يكن للاطونة سوى ولدين فيبوس (الشمس) وارطميس (القمر) فحنقت لاطونة واغرت ولديها فقتلا جميع أولاد نيوبا فلبثوا تسعة أيام مجندلين على التراب بدمائهم لا يضمهم لحد لأن زفس كان يمسخ كل من دنا اليهم حجراً . ولما كان اليوم العاشر دفنتهم الآلهة . ثم مُسخت نيوبا



نيوبا واحد اولادِها

وبقوسِ اللُّجينِ فيبوسُ أَرْدى		وأَبادَ الفتيانَ غيظاً وحقدا
ذاكَ إِذ فاخرَتْ نيوبا لطوْنا الـ		ـحُسنِ يوماً بضنوِها إِعجابا[1]

فلها اثنا عشرٌ وتلكَ اثنانِ		إِنَّما قد أَفناهُمُ هذانِ
أَنهراً تسعةً بموتِ الهوانِ
لبثوا لا قبرٌ فزفسُ جهارا		مسخَ النَّاسَ حولهُمْ أَحجارا
وسراةُ الخُلودِ عاشرَ يومٍ		دفنوهمْ والأُمُّ تجرَعُ صابا

شعرَتْ بالطَّوى بجُهدِ البُكاءِ		وهيَ للآنَ تلتظي بشقاءِ[2]
نالَها مِن لدى سراةِ السَّماءِ
بعدَ أَنْ أَصبحَتْ بسيفيلَ صخرا		بجبالٍ شُمٍّ يُروِّعنَ ذعرا
حيثُ مثوى الحُورِ اللواتي على جرْ		فِ أَخلوُّسٍ لها الرَّقصُ طابا

وكذا نحنُ زادنا نأتيهِ		وابنكَ القرمَ باكراً تبكيهِ
عندَما للبلادِ ترْجعُ فيهِ

صخراً كما تحولت امرأة لوط أصب ملح على ما جاء في التوراة (تك ١٩ : ٢٦) ولكن نيوبا بقيت على كونها جماداً تتألم

يقول اخيل لفريام ان مصاب نيوبا بأولادها فوق مصابك ومع ذلك فقد شعرت بالجوع واكلت فهذا وقت الطعام وللنوح والبكاء وقت آخر

(١) الضنو الاولاد

(٢) الطوى الجوع

فَهُنَاكَ الدُّمُوعُ ماشِئْتَ تُهْمِرْ ثُمَّ شاةً بَيضاءَ أقبلَ يَنحَرْ
وَذَوُوهُ مِن بَعدِ أن سلَخُوها أرَّبُوها وسفَّدُوا الآرابا [1]

واشْتَوَوْها بِلاهِبِ النِّيرانِ ثُمَّ مَدُّوا الشِّواءَ فَوقَ الخِوانِ
والفتى أفطُميذُ لِلضِّيفانِ
وَزَّعَ الخُبْزَ بالقِفاعِ امْتِثالا وأخيلُ اللُّحُومَ قَسَّمَ حالا
والأيادي مُدَّتْ إلى الزّادِ حَتَّى أتقَوا الزّادَ جُمْلَةً والشَّرابا

وابنُ دَرْدانُسٍ أخيلَ تأمَّلْ يُعْظِمُ القَدَّ والجَمالَ المُكَمَّلْ [2]
ومُحَيَّا الأَربابِ إنْ هُوَ أقبَلْ
وأخيلٌ فِريامَ أعظَمَ قَدْرا لِوَقارٍ ومَنْطِقٍ زانَ فِكرا
لَبِثا بُرْهَةً وكُلٌّ بِكُلٍّ مُحْدِقٌ مُكْبِرٌ لَهُ استِعجابا

ثُمَّ فِرْيامُ قالَ: «آخيلُ دَعْنا بِلَذيذِ الهُجُوعِ ذا الحِينَ نَهْنا
فأنا لم أُغْمِضْ لِعَينَيَّ جَفْنا
مُذْ قَضَى هالِكاً بِساعِدِكَ ابْني بَلْ بِبَثّي ما زِلْتُ أشقَى بِحُزْني
أتلَوّى على الدَّمالِ بِصَحْنِ الـ ـدّارِ أصلَى لَظَى الأسى اللّهّابا

إنْ أذُقْ زادَكَ الذي لي تَهَيَّا أو تَراني رَشَفْتُ كأسَ الحُمَيَّا

(١) أرَّبوها قطعوها والاراب القطع وسفدوا شكوا في السفافيد
(٢) ابن دردانوس فريام

فإِلى الآنَ لمْ أَذُقْ قطُّ شيًا »

فأَخيلٌ في الحالِ أَصْدَرَ جهْرا لِلْحَواشي ولِلسَّبِيَّاتِ أَمْرا
أَنْ يُمِدُّوا في البابِ فُرْشًا ويُلْقُوا لُحُفَ البِرْفِيرِ الحِسانِ قِشابا

ويَمُدُّوا فوقَ الفِراشِ الزَّرابي وعَلَيها مُكَثَّفُ الأَثوابِ[1]
فالجَواري جَرَيْنَ لِلأَعْتابِ
مَعَهُنَّ المِصْباحُ لِلبابِ رُحْنَ وفِراشَينِ في المَجازِ طَرَحْنَ
ولِفَرْيامَ قالَ إِذ ذاكَ آخيـ ـلُ يُرِيهِ مَخافَةً وارْتِيابا :

« أَيُّها الشَّيخُ خارِجاً نَمْ قَرِيرا خَشْيَةً أَنْ تَلْقَى بِخَيْمِي أَمِيرا
قادِماً في الدُّجى هُنا مُسْتَشِيرا
فَهُنا في أَبْحاثِنا نَسْتَفِيدُ ذاكَ عُرْفٌ جَرى عَلَيهِ الصِّيدُ
فإِذا ما رَأَوكَ في اللَّيلِ أَتْرِ ذُ دَرى والأُمُورُ باتَتْ صِعابا[2]

(١) الزرابي الطنافس والبسط

(٢) يقول أخيل انه قد جرت عادة الزعماء (بعد مقتل هكطور) ان يجتمعوا لديه يتشاورون في أمرهم ولهذا أمر ان يعد فراش فريام خارج الساباط لئلا يراه احد فيعلم به أغاممنون والجيش فيصعب عليه الخلاص بعد ذلك.

قصد الشاعر بقوله هذا ان يثبت مرة أخرى كرم اخلاق أخيل وان يعيد ذكرى ما له من علو المقام بين الرؤساء وان لم تكن الرئاسة له وان يوطىء توطئة حسنة لما يلي اذ لو كان فريام داخل الخيمة لما تيسر له الفرار ليلاً كما سيجيء

ولعلَّ المَليكَ يُرْجي الفـكاكا فَقُلِ الآنَ لي صَريحاً مُنَاكا[1]
كَمْ نهاراً تبغي لِدفْنِ فتاكا

قُلْ فنفسي أَصُدُّ عن أَهوائي وأَرُدُّ السُّرى عَنِ الإِبْلاءِ »
فَعلى ذا فِرْيامُ وَهْوَ يُحاكي بِوَقارٍ رَبًّا مَهيباً أَجابا :

« إِنْ تُبِحْ أَنَّ حفْلَةَ الدَّفْنِ تجْرى تِلكَ آخيلُ مِنَّةٌ منكَ تُـتْرى
قد حُصِرنا تَذري بإِلْيُونَ حَصْرا

والمَدى شاسِعٌ لِقطعِ الوَقودِ بالرَّواسي والرُّعْبُ هَدَّ جُنُودي
ولَنا لِلْبُـكاءِ تِسْـعَةُ أَيَّا مٍ بها نَذْرِفُ الدُّمُوعَ انْسِكابا

ثُمَّ يومٌ لِلدَّفْنِ والإِيلامِ ثُمَّ يومٌ لِلرَّمْسِ والإِتْمامِ
وإِذاما اقْتضتْ دَواعي الخِصامِ

تَهَيَّا لِلحَرْبِ إِنْ نَأَتِ فَجْرا بَعدَ هٰذي الأَيَّامِ ثاني عَشْرا ».
قالَ : « ماشِئْتَ فَلْيَكُنْ وبِهٰذا الـ حِينِ نَلْوي عَنِ الحُرُوبِ الحِرابا »

ثُمَّ يُمْنى فِرْيامَ أَمْسَكَ عَهْدا لِوَفاقٍ جرى وأَبْرَمَ عَقْدا[2]
خَشْيَةً أَنْ يَسُومَهُ الرُّعْبُ جَهْدا

عِنْدَ هٰذا فِرْيامُ والقَيْجُ قاما وبِظِلِّ الرِّواقِ بالأَمْنِ ناما
وأَخِيـلٌ في عُزْلَةٍ بِحِماهُ وبَرِيساطِيبَ الهُجُوعِ اسْتَطابا

---

(١) يرجي يؤخر وأراد بالمليك اغاممنون

(٢) التوانق بالتصافح قديم العهد . راجع مطالعتنا بهذا الباب (ن ١٠ : ٦١٩)

وجَميعُ الأَرْبابِ والناسِ طرًّا هَجَعُوا والظَّلام أَسبَلَ سِترا
إنَّما ظَلَّ هِرْمِسٌ لا يكرى

فا كراً في فِرْيامَ كيفَ يَبِينُ عَن حِمى القَومِ لا تراهُ العيونُ
فَعلى رَاسِهِ اُستقرَّ ونادا هُ: «أَياشَيخُ هل أَمِنتَ الطِّلا با

نُمتَ بَينَ العِدى بأَمنٍ أَخيلِ وَلقدْ جُدْتَ بالعَطاءِ الجزِيلِ
لافتِكاكِ ابنكَ الكَريمِ النَّبيلِ

إِنْ تُلاقي هُنا أَغاممْنُونا والسُّرى كُنْتَ وُلْدكَ الباقينا
عَنكَ يُعطُونَهُ ثَلاثةَ أَضعا فِ الذي قد أَدَّيتَ مالاً لُبابا»[1]

قامَ فِرْيامُ يُنْهِضُ الفَيجَ رُعبا وَلِشَدِّ العِجالِ هِرْمِسُ هَبَّا
وبِها جَدَّ يَنهَبُ السَّهلَ نَهْبا

لا يراهُمْ مِنْ ذٰلكَ الجَيشِ رائي فأَتَوا آمنِينَ مَجرى الماءِ
فَوقَ جُرْفٍ فِيهِ تَدفَّقَ زَنْثُ ال مُنْتَمِي نَشأَةً لِزَفْسَ انتِسابا

لِأَعالي الأُولمْبِ هِرْمِسُ راحا وَبدا بُرْقُعُ الجِسادِ صَباحا
فَهُنا الشَّيخانِ اُستَباحا النُّواحا
ثُمَّ حَثَّا الجِيادَ نَحْوَ البِلادِ وَبِغالاً قَلَّتْ جَدِيلَ الجِلادِ

---

(١) اي اذا درى بك اغاممنون وقومه بذلوا لاخيل ثلاثة اضعاف ما بذلت واخذوك فقتلوك فتزيد مصاب ابنائك الباقين بعد هكطور

جَرَيا لايَراهُمَا بَعْدُ مَرْءٌ أَوفَتاةٌ في الأَهْلِ حيثُ اجْتابا

بِهما ما دَرى بِذاكَ المَجالِ غيرُ كَسَنْدَرا فَتاةِ الدَّلال
مَنْ تَجلَّتْ كَمَفْرُوذِيتِ الجَمال
أَشْرَفَتْ مِنْ فِرْغامَ فَوْقَ الوِهادِ فأَباها رَأَتْ وذاكَ المُنادي
وأَخاها رَأَتْ على نَعْشِهِ فيـ ـهِ أُذْلِعَبَّتْ بِغالُهُ اذْلِعْبابا[1]

وَلْوَلَتْ والدُّمُوعُ مِلْءُ المَآقي ثُمَّ جَدَّتْ تَصيحُ في الأَسْواقِ :
« يا رَفيقاتِ يا خِيارَ الرِّفاقِ
إِنْ تَكُونُوا حَيِّيتُمُ هَكْطورا وَهْوَ حيٌّ بِعَوْدِهِ مَنْصُورا
وَجَذِلْتُمْ بِمُلْتَقاهُ جَميعاً فَانْهَضُوا رَحِّبُوا بِهِ تَرْحابا »

أَكْبَرُوا الخَطْبَ والأَسى والوَبالا وإِلى البابِ بادَرُوا استِقْبالا
كُلُّهُمْ كُلُّهُمْ نِسا وَرِجالا
وَأَمامَ الجَميعِ زَوْجٌ حَليلَهْ أَعْظَمَتْ خَطْبَهْ وَأُمٌّ جَليلَهْ
بِعَويلٍ وَقَطْعِ شَعْرٍ وَنَدْبٍ جاءَتا النَّعْشَ تَلْمِسانِ النِّطابا[2]

وحَوالَيهِما الجُمُوعُ تَنُوحُ بِأَساها وَبالنَّحيبِ تَصيحُ

(١) اذلعبت جدّت
(٢) النطاب الرأس اي راس هكطور

أَوشَكُوا كُلَّ يَومِهِم أَنْ يَنُوحُوا

بَينَ تِلكَ الأَبوابِ مِنْ حَولِ نَعشِهْ　　إِنَّما الشَّيخُ صاحَ مِنْ فَوقِ عَرشِهْ:

«إِفتَحُوا لي السَّبيلَ لِلصَّرحِ مِنْ ثَمَّ اسكُبُوا الدَّمعَ فَوقَهُ تَسكابا»

فَلَهُ وَسَّعُوا الطَّرِيقَ فَجِدًّا　　وأَتى القَصرَ خَلفَهُ القَومُ حَشْدا

وَضَعُوا المَيتَ فَوقَ نَعشٍ أُعِدَّا

وأَقامُوا حَولَيهِ نَدَّابِينا　　بِشَجِيِّ الأَنغامِ تُوري الشُّجُونا[1]

يُنْشِدُونَ الرِّثاءَ بَينَ نِساءِ　　وَفْقَ ذاكَ النَّشِيدِ نُحْنَ كِثابا

وَانْبَرَتْ أَوَّلاً فَعَمَّ العَوِيلُ　　أَنْدَرُوماخُ والدُّمُوعُ تَسِيلُ

فَعلى رأسِهِ تَرامَتْ تَقُولُ:

«مُتَّ بَعلاهُ بالشَّبابِ النَّضِيرِ　　وأَنا أَيِّمٌ بِهذي القُصُورِ

وهُنا الطِّفلُ طِفلُنا ونِتاجُ الـ　　حُزْنِ لَنْ يُدرِكَنَّ آهِ الشَّبابا

قَبلَ ذاكَ الزَّمانِ خَلَّتْ الدِّيارا　　أَصبَحَتْ قَفرَةً وباتَتْ دَمارا

---

(١) يظهر من كلام هوميروس في هذا الموضع ومن مظانّ في التوراة وكتب العرب ان النياحة كانت مهنة تحترف بها طائفة من الناس وهي من لوازم المآتم . وقد ذكر صاحب الاغاني جماعة كانت هذه مهنتهم كابن سريج وغريض وغيرها . وفضلاً عن ذلك كانت النساء يندبن الموتى صارخات ومغنيات وعازفات . ذكر ابن الاثير وغيره من مؤرخي العرب ان نساء المشركين خرجن بعد غزوة بدر وبأيديهنّ الدفوف ينقرن عليها ويندبن الموتى . وقد قضت الحضارة على هذه العادة فتلاشت من اكثر البلاد وهي مع ذلك لاتزال فاشية في الاقاليم المصرية وبعض البلاد الشرقية

إِنْ تَمُتْ لا سِواكَ يَحْمِي الذِّمارا

وجَميعَ البَنِينَ والأَطفالِ　والعَذارى والمُحصَناتِ الخَوالي
سَوفَ يُمسِينَ في الخَلايا سَبايا　وأَنا بَينَهُنَّ وا أَوصابا

وَكَذا أَنتَ يا بُنَيَّ سَتُمسي　حَيثُ أُمسي تَعنُو بذُلٍّ وبُؤسِ
لِفَتىً ظالِمٍ عَتا ذي بَأسِ
أَو عَدُوٍّ يَسِيمَ الوَبالَ الثَّقِيلا　يَتَوَخَّى لَكَ الحِمامَ الوَبِيلا
بِكَ يُلقِي مِن فَوقِ بُرجٍ فَيَشفي　غُلَّةً كادَتِ النُّفُوسَ الغِضابا

بِابنِ هَكطُورَ يَشتَفي في انتِقامِ　لِأَبٍ أَو أَخٍ رَمى أَو غُلامِ
فَهُماماً قَد كانَ أَيَّ هُمامِ
وَلَكَم باسِلٍ بِجَيشِ الأَعادي　كَدَمَ الأَرضَ دُونَهُ في الجِهادِ [١]
فَلِهذا بَكَتهُ طُرْوادُ طُرّاً　وَعَلَيهِ الفُؤادُ بالبَثِّ ذابا

جَلَّ عَن واجِبِ التَّأَسِّي أَساكا　وَلَقَد هَدَّ والِدَيكَ رَداكا
إِنَّما لي فَوقَ الجَميعِ شَجاكا [٢]

---

(١) كدم الارض للقتيل وعض الثرى واكل التراب من المجاز المألوف في أكثر الالسنة — قال عنترة :

كم شجاع دنا اليَّ ونادى　يا لقومي انا الشجاع المهيبُ
ما دناني الا مضى يكدم الار　ض وقد شُقّقت عليه الجيوبُ

(٢) لاغرو ان تقول أندروماخ ان مصابها بهكطور فوق مصاب ابيه وأمه

آهِ لو فُهْتَ لي ببعضِ الكلامِ　　تبسطُ الكفَّ لي أوانَ الحِمامِ
لتذكّرتُهُ نهاري وليلي　　ودُموعي تنصبُّ عُمري انصبابا»

ثُمَّ غصّت بهائض الزَّفراتِ　　والعذارى يجُدْنَ بالعبراتِ
ثمَّ صاحتْ إيقابُ: «واحسراتي

وا أعزَّ البنينَ وا هكطورا　　كم رعتكَ الأربابُ حيّاً قريرا
وهيَ من بعدِ فاجعاتِ المنايا　　بكَ تُعنى تجلّةً وثوابا

بأقاصي البحارِ في إمبروسِ　　أو بساموسَ أو رُبى لمنوسِ
باعَ من فتيتي أخيلُ البؤوسِ

كلُّ من في يديهِ أضحى أسيرا　　إنّما أنتَ مُذْ رماكَ مُغيرا
بكَ ما زالَ طائفاً حولَ رمسٍ　　لخليلٍ أنفذتَ فيهِ الذُّبابا[1]

كلُّ هذا لم يحيِ ذاكَ الخليلا　　وأمامي أراكَ رطباً جميلا
مثلما لو ذا الحينَ رُحتَ قتيلا

وسائر ذويه وهو قول يصدق على كل أيم • قالت جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليباً :

يا قتيلاً قوّض الدهر به　　سقف بيتيَّ جميعاً من علِ
ورماني قتله من كثبٍ　　رمية المصمى به المستأصلِ
يا نسائي دونكنَّ اليوم قد　　خصني الدهر برزءٍ معضلِ
خصني قتل كليب بلظىً　　من ورائي ولظىً مستقبلِ
ليته كان دماً فاحتلبوا　　درراً منه دمي من أكحلي

(١) الذباب حد النصل — اشارت بقولها لخليل الى فطرقل

مثل مَنْ فيبُسُ أَبادَ بِسَهْمٍ دَقَّ عن صَوْلَجِ الحَنِيَّةِ يَرْمي»[1]
وَعَلا النَّوحُ ثُمَّ هِيلانَةُ ثا لِثَةً وَلْوَلَتْ تُزِيحُ النِّقابا :

يا أَحَمَّ الأَصْهارِ إِلْفَ الوِدادِ أَعْلَقَ الأَهلِ كُلِّهِمْ بِفُؤادي
لَمْ أَرَى مُذْ عِشْرِينَ عاماً بِلادي
مُنْذُ فارِيسُ مُجْتَبى الخالِدِينا ساقَني قادِماً إِلى إِلْيُونا
لَيْتَني قَبْلَ أَنْ أُفارِقَ شَعْبي وَبَنِي أُسْرَتي انْشَعَبْتُ انْشِعابا[2]

شَأْنُكَ الرِّفْقُ بي لَقَدْ كانَ دَوما قَطُّ ما سُمْتَني المَهانَةَ يَوما
وإذا كادَني سِباباً ولَوما
أَيُّ صِهرٍ أَو زَوجةٌ أَو شَقِيقَةْ أَو حَماتي إِيقابُ تِلكَ الشَّفِيقَةْ
(غَيرُ فِرْيامَ مَن بَدا كَأَبٍ لي) كُنْتَ رِفقاً عَنّي تُزِيحُ السِّبابا

سَوفَ أَبْكِيكَ سَوفَ أَبْكي شَقائي لَيسَ لي راحِمٌ وإِلْفُ وَلاءِ
قَد قَلاني الجَمِيعُ فَوقَ بَلائي»[3]

---

(١) الصولج الفضة والحنية القوس . أي لا أزال اراك رطباً جميلاً غير مشوه بالجراح ولا معفر بالتراب كمن اماته فيبوس بسهم دقيق رماه به عن قوسه اللجيني أو بعبارة أخرى كمن مات حتف انفه

(٢) انشعبت مت

(٣) لاحاجة بنا الى ايراد مطالعة على مناحة زوجة هكطور وامه وامرأة أخيه فقد تقدم لنا كلام بهذا المعنى (ن ٢٢ : ١٠٥١) يصدق مجملاً على هذا الموضع وانما ننبه الى ان الشاعر لم ينطق فريام هنا بشيء مما أنطقه هناك لانه لم يكن لكلامه

وبَكَتْ والجُمُوع ناحت جميعا ثُمَّ فريامُ صاحَ فيهم سَريعا :
«يا سَراةَ الطُرْوادِ قوموا فسيروا وَاجْمعُوا وافرَ الوَقُودِ احتِطابا

لا تخافُوا منَ الأَخاءَةِ غَدْرا فأَخيلٌ لي قالَ أَن لن يَكرّا
قبلَ فجرٍ يَلُوحُ ثانيَ عشْرا »
أَسْرَعُوا جُمْلَةً لِشَدِّ البِغالِ وقَويِّ الثِّيرانِ حَولَ العِجالِ
ثُمَّ سارُوا بِهِنَّ فوراً وَجدُّوا وإلى السُّورِ أَقبلُوا أَسْرابا

أَنهُراً تِسعَةً بجمعِ الضِّرامِ لبثُوا ثُمَّ عاشرَ الأَيَّامِ
رَفَعُوا الميتَ والعيُونُ هَوامِ
فَوقَ ذاكَ الوَقُودِ ثُمَّ النَّارا أَضْرَمُوها بهِ تَوَجُّ أُوارا
وَلَهُمْ حِينَ لاحَ وَردُ بَنانِ الـ فَجْرِ مِنْ حَولِهِ أَقامُوا عِصابا

حَيثُ هَبَّتْ لَواهِبُ النِّيرانِ أَخمَدُوها بِصِرْفِ خَمْرِ الدِّنانِ

موضع بعد ان افرغ كنانة حزنه في كل اجزاء هذا النشيد ، ولم يكن بدّ من انطاق هيلانة لانه لا يصح ان تختم المنظومة وقد سدل عليها ستار النسيان وهي سبب كل هذا البلاء ، وهكذا فان الشاعر جعل الوصف كاملاً والحزن شاملاً واختم هذا النشيد وفيه ختام الالياذة بمشهد من اشد المشاهد تأثيراً في النفوس ، فالامة كلها قائمة قاعدة للاحتفاء بلقى هكطور ميتاً ، وشقيقته كلها جزع وحزن قلقة على شرفات الابراج ، وأبوه الشيخ الهرم عائد به بعد ان خاطر بحياته لاجل جثته ، وزوجه ترثي رثاء الأيم المتوقعة غدرات الزمان ، وامه تندب الجمال والكمال وتئن انين الرؤوم ، وهيلانة تنوح نوح الفاقدة النصير الموقنة بسوء المصير ، وعلى الجملة فان الدنيا برمتها متمثلة للقارىء عناء وشقاء

وَلَفِيفُ الإِخْوانِ والخُـلاَّن

جَمَعُوا كُلَّ أَعظُمِ المَيتِ جَمْعا بِكَئِيبِ الفُؤَادِ يُذْرُونَ دَمْعا

أَوْدَعُوها مِنْ ثَمَّ حُقَّ لُجَينٍ وكَسَوْهُ بِرِفيرِهِمْ جِلْبَابا

أَنْزَلُوها في حُفْرَةٍ حَفَرُوها وَبِجُلْمُودِ صَخْرِهِمْ طَمَرُوها

ثُمَّ شادُوا الضَّرِيحَ إِذْ دَفَنُوها

وحَوالَيـهِ اوْقَفُوا الأَرْصادا من سَراةِ السُّرى قُرُوماً شِدادا

خَشْيَةً مِنْ عَدُوِّهِمْ أَنْ يُفاجي بَغْتَةً حِينَ غَفْلَةٍ وَاحْتِسابا

وَإِذِ القَبرَ أَكمَلُوا وَأَتَمُّوا صَرحَ ذاكَ المَلِيكِ فِرْيامَ أَمُّوا

حَيثُ حَولَيهِ لِلعَزاءِ انْضَمُّوا

ولَهُمْ هَيَّأَ المَلِيكُ طَعاما كانَ في مَأْتَمِ الفَقِيدِ خِتاما

ذاكَ ما كانَ مِنْ مَناحَةِ هَكْطُو رَالذي رَوَّضَ الجِيادَ الصِّلابا[1]

(١) لم يطل الشاعر في وصف مأتم هكطور لانه لم يبق محل لذلك بعد أن اسهب ذلك الاسهاب في مأتم فطرقل

تتمة حوادث الإلياذة

يتشوف القارئ وقد أتم تلاوة الالياذة الى الالمام بمآل الاعيان من أولئك الرجال وهاتيك النسوة وما كان من عقبى الحرب المضطرمة بين الاغريق والطرواد مما هو مروي في الاثر

بنيت الالياذة على غيظ اخيل فأخذ الشاعر بجميع اطراف ذلك الغيظ حتى اذا قضى وطره واستتم خبره ختم الكلام

وانا موردون الآن بأوجز عبارة ما كان من خاتمة الحرب ومصير كبار القوم

لما انقضت الموادعة استأنف الفريقان القتال . واذ أعيت الاغريق الحيلة في فتح إليون لجأوا الى خدعة هيأها لهم داهيتهم أوذيس فصنعوا حصاناً كبيراً من خشب على شكل كبش مما كان يستعمل في الحروب ونصبوه لدى ابواب البلد. وفيه الكماة المدججون بالسلاح ومن جملتهم صاحب الخدعة وذيوميذ ونيفطوليم ابن اخيل وكان قد لحق بقومه في أُخريات أيام الحرب وهو بعدُ صبي . ثم تظاهروا بالسأم والملل والتأهب للانصراف فانخدع الطرواد وخرجوا فادخلوا الحصان . فلما كان الليل خرج منه رجال كمينه وقتلوا الحراس وفتحوا الابواب فدخل الاغريق البلد ودمروه واستباحوه نهباً وقتلاً وسبياً ولم ينجُ الا نفرٌ قليل ممن لاذ بالهزيمة

اما اخيل فقتل قبل فتح البلد بسهم رماه به فاريس فأصابه بعقبه فتنازع اوذيس واياس الكبير على سلاحه ففاز به أوذيس فغيظ اياس وانتحر كيداً

واما سائر الزعماء فتفرقوا وعادوا كلٌّ الى بلاده ولكنهم تجرعوا مضض الاهوال وهلك معظمهم

فأغاممنون غدرت به زوجته ومشعوقها اغستوس وكان قد استعمله اغاممنون على بلاده أثناء غيابه

واخوهُ منيلاوس رجع بامرأته هيلانة فوصل بلاده بعد عناء ثمانية اعوام ولم يقم طويلاً حتى مات

وذيوميذ كاد يصيبه من غدر زوجته ما اصاب اغاممنون لو لم يلجأ الى الفرار فشخص الى ايطاليا بشرذمة من اتباعه وبنى فيها عدة مدائن

واياس الصنير عصفت الريح بسفائنه وهو راجع بها فأغرقتها فلاذ الى صخر وقف عليه ثم ما لبث الصخر ان انشق تحت قدميه فمات غرقاً

وأوذيس لعبت بسفنه العواصف فهام عشرة اعوام على وجه المياه في حديث طويل بنى عليه هوميروس منظومته « الاوذيسية » وكانت امرأته بديعة الجمال طاهرة الذيل فطمع بها عظماء قومها. فحاولت وطاولت الى ان عاد زوجها فشكت اليه امرها فقتلهم جميعاً • ومات اوذيس قتيلاً بيد ابنه تليغون قتله في معركة وهو لا يعلم انه ابوه

ونسطور عاد الى بلاده سالماً فقضى بقية ايامه بأمن وسلام

اما فريام ملك طروادة فذبحه نيفطوليم بن اخيل امام الهيكل بعد فتح اليون

وابنه فاريس مات قتيلاً قبل الفتح

وزوجه ايقاب كانت في سهم اوذيس عند اقتسام السبايا فاسترقّها

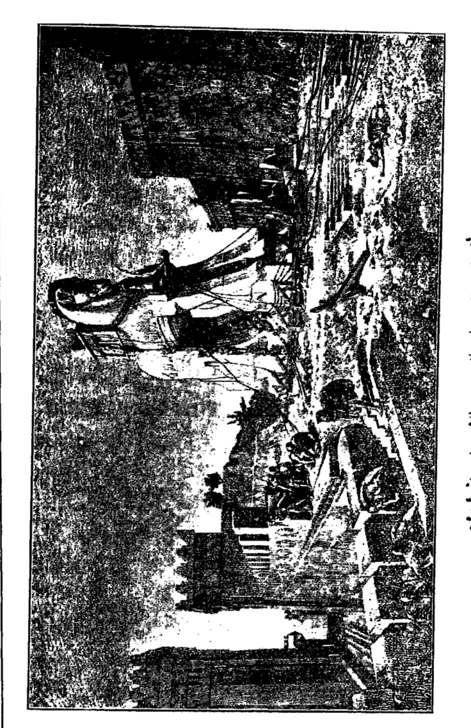
وابنته كسندرا كانت من سبايا اغاممنون

وكنته اندروماخ امرأة هكطور استأثر بها ابن اخيل وعاد بها الى بلاده وتزوجها ثم طلقها وازوجها هيلينوس احد ابناء فريام — واما ابنها استياناس فألقى به ابن اخيل عند فتح البلد من شاهق كما كانت تقول متشائمة وهي تندب هكطور (ن ٢٤: ١١٤٥)

وهيلانة بقيت مع منيلاوس في اسبارطة الى ان توفي فاضطرت الى مغادرة البلاد فذهبت إلى رودس فشنقتها احدى ارامل الابطال الذين هلكوا بحصار إليون

واوفر رجال القومين حظاً واحسنهم منقلباً كان انياس بطل منظومة فرجيليوس فانه تمكن من الفرار واسس دولة كبيرة كما تقدم (ن ٢٠ : ٩٧٣)





رسمٌ وهمي للحصان الخشبي الذي اصطنعهُ اوذيس

فهرس الصور

فهرس القوافي

على حروف المعجم

مُعْجَم

الالفاظ اللغوية

تنبيه · قد توخَّينا سهولة النظم واجتناب الالفاظ المُهملة والتراكيب الشاذة والكلام المُغلق الا ما كان منه لفظًا وضعيًّا لايعبَّر عنه بغيره او قافيةً لا يمكن العدول عنها او تعبيرًا ليس ما يفضله في الكلام المأنوس · وقد اتينا في الحاشية على تفسير اكثر الالفاظ التي يصعب فهمها على بعض القرَّاء ولكننا لم نكرر التفسير كلما تكررت اللفظة ولهذا اثبتنا هذا المعجم الموجز ليرجع اليه المطالع عند الاضطرار

ا

اجد · الاجَد القويُّ الشديد

ادب · الأُدْبة المأدبة والوليمة

ادم · الأَديم الجلد ووجه الارض

ازق · المَأْزِق المضيق والشدة

اسل · الأَسل الرماح واحدهُ أَسَلَة

اسو · الآسي الطبيب · ج أُساة وإِساء

اضم · الأَضم الحقد والغضب

افل · أُفول القمر غيابه ويراد بالافول مجازًا الموت

الو · الأَلوة القَسم واليمين

اور · الأُوار اللهيب والدخان وحرُّ النار والعطش

ب

بأدل · البأْديل اللحم بين الإِبط والثَّندوة او لحم الثدي

بثث · البثُّ الغمُّ والضَّيم

بجد · البجاد الكساء

بدر · بَدَرَ تقدم

برح · البَرْح الشدة والالم

برق · البوارق الغيوم مفردها بارقة

بطرق · البَطريق والبِطريق القائد والزعيم ج بَطارق وبطاريق وبطارقة · لاتينية

بلو · بلاهُ امتحنه وجرَّبه واختبره

بهم · البَهمة الشجاع ج بُهَم

بور · البوَار الخراب والدَّمار

بوق · البوائق الدَّواهي مفردها بائقة

بين · بانَ يبِينُ بَعُد يبعد وأَبان أَبعد

ت

تبر · التَّبار الهلاك

تبع · التِّبع التابع والرديف · والتَّبيع ولد البقرة لحَول واحد مؤَنثه تبيعة ج تِباع وتَبائع

ترب · التِّرب المساوي في العمر

ترع · اترع الاناءَ ملأَه

ترك · التَّريكة الخوذة

ث

ثبر . الثُّبور الهلاك

ثرب . التَّثريب اللَّوم وتقبيح الفعل

ثعلب . ثَعلب الرمح سنانه

ثقف . ثقَّفه هذَّبه ودرَّبه . والمثقَّف الرمح

ثلل . الثَّلَّة القطيع من الماشية

ج

جأى . الكتيبة الجأواء المسودَّة لكثرة السلاح والدروع

جبى . المجتبى المختار . تعبيرٌ استعملناه بمعنى قول هوميروس الالاهي او الربَّاني

جدد . الجِدُّ والجَدُّ والجُدُّ والجِدَّة والجُدَّة الشاطئ وجانب الطريق والساحل . وجدُّ الطريق وجهه

جذو . الجَذْوَة والجُذْوَة والجِذْوَة القَبسة والجمرة ج جُذًى وجِذًى وجِذاء

جرد . الأَجرَد الفرس القصير الشعر ج جُرْد

جعل . الجُعَل الحصة والسهم . واجتعل اقتسم

جنح . الجوانح الاعضاء مفردها جانحة

جنن . الجُنَّة الترس ج جُنَن وجُنَّات ومثلها المِجَنُّ ج مَجانّ

جوب . الجوب الترس ج اجواب ومثله المِجوَب ج مَجاوب

ح

حذف . حَذَّف هيَّأ وصنع

حسر . الأَحسَر كليل البصر وضعيفه وقصيره

حصر . الحِصار الحاصرة والحُصْن

حصف . الحَصافة الرَّازنة

حضر . المَحضَر القوم الحضور وقد يُراد به المجلس والمجتمَع

حمس . الأَحمَس الشُّجاع

حملق . الحِملاق والحُملوق باطن الجفن

حوذ . الحُوذِيُّ السائق

خ

خذم . المِخذَم القاطع ويراد به السيف

خرص . الخُرص قناة الرمح او سِنانه ج خُرصان

خرم . تخرَّم اضمحلَّ واندثر

خرنص . الخِرنَوص ولد الخنزير ج خرانيص

خزل . الخَزْل والاختزال القطع

خشرم . الخَشْرَم والخِشْرِم طائفة النحل وخليَّته ج خشارم

خطر . الخُطورة المكانة والرفعة والسموّ

خطل . الخَيطَل الكلب

خفق . المِخفَق السيف

خلق . الخليقة الطبيعة والخُلُق والمخلوقات ج خلائق

خلل . الخَلَّة الخصلة والسجية ج خِلال

خلو . الخليَّة السفينة وبيت النحل ج خَلايا

خمس · الخميس الجيش

خمص · خَمَصَ ضَعُفَ وأَخْمَص القَدَم باطنها و يستعار للقدم كلها

د

دجج · تَدَجَّجَ دخل في السلاح

درع · أَدْرَعَ وتَدَرَّعَ لبس الدِّرع والدارع لابس الدرع ج دُرَّاع

درهس · الدَّراهس الشدائد

دفع · دُفَّاع الشيء مُعْظَمهُ والمتدافع والمتدافعون

دلف · دَلَفَ تقدَّم

دمل · الدَّمال السرقين وروث الحيوان

دول · ادال اليه فلاناً من عدوّه جعله يظفر به

ذ

ذبح · الذِّبح الذبيح وقد يراد به الضحية

ذرو · الذرا الظلّ · الذُّروة والذِّروة القمّة والمرتفع ج ذُرىً وذِرىً

ذكر · الذَّكَرَةُ الحديد والفولاذ

ذوى · ذوى العود ذبل

ر

ربع · المَرْبَع المُقام والمنزل

رتت · الرُّت العظيم والزعيم والخنزير

رتج · رَتَجَ الباب اقفله والرِّتاج الباب

رحو · رحا الشيء يرحوه أداره

رعن · الرَّعون المتردد

رمض · أَرْمَضَهُ أوجعه وآلمه

رهف · المُرهَف السيف المحدَّد

رود · إِرْتاد طَلَبَ والمرتاد المطلوب · المريد المتطوع والتابع

ريش · المَريش السهم ذو الريش

ز

زجج · الزُّجّ الرمح القصير · وزَجَّ طرح ورمى بالزُّجّ

زجو · زَجى دفع او دفع برفق

زرب · الزُّرْبيّ والزِّرْبيّ واحد الزَّرابيّ وهي النمارق والبسط

زرف · الزُّرافة الجماعة

زعب · الزُّعاب السيل المتدافع

زلج · زَلَجَ اقفل والمِزلاج القفل

س

سبط · السِّبط ابن البنت

سحم · الأَسحم الأسود

سخل · السِّخال الغنم والمعز مفردها سَخْلَة

سرح · المسارح المراعي مفردها مَسْرَح

سرو · السُّرى جمع سَرِيّ السادة الاشراف وقد توسعنا باستعمالها فاطلقناها على سائر الجند

سرى · السَّرِيّ النهر الصغير · والسريَّة النصل والقطعة من الجيش

سطل · الأُسطول طائفة السفن · يونانية

سعر · المُسْعَر المضطرم
سغب · السَّغَب الجوع
سفد · السَّفُود الحديدة التي يُشوى عليها اللحم او يُشكُّ بها ج سفافيد
سفن · السَّفين السُّفن جمع سفينة اوامم جمع
سلهب · السَّلْهَب الجواد الطويل ج سلاهب
سنن · السَّنين المسنون القاطع
سهم · السَّهم النَّبل والحصة والنصيب
سوج · السَّاجة واحدة الساج شجرة
سيح · السَّيح الماء الجاري

ش

شجر · شَجَرَ طعن · الشواجر الطواعن · مُشْتَجَر الرماح ملتقاها
شرع · الأشراع السُّفن مفردها شَرَعة
شظى · الشَّظيَّة الساق او عظمها
شعو · الغارة الشعواء المتفرقة على غير انتظام
شكك · الشِّكَّة السلاح الكامل
شمم · الاشمُّ المرتفع العالي مونثه شمَّاء ج شُمٌّ
شنر · الشَّنار · منتهى العار

ص

صدد · الصَّديد الصياح
صعد · الصَّعدة الرمح وهي في الاصل الرمح القصير ج صِعاد
صفق · صِفق الباب مصراعه ج صِفاق · والصِّفاق جلد البطن

صفن · الصوافن الخيل
صلق · الصَّلْقة الصيحة الشديدة ج صَلَقات
صلو · الصِّلى والصِّلاء النار
صمى · أصمى رمى فقتل
صوب · الصَّيِّب المُنْصَبُّ المنهمر · والتصويب النزول
صور · الصُّوار والصِّوار القطيع من البقر
صيد · الأصْيَد السيِّد والرئيس والملك ج صِيْد

ض

ضحضح · الضَّحاضح رقارق الماء مفردها ضَحضاح
ضمد · المُضْمَد النير
ضنن · الضَّنين البخيل
ضوى · ضَوِيَ ضعُف وهزَل · أضوى اضعف وأذَلَّ

ظ

ظبو · الظُّبي والظُّبات حدود المناصل مفردها ظُبة

ع

عتق · الفرس العتيق الكريم الرائع ج عِتاق وعتائق
عثر · العِثْير التراب والعجاج
عدد · العِدُّ النظير والمساوي · العُدَّة السلاح ج عُدد

عدو . عداه عن الشيء صرفه وشغله

عرس . المُعرَّس المنزل

عرف . العَرف الريح الطيبة . العُرف شعر عنق الفرس ج اعراف

عزل . الاعزل الذي لا سلاح معه

عزم . اعتزم تطلب وتعمد وعزم

عسجد . العَسجَد الذهب

عسل . العاسل الرمح يهتز ليناً

عشي . عَشي أكل العشاء

عضب . العضب السيف او نصله

عقص . عقصَ غدائره ضفرَ شعره

عقل . المَعقِل الحصن

علو . العاليات الرماح الطويلة

عهل . العاهل الملك والسيد

عوص . اعتاص الامر تعقد والتاث

غ

غدق . الغَدَق الماء الكثير . الغيوم الغوادق الكثيرة المطر

غرب . الغارب الكاهل ولوى غاربه ارتد ورجع . الغُراب السفينة ج أغرِبة

غرث . الغَرثان الجائع

غرغر . تغرغر تردد

غضف . الأغضف الكلب المسترخي الاذن وقد يراد به الكلب على الاطلاق ج غُضف

غطرس . الغِطرِس المتكبر الظالم ج غطارِس

غفر . المِغفَر زرَدٌ يلبس على الرأس وقد يراد به الخوذة ج مغافر

غنى . المغنى المنزل والمحل

ف

فذذ . الفَذّ الفرد

فرع . الفرع الشعر والغصن وكل ما يتفرع من اصل كالولد والسليل

فلل . الفلول الجماعات مُفرَدها فَلٌّ . وفلول الجيش منهزموه

فند . الفَنَد الغصن ج افناد

فنى . فِناء الدار وصيدها او الفسحة التي امامها

فهق . فهقت الطعنة بالدم اسالته

فوج . فاج انتشر

فوق . الفُوق موضع الوتر من السهم وفوَّق السهم جعل له فوقاً ليرمى به

فيج . الفَيج الرسول والساعي ج فيوج

ق

قبب . إقتَبَّ قطع

قبل . القُبَل يراد بها مجازاً النذور مفردها قُبلَة

قتر . القَتير والقُتُر مسامير الدروع والتروس وغيرها

قدح . القِدح السهم للرمي والاقتراع

قرب . المُقرَبات الخيل المسوّمة المكرمة . والقُرُبات جمع قُربة ما يُتقرَّب به الى الله تعالى من اعمال البر والطاعة

قرر · القُرُّ البَرْد

قسطل · القَسْطَل الغبار

قصم · قَصَم كَسَرَ وتقصَّم تكسَّر

قضب · القُضُب السيوف مفردها قضيب

قلد · المَقالِد المفاتيح

قلل · قَلَّ حمل ورفع ومثله استقل

قلو · قلي وقلا ابغض والقِلى والقَلاء والقِلاء البغض

قمئ · القميء الضعيف

قنع · تَقَنَّع لبس السلاح

قومس · القَومَس الامير والزعيم ج قوانس · لاتينية

قونس · القَونَس بيضة الخوذة ج قوانس

قيل · القائلة نصف النهار والظهر وساعة اشتداد الحر · القَيْل والقِيل السيد والرئيس والملك ج اقيال وقيول

قين · القَين الحدّاد · القَيْنة المنشدة والمغنية ج قِيان وقَينات ويراد بهنّ ربَّات الشعر والانشاد ·

ك

كسأ · كَسَأَ القوم تعقبهم وطعن فيهم

كلم · الكليم الجريح والكُلُوم الجراح

كمى · الكَمِيّ الشجاع ولابس السلاح ج كماة

كنس · الكِناس بيت الظبي

كور · كَوَّرَ فلاناً طعنه فالقاه مجتمعاً

كوكب · كَوكَبَ برَقَ وتوقَّد

ل

لأم · اللأمة الدرع ج لأم · استلأَمَ تدرَّع

لجب · لَجِبَ اضطرب واللَّجِب المضطرب

لجن · اللُّجَين الفضة

لحد · لَحَدَهُ وضعه في اللحد ودفنه

لحى · اللَّحْي عظم الحنك

لده · انظر ولد

لهذم · اللَّهْذَم الرمح ·

م

مرر · المِرَّة المرارة والصفراء

مرق · مَرَقَ نَفَذَ

معض · مَعَّضَهُ أغضبه وآذاهُ

مقع · امتُقِعَ تغير لونه وبُهِت جزعاً وخوفاً

ن

نبل · النَّابل رامي النبال

نثر · النَّثْرة الدرع ج نَثَرات ·

نجد · نِجاد السيف حمائله · والنَّجِد القوي الشديد

نجع · النَّجيع الدم

نجذ · النَّواجذ الاضراس مفردها ناجذ

نحي · النِّحْي الزق والوعاء

نزر · النَّزْر الشيء القليل

نسر · مِنْسَر الطائر ومَنْسِره منقاره

نضد · الأنضاد الجبال المتراكبة بعضها فوق بعض

نعر · النَّعرة الصيحة

نقع · النَّقع العَجاج والغُبار

نكس · النِّكس الجبان والضعيف

نور · النَّور الزَّهر

نوى · إنتَوى بمعنى نَوى

نيزك · النَّيزَك الرمح القصير والسهم فارسية

ه

هدد · الهَدّة والهَديد الصياح الشديد

هزم · تَهزَّم الرعد صوَّت

هصص · هصيص النار و بصيصها بريقها ولمعانها

همم · الهِمُّ الشيخ العاجز الهَرِم

هوم · هَوَّم نام قليلاً

هون · الهُون الهَوان

و

وتن · الوَتين عِرق القلب

وجب · الوَجيب الخفقان

وجم · الوُجوم الصَّمت خشيةً ورهبةً

وزع · الاوزاع الجماعات المتفرقة

وشر · الوَشْر النَّشْر · يقول عرب العراق وخليج عمان وشَر السفينة بمعنى بناها وقد استعملناها بهذا المعنى

وشع · الوشيع الحِجار المعروف بالبيباج وقد عبرنا بها عن حِجار الخندق والاوتاد المُقامة حوله ·

وشل · الوَشَل الماء المتحلّب

وقذ · وقَذَهُ اوجعه وآذاه

ولد · لِدَة المرء تِربُهُ المساوي له في العمر

ومق · وَمَق أَحبَّ والوامق المُحِبُّ ·

ي

يهم · الأَيهَم البطل الشجاع

معجم الالياذة

يتناول هذا المعجم المتن الشعري والشرح واما المقدمه فلها فهرس خاصّ

تنبيه · الرقم بين هلالين يشير الى عدد فقرة الشرح

٢٥٧ (١) . القاب زفس ٢٦١ (٢) كنية اخيل ٣٠٨ (١) التعريف بالزوجة ٥٩٣ (٣) لقب اوذيس ٦٠٥ (٢) .

إقطاعات . كانوا يقطعون المزارع للابطال بطلب من الملة جزاء ما تقدم او ما يرجى من بسالتهم ولهذا اقطع الليقيون بليروفون « جنانًا حسانًا وارضًا كثيرة » : ٤٥٢ . ويتضح ذلك جليًّا في خطاب سرفيذون لغلوكس ٦٨٣ . ومثل ذلك اقطاع الايتوليين لميليغر ٥٨٤ . وهذا بخلاف ماجرى عليه المسلمون اذ كان الاقطاع للخليفة وحده

إلاه . آلهة . تشبيههم الخالق بالمخلوق كالمشبِّهة من فرق الاسلام : ٢٤٠ (٣ تجلسهم و رسمه ٣٤٩ . تغشيتهم على ابصار البشر وفتح عيونهم ونظائر ذلك في التوراة والقرآن ٣٩٢ (٣) استنشاد الاهة الشعر ونظير ذلك عند سائر الامم ٢٠٣ (١) و٢٨٧ (١)

آلهة اليونان في الالياذة خليط من معبودات من تقدمهم من الملل كالبابليين والاشوريين والمصريين والهنود ولكنهم هذّبوا العبادة وارتقوا بها بضع درجات فأهملوا عبادة الحيوان والجماد وجعلوا للصفات والموصوفات اجسامًا حيّة مدركة هيأوها بهيئة البشر ومسحوها بمسحة اللاهوت . ولكنهم لم ينزّهوها عن شيء من شوائب البشرية . فالآلهة بهذا المعنى انس كسائر الانس بالنفس والجسد لا يميزهم الا القدرة والخلود . ولهم طعام وشراب ٤٠٤ و ٩٣٥ . ولهم مجالس انس وطرب ٢٤٦ . وقد لا يعظم عليهم ان يجالسوا البشر الى ولائمهم ٢٣٥ . وهم يتناكحون و يتناسلون . ولا يشق عليهم بل ربما آثروا ان يستولدوا الانسيّات ٧٦٠ او يزوجوا بناتهم من الانس فيستولدوهن ٢٣٥ وفي كلتا الحالتين ينشأ المولود بشرًا كسائر الناس . وهم على الجملة مخلوقون على مثال الخلق يماثلونهم بعواطفهم وشعائرهم وطرق معاشهم . ولهم ملاء كثيرة وفرش وثيرة ٧٦٢ . يهجعون و يفيقون ٢٤٩ و يستولي السبات حتى على زفس كبيرهم ٧٦٣ . ولهم منازل وقصور يأوون اليها ٧٦٢ ومركبات وجياد يجرون عليها ٤٢٤ . ومنهم البنّاء ٤١٩ والحدّاد ٩١١ والساقي ٤٠٠ والساقية ٣٤٩ والساعي ١١١٣ والساعية ١١٠٩ وهلمّ جرًّا .

وللاناث ولع كولع الانسيات بالتبرج والزينة ولهن حلي وطيب ٧٤٧ . يدللن على ازواجهن ويستهوينهم ٧٥٩ ويخاصمنهم ٢٤٣ و يستعن بالذكور والاناث ٧٥٦ عليهم لقضاء لبانة منهم

وهم كالبشر درجات بعضها فوق بعض يشبهونهم بالمعنى شبههم لهم بالمادة . يمالئون على العباد صفاح الحكمة والواح الفضيلة ثم يمالئونهم على العبث بها . ففيهم الجشع وفيهم الطمع وفيهم الكذب والمخاتلة والغدر والغضب . ومنهم الحقود والكنود . ومنهم الباغي والباغية والطاغي والطاغية والزاني والبغية . وحسبك من ذلك موائد انسهم ٣٤٩ وحديث الطيف الكاذب ٢٤٩ وفتك ارطميس ٤٧٣ و١١٣٧ وكيد هيرا ٣٥١ وبطش اريس في كل مواقعه وغدر افلون ٨٥٤ وتهتك الزهرة ١١٠٧

ولكنهم من وجه آخر يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . يثيبون و يعاقبون و يراقبون الخلق كآلهة سائر الاجيال

وفي صفاتهم من التناقض ما لا يقل عنه في اعمالهم . فبينا تراهم خالدين نفساً وجسداً فاذا بهم على شفا جرف الهلاك ٤٠٦ وبيناهم يمتعون بالنعيم الابدي فاذا بهم يتألمون ويشقون ٤٠٦ و٤٠٨

ولكل الاه والاهة مزية خاصة وولاية لايمكن تعديها الى غيرها . ولكن يد زفس فوق ايديهم جميعاً فهو الآمر الناهي والحاكم المطلق حتى اذا نظرت اليه من هذه الوجهة رأيت قومه صعدوا به درجة في مرقاة التوحيد

وفي ما يلي بيان مجمل مزاياهم :

زفس (المشترى) كبير الآلهة وسيدهم يبرم ماشاء متى شاء ٢٠٥ . وله العظمة والاقتدار ٥١٥ . يعتز بعلياه ٦٢٩ مترفعاً عن سائر الآلهة ٢٤٠ . وهو ولي البرايا من عابد ومعبود واليه المرجع ٤٣٣ . الحول حوله والقضاء قضاؤه ٥١٥ يزعزع العالم بحركة من جفنيه ٢٤١ وتدين الآلهة لكلمة من فيه ٢٤٤ . بيده قسطاس الاقدار ٥٢٠ وفي اعتاب عرشه قارورتا الخير والشر ١١٣١ . يعلم الغيب و يولي النصر من يشاء ٨٦٧ . يثيب العبدة الابرار ١١٠٩ و يعاقب الكفرة الاشرار ٢٥٩ — (رسمه ٨٠٣ . مجلسه ٣٤٩ . محاربته لطغاة الملائكة ٧٥٨)

هيرا . زوجة زفس ممثلة الهواء والرقيع وربة الزواج (رسمها ٨٣٩)

افُلُون . ممثل الشمس والاه النور . وله يدٌ في القضاء والقدَر وضلعٌ في الحكمة (رسمه في مجلس زفس به ولجانه المثلث ٣٤٩)

اثينا . الاهة الحكمة والصناعة ولها ضلعٌ في القوة والبسالة (رسمها ٦١٥)

اريس (المريخ) . الاه الحرب ورب الفتك والبطش (رسمه ٥٢٩)

الزهرة او عفروذيت . الاهة الغرام والتهتك وربة الجمال (رسمها ٩٦١)

فوسيذ . الاه البحار ومزعزع الأرَضين (رسمه ٧٢٥)

هيفست . (بركان) الاه النار ومثير البراكين والصواعق وحدَّاد الآلهة (رسمه ٩١١)

آذيس . الاه الظلمات والموت وولي العالم السفليّ (رسمه ٥٦٠)

هؤلاء هم كبار الآلهة تشاد لهم الهيا كل واكثرها لزفس ثم لافلون واثينا والزهرة واما آذيس رب الظلمات فلم يقيموا له معبدًا اذ لم يكن ثَمَّةَ رجاء باسترضائه

ودون هؤلاء آلهة اخرى مثل :

ثميس احدى سعاة الآلهة وتلقب بربة العدل ٧٨٠

وذيونيس الاه الكرمة والخمرة وربّ اللهو والطرب (رسمه ٧٦١)

وهرمس (عطارد) رسول الآلهة (رسمه ١١١٣)

وإيريس سفيرة زفس ٩٠٢

وهيبا الساقية ربة الصبا ٣٤٩

وذيميتير الاهة الزراعة (رسمها ٤١١)

والقيان ربَّات الاغاني ومنشدات الشعر ومستنشداته (رسمهنَّ ٢٨٧)

وهناك فئةٌ كبيرة يحسن التعبير عنها بالحور والملائكة والجانّ مثل :

البهجات الخرائد (رسمهنَّ ٤٠٤)

وغزَّالات القدر (رسمهن ٩٥٥)

وبنات البحر . (رسمهن ٨٩٤)

والسلّة رواة الاخبار ٨٢٧

وبنات الينابيع والنهور والغاب والرياض ٩٥٩

وقد يحسن ان يلحق بهم رهطٌ من البشر استصفاهم الآلهة فرفعوهم الى السماء احياء فاسكنوهم الجنان واولوهم النعيم مثل :

غنيميذ ساقي زفس (رسمه ٤٠٠)

وظيثون زوج غزالة الصباح ٤٢٣

وقومٌ آخرون الّههم البشر مثل :

اسقليبيوس الاه الطب (رسمه ٣٦٢)

صاحب الالياذة منذ بضعة آلاف عام — كان معسكر الاغريق على شاطيء البحر قبالة اليون ووراء مضارب كل زعيم منهم سفنه على مقربةٍ من الجرف . وفي الصف الاول على الجناحين جند اخيل واياس أشد الزعماء بأساً ٦٢٥ . وفي القلب مضارب اياس الصغير وافروطسيلاس ٧٢٦ . ووراء الصف الاول مضارب اوذيس في القلب ٦٢٤ ويليه معسكر اغاممنون الزعيم الاكبر . والى جانبه مجلس الشورى ٢٥٥ . والى شمالي المعسكر نهر سيمويس يجري على شمالي اليون فيتصل به نهر الاسكندر على ثلث المسافة بين المعسكر والمدينة . والاسكندر هذا مجموع ينابيع ينفجر اثنان منها تحت اسوار اليون . فلم يكن للاغريق بدٌّ من احدى اثنتين للوصول الى الطرواد : اما ان يعبروا الاسكندر الى يمين سيمويس واما ان ينقدموا بين الاسكندر والبحر وقد حاولوا الامرين ٣٠٥و٦٣٤ — واما معسكر الطرواد فيتضح من وصف ذولون ٦١٣ انه لم يكن اقل احكاماً من معسكر الاغريق اذ كانوا فرقاً بعضها متحصنٌ في اليون ومقيمٌ بعضها على مشارف البلدة . انظر خطب نسطور واوذيس وفوليداماس الخ

ص

ض

كقولهم ساعة افطار الحطّاب اذا ارادوا الظهيرة ٦٣٠ (١) او ساعة حل الثيران ٨٥٣ اذا ارادوا العصر. واما بمواقع الشمس للنهار كبزوغ الفجر وشروق الشمس وضحوة النهار والزوال والمغيب . ومواقع النجوم لليل فان اوذيس قسم الليل ثلاثة اقسام من النظر الى مواقع النجوم ٦٠٥ .

واليك امثلة من اقوالهم بهذا المعنى :

الفجر ومثله من اقوال العرب ٥١٥ (١)

الصباح ٦٢٣

الظهر ٨٥٣ و ٥٢٠

العصر ٨٥٣

الغروب ٥٤٤

وليمة . ولائمهم وما يماثلها عند العرب ٢٨٠ (١) . اقتسام المآكل ٣٦٦ (٣). اكرام الابطال بالولائم عند اليونان والعرب ٥٠٤ (١) . الوضيمة او طعام المأتم ١٠٥٥ . الايلام للشيوخ ٥٥٤ . ولائم الملوك ٥٦٤ . ولائم الآلهة ٧٨٠ و ١٠٦٨ . ولائم العرب ١٠٤٩ (١)

ي

يتم . وصف حالة اليتيم ١٠٤٩ (١)

يمين . انظر قسَم

اليونان . من هُم في الاصل ٧٢٦ (٢)

الاعلام

تنبيه · تسهيلاً لمحبي البحث في كتب الافرنج قد كتبنا الاعلام بالفرنسوية الى جانب اللفظ العربي وحيثما اختلف اللفظ الافرنجي عن الاصل اليوناني اضفنا رسم اللفظة بحروفها اليونانية

إِريس · انظر ايريس
إِرِيُفيس (Eriopis) امرأة ويلوس ۹۱,۷۲۷
أَرِيلِيق (Aréilycus) ذئب كآريس ـ
١ً اغريقي ۷۷۲
٢ً طروادي قتله فطرقل ۸۳۰
آرِيم (Arimes) جبلٌ ۳۰٤
إِرِيماس (Erymas) واقي ـ ١ً طروادي قتله ايذومين ۸۳۲
٢ً طروادي آخر قتله فطرقل ۸۳٤
اريبدون · انظر افرمذون
اريتيا · أَرِينس (Aréné) بلدةٌ لنسطور ۲۹۵ ـ ٦٦٠
ارينِيّات او اريتيسات (Erinnyes) الاهات النقمة والانتقام ٥٨٤
أَرِيون (Arion) الاشد — اسم جواد ۱۰۷۸
آزِيا · ازيوس (Azée, Azeus). ملك ارخومين ۲۹۰
إِسبَرطة (Sparte) حلفا — عاصمة منيلاوس ۲۹٤ — ۳۵۲
إِستِكس · سِتكس (Styx) هائل — نهر في وادي الظلمات ۳۰۲ — ۷۷,۷٥۷
استِمفالُس (Stymphale) مدينة ارقاديه ۲۹٥
إِستَنتُر (Stentor) فيج اغريقي ٤۲۹

اُستنيل · انظر ستينيل
أَستِيال (Astyalus) طروادي قتله فوليفيت ٤٤٠.
اَستِياناس (Astyanas) رئيس المدينة · شيخ البلد — لقب ابن هكطور ٤٧١ — ١٠٥٠
اِستيخيُس · استيخيُس (Stichius) زعيم اثيني قتله هكطور ٩١,٢٦,٧٠٢
اَستيريا (Astérie) بلدة في تساليا ٣٠١
اَستينُوُس · استينوس (Astinoüs)
١ً زعيم طروادي قتله ذيوميذ ٣٩٣
٢ً جندي طروادي ٧٩٦
اَستِيُوخا (Astyoché) ١ً والدة عسقلاف ٩٢٠
٢ً والدة اطلوفليم ٢٩٨
اِسخيذِيُس (Schédius) الضارب عن قرب — ١ً زعيم فوقي قتله هكطور ٢٩١ — ٧٩٩
٢ً زعيم فوقي آخر قتله هكطور ٨٧١
اِسفرخيُس · اسفرخيوس (Sperchius) متدافع — النهر المدعو الآن اغراميلا ٨٢٣ — ١٠٦٤
اَسفَليذُون (Asplédon) بلدة بيونية ٢٩٠
اسنوس · انظر ايسيفس
اِسفيل (Sphélus) واهي — اثيني ٧٩١
اَسقَليب · اسقليبيوس (Esculape) سيد الطب ٦٢,٦١,٣٠١ رسمه ٦٤٩

۱۰,٤, ۲٦,۱٤, ۲۷, ۲۸, ۳۲, ٤۰,
۱۱۰۷—٥۳,٥۱,٤۳, ۱۸,۱۱۲,۹,
۲۰, ۲۱,۲۳,۲٤,۲۹,۳۳,٤۱,٤۷,
أليُّون (Eliens)سكان الاليذة ٦٥۸
أماثيا (Amathée) العائشة في الرمال — احدى بنات البحر ۸۹٤
اماثيا (Emathie) رملية — بلاد اغريقية ۷٥۳
أمازُونة (Amazones) بدون اثداء — مقاتلة نساء ۳۲۸ , ۳۲۹ رسمها ,٤٥۱
امبَرُوس (Imbros) ۱ً جزيرة تدعى الآن امبرو ٦۹٤ — ۷٥۹ — ۱۱۰۹
۲ً بلدة في الجزيرة المذكورة
امبَريوس · امبروس (Imbrius) صهر فريام ۷۰۰,۱,۲—۱۱٤٦
أمفِطرُون · امفطريون (Amphitryon) عابث بما حواليه ـ مربي هرقل ٤۰٦
أمفوطِرُوس (Amphotère) طروادي ۸۳٥
أمفيثُوا (Amphithoé) سريعة (جداً) — احدى بنات البحر ۸۹٤
أمفيجينيا (Amphigénie) بلدة لنسطور ۲۹٥
أمفيداماس (Amphidamas) مذلّل ماحواليه — ۱ً مقاتل اسقندى ٦۰٦
۲ً رجل أفنطي ۱۰٦۱

امفِماخ · امفماخُس (Amphimaque) مقاتل حوله ـ ۱ً زعيم الايفيين ۲۹٦ ـ ۷۰۱,۸
۲ً زعيم القاريين ۳۰۸
أمفيُن · امفيون (Amphion) زعيم اغريقي ۷۲۷
أمفينومة · أمفيِنم (Amphinomé) راعية حواليها — احدى بنات البحر ۸۹٤
أمفيُس · أمفيُس (Amphius) محيط بغيره — حليف للطرواديين ۳۰٦ — ٤۱۸
أمكليا (Amyclée) مدينة لقدمونية تدعى الآن سلاڤوخوريون ۲۹٤
امنِسوس (Mnésus) فيوني قتله اخيل ۹۹۳
أمِنطُور (Amyntor) دفّاع (العدوّ او البلاء) والد فينكس ٥۷۷ — ٦۰٦
أمُوفن · أموفاون (Amopaon) رفيق ـ طروادي قتله طفقير ٥۳۲
أميدُون (Amydon) مدينة فيونية ۳۰۷ — ۸۲۹
أميسودَر · اميسوداروس (Amisodarus) ملك قاريا ۸۳۱
اميونية · انظر ميونيا
أنترون (Antron) كهف · غار ـ بلدة في ثساليا ۲۹۹

ج

خ

خَريسوثَميس (Chrysothémis) نظام الذهب — ابنة اغاممنون ٦٧,٥٥٨

خريسا · خَريسَيِيس (Chryseïs) اي ابنة خريس المدعوة استينومة ٢١٩ ,٣٣,٣٢,٢٨

خَلْكُودُون (Chalcodon) محامي الاسنان — ملك الابانتة ٢٩٢

خَلْكُون (Chalcon) مرميدوني قتله غلوكس ٨٤٤

خَلْكِيس (Chalcis) ١ً طائر خرافي ٧٥٩

٢ً عاصمة اوبيا تدعى الآن اغريبو ٢٩٢

٣ً مدينة في ايتوليا تدعى الآن غَلَطة ٢٩٧

خَميرة (Chimère) عنزة ـ وحش خرافي ٤٥٠ رسمه ٨٣١

خِيرون (Chiron) ادنى — قنطور طبيب ٣٦٣ ـ ٦٦٥ ـ ٨٢٢ ـ ٩٥٤

د

داماس (Damasus) قاهر — طروادي قتله فوليفيت ٦٧٥

دانَوُوس · دانَوُس (Danaüs) ملك ارغوس ٢٠٩ ,٣٧ ,٥٨ ,٦٩ — ٨٠٩

دانَويُّون (Danéens) سكان ارغوس مملكة اغاممنون وقد يراد بهم جميع الاغريق ٤٢,٤٠٥ — ٣٧,٥٣٣

— ٩٣٧,٦٨٨

دَردانس · دَرْدَنُوس (Dardanus)
١ً ابن زفس والكترا مؤسس دردانيا ٤٢٩ — ٤٤,٧,٥٠٦ — ٩٩,٦٣٩ — ٨٦٦ — ٧٣,٩٦٩ — ١١١٤ ,٣٢,٢٢

٢ً طروادي قتله اخيل ٩٨٠

دَردانيا (Dardanie) ١ً بلدةٌ في اسيا الصغرى بناها دردانوس ملكها ٩٦٩

٢ً ولاية كانت فيما يلي طروادة في حكم انياس لم يذكرها هوميروس باسمها وانما يذكر اهلها الدردنيين

دَرْدَنيُّون (Dardaniens) سكان دردنيا قوم انياس ٤٧,٣٠٦ — ٥٢٤ ,٢٦ — ٩٧,٧٩٥

دُودُون (Dodons) طائفة اغريقية ٨٢٧

دُودُونة (Dodone) بلدة في ايفيريا ٣٠٢ ـ ٨٢٧

دُورِقل (Doryclus) شهير الرمح — ابن فريام قتله اياس ٦٤٨

دولِخيُوم (Dulichium) جزيرة قيل هي جزيرة كاكابا التي طما البحر فاغرقها ٢٩٦

دَولِس (Daulis) بلدة في فوقيا ٢٩١

دِيماس (Dymas) حمو فريام ٨٥١

دِريوم (Dium) مرتفعة — بلدة في اوبيا ٢٩٢

ذ

ذارس (Darès) كاهن طروادي ٣٨٦

ذُتو (Doto) احدى بنات البحر ٨٩٤

ذَريس (Drésus) شغول — طروادي قتله أُريال ٤٣٩

ذِرْيَس (Dryas) بطل لافيثي ٢٢٥

ذَرْيوف (Dryops) ابن فريام قتله اخيل ٩٧٩

ذُرْيون (Doriun) بلدة لنسطور ٢٩٥

ذِكْسَمينا (Dexamène) احدى بنات البحر ٨٩٤

ذِكَسِيُس (Dexius) والد ايفيُس ٤٨٥

ذُلُفس . ذولوف (Dolope) جاسوس ـ

١ً طروادي قتله منيلاوس ٨٠٠

٢ً اغريقي قتله هكطور ٦٤٠

ذُميذا . ذيوميذا (Diomédé) احدى سبايا اخيل ٥٨٩

ذِميكُوُن (Démocoon) ابن فريام قتله اوذيس ٣٨٠

ذَنيًا (Danaé) والدة فرسيُس من زفس ٧٦٠

ذُورِس (Doris) احدى بنات البحر ٨٩٤

ذُوقَليُون (Deucalion) ١ً والد ايذومين ٧١٤

٢ً طروادي قتله اخيل ٩٨١

ذُولُفيُون (Dolopion) كاهن النهر زنثس ٣٨٩

ذُولوف (Dolopes) امة ٥٧٨

ذُولُون (Dolon) محتال — جاسوس الطرواد ٦٠٩,١٠,١٣,١٤,١٦,٢٠

ذِيتُر (Detor) طروادي قتله طفقير ٥٣٢

ذِيذال (Dédale) صانع — اسم صانع اثيني ٩٢٣

ذِيسينور (Disénor) مُرعب (الناس) ٨٦٨

ذِيفوب (Dëphobe). ابن فريام ٦٧١ — ٧٠٠, ٥, ١٢, ١٤, ١٧, ١٨, ٣٠, ٣١ — ٣٤, ١٠٣٠ — ١١١٨

ذِيفير (Deïphyre) نارحرب — اغريقي قتله هكطور ٥٥٥ — ٦٩٧ — ٧١٦, ٢٠

ذِيفيلِس (Deïpyle) منعة قتال — اغريقي ٤٠٣

ذِيقُون (Deïcoon) قاتل (في الحروب) طروادي قتله اغا ممنون ٤١٣

ذِيموخُس (Démoque) حاكم الشعب— طروادي قتله اخيل ٩٨٠

ذِيمول (Démolion) ابن انطينور قتله

ر

ز

لقب اثينا الاهة الحكمة والحرب —
٤٠١ – ٨٨,٨٧,٨٥,٣٨٢ – ٢٧٧
٣٣, ٣٢, ٢٩, ٢٧,٢٤,٢٣, ٢١,٧,
٦١١ — ٥٣٣ — ٨٥,٦٤,٦٢,٤٤
— ٧٨٦ — ٩٨,٤٦,٢٠,١٨,١٧,
٦٦,٦٤,٦٢,٦٠,٩٠٣ — ٨١,٨٧٥
٣٤,٣٣,٣٠,١٠٠٣ — ٧٩,٧٥,٧٤
٩٨,٨٠,٧٩,

فانُوب (Panopé) احدى بنات البحر ٨٩٤

فانوف (Ponopius) والد افيوس ١٠٩٢

فانوفة (Panopée) مدينة فوقية تدعى الآن بلاسيوس ٢٩١ — ٨٧١

فِتثا (Pitthée) والد اترا ٣٢٥

فَتيليا (Ptélée) دردار — بلدة لنسطور ٢٩٥

فِثيا · انظر افثيا

فِداس (Phidas) مُدارٍ — زعيم اثيني ٧٢٦

فِذيت (Pidyte) طروادي قتله اوذيس ٤٤٠

فِراسا (Pyrase) مدينة اغريقية ٢٩٩

فُرْباس (Phorbas) ١ ملك لسبوس ٥٨٩
٢ طروادي ٧٧٣

فُرْثوس (Porthée) مخرِّب — ملك كاليدونيا ٧٤٣

فَرْثينيُس (Parthénius) فرات · طاهر — نهر في بفلغونيا ٣٠٧

فِرَخْمِس · فيرخم (Pyrachmès) مقاتل عنيف — زعيم الفيونيين ٣٠٧ — ٨٢٩

فَرّاسيا (Parrhasie) بلدة في ارقاديا ٢٩٥

فُرْسفين فُرْسفين Persephoné,Proserpine مميتة · جلاّبة الموت — ابنة زفس وذيميتير ٨٣,٥٧٧

فِرْسيس · فِرْسِس (Persée) حرّاق — من ابناء زفس بين البشر ٦١,٧٦٠
رسمه على الجواد الطيّار ٩٣٩,

فِرْغاس (Pergase) والد ذيقون ٤١٣

فِرْغام · فَرْغَموس (Pergame) قلعة اليون ٣٨١ — ٨٥,٤٠٩ — ١١٤٣

فَرْقوت · فرقوتِس (Percote) مدينة في ميسيا الصغرى ٣٠٦ — ٤١,٦٣٧ — ٨٠٠

فُرْقيس (Phorcys) زعيم الفريجيين حليف الطرواد ٣٠٨ — ٧١,٨٦٨

فِرِكْلُس (Phéréclus) باني السفينة التي اجربها فاريس بهيلانة ٣٨٨

فُرُنْتيس (Phrontis) زوجة فنثوس ٨٦٠

فُرُوثوس (Prothous) متقدم · مندفع — زعيم اغريقي ٣٠٢

٢٩٩ — ٣٠٧ — ٦١٤
فَلاطيا (Platée) بلدة في بيوتيا تدعى الآن باليوكَستْرو ٢٨٩
فِلَرْتس (Pylartes) حاجب · قافل الابواب — ١ً طروادي قتله اياس ٦٤٨
٢ً طروادي آخر قتله فطرقل ٨٥٠
فُلِقْطور (Polyctor) ذو ثروة · غني جدًّا مرميدوني ١١٢٣
فَاقِيس (Phalcès) طروادي قتله انطيلوخ — ٧٣١, ٧٤
فَلْميس (Palmys) طروادي ٧٣١
فْلورُون (Pleuron) خاصرة · شاكلة — مدينة ايتولية ٢٩٧ - ٤٣,٧٠٣
فِليجة (Phlégyens) محترقون — طائفة اغريقية ٧٠٧
فُلِيذ (Polyïde) عرّاف · كثير المعرفة — ١ً عرّاف فورنثي ٧٢٥
٢ً طروادي قتله ذيوميذ ٣٩٤
فُلِيذُر (Polydor) كثير المواهب — ١ً ابن فريام قتله اخيل ٩٧٧, ٨٨ — ١٠١٧
٢ً بفرامي نضله نسطور ١٠٩١
فَلِيس · فَلِياس (Pélias) والدة الكست ٣٠٠
فُلِيميل (Polymèles) كثير الانعام · المواشي — ليقي قتله فطرقل ٨٣٥

فُلِيميلة (Polymèle) زوجة فيلاس ٨٢٤
فِلْيُون · فيليون (Pélion) جبل في تساليا ٣٠١, ٢—٨٢٢—٧٢,٩٥٤
فَمُّون (Pammon) غني — ابن فريام ١١١٨
فِنُبْس (Phénops) طروادي ٣٩٤—٨٨٢
فَنْثوس فَنْثُس · (Panthoüs) احد شيوخ طروادة ٣٢٥ — ٧٧١ — ٨٥٥
٥٩, ٦٠ — ٩٠٦
فَنذَرُس · فَنذَرُوس (Pandarus) زعيم الليقيين ٢٠٦ — ٩١,٣٥٤
٩٨,٩٧,٩٥ — ٤٣٠
فَنذُوقس (Pandocus.) طروادي قتله اياس ٦٤٨
فَنذِيُون (Pandion) رفيق طفقير ٦٨٦
فُودِس (Podéès) صديق هكطور قتله منيلاوس ٨٨٢
فُوذالير (Podalyre) ابن اسقليبيوس وطبيب الاغريق واحد زعمائهم ٣٠١—٦٦٥
فُوذَرغس (Podargus) سبوق · سريع الخطى — ١ً اسم جواد لهطكور ٥٢٦
٢ً جواد لمنيلاوس ١٠٧٥
فُوذَرغة (Podargé) سبوق · سريعة الخطى — حجرٌ ام جوادين لاخيل ٨٢٢ — ٩٠٤

قِمنْدِيس (Cymindis) طائر خرافي كالنسر ٧٥٩

قَنطُور. قنطورُس ج قناطرة (Centaure) مُثير الثيران — القناطرة امة خرافية رسمها ٢٢٥ — ٣٠١ — ٦٦٥

قُورِنثُس (Corinthe) بلدة شهيرة على خليج قورنثس من املاك اغامنون ٢٩٤ — ٧٧٥

قُوص (Cos) جزيرة اغريقية ٢٩٩ — ٧٧,٧٥٥

قِيثيرا (Cythère) بلدة في لاقونيا اسمها الآن سريغو ٧٩٥

قيفارِس · قيبارِيسة (Cyparisse, Cyparissée) غابة سرو — ١ً بلدة لنسطور ٢٩٥ ٢ً مدينة او غابة سرو في فوقيا ٢٩١

قيلادُن · قيلادون (Céladon) هدّار — نهر ٤٩٤

قيمذُوقا (Cymodocé) متصدرة للموج — احدى بنات البحر ٨٩٤

قِيموثُوَة (Cymothoé) متماوجة · سريعة كالموج — احدى بنات البحر ٨٩٤

قِينُس (Cynus) مدينة في لقريا تدعى الآن كينو ٢٩١

ك

كاسُوس (Casos) هي جزيرة كاسو الحديثة ٢٩٩

كالذنية (Calydnes) مجموع جزر اغريقية ٢٩٨

كالِدونة · كَليدونا (Calydon) مدينة ايتولية ٢٩٧ — ٥٨١ — ٧٠٣ ,٤٣

كاميرُس (Camire) بلدة في رودس ٢٩٧

كِرِستَه (Caryste) بلدة في اوبيا تدعى الآن كارستو ٢٩٢

كِرفاثس. اكرافثس Carpathos,Crapathos جزيرة بين اكريت ورودس تدعى الآن إسكرْبنتو ٢٩٩

كِروكيليا (Crocylées) من املاك اوذيس ٢٩٧

كَستُر (Castor) اخو هيلانة ٣٣٢

كَسَنْدرا (Cassandre) ابنة فريام واخت هكطور ٧١٠ — ١١٤٣

كسيل · انظرا كسيل.

كِفالينيا (Céphallénie) مملكة اوذيس ٢٩٧

كفاليون (Cephalléniens) قوم اوذيس ٣٧٠

كَلخاس (Calchas) متفكر · متأمل — عرّاف اغريقي ٢١٢,١٣,٧٢,٧٣ — ٩٦,٦٩٥

كَلسِيُوس (Calésius) داعٍ — ثراقي قتله ذيوميذ ٤٣٩

ل

الطروادبين ٨٧١

لسبُس · لسبوس (Lesbos) جزيرة في الآن ميتيلين (مدللي) ٦٦,٥٥٧ ٨٩, – ١١٣٣

لَقَدَمونا · لقدمونا (Lacédémone) الوعور المقعَّرة — بلاد اسبرطة وهي المعروفة بعدئذٍ باسم لاقونيا ٢٩٤ ــ ٤٥,٣٣٢

لِقرُفون (Lycrophon) ذئبي الطبع ــ رفيق اياس الكبير ٧٩٥

لُقرِيا (Locride) مملكة اغريقية ٢٩١ ــ ٢٨,٧٢٧

لقريُون (Locriens) اهل لقريا

لِقطوس (Lectos) تلٌ بلحف جبل ايذا اسمه الآن قو.بابا ٧٥٩

لِكتُس · لقطس (Lyctus) مدينة في اكريت ٢٩٧—٨٨٣

لَمفُس · لَمبُس (Lampus) منير · ساطع — ١ً ابن لوميدون شيخٌ طروادي ٣٢٥ — ٨٠٠ — ٩٧٠
٢ً اسم جواد لهكطور ٥٢٦

لِمنُس · لمنوس (Lemnos) ثغر · مرفأ ــ جزيرة ٢٤٥ — ٣٠٠ — ٢٩,٥١٢ — ٥٩,٧٥٣ — ٨٧,٩٨٦ — ١٠٩٦ — ١١٤٦

لِمنورة (Limnorée) احدى بنات البحر ٨٩٤

لِندُس (Lindos) مدينة في رودس تدعى الآن لندو ٢٩٧

لَوذَمِيَة (Loadamie) غالبة الشعب — ابنة بليروفون ٤٥٢

لَوذُوق (Laodocus) مقبل الشعب ــ
١ً طروادي ابن انطينور ٣٥٤
٢ً اغريقي ٨٨٧

لَوغُونُس · لُوغون (Laogenus) داعي الشعب — ١ً طروادي قتله مريون ٨٤٤
٢ً طروادي آخر قتله اخيل ٩٨٠

لُوقُس (Leucus) ساطع — احد رفاق اوذيس ٣٨٠

لَوميذُون (Laomédon) آمر الشعب — والد فريام ٣٣٣ — ٤١٩ ٢٠١ ,٣٩ — ٨٠٠ — ٩٧٠ ــ ١٠٠٤ ,٧٨

لَوُوثا · لَوُوثُوة (Laothé) والد ليقاوون ٩٨٨ — ١٠١٧

لَوُوذَماس (Laodamas) غالب الشعب — ابن انطينور قتله اياس ٧٩٩

لِيثُس · ليثوس (Léthus) ملك الفلاسجة الطروادبين ٣٠٧؛٧٠

لِايَرتس لِايَرت (Laërte) والد اوذيس ٢٦٢ — ٣٧١

لِيَسندَر (Lisandre) طروادي قتله اياس ٦٤٨

لِيطُس · لِطوس (Léitus) قائد — زعيم بيوتي ٢٨٩ — ٤٤٠ — ٦٩٧ — ٨٨٣

ليقاوُون (Lycaoon) ١ ملك ليقيا ٣٠٦ ,٣٨ — ٣٥٤ — ١,٤٠٠
٢ ابن فريام قتله اخيل ٣٩٥ — ٩٦٤ , ٨٦ , ٨٧ , ٨٨ , ٨٩ — ٩٦,١٠١٧

لِيقُرِيط (Léocrite) مختار الامة — اغريقي قتله اناس ٨٧٢

لِيقُوفُنطِس (Lycophonte) قاتل الذئاب — طروادي قتله طفقير ٥٣٢

لِيقُوم · ليقوميذ (Lycomède) اغريقي من حرّاس الخندق ٥٥٥ — ٦٨٦ — ٨٧٢ — ٩٤٥

لِيقُون (Lycon) طروادي ٨٣١

لِيقيا (Lycie) بلاد الذئاب — مملكة في اسيا الصغرى ٩٥,٩١,٣٥٥ــ١٩,٤١٠ ,٤٩ ,٨٥,٥٥,٥٠ — ٥٢٦ ٦١٤ ,٨٦,٨٣,٣٩ ٩٩,٨٨ - ٧٦٩ ,٩٥ ,٩٧ — ٣٧,٨٣٦ ٣٩,٣٨ ٤١,٤٠ ,٤٣,٤٢ ٤٧ ,٤٨ ,٦٥ ,٦٦

لِيقيُون (Lyciens) سكنة ليقيا ٣٠٨ — ٤٢١ - ٨٦٦

ليكُرغُس · ليكرغ (Lycurgue) جسور كالذئب · ذئبي — ١ ملك ثراقي ٤٧,٤٤٦

٢ ملك ارقاديا ٤٩٤

لِيكَستُس (Lycaste) مدينة في اكريت ٢٩٧

لِيكِمْنِيُوس (Lycymnius) عم هرقل ٢٩٨

لِيلايا (Liléc) جزيرة فوقية اسمها الآن الِاين ٢٩١

لِيلِيج · ليليغ (Léléges) امة ٦١٤ — ٨٨,٩٦٤

لِيُنْطُس · لِينْط (Léontée) زعيم اغريقي ٣٠١ــ ٧٦,٦٧٣ ـ ١١٠١

لينوس (Linus) ذو الخيط اي صاحب الوتر — منشد شهير ٩٢٢

م

ماخاوُون · مَخاوون (Machaoon) زعيم وطبيب اغريقي ٦١,٣٠١ — ٦٤٩ ,٥٤ ,٥٥ ,٥٧ ,٦٥ — ٧٣٥

ماريس (Maris) ليقي ٨٣٠

ماسيس (Masès) بلدة في ارغوليذة ذيوميذ ٢٩٣

مايير (Maïre) احدى بنات البحر ٨٩٤

مِرْسِينوس · مِرْسين (Myrs'nus) آس — بلدة في الاليذة ٢٩٦

مَرْفيسا (Marpessa) سبيّة — زوجة ايذاس ٥٨٢

مِرْميدون · مَرامد · مرامدة · مِرْميد (Myrmidons) قوم اخيل ٢١٩

ن

بنات البحر ٨٩٤
نميون (Nomion) ملك قاريا ٣٠٨
نوطس (Notus) ريح الجنوب ٢٧٩ ـ ٣١٣ ـ ٦٤٠
نويمن . نومون (Noémon) حكيم ـ ١ً ليقي قتله اوذيس ٤٢١
٢ً جندي اغريقي ١٠٨٩
نيرا . نيرس (Nerée) شيخ البحر والد ثيتيس ام اخيل ٤٢,٢٣١ ـ ٨٩٤
نيرتس (Nérite) جبل في ايثاكة اسمه الآن أنوا ٢٩٧
نيريوس (Nirée) زعيم السيميين وهو اجمل شبان الاغريق بعد اخيل ٢٩٨
نيسا . نيسة (Nisa) مدينة في بيوتيا ٢٩٠ ـ ٤٤٦
نيسرس . نيسيرس (Nisyre) جزيرة تدعى الآن نتساريا ٢٩٩
نيسيا (Nésaea) احدى بنات البحر ٨٩٤
نيلا (Nélée) والد نسطور ٢٥٠ ـ ٦٥٩ ـ ٦٠, ـ ٧٣٨
نيوبا (Niobé) ابنة الطنطال وامرأة امفيون ملك ثيبة ١١٣٧ رسمها ٨٣,

هـ

هاليرتا (Haliarte) بحرية . واقعة على البحر ـ بلدة بيوتية تدعى الآن متسي ٢٨٩
هاليزونة (Halizones) امة بجوار البفلغونة ٨٧,٣٠٧
هذيس (Odius) فيج اغريقي ٥٦١
هرتيس (Hyrtius) ميسيّ ٧٧١
هرطاقس (Hyrtacus) امير طروادي ٣٠٧ ـ ٧٢,٦٧١ ـ ٧٣٠
هرفليون (Harpalion) ملك البفلغونيين ٧٢٤
هرقل (Hercule) بطل اغريقي ابوه زفس ٢٩٨ ـ ٢٠,٤١٢ ـ ٣٨,٥٣٧ ـ ٦٥٨ رسمه ٥٩, ـ ٧٧,٦١,٧٥٥ ـ ٩٧,٨٠٥ ـ ٦٦,٩٣٨
هرمس (Hermus) نهر قرب ازمير اسمه الآن سرابات ٩٧٧
هرمس . هرميس (Hermès, Mercure Ἑρμῆς) موفق ـ رسول الآلهة . عطارد ٢٥٧ ـ ٤٠٦ ـ ٨٦, ٧٧٣ ـ ٨٢٤ ـ ٩٦٠ ـ ٦٣, ـ ١٠٠٧ ـ ١١٠٧ ١٣,١١, رسمه ٢٢,٢١, ٢٧,٢٦,٢٥, ٤٢,
هرموند (Harmonide) متماسك ـ صانع طروادي ٣٨٨
هرمة (Harma) مركبة ـ بلدة بيوتية ٢٨٩
هرمينا (Hyrmine) بلدة في اليذة لعلها قرب الرأس المدعو الآن هرمينا او

هِيفُونُوُس (Hipponoüs) خبير بالخيل — اغريقي قتله هكطور ٦٤٠ .

هِيفِيرُن (Hypéron) طروادي قتله اوذيس ٣٩٣

هِيفيرِيا · هفير (Hypérie) ينبوع ٣٠١ — ٤٧٦

هيفيرينور (Hypérénor) مقحام — ابن فنثوس قتله منيلاوس ٨٦٠,٧٧٤ .

هيفيرِيسيا (Hypérésie) بلدة لاغاممنون ٢٩٤

هِيقِيطَوُن · هيقطان (Hicétaon) ملتمس — اخو فريام ٣٢٥ — ٨٠٠ — ٩٧٠

هِيكَمِيذا (Hécamède) سبية عند نسطور ٦٥٥ — ٧٣٥

هيلا · هيلة (Hylæ) غابة — ١ً بلدة في بيوتيا ٢٨٩ — ٤٢٢

٢ً مدينة في قاريا ٤٩٨

هيلانة (Hélène) قيل اصلها من Ελάνη بمعنى مقباس او مشعل لانها سببت اضرام الحرب — امرأة منيلاوس ومعشوقة فاريس ٩٤,٧٥,٦٢,٢٦١ — ٤٢,٤٠,٣٥,٣٣,٢٣,٢٠,٣١٨ ,٤٧,٤٤, ٦٠,٥٠ — ٦٧,٦٦,٤٦٣ ٦٨, — ٧١,٦٧,٥٨,٩,٥٠٦ — ٤٩,٤٣,٦٣٢ — ٩٥٠ — ١٠٢٣

— ١١٤٧

هيلانيُون (Héllènes) تطلق في الاصل على سكان هلاس وتوابعها ثم على قوم اخيل ثم توسعاً على جميع الاغريق ٢٩٩

هيلُس (Hyllus) نهر في يونيا ٩٧٧

هيلنُوس · هيلينُس · هيلين (Hélénus) مقباس · نبراس — ١ً عرّاف طروادي هو ابن فريام ٨٦,٤٤٣ — ٦٧١ — ٣١,٣٠,٢١,٧٢٠ — ١١١٨

٢ً اغريقي قتله هكطور ٤٢٣

هيلوس · هلوس (Hléos) ١ً ثغر من املاك منيلاوس ٢٩٤

٢ً بلدة من املاك نسطور ٢٩٥

هيليقة · هيليقا (Hélice) دَوَران — مدينة كبيرة في مملكة اغاممنون ٢٩٤ — ٥٢٨ — ٩٧٧

هِيلِيقَوُن (Hélicaon) ابن انطينور ٣٧٤

هيمون (Hémon) زعيم اغريقي ٣٦٨

هِيَمْبُولس (Hyampolis) مدينة في فوقيا ٢٩١

و

ويلُس · ويلوس · ويلا (Oïlée) ١ً امير لقري هو والد اياس الصغير وبه يكنى اياس ٢٩١ — ٣٠١ — ٦٨٦ —

فهرس الكتاب



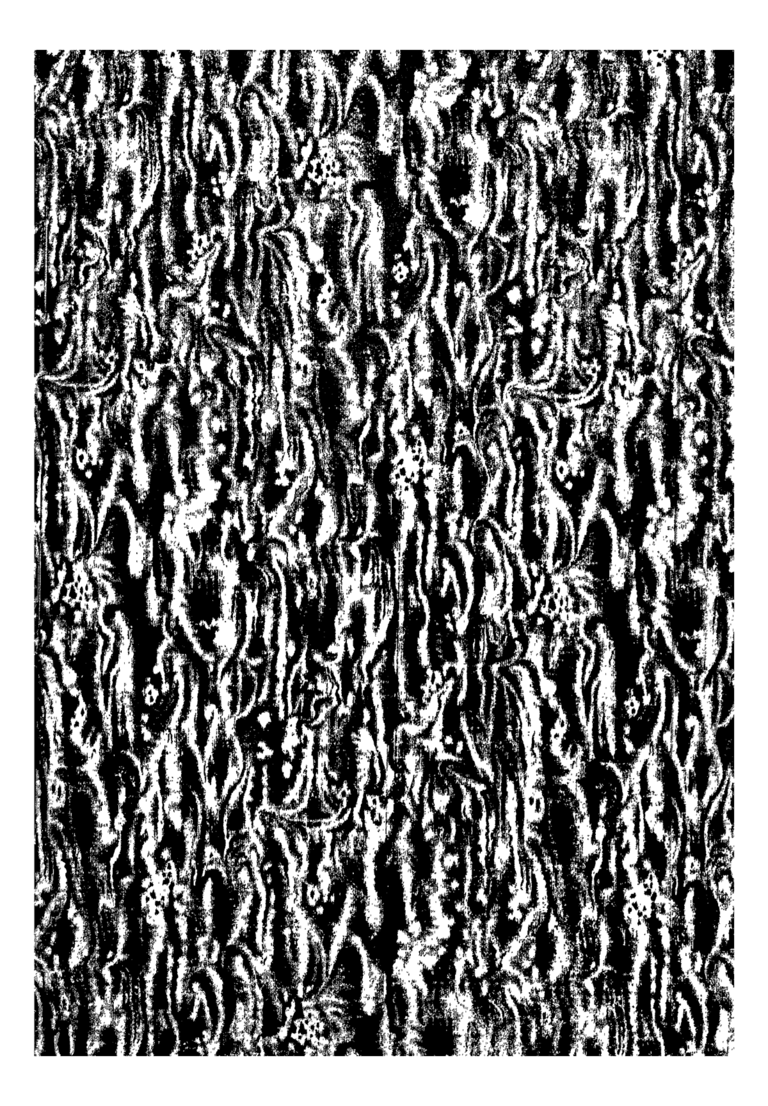
الالياذة

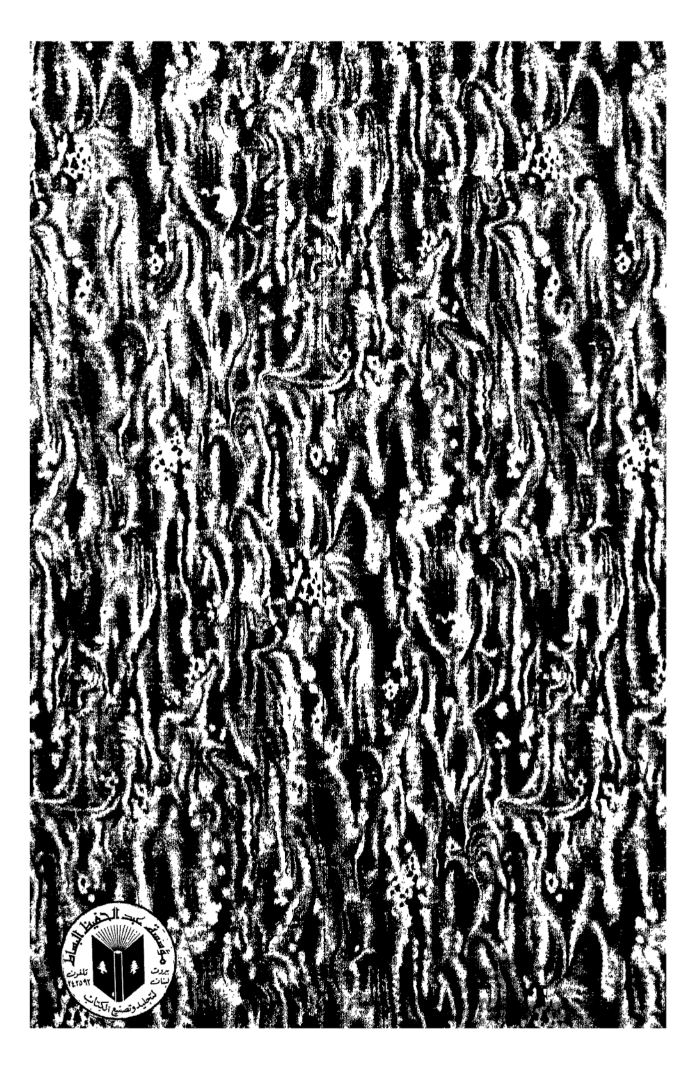
اصلاح غلط

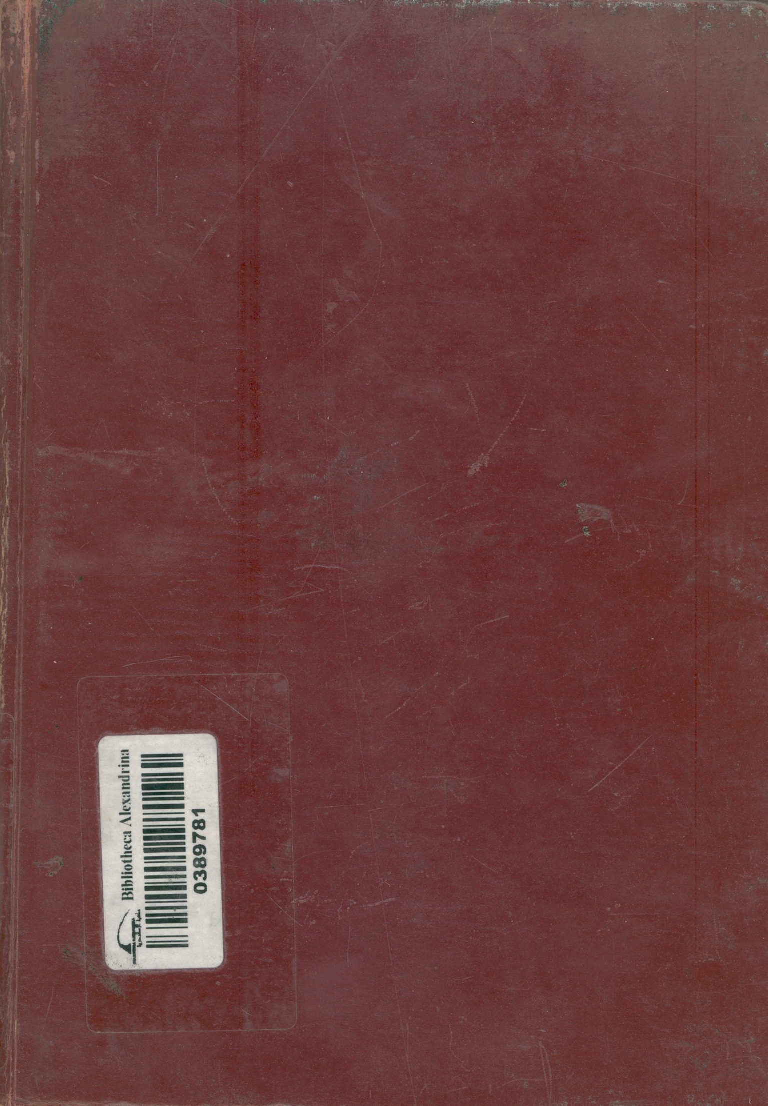
صفحة	سطر	خطا	صواب
٢١٢	٢	قائفاً	عائفاً
٢١٧	١٢	الخَصْب	الخِصْب
٢٤١	٣	هَبّة	هِبّة
٢٤٢	٨	كرهتُ	كرهتَ
٢٤٤	٤	ينجيكَ	ينجيكِ
٢٥١	١١	نوايا	طوايا
٢٥٥	٩	المتطائر	المتطاير
٢٥٦	٦	استرعووا	استرعوا
٢٧٨	١٨	غرّب...عنه	عارض....فيه
٢٨٩	٢	اكلورنيس	اكلُوّرينس
٢٩١	٣	نبوِلس	نبولُس
٢٩١	٥	قفيس	رِقفيس
٢٩٣	٤	يرؤسها	يرأسها
٢٩٥	٣	ايفيجينيا	امفيجينيا
٢٩٥	١٢	أرخومينس	أُرخومينس
٢٩٧	٢	ايتاكا	ايثاكا
٢٩٨	١٣	فيلبُّس	فيدبُّس
٢٩٩	٤	أَلوسيين	أُلوسيين
٣٠٠	٦	اغلاميرا	اغلافيرا
٣٠١	٣	اترمكاوايتوم	اتريكا وايثوم
٣٠١	٤	فولذير	فوذلير
٣٠١	١٥	كرولن	كرونس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٢	١	ايتان	اثيان
٣٠٢	٦	فيناوس	فينيُّس
٣٠٥	١٥	مرين	مرينا
٣٠٨	١	اونوموس	أُنُّوموس
٣٠٨	٤	اسكينوس	اسكانوس
٣٠٨	٥	اسكينية	اسكانية
٣١٩	١١	حجُّه	حجَّه
٣٢٤	١٠	قوّض	قوّس
٣٦٥	٢٠	اليتامى	الايامى
٣٧٣	٣	أخمس	احمس
٣٧٣	٤	ليقوفنطس	فوليفنطس
٣٧٩	٢	ايخوفولس	ايخيفولس
٣٨١	١٠	ذيورُس	ذيورِس
٣٩٠	١١	الفنان	القنان
٤٠٣	٧	الحجفلا	الجحفلا
٤٠٦	٣	افيلطُس	افيلطِس
٤٠٩	٦	ذيتا	لاطو
٤١٤	٥	أرسيخاوس	أُرسيلخوس
٤٢٠	٩	افطوليم	اطلوفيم
٤٢٦	٧	ذَروته	ذُروته
٤٣٢	٤	غيرُ	غيرَ
٤٩٣	١٧	هذه	هذا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٥٥	١٠	لباسي	لبأمى
٤٩٤	٦	إريثوس	أريثوس
٤٩٨	٨و١٢	حذّف	حذّف
٥٢٢	٣	إيناس	أنياس
٥٢٦	١٢	ايتن	ايثن
٥٣٢	٣	أرسيلوخ	ارسيلوخ
٥٢٣	٥	ليقوفنطُس	ليقوفنطِس
٥٣٦	٢	السَتر	السُتر
٥٤٣	٩	يافث	يافت
٥٥٣	٢١	السؤم	السأم
٥٦٢	٥	دلك ايتونة	دار ايتُّن
٥٧٨	١٤	الذولون	الذولوف
٥٨٦	٣	وتير	وثير
٥٨٩	٦	فُربا	فُربا
٥٨٩	٨	ايفس	اينس
٦٤٠	٩	زلفس	ذلفس
٦٤٢	١٧	نشب	انتشب
٦٥٠	٣	مأذق	مأزق
٦٥٠	١١	الوجود	الوجوه
٦٥١	١٢	نوال	منال
٦٥٣	٤	امون	افسون
٦٥٥	١٠	أرسينوس	أرسينوس
٦٦٠	١٤	ألنس	ألفنش
٦٦١	١٣	ولدي	ملّيني
٦٦١	١٣	وملبنا	كليهما
٦٧٦	٣	منيون	مينون
٦٨٦	٩	فيلوميذ	ليقوميذ
٦٩٤	٤	أمبرس	إمبرس
٦٩٧	٢	ثاوس	ثواس
٧٢٦	٣	فروطُسيلاس	فروطَسيلاس
٧٥٩	١	لمبروس	إمبروس
٧٧٠	١٥	لأنوف	لا نوف
٧٧٦	١٢	أخمُص	أخمَص
٧٧٩	٢	يكساهم	يكسأهم
٧٩١	٨	ايناس	انياس
٧٩٥	١٥	نسطور	مسطور
٨٠٦	٥	تبثّ	تبثُ
٨٢٥	٥	لرفيس	لرقيس
٨٣١	٤	اميسودُر	اميسودَر
٨٦٠	١٣	فرنثيس	فرنتيس
٨٦٢	٧	ميتيس	منتيس
٨٧١	٦	اسكيذيس	اتخيذيس
٨٨٠	٢	إريتس	أريتس
٨٨٢	١٠	اميدوسة	ابيدوسة
٨٩٤	٨	قلينُسا	قلينسا
٩٢٣	٤	اريانا	اريدنا
٩٣٦	١٠	لرينسا	لرنيسا
٩٤٦	١	ثلثبيوس	تلثبيوس
٩٨٠	٤	لوغوس	لوغون
٩٨٨	٦	سستينويس	سَتنيويس




مؤسسة عبد الحفيظ البساط
بيروت لبنان
تلفون ٢٤٢٥٩٢
لتجليد وتصنيع الكتاب


Bibliotheca Alexandrina
03889781